

# تَجْرِيدُ الْعَرَبِ

٢١

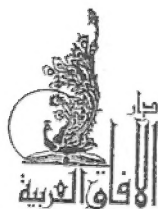
## القرن العشرون

طبيعة جزيرة العرب وحالتها الاجتماعية الحاضرة . دعوة الوهابيين وتاريخهم  
ومبادئهم . الحكومات العربية التي تماقت على الجزيرة في السور الحديثة . الثورة  
العربية . آل سعود وتاريخهم وأعمالهم . مؤتمرات الصلح والمعاهدات .  
الوثائق الرسمية التي دارت بين الأشراف وآل سعود وبريطانيا . الخ

تأليف

مافذويه

سفير الملكة العربية السعودية بلندن



٩٩/١١٩٤٨	رقم الإيداع
977-5797-46-4	I.S.B.N التوزيع الدولي

مكتبة

الطائفة ٢٢ / ٢ / ١٤١٧ هـ  
رقم ٢٢ / ٨٧ / ٢ -

## اهداء الكتاب

---

إلى شباب العرب الناهض ؛ عدة المستقبل  
ومناطق الأمل .

مايظ رحمه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

في يوم الخميس ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ هـ - ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م وصل بريد الحجاز إلى عظمة السلطان عبد العزيز . وكنا على المألوم<sup>(١)</sup> أحد المياه النجدية ، في طريقنا إلى الحجاز ، فرأى عظمة السلطان أن نتقدم زكبه . فتركنا المعسكر السلطاني في طريقنا إلى مكة . وكُنَّا : الدكتور عبد الله الدملوجي بك وأنا . والشيخ عبد الله السليمان « كسكرتير » وكان الفرض من تقدمنا : أن ندرس أحوال مكة وحاجات أهلها ولقائهم معهم ، وإزالة سوء الأثر الذي تركته حملة الطائف .

كنا نتردد على دار الإمارة ومقر الحكم ، الذي أقام فيه الشريف خالد بن منصور ابن لؤي ، أمير مكة من قبل السلطان عبد العزيز . وكنا نتذاكر معه ونتبادل وإياه الرأي فيما يحد من الشؤون الإدارية . ولفت نظري ما رأيته من أكداس الورق المهملة في فناء دار الإمارة . فدفعني حب الاستطلاع إلى معرفة ما تحويها . وما كنت أعتقد أن من بينها أوراقاً ذات أهمية تذكر ، غير أني وجدت الأمر على خلاف ما ظننت .

وجدت السجلات الإدارية للحكومة الهاشمية ، كما وجدت كثيراً من الأوراق السياسية الهامة التي لها علاقة بالثورة العربية والحركة العربية في أطوارها المختلفة .

فرايت - خدمة للتاريخ العربي - أن أضع كتاباً أضمنه أهم الحوادث في جزيرة العرب من سنة (١٣٣٣ - ١٣٥٣ هـ) - (١٩١٥ - ١٩٣٤ م) أضمنه هذه الوثائق ومعلوماتي

---

(١) دعانا عظمة السلطان إلى خيمته لياخذنا في البريد الواصل إليه من مكة من قناصل الدول ومن الأمير خالد بن لؤي . فرأى عظمته بعد البحث أن نتقدم الركب إلى مكة .



الخاصة في الانقلابات الخطيرة التي حدثت في هذه الحقبة من الزمن . فأكون بذلك قد  
قمت بشيء من الواجب للحقيقة والتاريخ .

وانقد رأيت — بعد استعراض كثير من الآراء — أن أضمر إلى هذه الفصول التاريخية  
السياسية بعض الفصول الجغرافية ، وبضعة فصول أخرى عن عوائد السكان — البدو  
والحضر — وطرق معاشهم ، والعلوم والمعارف في جزيرة العرب ، والنهضة الدينية التي  
قام بنشرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وأحيائها في العصر الحديث الملك عبد العزيز  
وأحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما رأيت أن أضمر إلى ذلك فصولاً أخرى عن الحكومات العربية ، وحكم الأشراف  
في مكة ، وآل صَبَاح في الكويت ، وآل خليفة في البحرين ، والصراع بين آل سعود  
والأشراف قديماً وحديثاً . لاتصال الحوادث ببعضها ، ولشرح بعض الحوادث الأخرى .  
وإني أعترف أن تدوين التاريخ من أصعب الأشياء . فالإنسان قد يتأثر كثيراً بالخيال ،  
وقد يكون حبه أو سخطه ذا أثر عظيم فيما يكتب .

ومع هذا فيجب أن أقرر أني لا أرى بتدوين هذا السفر القيام بأية دعوة لأي  
شخص ، ولا النيل من أحد . فرائدي الأسمى : خدمة التاريخ والحقيقة ، وكل شيء سيقضي  
سوى الحق .

وإني — وإن لم أصل إلى درجة الكمال في البحث ، انقص بعض المستندات التاريخية —  
فقد قمت بما يملية على الواجب نحو الشعب العربي الذي وقفت حياتي لخدمته ، وأبرأت  
ذمتي نحو الجيل القادم الذي له في رقابنا الشيء الكثير من الواجبات .

وفي الحديث : « من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بالجام من نار » .

ويجب على أن أذكر هنا مزيد الشكر على ما أسداه إلى أصدقائي من العرب والإنجليز  
من المعونة ، سواء بالصور ، أو بإعترفي كثيراً من الكتب القيمة .

وأسأل الله أن يسدد خطانا وبصفتنا من الزلل ؟

## مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين

\*\*\*

لقد استقبل العالم العربي في مختلف الأقطار (جزيرة العرب في القرن العشرين) استقبالا حماسياً محموداً ، يفوق ما كنت أفدرله . استقبلته الصحف والمجلات — عربية وغير عربية — بالترحيب والإطراء ، وقدرت الجهود المضنى الذى بذل في جمع الحوادث وتنسيقها ، والعدل في الأحكام ، وعدم التحيز في التمليق على الحوادث ، والقصد في الثناء والنقد .

لقد نفذت جميع النسخ التى طبعت في وقت أقصر مما كان ينتظر لكتاب مثله ، لم يتناول سوى موضوعات تاريخية واجتماعية ، أو قضايا سياسية لاهتم بها إلا فريق خاص من قراء العربية .

ولكن الحقيقة الظاهرة الباهرة : أن العالم العربي — في العشرين سنة الأخيرة — أخذ يظهر اهتماماً عظيماً بكل ما ينشر أو يكتب عن العرب والعربية ، من شئون سياسية ، أو اجتماعية أو تاريخية أو أدبية ، وساعد على ذلك ازدياد القراء ازدياداً مطرداً بكثرة المدارس وازدياد عدد المتعلمين .

ولقد شجعتنى هذه الروح الناهضة وكثرة الرسائل — من الكتاب والساسة — على إعادة طبع الكتاب ، مع إضافة بضعة فصول أخرى في موضوعات لها صلة وشيجة بموضوعات الكتاب . وتسجيل ما جد من الحوادث الجسام في السنوات التى تلت الطبعة الأولى . وأرجو أن أكون قد وفقت لأداء واجبي نحو الأمة العربية التى وهبتها أمز ما أملك ، وهى حياتى .

هذا وأسأل الله الهداية إلى السبيل القويم .

## مقدمة الطبعة الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين  
وبعد ، فإنه ليس لي ما أضيقه على ما كتبته لمقدمة الطبعة الثانية ، فإن نفاذ الطبعة  
الثانية وكثرة الطلبات على السكتاب ، اضطررت لإعادة طبعه للمرة الثالثة ، وهو إقبال يرجع  
إلى الوعي القومي ، ورغبة القراء من الأمة العربية في الوقوف على حالة البلاد العربية والسمودية  
وإمارات الخليج الفارسي ، وتطورها في العشر السنوات التي تلت الحرب الأخيرة .  
وسأضيف إلى هذه الطبعة فصلا في قصة الزيت العربي . وتسجيل ماجد من الحوادث  
في السنوات التي تلت الطبعة الثانية ؟

وأسأل الله التوفيق والهدى

ماطفه وهبه

الفاخرة { جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥ هـ .  
يناير سنة ١٩٥٦ م .

# فهرس الكتاب

صفحة

## ١ جزيرة العرب :

موقعها - أجزاءها - مناخها - سكانها - التقسيمات الإدارية

١٤ الحجاز :

طبيعة البلاد - الجو - السكان - التجارة والصناعة - مواشها - الأقاليم الشمالية - المنطقة الوسطى - القسم الجنوبي - مكة - وصف شامل لها - تاريخ تشييد الكعبة

٣٦ عسير :

موقعها - وديانها - سكانها - الزراعة - التجارة - أشهر مدنها - خلاصة تاريخية عن حكومتها

٤٥ نجد :

موقعها - مناخها - سكانها - الأدوات المحلية والصنوعات - إيالات نجد - العارض - أشهر بلدان العارض - وادي الدواسر - بلدان الوادي - القصيم - أشهر مدنها - جبل شمر - سكانه - المحصولات والتجارة - البلاد المشهورة

٦٨ الاحساء :

الوصف الطبيعي - الجو - أشهر البلدان - المنقوش - البرز - سكان البرز - أهم عتائر المنطقة - نبذة تاريخية - القصيم - أشهر بلدان القصيم

٧٦ الكويت :

حدود الإمارة - الوصف الطبيعي - الجو - السكان - الصناعة والتجارة - مقامات الكويت - جزر الكويت - بلدان الكويت - خلاصة تاريخية

٨٩ إمارة البحرين :

موقعها - الجو - السكان - الصناعات والتجارة - جزيرة البحرين - بلدات البحرين - نبذة تاريخية - آل خليفة - الحكومة البريطانية والبحرين

١٠٥ الهوائيم والأقمار :

الأقارب - السادة - الكرم - الأكل

١١٣ المرأة في بلاد العرب :

صفحة	
١١٨	الطب في بلاد العرب
١٢٤	المعلوم والمعارف في جزيرة العرب :
	علماء الدين — المناجات
١٣٥	قصة البترول
١٣٨	<u>الحكومات العربية :</u>
١٤٦	السياسة الخارجية
١٤٨	أشراف مكة
١٥٢	العرب والترك :
	الجمعية الوطنية — جمعية المهدي — حزب اللاسكزية — المؤتمر العربي بباريس
١٥٦	الثورة العربية :
	مقررات النهضة — الوثائق المتبادلة في سبيل ذلك
١٦٨	مؤتمرات الصلح :
	موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح — الأمير فيصل بباريس — الأمير فيصل في لندن — إعلان الملكية في دمشق
١٨٦	أثر الثورة العربية في الحرب العامة
١٩٢	الماهدة البريطانية مع الملك حسين
١٩٥	المسألة الفلسطينية
١٩٨	العرب واليهود
٢٠١	الملك حسين وجيرانه
٢٠٢	ابن سعود والملك حسين
٢١٢	سياسة الملك حسين الداخلية
	وفاة الإمام عبد العزيز — صفات الإمام — سعود بن عبد العزيز — بدء الخلاف مع الصرب والأتراك — وفاة الإمام سعود — عبد الله بن سعود — أسباب سقوط الدولة المعدية — رأي علماء نجد — أثر الدولة المعدية في نجد — الدولة المعدية الثانية — ترك بن عبد الله — فيصل بن ترك — صفاته — وفاته — الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود — الدور الثالث لآل سعود — عبد العزيز بن عبد الرحمن

- ٢١٥ آل سعود :
- ٢٤٤ ابن سعود والحكومة البريطانية
- ٢٥٠ ابن سعود وجيرانه :
- ابن سعود والكويت - ابن سعود والأشراف - مؤتمر الكويت - دور المؤتمر الأول - الدورة الثانية للمؤتمر
- ٢٥٧ مؤتمر الكويت
- ٢٦٢ غزوة الحجاز والمؤتمر الإسلامي
- كيف نشأت فكرة الفزوة - المدول عن المؤتمر - فصل المؤتمر - ابن السعود وإمام صنعاء
- ٢٧٧ حياة الملك عبد العزيز الشخصية
- ٢٨١ أعماله الإصلاحية
- ٢٨٥ الإخوان :
- أول مؤتمر للاخوان - فتوى علماء نجد - ابن بجاد يرسل رسولا إلى ابن سعود - الثورة - الدويش يطلب الصلح - مؤتمر خباري واضحة - الدويش في حضرة ابن سعود الدعوة الإصلاحية في نجد :
- ٣٠٢ الشيخ محمد بن عبد الوهاب - نجد في أيامها الأولى - ما هي الدعوة الوهابية ؟ - ما ينسب إلى التجديدين وم أبرياء منه - أثر التمسك بالشريعة الإسلامية في الحياة العامة
- ٣١٦ المراجع العربية
- ٣١٧ المراجع الإنجليزية
- ٣١٨ ذيل خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في الكتاب
- ٣٢٦ الخاتمة

## جزيرة العرب

بلاد العرب أو جزيرة العرب كما تعرف عند علماء العرب هي الأراضي المحاطة ببحر الهند ، والبحر الأبيض المتوسط ، ثم دجلة والفرات (١) . أما علماء الفرنج فيسمون النفود الشمالى الفاصل بين نجد الشمالية ، وصحراء سوريا هو الحد الطبيعى لجزيرة العرب من الشمال يبلغ متوسط عرض الجزيرة ٧٠٠ ميل ، ومنتهاى طولها ١٢٠٠ ميل ، وتزيد مساحتها عن مساحة الهند ، وبلاد العرب من البلاد القائمة التى حافظت على تقاليدها وعاداتها وطرق معاشها منذ أقدم عصور التاريخ ، وإن ما انتابها من التغير لا يكاد يذكر ، وذلك بسبب العزلة التى يفضلها العرب على كل شئ سواها

وجزيرة العرب مشهورة بصحاريها الواسعة ورملها التى يقصر الطرف عن مداها ، وتشغل هذه الصحارى قسما كبيرا من مساحتها

وأهم هذه الصحارى : الدهناء ، النفود ، الصحراء الجنوبية أو صحراء الربع الخالى ، وهذه الصحارى وإن كانت رملية إلا أن تربة بعضها خصبة بحيث تصبح بمقدار الأمطار من أفضل المراعى للحيوانات ، وقد اخترقنا الدهناء بضع سمرار من الشمال فقطمناها فى ١٣ ساعة على الإبل ، ومن جهة الأحساء فقطمناها فى ست ساعات ، كما أتت قطمت النفود من بعض نواحيه من جنوب الزلفى إلى شقراء وهو أشق من عبور الدهناء ، وقد قطعت الدهناء بالسيارة فى ثلاث ساعات

أما اليوم فالجزيرة العربية تقطع من جدة على البحر الأحمر إلى الظهران على الخليج الفارسى فى نحو أربع ساعات بالطائرة

ولست طبيعة التربة فى الدهناء والنفود متجانسة من كل وجه ، فهناك بعض الجبال لا ترى فيها غير الرمال المرتفعة التى تكاد تبطلق اللآلئ لنموها وعدم تماسكها ، فيتجنبها المسافرون ابتقاء سلامة أرواحهم وأموالهم

ويوجد ببلاد العرب هضاب يبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ثمانية آلاف قدم فى شمالى

(١) يسميه العرب بحر الشام . ياقوت : جزيرة العرب ، والقاموس : مادة جزر

وجنوبي منطقة البحر الأحمر — مدين واليمن — أما قلب الجزيرة فالارتفاع فيه تدريجي — فتسوى البلاد في نجد يبلغ حوالى ٢٥٠٠ قدم . بينما يصل فى بعض الجهات كأجا فى الشمال إلى خمسة آلاف قدم ، وفى نهاية الجنوب الشرقى توجد هضبة عالية يتكون منها الجبل الأخضر ، وفى الوسط الشرقى يوجد مرتفع طويل يقابل الغرب يسمى جبل طويق ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٦٠٠ قدم

## الوديان

لا يوجد فى بلاد العرب أنهار بالمعنى المعروف ، ولكن بعض مجار أو نهيرات صغيرة دائمة فى عسير واليمن وجهات عدن والأحساء ، وعمان ونجد ، ووديان لا عداد لها مما تجرى فيها المياه إبان المطر ، وهى فى الغالب طويلة وغير حقيمة . وأطول هذه الويان وادى الرمة الذى يبدأ قريباً من المدينة ويمر فى القصيم ، ثم إلى شبط العرب . ووادى حنيفة الذى يبدأ من منحدرات جبل طويق القريبة إلى أنجاه المظليج الفارسى ( وهو لا يصل إليه ) فهذان الوديان يمكن أن يُعبر مجراها أثناء فيضاتها الواسع والمتوسط بدون صعوبة ، وهما يحفظان الماء فى باطن مجراها ؛ حيث يمكن الوصول إليه بمجر آبار تختلف أعماقها باختلاف المكان ، وفى بعض الأماكن كما فى القصيم ( وادى الرمة ) والمخرج ووادى حنيفة تملو المياه سطح الأرض ، وهناك تتكون سلسلة من الواحات

أما الوديان التى تنبج نحو البحر الأحمر ، فإنها ذات مجرى أعمق وأكثر انحداراً ، وهى تكاد تكون مهدمة النفع وهى عقبة فى سبيل المرور من الشمال إلى الجنوب ، وهى لا تكون واحات مثل مياه الأودية الأخرى بسبب ما تجلبه المياه فى انحدارها من الأتربة وغيرها مما يترامى بعضه فوق بعض بسرعة ، بحيث لا تستطيع حرارة الشمس أن تؤثر فى صلابته . ووديان غربى اليمن ومنطقة قسم البحر الأحمر من هذا النوع — من مدين إلى حضرموت

## المناطق الداخلية الخصبة

بين الصحارى المترامية الأطراف ، وبين الأودية والمنحدرات توجد مناطق خصبة عامرة بالسكان ، وتجمود بقسط من حاجات السكان الضرورية وأهمها :



## ١ - جبل شمر :

هو إلى جنوبي النفود الشمالية ، وتنحدر إليه المياه من جبال طى الشهيرين « أجا وسلي » اللذين يمتدان من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى وتشغل مدينة حائل ، ومدينة قيد<sup>(١)</sup> القديمة ، وعدة قرى أخرى صغيرة وكبيرة فى المنطقة المجاورة لاسلحى الجبال

## ٢ - القصيم :

واقعة إلى ما بعد المنحدرات فى جنوبي جبل شمر ، فالقسم المنخفض ترجع خصوبته إلى المياه الموجودة فى باطن الأرض باستمرار ، وإلى المياه التى تفيض عليه أحيانا من وسط مجرى وادى الرمة . وتمتد منطقة القصيم فى خط يبلغ طوله أكثر من مائة ميل ، تتخلله بعض أسنة النفود فتفصله عن بعضه . وفى هذا الخط تقع أكبر مدينتين تجاريين فى قلب الجزيرة ، وهما : عنيزة وبريدة ، وهذا هاتين المدينتين يوجد أكثر من خمسين بلدة كبيرة وصغيرة

والقسم المرتفع غنى بمراعيه الواسعة ، ويعتمد على الآبار التى توجد فى أكثر من أربعين بلدة

## ٣ - نجد :

وهذه بلا نزاع أكبر مجموعة من المناطق الخصبة ، وتبلغ مساحتها بما فى ذلك بعض المنحدرات أكثر من عشرة آلاف ميل ، وهى تتكوّن من سلسلة مناطق واقعية عند أطراف جبل طويق ، وتمتد سلسلة من البلدان والقرى من سدير فى الشمال وتنتهى فى الجنوب إلى وادى الدواسر . ومجموعة المناطق الخصبة تحيط بها الدهناء شرقا وجنوبا ، والنفود ، والمنحدرات من الشمال ، ومنحدرات من الغرب . ومنطقة الخصوبة أوسع على جانب شاطئ البحر الأحمر وفى الجنوب الشرقى ، وفى الشرق تجد أن هذه الحلقة رقيقة

(١) انظر ياقوت

وتفصلها حواجز واسعة ، ثلث شاطئ\* الخليج الفارسي من الكويت إلى القطيف أرض جرداء ، وبعد ذلك تبدأ سلسلة عيون في الداخل حيث منطقة الأحساء ؛ ولا يوجد على الشاطئ\* إلا مناطق صغيرة قليلة الخصوبة . ومن نقطة رأس الجبل تبدأ عُمان التي تنحدر إليها المياه من المرتفعات الشاطئ\* الشرق وجبال عمان غرباً ، كما ينزل المطر فيها في فصول معينة . كذلك الجبل الأخضر الممتد على الشاطئ\* تجاه رأس الحد . وكذلك في المنطقة الواقعة شمالاً خلف شاطئ\* الباطنة توجد وديان خصبة وغنية وسلسلة مريضة من الأراضي الخصبة ؛ وفي الجنوب توجد الصحراء ممتدة على طول الشاطئ\* حتى رأس الحد . ولكن لما كانت الأرض تأخذ في الارتفاع تدريجياً تجاه خط تقسيم المياه القريب ، فإن ودياناً وأرضاً خصبة تبدأ في الظهور واسكنها غير متصلة . وبعد عبور مدخل وادي حضرموت تأخذ الأرض الخصبة في الظهور بشكل متقطع

ومن مدخل وادي حضرموت فصاعداً يعتبر القسم الغربي من شبه الجزيرة ، ونجد أمامنا عند ما ندور حول الزاوية الجنوبية الغربية للجزيرة منطقة ساحلية منخفضة خصبة في المواضع التي تنحدر منها الوديان من المرتفعات . ويوجد وراء هذه المرتفعات مرتفع خصب ( صَفْحا ٧٥٠٠ قدم ) ، تكنتفه جبال عالية هي خط تقسيم المياه ، وتمتد هذه المناطق الخصبة إلى ٢٠٠ ميل من الشاطئ\* الغربي . ثم تأخذ المنحدرات تتلاشى حتى تختفي في الربع الخالي . وهذه المنطقة هي ما كان يطلق عليها قديماً العربية السعيدة ، والتي يطلق عليها الآن اسم النخيل ، وعدن والمسكلاً من جهة ، وعسير من جهة أخرى . وعلى أية حال فإن الخصوبة تنتهي عند مدينة الليث على شاطئ\* البحر الأحمر . ومن هذه النقطة شمالاً لا تشمل رياح المونسُون هذه المنطقة ؛ ومن هنا تبدأ مناطق الواحات منفصلة عن بعضها وعليها قوام حياة السكان . وفي بعض المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة يوجد بعض مناطق خصبة صغيرة في باطن بعض الوديان ، وإلى مائة ميل شمالاً من المدينة تنتهي سلسلة المناطق أو الواحات المنزلة بمنطقة خيبر والملا . أما بالنسبة للشاطئ\* من جدة فليس فيه إلا مداخل الوديان التي عند ما تنحدر فيها المياه وتتخلل باطن الأرض تمكن بعض السكان من حفر آبار للارتواء

## الجو

يتميز الجو في الجزيرة على العموم ، ما عدا بعض نقط على الشواطئ صالحة للحياة — فالحرارة التي تشتد نهاراً والبرودة التي تشتد ليلاً تقتل أغلب الميكروبات التي تحارب بنى الانسان في جهات أخرى ؛ والحياة على وجه العموم في الجزيرة ، وبالأخص في المناطق الحصبة طويلة ، ولكن حياة البدو الرحل الذين يعيشون على المنحدرات شاقة تقصر الأجل ، وكذلك الحال في مضبة اليمين التي يبلغ ارتفاعها ما بين ٧ — ٨ آلاف قدم

والشيء الذي يميز الجو في الجزيرة هو الجفاف ، فإن بلاد العرب واقعة بين البحار . ومع هذا فليس لها أى أثر في جو الجزيرة ، وتستفيد اليمين من رياح المونسون في الصيف وينزل في عمان قدر كاف من الأمطار بينما المنطقة الواقعة إلى غربى خط تقسيم المياه لا ينزل فيها المطر إلا نادراً

أما باقى الأقسام فإن أكبرها حظاً من المطر النفود الشمالى وجبل شمر ، فالأمطار تهطل في الشتاء ، وكذا رياح البحر الأبيض المتوسط تسبب المطر فتنبت أعشاب الربيع . وأما الصحراء الجنوبية فربما لا يصيبها الرذاذ ساعة واحدة كل ثلاث أو أربع سنوات . ومن ظواهر الجو أيضاً في الجزيرة الحرارة : فالنصف الجنوبي من الجزيرة تبلغ الحرارة فيه نهايتها في شهرى يوليو وأغسطس . أما تأثيرها في الإنسان فيختلف تبعاً لارتفاع المنطقة التي يعيش فيها

وأشد المناطق حرارة شاطئ " عمان وتهامة اليمين ، ولكن الجوفى شاطئ " الخليج والمحيط الهندي ليس طلياً

## السكان

### عديم — الحضرة والبدو

لم يعمل إحصاء السكان في جزيرة العرب ؛ ولذا لا يمكن معرفة عديم بالضبط ، وإذا قلنا إن عدد السكان لا يقل عن سبعة ملايين ، فربما كنا إلى الصواب أقرب . وهم موزعون في مناطقهم كما يلى :

ثلاثة ملايين في منطقة البحر الأحمر من مدين إلى اليمن ، ومليون ونصف في المنطقة الجنوبية والساحل البحرى ، بما فى ذلك حضرموت وعمان ومليونان ونصف في وسط الجزيرة

## الحضر

إن كثرة ارتحال القبائل وغزواتها المديدة ، ترك عند الناس فكرة خاطئة عن عدم وجود مدن وبلاد في جزيرة العرب ومناطق زراعية ، وكثير من الناس لا يعلم بوجود مدن سوى مكة والمدينة وجدة وصنعاء

إن المناطق الساحلية في الجنوب الشرقى والجنوب الغربى من الجزيرة أراض زراعية أهلة بالقرى والمدن ، والأهالى يشتغلون بالزراعة والتجارة ، ويوجد علاوة على ذلك مستعمرات أو واحات عديدة في وسط الجزيرة ، يتجاوز سكان الواحدة منها سبعة آلاف نسمة ، وهذا عدا الأماكن الأخرى المبعثرة الملوثة بالسكان . وبما لا شك فيه أن حياة الحضر في داخل الجزيرة متأثرة إلى درجة ما بحياة البدو الرحل لانتقال الفريقين في كثير من المرافق ، فإن الفريقين كثيراً ما يتصلان بالمصاهرة والتجارة

والحضر مختلف طباعهم باختلاف المناطق التى يعيشون فيها ، وظروف الحياة التى تحيط بهم ، فأهل حائل أقرب مظهراً إلى البداوة ، وأهل مكة والمدينة واليمن العالية أبعد مظهراً عن البداوة من البلاد الأخرى العربية ، وأهل القصيم ألين عريكة من أهل العارض ، لأنهم كثيرو الأسفار ، كثيرو الاختلاط والتعامل مع البلاد الأخرى كالشام وفلسطين ومصر ، ولذا فترى موطنى ديوان الملك المكلفين بالمقابلات والتشريفات من أهل القصيم أو حائل

وأهل الرياض أرق بكثير من أهل الدواسر الذين لم يفارقوا بلادهم ، ولم يعرفوا شيئاً من أحوال العالم الخارجى

والحضر في تنافس وتفاخر دائم ، فأهل القصيم يفضلون أنفسهم على سائر سكان نجد بالعلم والمعرفة وسماحة الخلق والإحاطة بأحوال العالم . وأهل العارض يفضلون أنفسهم

بالشجاعة والصبر على المسكارة والمحافظة على شئائل العرب وأنهم جند التوحيد الموالون  
لأهلهم في أوقات الشدة

وأهل البحرين يفاخرون أهل الكويت بكرمهم فيقولون : إذا حضر عندنا الكويتي  
دعونا وذبحنا له ولم تقبل له عذراً ؛ ودعونا معه أصدقاءه ومعارفه . أما الكويتي فإذا  
قابلك في بلده قال لك مرحباً ! متى الوصول ؟ كيف حالك ؟ في أمان الله ! ثم انصرف -  
وإذا لم يجد مفرّاً من الدعوة لروابط العمل والصداقة المنيعة فإنه يدعوك ويشتري اللحم  
من السوق ، أي لا يذبح لك الخروف

وأهل الكويت من جهة أخرى يرمون أهل البحرين بالبساطة ؛ وحضر نجد  
وبدوهم يتألمون من أهل الكويت والإحساء والبحرين ، ويقولون لقد أضاعوا مفاخر  
العرب ، لا يعرفون الخليل والجمال ولا الكر ولا الفر ، ولا يحسنون إلا قيادة السفن  
والخضر يعيب بعضهم بعضاً بلهجاتهم ، وربما كانوا يجمعين على النيل من لهجة أهل  
الإحساء والبحرين لما فيها من الرخاوة والنيل إلى الامالة

ويغلب على الحضرة الخلق التجاري ، وبعض الجهات يمتاز عن بعض في هذا الخلق ،  
فأهل القصيم والزاقي وشقرا أنشط من أهل نجد في التجارة ، فقوانهم تقصد سائر الجهات  
العربية ، وتجارهم كثيراً ما يسافرون إلى الهند ومصر في سبيل التجارة ، والتجار النجديون  
المروفون في الهند ومصر والعراق من أهل هذه البلاد . أما أهل الكويت فنشاطهم في  
التجارة البحرية ، وقد كانت لهم أساطيل بحرية في الماضي لنقل الحاصلات العربية إلى الهند  
وبعض سواحل الخليج الفارسي وجلب السلع الهندية والأوروبية إلى بلاد العرب ؛ وقد  
نقضت السفن البخارية على هذه الأساطيل وقلت من أهميتها ، ومع ذلك فلا تزال للكويت  
بعض السفن تنقل عليها ثمر العراق إلى الهند ، وتأتي من الهند حاملة الأرز وأدوات السفن  
وسائر الحاجيات الأخرى . أما في فصل الصيف فتسكاد السفن تقتصر على النوص  
لاستخراج اللؤلؤ

ويتمن الخضر أولادهم على التجارة من الصغر : يمنح الوالد ابنه الصغیر مبلغاً من المال  
للتعامل به تحت إشراف أبيه وإرشاده ، وكثيراً ما يشارك الوالد ابنه في بعض السلم التي يراها

رابحة ، فيشب الفتي وقد مرّ على الأعمال التجارية وشعر بكثير من المسؤوليات ووقف على الطرق التي تدر عليه النقود وعرف المشقات والصعوبات التي قد تترض الساجر والتي عاناها أهلهم ، فإذا مات رب العائلة حل محله ابنه الذي لم يصبح غريباً في محيطه الجديد ويقلب على حصر الجزيرة — وعلى الأخص أهل خليج فارس — التهاون التجاري سواء بين الأهالي بعضهم مع بعض أو بين الأسماء والأهالي ، فمن التعاون المألوف في الكويت أن يدع تجار اللؤلؤ نفودهم بعد بيعه عند أصدقائهم في التجارة لاستثماره على مسئوليتهم الخاصة . وحكام الكويت : جابر وسالم والشيخ الحالي له مبالغ طائلة عند رعاياه التجار لا يتقاضى من ورائها ربحاً أو فائدة ؛ وقد كان حكام البحرين كاخوانهم حكام الكويت عند ما كانت يدم مطلقة في شئون البحرين الداخلية والمالية . وحكام نجد وتطر لم مثل هذه الأيادي على رعاياهم البدو

أما البدو فهم القبائل<sup>(١)</sup> الرحل المتنقلون من جهة إلى أخرى طلباً للرعى أو الماء ، والطبيعة هي التي تجبر البدوى على المحافظة على هذه الحياة وحياة البدوى حياة شاقة مضنية ، ولكنه وهو متفتح بأ كبير قسط من الحرية يفضلها عن أى حياة مدبنة أخرى

هذه الحياة الخشنة هي التي جعلت القبائل يتقانون في سبيل الرعى والماء ، وهي التي جعلت سوء الظن يغلب على طباعهم ، فالبدوى ينظر إلى غيره نظرة العدو الذي يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من الرعى

إن البدوى في الصحراء لا يهيم إلا للمطر والرعى ، فأزمته الحقيقية انحباس المطر وقلة الرعى ، ولا يبالى بما يصيب العالم في الخارج ما دامت أرضه مخضرة ، وبعيره سميناً وغنمه قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحاً

أما إذا نما السكان وضافت بهم الأرض أو لم تجد أراضيهم بالرعى ، فليس هناك سبيل إلا الزحف والقتال ، أو الهجرة إن كان هنالك سبيل إليها ، وكذلك القبيلة التي غلبت على أمرها وحرمت من مراعيها وأراضيها ، ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة ،

(١) سنكب فصلاً في الجزء الثاني عن القبائل العربية وأناسها وأماكن إقامتها .

وهذا يفسر الهجرة من وقت لآخر إلى العراق وسوريا ومصر واستعمار الجزء الشمالى الغربى من أفريقيا ، وتدفق شمر إلى ما بين النهرين ، وقبائل عتزة إلى الحجاز ، فسكلمها نتيجة تغلب غيرهم عليهم من القبائل ، واضطراهم إلى ترك أراضيهم التى لم يعد لهم سبيل فى الإقامة بها لضيق وسائل الحياة .

ومن الحوادث البارزة فى القرون الأولى ، والتى تشبه مايجرى فى بلاد العرب من وقت لآخر إغارة الساميين على بابل ، والسكثانيين على سوريا ، والمكسوس على مصر والعبرانيين على فلسطين .

لقد كان البدو قبل أربعين سنة فى غارات وحروب مستمرة ؛ كل قبيلة تنتهز الفرص للإغارة على جارتها لتهب ما لها ، وتعدد الإمارات وتشاحن الأمراء وتحاصمهم مما يشجع البدوى ولهذا كان المصيبة قيمتها فى بلاد العرب — فالإنسان يقوى بأبنائه وأبناء عمومته الأثر بين والأبدين ، وإذا كانت المصيبة ضئيفة أمكن تقوية القبيلة بالتحالف مع سواها حتى يقوى الفريقان ويأمنوا شر غيرها من القبائل القوية .

وقد جرى العرف أن القبائل تعتبر الأرض التى اعتادت رعيها ، والمياه التى اعتادت أن تردها ملكا لها ، لا تسمح لغيرها من القبائل الأخرى بالدخول منها إلا بإذنها ورضاها ، كثيراً ما تأنس إحدى القبائل من نفسها القوة فتهاجم بلا سابق إنذار على قبيلة أخرى ، وتنتزع منها مراعيها ومياهها .

إن قبائل العرب ليسوا كلهم سواء فى الشر والتعدى على السابلة والقوافل ، فبعضها قد اشتهر أمره بالكرم والسماحة والترف عن الدنيا ، كما اشتهر بعضها بالتعدى وسفك الدماء بلا سبب سوى الطمع فيها فى أيدي الناس .

ومع أن الدين الإسلامى أبطل كثيراً من المصيبات القديمة وأحل محلها الأخوة فى الدين ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ) فقد عادت المصيبات بشروطها فى بلاد العرب مرة أخرى . والفضل الآن فى استتباب الأمن والضرب على أيدي المفسدين يرجع إلى المرحوم الملك عبد العزيز وسهره وإقامة أحكام الشريعة ، وسرعة تنفيذها .

ليس للبديوى قيمة حربية تذكر ؛ ولذا كان اعتماد الأمراء على الحضرة ، فهم الذين يصعدون للقتال ويصبرون على بلائه وبلوائه . وكثيراً ما كان البدو شراً على الأمير المصاحبين له ، فإن ذلك الأمير إذا ما بدت منه الهزيمة كانوا هم البادئين بالنهب والسلب ؛ ويحتجون بأنهم هم أولى من الأعداء المحاربين ؛ ولقد جرى كثير مثل هذا في الحرب الإنجليزية العراقية مما كان يندهش له الضباط الإنجليز ، لأنهم لم يعرفوا أن صديقاً ينهب صديقاً ؛ واسكن البادية لا تعرف شيئاً غير النهب والسلب ، وعندها الفنية مقدمة على كل شيء . والبديوى لا يرى حياة أسعد من حياة البادية ، ويرى الحاضرة جساً لحريته وتغله حيث يريد ، كما أن أهل الحاضرة يرون البداوة شقاء لا يعاد لها شقاء ، ويصفقون البدو بأنهم جفاة غلاظ القلوب .

والبديوى إذا لم يجد سلطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقّه نهب القادى والرايح ، فالحق عنده هو القوة يخضع لها ، ويخضع غيره بها . على أن لزلاء قواعد البادية معتبرة عندهم كتواتين يجب احترامها ، فالقوافل التى تمر بأرض قبيلة وليس معها من يحمىها من أفراد هذه القبيلة معرضة للنهب ، ولذا فقد اعتادت القوافل قديماً أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل التى ستمر بأرضها ، ويسمون هذا رفيقاً .

والبديوى يحقر الحضرى مهما أكرمه ، كما أن الحضرى يحقر البديوى ، فإذا وصف البديوى الحضرى فإنه فى الغالب يقول . حضيرى تصغيراً لشأنه .

ومن عادة البديوى الاستغناء عن كل شيء ، وانتقاد ما يراه مخالفاً لذوقه أو عادته بكل صراحة ، فإذا مررت بالبديوى فى الصحراء استوقفك وسألك من أين أنت قادم ؟ وعن وراك من المشايخ والحكام ؟ وعن المياه التى مررت بها ؟ وعن أخبار الأمطار والرماح ؟ وعن أسمار الأغذية والقهوة<sup>(١)</sup> ؟ وعن فى البلد من القبائل ؟ وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم وبعض .

ومع أن البدو قد اعتادوا النهب والسلب ، فإنهم كثيراً ما يعفون عن أهل السلم خوفاً من غضب الله عليهم ، وبعض البدو لا يحلف كاذباً مهما كانت النتيجة .



أقد شاهدت كثيراً من القضايا في الأحساء وغيرها ثأن البدوى ينكر إذا وجد بجلاً للانكار ، ويفلت بمهارة من الإجابة عما يسأل ، ولكن إذا وجه له اليمين وكان لا مفر له اعترف بجرمه إذا كان مذنّباً ولا يحلف بالله كاذباً ، وهذا أمر يدعو إلى الغرابة والإكبار أيضاً ، فإنه يدل على شعور عميق بالخوف من الله ، وإن هذا الشعور إذا أحيط بالناية والرعاية ، فإنه ربما يوجه إلى الخير ، أو على الأقل إلى الاتلاع عن الشر

وقبائل نجد على العموم لا يزال فيهم الكثير من الصفات الطيبة التي اشتهر بها العرب الأقدمون : يعرفون حقوق الصحة والرفقة ويشمر معهم عمل المعروف ، فلا تسمع في نجد أن جمالا قتل رفيقه في السفر كما اعتاد الناس أن يسموا في الحجاز

وليس أعدل من البدوى في تقسيم الغنيمة حتى قد يتفقون الشيء ثمرباً للعدل يقسمون السجادة بينهم كما يقسمون القميص أو السروال ، كل هذا إرضاء لضمايرهم ودفعاً للظلم . إنهم يعرفون الخيام حق المعرفة لأنها بيوتهم التي يعيشون فيها ، ومع ذلك فهم يقسمونها مراعاة للعدل — أما الإبل والغنم فإنهم يقسمونها إذا أمكن القسة ، أو يقومونها بشئ إذا لم يكن هنالك سبيل للقسة

والبدو لا يفهمون الحياة حق الفهم كما يفهمها الحضري ، لا يفهمون البيوت وهندستها ، ولا يفهمون فائدة الأبواب والنوافذ الخشبية ، حتى إن البدو الذين كانوا في جيش الملك حسين في الثورة العربية كان عملهم بعد الاستيلاء على الطائف نزع خشب النوافذ والأبواب ، لالبيها والانتفاع بشئها بل لاستعمالها وقوداً إما للقهوة أو الطبخ أو التدفئة ، وبدو نجد قد فعلوا مثل ذلك تماماً ، فعند ما أسكنت الحكومة بعض القبائل ثكنة جردل ، اكتشفت الحكومة أن النوافذ الخشبية والأبواب تنقص بالتدرج ، وأنها استولت الطبخ وتحضير القهوة فأخرجهم جلالة الملك توا من الثكنة وأسكن الحضري فيها ، والحضري بطبيعتهم يفهمون ما لا يفهمه جملة البدو عن النوافذ والأبواب

ولبدو مهارة عظيمة في انتقاء الأثر ، وكثيراً ما كانت هذه المعرفة سبباً في اكتشاف كثير من الجرائم ، ولا تكاد تخلو قبيلة من طائفة منهم ، وأشهر القبائل براعة قبائل آل مرة ، ولم قصص كثيرة لا تخلو من المبالسة ، فانهم يزعمون أن الخيل له من الخيرة

ما يمكنه من معرفة الذكر والأنثى ، والبكر والتيب ، والحامل والحائل

والقبائل العربية المشهورة من حضر وبادية تحافظ على أنسابها تمام المحافظة وتحرص عليها كل الحرص ، فلا تصاهر إلى من يساويها في النسب ، والقبائل المشكوك في نسبها لا يصاهرها أحد من القبائل المعروفة

أما حكام العرب فيعرفون عن سائر الناس حضرم وبدوم ، لا يزوجون بناتهم إلا لقرابهم . أما هم فيزوجون من يشاؤون ، وطبقات الحكام يترفع بعضها عن بعض : الأشراف يرون أنفسهم أرفع انخلق بنسبهم ، وآل سعود يرون أنفسهم أرفع من الأشراف ، وأرفع من سواهم من حكام العرب الآخرين ، ومع أن العرب المحفوظة أنسابهم كلهم أكفاء لبعض ، فلا تزال أمثال هذه العادات متأصلة في البادية أكثر من الحاضرة

وهنا ترى الروح الصحيحة البدوية التي لا تملك شروى تغير ترفض الزواج من غنى لأنه ابن صانع أو أنه من سلالة المبيد ، أو لأن نسبه القبلى يحوطه شيء من الشك ، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب . ومع وجود هذه الروح الارستقراطية التي تتجلى فقط في الزواج ورئاسة القبيلة والحكم ، فإنه لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى ، فالفرد وشيخ القبيلة والأمور يأكلون جميعاً الأرز واللحم واللبن والتمر ، ويلبسون جميعاً الثوب والمباعدة والمقال والفترة (الكوفية) ، ويتمتع أفرادهم بحرية لاحد لها ، فالبدوى يقف أمام الحاكم فيجادل في سبيل حقه ( ويستعمل كل الأساليب التي يراها موصلة إلى ما يريد

## التقسيمات الإدارية

يجمع العرب وحدة اللغة والدين والنسب أيضاً ، وهم إن اختلفوا في بعض العوائد وفي نظام المعيشة ، فهناك صفات عامة وسجايا تكاد تكون مميزة للشعب العربي

أقد اصطلاح القدماء على تقسيم البلاد العربية إلى خمس ولايات أو مناطق : الحجاز . نجد . اليمن . تهامة . اليمامة . . . ولكن حدود هذه الولايات موضع اختلاف الباحثين بين القدماء ؛ وكما قدمنا أن العرب بالرغم من تعدد إماراتهم وتنازعهم فيما بينهم ، فإن

هذا كله لا يقضى على ما بين الشعب العربي من مميزات الوحدة ولا سيما اللغة والدين  
وكثيراً من الصفات الأخرى

أما الحوادث التي ستعرض لها فهي خاصة بالحجاز ونجد وملحقاتهما ، أو ما يطلق عليه  
اليوم البلاد العربية السعودية ، والسكوتيت والبحرين على الخليج الفارسي . والحوادث  
التي وقعت في هذه البلاد في الأربعين سنة الأخيرة هي أهم الحوادث في التاريخ العربي  
الحديث ، فقد غيرت الحالة العربية عما كانت عليه تماماً قبل الحرب العامة الأولى ، ووجدت  
للرب شخصية دولية محترمة يرعاها الآن الملك سعود بعد والده العظيم المرحوم الملك عبدالعزيز

## الحجاز

يقع الحجاز من جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية والغربية ، وهو يمتد من مكان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الآيت والثقفنة<sup>(١)</sup> على شاطئ البحر الأحمر . أما حدوده من الجهة الشرقية فلم تكن معروفة تماماً ؛ بل كانت تمتد وتقلص تبعاً لقوة الأتراك والأشراف ، ومبلغ سيطرتها على البلاد

وفي البادية يطلقون الحجاز على المنطقة الجنوبية للطائف ، فإذا قالوا : إن هذا البدوي حجازي ؛ يمتنون أنه من جنوبي الطائف ، وهذه التسمية لها وجه ؛ فإن جبال السراة الممتدة من اليمن إلى الشمال هي حجاز ؛ بمعنى أنها فاصلة بين النور وهو تهامة ونجد والمساحة التقريبية للحجاز تبلغ زهاء ٧٠٠ ميل طولاً ( من الشمال للجنوب ) و ٢٥٠ ميلاً عرضاً ( من الشرق للغرب )

### طبيعة البلاد

تشكون الحجاز من عدة مناطق طبيعية محاذية بعضها البعض وهي :

١ - المنطقة الساحلية : الممتدة بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر ( تهامة ) ، وتحفها شحاب مرجانية

٢ - منطقة جبلية عالية : تأخذ في الانخفاض التدريجي حتى تصل إلى ما بين جدة ومكة ، إذ لا يزيد ارتفاعها هنالك عن ألقى قدم

٣ - منطقة تجمدية : ( واقعة بين جبال ) مرتفعة جداً في الشمال ؛ ومغطاة بالحُصم ( السائل البركاني ) من العويز ، ولكنها تأخذ في الانخفاض في اتجاهها للجنوب ؛ فيصل ارتفاعها في غربي مكة والطائف إلى نحو ألف قدم<sup>(١)</sup>

(١) في الحرب المجازية الأخيرة ضمت العقبة ومكان إلى شرق الأردن ، ولكن الحكومة البريطانية العودية لم تعترف بهذا القسم ، واتفقت مع الحكومة البريطانية صاحبة الانتداب على شرق الأردن على حل هذه المشكلة بالتفاوضات السياسية . ولم تتر الحكومة البريطانية السعودية موضوع العقبة وعمان بعد إعلان استقلال الأردن فإن وجود إسرائيل كان لإزالة أي خلاف بين العرب فإن خطر إسرائيل يهدد الجميع على السواء .

٤ — الأممردو الرئيس : الأجزاء المرتفعة منه مغطاة بالحُم كما هو الحال في الخربة المُوْبِرِض ، حَتَبَر ( ٦٠٠٠ — ٨٠٠٠ ) ، ولكنه لا يزال محتفظاً بارتفاع لا يقل عن خمسة آلاف قدم خلف مكة

٥ — المنطقة الأضيرة : وهي أعلى حافة المنحدر الشرق في اتجاه قلب الجزيرة ، في المنطقة الأولى والثالثة تقع المدن الآهلة بالسكان ، فميناء العقبة والمُوْبِلِج والوجه ، وأُمْلُج ، وَيَنْثِج ، ورابع ، وجدة ، واللبث واقعة في المنطقة الأولى وميناء العلا ، والمدينة ومكة واقعة في المنطقة الثالثة

ويوجد في الحجاز واحات خصبة متفرقة هنا وهناك ، وهي على الأغلب واقعة على خط بين المنطقة الرابعة والخامسة ، ومنها الحائط ، والحُوَيْط فَدَكْ وخيبر والحِنَاكِيَّة ، والطائف ، ووادي قاطمة ( مر الظهران ) ، والصفراء

## الجـو

إن كميات المطر التي تنزل في الحجاز قليلة وغير كافية بالمرّة ؛ ولهذا فإنه يكاد جميعه يكون قاحلاً ؛ إلا حيث توجد الواحات . وفي الطائف بخاصة في الجنوب لا توجد أمطار دورية تنزل فيه ، كما هو الحال في عسير واليمن

ودرجة الحرارة في أجزاء الحجاز الواطئة أخف منها في تهامة اليمن ؛ ومتوسطها هو من ٨٠ — ٩٠ ° ف ، والهواء رطب ، ونظراً لأن مكة منخفضة الارتفاع ( ٧٠٠ — ٨٥٠ قدماً ) ومحاطة بمرتفات صخرية جرداء ؛ فإنهم شديدة الحر صيفاً ، بخلاف المدينة ؛ فإن درجة الحرارة فيها لا تزيد عن ٧٠ وهي بلد صحى

والطائف أحسن بلاد الحجاز قاطبة ، جاف الهواء — والمرتفات فيما وراء مكة والطائف جوها بارد

## السكان

يمكن تقدير عدد سكان الحجاز ؛ بدو وحضر بمليون نسمة ونصف ؛ ثلثهم يشتغلون ~~بالتجارة~~ أو يقيمون المدن ، والثلاثان قبائل متنقلة

## التجارة والصناعة

تكاد تنحصر التجارة في الحجاز فيما يحتاجه القاصدون للبلاد المقدسة من الحاجيات ، وكلها ترد إلى الحجاز من الخارج . ويصدر الحجاز بعض حاصلات من التمر والجلود والحفء والصنع ولكنها قليلة جداً بالنسبة للواردات وترد البضائع من كل الجهات إلى مكة التي تعتبر أهم مركز تجارى في قلب الجزيرة ؛ نظراً لموقعها الجغرافى والدينى

وتعتبر جدة اقربها من مكة أهم موانى الحجاز . وفي غير موسم الحج تستغل جدة بالتجارة مع سوريا والهند ومصر ؛ وأفريقيا وبريطانيا ، وبما لك جنوب أوروبا . وإلى جدة يصل أكبر عدد من الحجاج ، ومنها يقضون أغلب ما يلزمهم في سفرهم إلى مكة وشركات البواخر التي تمر بميناء جدة في الوقت الحالى هي شركة مصر للملاحة البحرية ، والخليوية ، والإيطالية ؛ وهناك شركات أخرى تمر بواخرها كلما مست الحاجة ينبع :

هى الميناء الثانية للحجاز ، ومنها يصدر للداخل جزء غير قليل من التجارة مع أواسط الجزيرة . وهى الميناء الطبيعية المدينة المنورة وما جاورها ، وتمر على الميناء البواخر السابقة المدينة :

ونسى طيبة أيضاً ، هى العاصمة الأولى للمسلمين في عهد الرسول وخلفائه الثلاثة ، وهى مقبل الإسلام ، وبها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولزلتها الدينية ومركزها في الحركة الإسلامية الأولى فضلاً بعض الملأ على مكة تبعد المدينة عن ينبع ١٣٠ ميلاً ، وعن مكة ٣٠٠ ميل تقطع بالإيل في عشرة أيام ، وبالسيرة في نحو ثلاثين ساعة وتقطع المسافة بين جدة والمدينة في ساعة وربع بالاطارة يبلغ طول المدينة ميلاً واحداً ، وهى قسان : المدينة القديمة ويحيط بها سور ، وهى في الشمال الشرقى ؛ والبلدة الحديثة ، وتفصل النافخة بينهما ، والمدينة حسة أبواب

والمدينة محاطة بالمزارع من جهاتها الأربع إلا الجهة الغربية ، وتمتد المزارع حولها إلى عدة أميال ، وبها عين الزرقاء ، منبعا من قِباء على ميلين من المدينة .  
 نبلغ سكان المدينة عشرين ألفاً ، وقد بلغ سكانها قبل الحرب المظلى بسد اتصال السكة الحديدية بها ٨٠ ألفاً ، ولكن مصائب الحروب أفقرت المدينة من السكان ومن العمران . وبالمدينة كثير من قبور الصحابة وآل البيت ، وأئمة الحديث والفقه ؛ وقد كان مشيداً على قبور هؤلاء القباب والباني ، فهدمتها الحكومة الحالية في السنة الأولى من فتح الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٦ م تنفيذاً لأوصايا الرسول وأوامره بتسوية القبور ، ولقد أثار هذا العمل ثائرة المنصبين للقبور ، ولكن الحكومة لم تأبه لاحتجاجاتهم ، ولقد عرض كثير من الأمراء والجمعيات الإسلامية في الهند وغيرها استمداًهم لإرجاع القباب وبناء القبور ، ولكن الحكومة في سبيل رضا الله رفضت جميع الاقتراحات الخاصة بهذا الموضوع .

### مسجد الرسول :

هو أهم ما في المدينة من المساجد ، وقد بنى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالبنين ، وسقفه الجريد ، وعمده جذوع النخل ، وقد كانت ساحته سبعين ذراعاً في سبعين ، وزاد فيه عمر ، وبناء على بنيانه في عهد النبي بالبنين والجريد وأعاد عمده جذوعاً ؛ ثم غيّر عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والأقصة (أى الجص) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج ؛ وامتدت الزيادة حتى دخلت فيه بيوت أزواج النبي ، ومنها بيت عائشة الذي دفن فيه النبي وصاحبه ، فبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد .

وزاد فيه الوليد بن عبد الملك من ٨٨ — ٩١ هـ ، والهدى ( سنة ١٦٦ هـ ) من جهة الشمال ، والناسون ( سنة ٢٠٢ ) ، وفي سنة ٦٥٤ هـ إحترق المسجد ، فاهتم الخليفة العباسي المعتمد بالله بن المنصور بالله ، فبدأ تجديد المسجد سنة ٦٥٥ هـ .

وما زال المسجد موضع عناية ملوك وأسراء المسلمين بناء وترميم وتجديداً . والبناء الحالي هو بناء السلطان عبد الحميد العثماني ، بدأ بنائه سنة ١٢٩٥ هـ وانتهى البناء

سنة ١٢٧٧ هـ ؛ وهو بناء بديع جمع بين الفن والجمال ، وهو يفضل بناء المسجد الحرام بمكة كثيراً ؛ وقد حدث بالبناء الحالى تصدع ، فاهتم المرحوم الملك عبد العزيز بالأمر وأمر أن يعاد بناؤه على نفقته الخاصة كما أمر الملك سعود بتوسيعه أيضا .

واقعد كان بالحجرة النبوية والمسجد الحرام كثير من الهدايا الثمينة ، تقدر بثلاثة ملايين من الجنيهات ، نقلها قائد المدينة غزى باشا إلى الآستانة خشية أن تقع في أيدي الملك حسين .

وفي مباحثات مؤتمر لوزان طلب اللورد كروان بالنيابة عن الملك حسين رد الأمانات التي وضع الأتراك يدهم عليها ؛ ولكن الأتراك أجابوا بأن هذه المألة من المسائل الإسلامية الخاصة بالمسلمين .

ولم نعرف أن الملك حسيناً بعد ذلك دخل في مفاوضات مع الأتراك لاسترداد هذه الأمانات الخاصة بالحرم النبوي والمهداة إليه من ملوك المسلمين .

## الأقاليم الشمالية

ينحصر هذا القسم الواقع في شمال الحجاز ما بين خط العرض ٣٠ شمالاً ، وهو قسم جبلي ، لا يقيم به من السكان إلا نفر قليل ممن يمشون في أكواخ صغيرة ؛ وخط سكة الحديد الحجازية المار في هذا القسم لا يوجد به مدن في المحطات الواقعة عليه ، فمن معان إلى دار الخمرآه ( ٢٥٠ ميلاً تقريباً ) لا يوجد فيه مدينة أو قرية إلا في تبوك ، فإن بها نحواً من ٨٠ ساكن .

والساحل في هذا الجزء عبارة عن أرض منبسطة يبلغ عرضها من ٧ أميال إلى ١٥ ميلاً ، وليس به مزارعات إلا في قم الوديان ؛ ولكن به بعض الآبار القديمة التي كان يردها حجاج مصر قديماً .

وأهم المدن والقرى هي :



## ١ - العقبة :

تقع على الشاطئ<sup>\*</sup> الشرق من خليج العقبة ، قريباً من رأس الخليج الذي يشبه نصف دائرة قطرها ثلاثة أميال ، وبها قلعة قديمة على شكل مربع ، وهي تحوى على ١٠٠ منزل ، وبها بساتين ومزارع نخيل

## ٢ - المويِّلج<sup>(١)</sup> :

قرية وقلعة على بعد ١٦٠ ميلاً إلى الجنوب ، وبها سوق للحبوب ، ونحو مائة عائلة يسكنون الأكواخ ، وبها بساتين ومزارع نخيل ، ومياهها من الآبار . ومن المويِّلج توجد طريق قوافل اثبوك والمدينة للثورة

## ٣ - ضُبَا :

تقع إلى جنوب المويِّلج وهي المحل الرئيس لقبيلة الحوَّطات ، اتخذها الأنراك قديماً مركز دفاع عن الشاطئ<sup>\*</sup> . بها آبار ومزارع نخيل

## المنطقة الوسطى

يتبع ضمن هذا الجزء جميع البلاد الواقعة بين خطي عرض ٥٧° و ٤٤° شمالاً ويمتد هذا الجزء نحو مائتي ميل ، وجميع الوديان ومجاري المياه في هذه المنطقة تنفذ إلى البحر الأحمر بواسطة منفذ واحد ، وهو وادي الخض الذي يقع فيه إلى جنوبى الوجه ثلاثين ميلاً ووداي الخض نفسه يتحد إلى البحر من المويِّلج وخبير والبلاد الرئيسية في هذه المنطقة هي :

### الوجه :

وهي بلدة صغيرة تقع على بضعة بيوت مبنية من الحجر ، سكانها نحو ألفي نسمة ، بها قلعة وسوق ، ومياهها تنيل إلى الملوحة

(١) إليها يكتب صاحب سيرة ابن هشام

## أملج :

قرية بها نحو مائة منزل ، بها قلعة صغيرة ، وأما ما تقع جزيرة حسان التي من رملها يصنع الزجاج ، بها مزارع نخيل ، ومنها تمتد طريق في الداخل إلى اصطبل عنتر ، إحدى محطات سكة حديد الحجاز ( ١٢٠ ميلا ) ؛ وإلى المدينة المنورة ( ١٤٠ ميلا ) والأراضي هنا خصبة وبخاصة في وادي عين الواقع إلى شمال جبل رضوى

## ينبع البحر :

مبنية على سهل واقع بين البحر والجبل ، وهي مسورة من جهة الداخل ؛ بيوتها مبنية من الحجر الجيري ، سكانها نحو ٥٠٠٠ نسمة ، والمسافة بينها وبين المدينة تقطع بالسيارة في ست ساعات ، ويجلب إليها الماء من مياه تسمى المَسِيحِيْلِي تيمد عن البلدة نحو أربع ساعات . وقد أنشأت الحكومة الحالية ( كندانتا ) لتقطير المياه من البحر محافظة على صحة الحاج وتوفير وسائل الراحة لهم

وفي ضواحيها كان الاجتماع التاريخي ١٩٤٥ بين الوجود الملك عبد العزيز وبين ملك مصر السابق فاروق

## ينبع النخل :

هي واحة نخيل مياهها كثيرة ، وهي مقر عرب جبهة وحرب ، ويتبعها نحو عشرين قرية أهلة بالسكان

## الَمَلَا :

تقع في شمال سكة حديد الحجاز وسكانها نحو ٣٠٠٠ نسمة ، والبلدة نفسها صغيرة وضيقة ؛ ولكن الواحة تمتد حوالها إلى ثلاثة أميال ، وبها نهر صغير درجة حرارة المياه فيه ٩٢ ف . ومحاصيلها كثيرة يشتريها البدو الرحل في الشمال ، وبها بساتين قليلة

## خيبر :

هي قرية أو مجموعة قرى في واحة تسمى باسمها ، واقعة في حرة على مرتفع يبلغ ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهي على بعد ستين ميلاً من شمالى المدينة المنورة والبلدة نفسها تقع في وادى زَيْدِيَّة أكبر وديان خيبر ، وبها قلعة قديمة تسمى الحصن ، وبها عيون ماء جارئة كثيرة

وخيبر اسم مشهور من قديم في الإسلام ؛ فقد وقعت فيها معارك . وسكانها ٣٠٠٠ نسمة أكثرهم مولدون ، والعرب لا يحبون الإقامة فيها خوفاً الحى والواحة غير محمية ، وقد كانت خيبر موطن اليهود في صدر الإسلام

## الحنابلة :

موطن صنير في جنوب خيبر ، وعلى مقربة من رأس وادى الخُمض ، وقد كانت قديماً تابعة لقبيلة الرُّؤَلَة ؛ ولكنها الآن أصبحت موطناً للعوالى ، وبها نحو خمسين منزلاً ، وبها مزارع للفخيل . وهي واقعة على إحدى الطرق ما بين المدينة و بَرْيَدَة

## القسم الجنوبي

يمتد هذا القسم من خط عرض ٢٤° إلى خط عرض ٢٠° شمالاً حيث تبتدى حدود عسير من هذا الخط . وأهم مدنه :

## رايح :

وهي عبارة عن مجموعة من البيوت الصغيرة ، والسكن بها مزارع نخيل واسعة تمتد في الداخل إلى بضعة أميال

## جُدَّة :

هي مدينة كانت مسورة . ولكن سورها قد أزيل واتصلت البلدة القديمة بالمباني الجديدة التي زاد عددها عن دور المدينة القديمة وتقع ميناؤها في منتصف طول البحر الأحمر

تقريباً ، وهى ميناء مكة ، والمسافة بينهما خمسة وخمسون ميلاً ؛ ويبلغ سكانها الآن نحو مائة وخمسين ألفاً

أسس جدة الخليفة الثالث عثمان . ومدخلها خطر على السفن لكثرة الشووب الموجودة فيها وقد شيدت الحكومة السعودية مرفأً حديثاً للبواخر زودته بجميع الآلات الحديثة لنفريغ السفن بسرعة

وكان بمجدة قبر ينسب إلى حواء أم البشر ، وقد كان الحجاج يزورون هذا القبر ويتبركون به ، كما أن أهل جدة أنفسهم كانوا يصدقون هذا المكان للتعظيم ، وقد هدمت الحكومة الحاضرة القبة الموضوعة على القبر ، كما أزال البنيان الذى على القبر ، ومنعت الناس من التمسح به أو إتيان أى عمل لا يتفق مع الشريعة الإسلامية

واقدر الملامه ابن جبير الأندلسى جدته فى حجة ( سنة ٥٧٩ هـ ) فذكر بعض آثار جدته ، ومنها الموضع الذى شيد عليه « قبة عتيقة » يقال إنه كان منزل حواء أم البشر عند توجهها إلى مكة ، ولم يذكر ابن بطوطة شيئاً عن قبة حواء عند مروره بمجدة فى طريقه إلى اليمن ( سنة ٧٣٠ هـ ) ولم نقف على تاريخ تشييد القبة ؛ وعلى كل حال فليس هنالك حجة تاريخية على صحة هذه النسبة

ويحيط بمجدة قرى صغيرة فى الجنوب والشمال ، وأكثرها مؤلف من بيوت صغيرة أو أكواخ يسكنها البدو ، والجمالون وكثير من الزوج

وجدة ليس بها نهر أو عين لشرب السكان ، ولكن بها آبار كثيرة خارج البلد ، يملك أكثرها الأشراف والأهالى ، وهى تملأ بماء الأمطار ؛ كما أن البيوت بها صهاريج تملأ بماء ينحدر إليها من سقوف البيوت ، وهذه المياه غير صالحة ؛ ولذا فقد كان الأغنياء يحملون ماءهم من الآبار البعيدة

وقد شيدت الحكومة التركية آلة على البحر لاستخلاص الماء الحلو ؛ فساعد أهل جدة والأوربيين القيمين بها على الحصول على ماء صحى نقى ؛ وقد اشترت الحكومة السعودية فى سنة ١٩٢٦ ما كينتين كبيرتين لهذه الغاية بالنظر إلى قدم العهد على الآلة الأولى ، فتوفرت المياه العذبة للسكان وللحجاج ؛ وقد مدت الحكومة الحاضرة الماء من وادى فاطمة إلى جدة فى أنابيب ويسرت على السكان أسرها كان عائقاً فى زيادة السكان وقد ازدادت حركة البناء

زيادة تدعو إلى الدهشة كما زينت أكثر البيوت بالحدائق الفناء وإذا كانت السيدة زبيدة قد خلعت اسمها بالعين المشهورة فإن الحرم المالك عبد العزيز قد خلدا اسمه بهذه العين وهذا العمل الجليل . وقد كانت جدة في القرن الماضي مركزاً تجارياً هاماً ، تجلب البضائع إليها من الهند وغيرها ؛ ومنها توزع إلى بلاد العرب ومصر والسودان وغيرها ، ولكن شأنها ضعف بعد أن وضع محمد علي باشا يده على الحجاز ، وفتح السويس للتجارة . وقد أضعف شأنها كثيراً فتح ميناء بور سواكن ، فأصبح هو الميناء الأول في البحر الأحمر . ولكن جدة بعد وصول الماء إليها وبعد بناء المرفأ قد عاد إليها نشاطها وكثر مرور البواخر بها

### الليث :

قرية تبعد عن الميناء نحو ميل ونصف ، بيوتها من الطين ، شاطئها منخفض ورمل ؛ وفي الداخل تبدأ الأرض في الارتفاع إلى الشمال حيث تتحول إلى جبال عالية بعد مسافة .

### مكة :

وتسمى مكة وأم القرى ، أشهر مدن الحجاز ، بها بيت الله والمسجد الحرام ؛ وتقع مكة في واد ضيق عميق يتجه شمالاً مع ميل قليل إلى الشرق ، والتلال المحيطة به ترتفع إلى مئات من الأقدام ، وتحيط بالوادي إحاطة كاملة ، أغنت السكان والأمرء عن بناء سور لحمايتها ؛ وقد شيدت عدة ضواحي شمال مكة .

يبلغ سكانها نحو ٢٠٠ ألف نفس ، وقد عمل إحصاء مكة ( سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ) ولكن النساء <sup>(١)</sup> لم يدخان في هذا الإحصاء ، وعلى كل حال فالإحصاء تقريبي ، وجو مكة حار جداً وجاف ولكنه صحي .

وأهم ما في مكة من المباني والآثار : الكعبة المشرفة ، والمسجد الحرام .  
فالكعبة أو بيت الله أو البيت العتيق ، بناء مربع تقريباً ، بني في أوسع نقطة من الوادي ، والآن يحيط بها المسجد ، والمسجد من حيث السعة والبناء والجمال والفن المعمارى لا يفوق غيره

(١) ونذكرنا حوادث استثناء النساء من الإحصاء بما حاولته إدارة السعة من وجوب الكشف على الأموات قبل الدفن ، فجميع أمل مكة على سريان هذا القانون على النساء وساعدهم علماء نجد على رأيهم ثم استنعت الحكومة تجميع الكعبة ، ونشرت أخيراً لاستخدام بعض السيدات اللواتي بأمر الطيب لفتاوى الفرض وبعض الأغراض الأخرى الخاصة بالسيدات .

من المساجد الأخرى الموجودة في الشرق ، ولكن الاحترام والتقديس إنما هو للكعبة .  
يبلغ ارتفاع الكعبة ١٥ متراً ، وطول جدارها الشالى ٩,٩٢ متراً ، والجنوبى ١٠,٢٥ متراً ، والقربنى ١٢,٢٥ متراً ، والشرق ٨٨ ، ١١ ، وفى الجدار الشرقى بابها ، ويرتفع عن الأرض مقدار مترين وعتبته مصفحة بصفايح الفضة ، وكذلك مصراعا الباب ، إلا أن صفايحه الفضية مطلية بالذهب .

ويلاصق جدار الكعبة من أسفلها بناء من الرخام ، يسمى بالشاذرون ، أقيم تقوية للمجدران ، وهو محيط بها من جميع جوانبها ، ولا يعلم بالضبط متى بديء البناء على أصل الشاذرون ، وقد جدد البناء عليه سراراً ؛ وفى الركن الجنوبى الشرقى للكعبة من الخارج الحجر الأسود ، وهو مبدأ الطوائف ، ويرتفع عن الأرض متراً ونصفاً ، وهو كاسه أسود ، وقد عمل له غطاء من الفضة ( سنة ١٢٩٠ هـ ) بسبب التشقق الذى حدث فيه ؛ وقد قال سيدنا عمر فى تقبيل الحجر : إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلك .

أما تاريخ تشييد الكعبة والقرض الأساسى من بنائها ، فإنه يشغل قسماً هاماً من التعاليم الإسلامية ، والتاريخ العربى والدينى ؛ غير أن الروايات الكثيرة التى وردت فى ذلك يحتاج أكتها إلى بحث علمى دقيق ؛ فإن الروايات الخاصة بهذا الموضوع كثيرة ومتناقضة ، وبعضها لا يتفق مع قواعد العلم <sup>(١)</sup> .

إذ أن المكان الذى شيدت عليه الكعبة قد أرجعه الرواة إلى آدم أبى البشر ، ومع أن هذا لا يستند إلى خبر صحيح ، فإنه يدل على أن بناء الكعبة قديم يرجع إلى ما قبل التاريخ .

والتاريخ الحقيقى للكعبة يبتدىء من عصر إبراهيم عليه السلام ، ومنخلص فيما يلى ما رواه البخارى لما له من المركز الممتاز عند مؤرخى المسلمين ولذته التى كان يتوخاها فى تمحيص الروايات :

قال البخارى : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتنفق أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ، وهى ترضعه حتى وضعا عند البيت ،

عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس في مكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ؛ ثم قفل إبراهيم منطلقاً ، فبعثته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء ؟ وقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : الله أسرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيئنا ، ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ، ورفع يديه فقال : ( ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ) حتى بلغ ( يشكرون ) . وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر : هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ؛ فهبطت الوادي ، ثم أنت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات ؛ فلذلك سعى الناس بينهما ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه أو قال بمخاضه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحمضه <sup>(١)</sup> ، وجعلت تحرف من الماء في سقائها وهو يغور بعد ما تحرف ، فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخاف الضيحة فإن هاهنا بيتا لله بينه هذا النمام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعا من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ من يمينه وشماله . فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرم ، أو أهل بيت من جرم ، مقبلين من طريق كداء <sup>(٢)</sup> ، فنزلوا في أسفل مكة ، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبايت منهم ، وشب النمام وتعلم العربية منهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ، ثم طلقها وتزوج من أخرى ، ثم جاء إبراهيم وإسماعيل يبئرا نبلا له تحت دوحه من زمزم ، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد . ثم قال : يا إسماعيل ! إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، فعند ذلك رمى القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

• ولما بنى القواعد وبلغا مكان الركن ، طلب إبراهيم من ابنه حجراً فأظهر كله ، فانطلق إبراهيم يطلب الحجر ، فجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند ، وكان أبيض من ياقوتة بيضاء ، وكان آدم يبط به من الجنة فأسود من خطايا الناس

وقد همت قريش ببناء الكعبة سنة أن بلغ رسول الله خمساً وثلاثين سنة ، ولكنهم كانوا يهابون هدمها ، وإنما كانت رضا فوق القلعة ، فأرادوا رتمها وتسقيفها ، فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها ، قام ابن وهب ، أو أبو وهب بن مخزوم ، أو المنيرة بن مخزوم ، وقال : يا معشر قريش ! لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً ، ولا يدخل فيها أمر بني ولا بيع ربا ، ولا مظلة أحد من الناس

فأخذت قريش تجمع الحجارة كل قبيلة على حدة ، حتى بلغ البنيان الحجر الأسود ، فاختصموا فيه : كل قبيلة تريد أن تمتاز بهذا الشرف ، حتى كاد الأمر يفضى بهم إلى القتال ، وأخيراً أشار عليهم أبو أمية ابن المنيرة أن يتركوا النصل في هذا النزاع إلى أول داخل من الباب ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هلم إلى توباً ، فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من التوب ، ثم ارفعه جيماً ، فعملوا حتى إذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

ولم نزل الكعبة على بناء قريش حتى احترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير ، وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصر ابن الزبير في مكة ورمها بالمنجنيق ، فحينئذ نقضها ابن الزبير إلى الأرض ، وبنائها على قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها الحجر وجعل لها باباً شرقياً وباباً غربياً ملتصقين بالأرض ، كما سمع ذلك من خالته عائشة عن رسول الله . ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج ، فردها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان . وقد أراد هارون الرشيد أو أبوه المهدي ردها إلى بناء عبد الله بن الزبير ، فاستفتوا الإمام مالك في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك ، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها ، فترك ذلك الرشيد .

• هذه الزيادة ليست من رواية البخاري ، وإنما ذكرها المؤرخون والقصاصون ، وهي بلا شك أشبه بالأساطير . ( صحيح مسلم )



وقد عملت ترميمات عديدة في أيام الخلفاء العباسيين ، وسلاطين مصر المماليك ، وسلاطين آل عثمان ، بسبب السيول والأمطار ، وتجدد في داخل الكعبة وخارجها ما يشير إلى ذلك .

وتقل الكعبة من الداخل مرتين في السنة : في رجب وذى الحجة ؛ يقوم بهذا العمل الشيخ الشنقي سادن الكعبة ؛ ويدعو لحضور هذا العمل الذي يمد من حفلات مكة العامة حكام البلد وأعيانها ، وبعض البارزين من الحجاج ، ويزدحم الناس حول الكعبة في ذلك اليوم ازدحاماً يدل على ذلك الأثر الديني العميق في النفوس ، على أن هنالك بعض أشياء تحدث من العامة وغير الواقفين على العقيدة الإسلامية الصحيحة ، من شرب ماء النمل والاعتسال به ، ولكن الجهل آفة كل شيء ؛ وقد حضرت هذا الاحتفال مراراً أثناء إقامتي بالحجاز .

ويجمع الشيخ الشنقي ماء النمل ويضعه في قوارير يهديها مع المكانس للحكام وكبار الحجاج ، وتكسى الكعبة كل سنة ؛ وليس من موضوع الكتاب التوسع في وصف الكسوة وتاريخها في الجاهلية والإسلام ، فقد أفردت كتب كثيرة في الرتبة والصفات الأخرى في وصف مكة والمدينة وكل ما يتعلق بهما .

### مقام إبراهيم :

لا يعلم بالضبط هل موضع المقام الحالي هو موضعه الأصلي أو كان ملصقاً بجدار الكعبة ، ثم نقل إلى موضعه الحالي .

فبعض الرواة يرجحون أن المقام كان ملصقاً بجدار الكعبة ، ونقل من مكانه في خلافة عمر ؛ وروى الأزرقي أن موضعه الحالي هو موضعه في الجاهلية وفي عهد أبي بكر وعمر ، إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر ، فحُمل في وجه الكعبة ، إلا أن عمر رده إلى موضعه بمحض من الناس ؛ ويذكر ابن جبير أن الذي صرفه إلى موضعه الحالي هو النبي صلى الله عليه وسلم .

والناس يصلون خائفين مقام إبراهيم ركعتين بعد الانتهاء من الطواف ، وكثير من الحجاج من يقبل الحجو المسمى مقام إبراهيم ويتبرك به ، حتى المتسبين إلى العلم منهم ؛

قال حالة ابن جبير الأندلسي الذي حج في ( ٥٧٩ هـ ) يذكر مقام إبراهيم ويصفه ويقول :  
عائنه وتبركنا بده وتقبيله وصب لنا في أثر القدمين الباركين ماء زمزم فشربناه  
نعمنا الله به .

ولقد فعل فعلته السيد السنوسي سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٥ م ، فقامت  
عليه قيامة الإخوان النجديين ونهره الملك ابن السعود على فعلته رحمه الله ، لأن الملك  
عبد العزيز في سبيل التوحيد والأمر بالمعروف لا يراعى أسدا ؛ فإن مبدأه الدين قبل كل  
شيء ، ورضاه الله مقدم على رضاه الخلق .

### المسجد الحرام :

إن ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفتين ، ولم يكن عليه جدر أيام النبي صلى  
الله عليه وسلم ، وأبى بكر من بعده ، ثم كثر الناس فاشترى عمر دوراً هدمها وزادها في  
المسجد ، وأدار عليها جداراً دون القامة ، وفعل مثل ذلك عثمان ، ثم ابن الزبير ، ثم  
الوليد بن عبد الملك وبناه بمُمد الرخام ، ثم زاد فيه المتصور ، وابنه المهدي ؛ وما زال  
المسجد موضع عناية الحكام والملوك والولاة من عباسيين ومماليك وأتراك وعرب  
وغيرهم ، يتولونه بالتصميم والترميم من وقت لآخر كلما مست الحاجة إلى ذلك .

### بئر زمزم :

قد تقدم في قصة بناء الكعبة أن الملك فجرها لإسماعيل بهقه ، وقد طهرها الحارث  
ابن مضاض ، وجددها عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ويروون في ذلك قصة  
تشبه القصص الأخرى التي تروى عن أمثال هذه الأماكن التي لها ما لزمت من الاحترام  
في نفوس الناس . ويقولون : إن عبد المطلب رأى رؤيا منامية<sup>(١)</sup> ، فسمع هاتفاً يهتف في  
أذنه أن احفر طيبة ، فاستيقظ من نومه ، ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثانية أن احفر  
برة ، فاستيقظ ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثالثة ، احفر المضيونة ، ضنت بها على

(١) مسالك الأبصار ج ١

الناس إلا عليك ، بقرة الغراب الأعصم ، وإنما بين القرث والدم ، وعند قرية النمل ،  
إنها لا تنضب أبداً

فلما قام ليخبرها رأى ما رسم له من قرية النمل ، ونقرة الغراب ، ولم ير القرث  
والدم ، فبينما هو كذلك نادت بقرة لجازرها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام فنحرتها  
في اللوح الذي رسم له ، قال هنالك القرث والدم ، لحقر عبد المطلب حيث رسم له ،  
وقد عثر على غزالين من الذهب كانتا مهادنين من الفرس للسكبة ، وكان قد دفنهما  
الحارث بن مضاض

وذكر الزهري أن عبد المطلب اتخذ حوضاً لزمن يستقى منه ، وكان يخرب بالليل  
حوله ، فلما غم ذلك ، قيل له في النوم ، قل : لا أحلها لنقل ، وهي لشارب حل وبل ،  
وقد كفيتهم ، فلما أصبح قال : نعم ، وكان بعد من أرادها بمكره رمى بداء في جسده حتى  
اتتهوا عنه ، والمسلمون يعتقدون في ماء زمزم البركة ، وقد كانوا يحملونه إلى بلادهم بعد  
الحج ؛ لإهدائه إلى أصدقائهم وأقاربهم ويعدون ذلك من آخر الهدايا ، ولكن إدارة  
( الكورنيتات ) تمتع دخول ماء زمزم إلى البلاد التي يفد إليها الحجاج

ولا يزال الماء يستخرج من زمزم بالدلاء الجلدية حسب العوائد القديمة . ولقد فكر  
جلالة الملك عبد العزيز ( سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م ) في الاستمالة بالآلات الحديثة لتكثير  
الماء وتوزيعه بطريقة صحيحة ، وصيانة الحرم مما يتعرض له في موسم الحج من الازدحام  
والخفاصة ، وما يتبع ذلك من فقدان النظافة ، فأمر جلالة في تلك السنة بتركيب آلة  
رافعة للماء ، وأحضر مهندساً من مصر لهذه الغاية . ولكن لما كان هذا العمل يؤثر في  
كسب طائفة الزمازمة والسقائين ، وعملهم محصور في إخراج الماء بالدلو من البئر وتوزيعه  
على الحجاج ، ولا يرضى الجامعين الذين لا يرضون بمجيد ولو كان نافعاً ، قامت قياستهم  
ضد هذا المشروع النافع . ولقد ابتدأ العمل بالفعل وجرى الحفر بالحرم لوضع الأنابيب ،  
وأرسل إلى مصر لشراء الآلة والأنابيب والأحواض الكبيرة التي يوزع منها الماء ، وأخيراً  
أنار الزمازمة أهل نجد وألبسوا عليهم الأسمر ، وأن بئر زمزم سينضب ماؤها بعد تركيب  
هذه الآلة الرافعة ، ولا شك أن هذا العمل سيجلب عليهم سخط المسلمين ، فأتى أهل

تجد المقيمون بمكة على الملك ياتناه هذا المشروع ، وإبقاء القديم على قدمه ، حتى لا تجرى هذه الصيبة في أيامهم . فلم ير الملك من المصلحة إغضابهم في هذا الوقت الذي بدأت فيه حركة الإخوان ، فأمر بإتمام المشروع والمداول عنه . وأعمل الحكومة تبحث المشروع من جديد لتضمن توزيع ماء زمزم بطريقة صحيحة .

### بيوت مكة :

واقعد كان في مكة كثير من الآثار التاريخية مثل : مولد النبي ، بيت خديجة ، بيت أبي بكر ، وغيرها من الآثار . ولكن الإخوان هدموا هذه الآثار مع ما هدموه من القباب والقبور ، لأن هذه الأماكن اتخذت مصدراً لا يفتاز أموال الحجاج ، فسداً للذريعة أزالوا كل أثرها . ويقول المؤرخون الحركة السعودية الأولى : إن مكة والمدينة في أثناء الحكم السعودي في القرن التاسع عشر الماضي ، قد أزيل منهما كل الآثار التاريخية التي كان يتبرك بها الحجاج .

وبيوت مكة من الحجارة ، وهي في نظائرها خير من سائر بيوت جزيرة العرب ؛ غير أن نظام المراحيض لا يتبع النظام الصحي . وقد عمل سلاطين الأتراك بحرى كالحجاري التي تعمل في المدن ، ولكنه ليس عائناً من جهة ، وغير واف تماماً من الوجهة الفنية .

ونظام الشرب على الطريقة القديمة ؛ فالسقاءون هم الذين ينقلون الماء إلى البيوت ، إما بالقرب أو صفائح الناز .

ومكة كالبصرة والقطيف في كثرة البعوض ، ولكنه من النوع الذي لا يحمل جراثيم الملاريا كما هو الحال في بعض المدن الحجازية الأخرى ، ولم تعمل إدارة الصحة أو البلديات حتى الآن عملاً جدياً لإبادته ؛ فلمل هذه الإدارات تشمر عن ساعد الجد وتقوم بحملة عنيفة لتلخيص البلاد من هذا العدو الخبيث ؛ ولا شك أن جلالة الملك سعود المحبة القماء سيكون أكبر معاون للعاملين

ومكة مملوءة بالحمام الحرمه صيده وتجد في الحرام منه أسراباً أسراباً ، وهو يشبه في

إلفه للناس أنواع الطيور التي توجد في الحدائق العامة في أوروبا . وكثير من الحجاج يعتقد أن مكشآت الحج تقديم الحبوب لحام الحرم ؛ كما أن الكثير من الناس اعتقاداً بأن الحمام لا يملو الكعبة ، ولا يقف على سطحها ، ولا يقذرها . أما المسجد ولا سيما الأروقة المحيطة به ، فشكلها أعشاش الحمام ، ولا يخلو حاج من أن يصل إليه شيء من أقدار الحمام ؛ ويعتقد بعض الجاهلة أن من أصابه شيء من أقدار الحمام سيكسب كسوة جديدة ، وهي تعزية لطيفة !

وأهل مكة والمدينة يعمون بنظافة بيوتهم ، كما يمتنون بنظافة أبدانهم وملابسهم أكثر من سواهم من سكان جزيرة العرب . ويعيش أهل مكة على ما يكسبونه من وفود الحجاج ، وهو مصدر خير عظيم إذا كثرت الحجاج ، أما إذا قلَّ عددهم فلا يتصور أحد ما يعانيه هؤلاء من صنوف الضيق .

لقد أولى المسلمون عنايتهم بمكة والحجاز وأهله عناية عظيمة في القرون الأولى والوسطى ، فلا تزال عين زبيدة وغيرها من العمى ناطقة بتلك المكرمة التي أسداها أهل الخير لسكان البلاد المقدسة والوافدين .

وكان الخلفاء واللاطين يولون الحجاز عنايتهم فكانوا يمدونه بالصدقات والأوقاف على اختلاف أنواعها ، مما لا يزال بعضه باقياً حتى الآن ؛ ولكن بلغ الإهمال بالمسلمين في القرون الأخيرة ما جعل الحجاز في مستوى أقل مما يجب له من العناية والإجلال ؛ فالمسجد الحرام الذي يؤمه المسلمون من كل ناحية ليس في جمال مساجد الأستانة والقاهرة والهند ومدينة مكة في طرقتها ومبانيها ونظامها الصالح ليست كالقاهرة أو دمشق أو بغداد ، وهذا التقصير تقع تبعته على المسلمين عامة ، وعلى الحكومة التركية التي حكمت البلاد قروناً مديدة ؛ ولا شك أن أشرف الحجاز يتحملون قطعاً من التبعة ، لأنهم كانوا الحكام الحقيقيين لمكة ؛ فقد كان بوسهم لو كانوا ذوي بضائر نافذة ، وعقول راجحة ، وعلم بتطورات العالم ، أن يحملوا الحجاز وسكانه في مستوى خير من متواه الحال ؛ ولكن الأشرف سلطوا مطامعهم على الحجاج وعلى سكان بلد الله الحرام ، وحالوا في كثير من الظروف دون ترقية البلاد . وإسناد ترمي فئة خاصة من الأشرف ، فإن الأشرف الذين

حج في أيامهم الرحالة ابن جبیر في القرن السادس ، وابن بطوطة بعده ، كانوا مثل أشرف القرون الأخيرة .

### الرقیق في مكة :

كانت مكة أكبر سوق الرقيق في جزيرة العرب ، وكان العرب يحرصون على شراء الجواری والمبيد منها ، لأن لأهل مكة عناية خاصة بتربية الجواری والمبيد ، وتمرینهم على الخدمة المنزلية ، وقد تتجاوز قيمة المبيد ستين جنياً واطارية مائة وعشرين جنياً ، وأفضل المبيد والجواری المجلوبون من الحبشة ، لأنهم أخلص في الخدمة وأوفى لبادتهم والرقیق الذي یرد للعبيز وجزيرة العرب ، هو النفيمة من الغزوات والغارات في بلاد الحبشة الواسعة الأطراف . فالتجار يشترون الرقيق هنالك من الغزاة ، ثم يجلبونه إلى بلاد العرب بواسطة السَّائِيك<sup>(١)</sup> إلى السواحل العربية ، وبالرغم من مطاردة هؤلاء التجار ، وإنزال أشد العقوبات بمساعدتهم ، فإن التجار لا يزالون يُفاسرون في هذا النوع من التجارة . والغالب شراء الرقيق للخدمة المنزلية أو الخدمة في البساتين ، وقد تشتري الجواری لأغراض أخرى ، وهذا على الأكثر في عمر . وأسراء العرب يكثرون من الرقيق رجالاً ونساء ، فالرجال للخدمة على اختلاف أنواعها وللحراسة الخاصة ، والجواری للخدمة المنزلية وغيرها .

على أن تحریر الرقيق من الأعمال المحبوبة شرعاً ، والتي لا يزال العرب يعدونها من أفضل القربات إلى الله ، فلما يموت أحد ولا يوصى بتحرير بعض عبيده وجواريه مع شيء من المال يساعدهم . وفي التالب يفضل الرقيق الذي يحرر أن يبقى في بيت أهله ويأبى أن يفار من عاش في كنفهم .

لقد جرت محاولات لإبطال الرق في بلاد العرب . ففي سنة ١٢٧٢ هجرية أمرت الدولة العثمانية بمنع الرقيق ، فحصل هرج ومرج بمكة ، جعل الحكومة التركية تمذل على أسرها .

(١) نوع من السفن الصراعية .

وفي أيام الملك حين جرت مفاوضات بينه وبين الحكومة البريطانية لإبطال سوق الرقيق في الحجاز ، ولكن الملك حينئذ كان يحتاج بأن الرقيق ليس مصدره مكة ، فإن استمع وروده إلى الحجاز بطل بالتدريج .

وفي سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م انفتحت الحكومة البريطانية والملك عبد العزيز على التعاون على القضاء على الرقيق ، فوضع الملك عبد العزيز بعض القيود للتجار فيه فضممت هذه التجارة .

والسألة في الواقع اقتصادية ، فلو أن انجلترا بتوفرون في مكة وبلاد العرب ما لجأ الناس إلى الرقيق ، ولكن أهل مكة يفضلون خدمة الحجاج ، لأنها تدر عليهم من المال ما لا تدره عليهم الخدمة الأخرى ، ولما نجد خادماً في مكة لخدمة المنزلية .

واعتقد أنه ليس في إمكان أية حكومة أن تأمر بإلغاء الرقيق ، وتحرير العبيد في جزيرة العرب دفعة واحدة ، فإن ذلك قد يؤدي إلى ثورة أهلية ، ولكن إننا قضى على التجارة في السواحل العربية ضمت في الداخل . وعلى كل حال فإن الرقيق يتناقص عدده في كل سنة ، وسيقضى عليه لا محالة . ومن الغريب أن بعض الأوروبيين في إنفاسهم في بلاد العرب تصل إليهم عدوى الرقيق ، فيحوزون الرقيق ، كغيرهم من العرب ويستملونه في الوجوه التي يستصاها فيه العرب .

### منع غير المسلمين من دخول الحجاز :

لقد جرى العرف على ألا يدخل البلبدين القدسين : مكة والمدينة غير المسلمين . ومنشأ هذا ما روى عن ابن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . وأن عمر سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً . وأن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : آخر ما عهد النبي أنه قال : لا يترك بجزيرة العرب دينان ، وأن ابن عمر قال : إن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وإنه أجلى يهود خيبر إلى تيماء وأريحياء وسكى الحافظ ابن حجر في الفتح في كتاب الجهاد ، أن

الذى يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة ، وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها ، لا ما سوى ذلك مما يطلق عليه جزيرة العرب ، لانفاق الجميع أن الذين لا يتمتعون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب . وعن الحنفية يجوز مطلقاً إلا المسجد . وعن مالك يجوز دخولهم الحرم للتجارة . وقال الشافعي : لا يدخلون الحرم أصلاً إلا بإذن الإمام لمصاحبة المسلمين .

وذكر في المنى أنه لا يجوز لغير المسلمين دخول الحرم للتجارة . وبهذا قال الشافعي . وقال أبو حنيفة : لم دخوله كالحجاز كله ، ولا يستوطنون به ، ولم دخول السكينة . والمنع من الاستيطان لا يمنع الدخول والتصرف .

وذكر صاحب المنى أيضاً أنه يجوز لم دخول الحجاز للتجارة ، لأن النصارى كانوا يتجرون إلى المدينة في زمن عمر .

ويؤيده ما ورد في كتاب أخبار مكة للأزرقي ما نصه :

« . . . . . وأخبرني جدى قال : أول من عمل القبة التي بين زمزم وبيت الشراب ، المهدي في خلافته ، عماها لم أبو بحر الجوسي النجار ، وكان جاء به عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه إلى مكة من المراق » .

وما ورد في تاريخ المدينة للطبرى :

« . . . . . وأرسل الوليد إلى ملك الروم فقال : إنا نريد أن نعر مسجد نبينا الأعظم ، فأعنا بهمال ونسيفياء . فبعث إليه بثمانين عاملاً : أربعين من الروم وأربعين من القبط ، وثمانين ألف مثقال ، وبأحمال من الصيقياء وبأحمال من سلاسل القناديل » .

وقد وضعت الحكومة الحالية تشريعاً ، من مقتضاه ألا يدخل الحجاز من يدخل في الإسلام إلا بعد مضي سنة على إعلان إسلامه ، منماً لبعض الأوروبيين الذين يدعون الدخول في الإسلام بقصد زيارة مكة أو المدينة فقط .



## الطائف :

هي مدينة مسورة واقعة في سهل رملي محاطة بتلال منخفضة ، وتقع على بعد ٧٥ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من مكة ، على ارتفاع خمسة آلاف قدم من سطح البحر ؛ وهي مصيف الأعيان ورجال الحكومة ، وبيوتها مبنية من الحجر ؛ والمدينة تنص بالسكان زمن الصيف فقط ، وجوها أبرد بكثير من مكة ، والمياه فيها غزيرة وهي في جوها وتربة أرضها تشبه الأراضي المالحة في عسير واليمن . والأمطار الغزيرة تسقط هناك في فصل الخريف ، والآبار كثيرة ، ومنها تروى الأراضي الزراعية البعيدة عن مجارى المياه

يبلغ عدد السكان نحو عشرة آلاف نسمة ، وأغلبهم من ثقيف وعُثَيبة ، ويشغلون زراعة البساتين والخضر . وفاكهة الطائف مشهورة بجودتها في سائر البلاد العربية ، ففيها العنب والرمان والخوخ والليمون والخلو والشمش والسفرجل . أما زراعة النخيل في الطائف فلا تجود لشدة البرد .

وينمو الورد في الطائف ، ويستخرج منه عطر فاخر يباع على الحاجاج في موسم الحج

## عسير

يطلق « عسير » على الجهة الغربية من بلاد العرب الواقعة إلى جنوب الحجاز وشمال اليمن . وقد كان هذا القسم أيام حكومة الأتراك غير محدود تحديداً واضحاً ، فمع أن الأتراك قد كوّنوا متصرفية<sup>(١)</sup> عسير وجعلوها تابعة لولاية اليمن فقد كان أشرف الحجاز يدعون تبعية بعض المناطق المجاورة للحجاز ، كما كان أسراء نجد أيضاً يدعون ملكية بعض المناطق من الجهة الشرقية . أما اليوم فإن عسيراً أصبحت من المملكة العربية السعودية ، حسب معاهدة الطائف الأخيرة

ومنطقة الحجاز الرملية الموازية للشاطئ\* تمتد إلى بلاد عسير بمرض يختلف من ٢٥ — ٣٠ ميلاً ، ثم تتصل بهامة اليمن . أما المنطقة الثانية والثالثة والرابعة في الحجاز<sup>(٢)</sup> فإنها لا تظهر بجلاء في بلاد عسير ، ويكاد لا يكون هناك تمييز بين هذه المناطق الثلاث وعلى بعد نحو ثمانين ميلاً من الشاطئ\* توجد سلسلة مرتفعات عالية ، يبلغ ارتفاعها نحو ٦,٠٠٠ إلى ٧,٠٠٠ قدم ، ومن هنالك تأخذ الأرض من جانبها الشرق في الانحدار شيئاً فشيئاً ، حتى تتصل بصجاري نجد

ونظراً لما يصيب بلاد اليمن من المطر الموسمي في الخريف ، ونظراً لقرب عسير منها ، فإنه يصيبها من هذا المطر غير قليل . ولذا فإن وديانها الكثيرة الشاسعة تعتبر من الدرجة الأولى في الخصوبة . وأهم هذه الوديان هو :

وادي رانية — وادي بيشة — وادي شهران — وادي عتيق  
وأغاب الوديان الكبيرة تجري فيها المياه ، إما فوق سطحها أو قريباً منه . وحالة الوديان تختلف عنها في الحجاز ، لأن البلاد خالية من النُفُود<sup>(٣)</sup>  
وتجري الوديان الرئيسية في اتجاه وادي الدَوَاسير الواقع في جنوبي نجد ، والبلاد

(١) متصرفية : مديرية في عرف مصر

(٢) راجع القسم الطبلي لولاية الحجاز

(٣) النفود جبال رملية

الداخلية في غاية الخصوبة ، وخصوصاً من تنوُّمة إلى تَمَنِيَّة . وهي تضارع أحسن وأخصب البلاد العالية في اليمن . والمزروعات على اختلاف أنواعها من حبوب وبقول وفاكهة تجود في الوديان

والجزء المجاور لشاطئ البحر وإن كان رملياً ، فإنه أحسن بكثير من نظيره في الحجاز في أجزاء كثيرة منه تنبت المزروعات ، ويعيش كثير من السكان عليها . وينزل مطر غير غزير في جنوب تهامة وتهامة الوسطى في شهري فبراير ومارس . وفي شهر يونيو تنزل أمطار غزيرة . أما في الشمال سواء في الداخل أو في البلاد الساحلية ، فإن المطر ليس دورياً جليلاً الفائدة .

## السكان

يبلغ عدد السكان تقريباً حوالي مليون ونصف . والأهالي كلهم شافعيو المذهب ؛ إلا النادر القليل جداً في الشمال الشرقي ؛ فإنهم حنابلة سلفيون . ويشغل غالب الأهالي بالزراعة والبدو الرحل قليلون جداً في عسير . والاختلاط في الأنساب قليل فيها ، إلا ما كان منه في المدن الكبيرة ، وحدود القبائل بعضها من بعض معينة دقيقتاً ليس له نظير في غير عسير . وأقوى القبائل وأكثرها عدداً يحتل سلب البلاد ، ورواس الوديان الداخلية ، والجزء الأعلى من المقبات

## الزراعة

تتوقف الزراعة في تهامة على أمرين : الأول نزول الأمطار المحلية ، والثاني سيول المياه من الوديان المتحدرة إلى البحر . وفي مجرى أغلب الوديان الكبيرة تقام السدود لحجز المياه ، وتوجهها في اتجاه الأراضي المراد زراعتها . وتخصد الأرض مرتين ؛ في الربيع وفي الصيف . وثلاث مرات في بعض الأحيان

والمزروعات هي الدخن والأذرة والسمسم والقطن . وكل أنواع الخضرة المحلية . وأخصب الأجزاء في تهامة هو الجزء الواقع بين حلي والبرك . وفي الداخل يزرع القمح والشعير

والأذرة والقواكه ؛ وشجر البن ؛ ولسكن بكية قليلة لاتنفى بالقدر الذى يستهلك فى داخل البلاد  
والماشية والغنم والماعز والجمال تربى بكثرة فى عسير ، سواء فى نهامة أو فى الداخل

## التجارة

وموافى الواردات إلى عسير هى : القنفذة ، والبرك ، والشقيق ، وجيزان الجعافرة ،  
والتضابا ، ونفشر ، والموسم ، والقرنية  
وواردات عسير قليلة ، وأهمها البضائع القطانية ، والسكر ، والبقول ، والأرز وأدوات  
الطبخ ، والأسلحة والذخائر  
أما الصادرات فإنها أقل وهى : القمح ، والدخن ، والأذرة ، والسم ، والسمك  
المقعد ، ويصدر إلى جدة أثناء موسم الحج . كما يصدر إلى مصر وعدن اليمن والجلود  
والسم والصوف والتمر والصنع وبعض الدواب

## البلاد

بلاد عسير المشهورة هى ما يلى : —

١ — بيشة :

بلدة زراعية مكونة من جملة قرى ، واقعة فى الوادى المسمى باسمها ، وهى على  
بعد ٢٤٠ ميلا من شرق الجنوب الشرق لككة ، وهى نقطة هامة على الطريق من  
وادي الدواسر إلى الحرمين ، وأهم مكان بين الطائف وصنماء ، ويستورها العرب مفتاح  
اليمين . وتروى الواحة بواسطة نهر صغير يسير متجها نحو الشمال الشرق حيث ينحدر إلى  
وادي الدواسر مع سواء من النيهات الأخرى الصغيرة ، وقد حكم الأشراف قديما هذه  
المنطقة ؛ قبل الحركة الإصلاحية ، فى نجد . وفى تاريخ المصامى ، كثير من أخبار  
الأشراف فى بيشة ، وللاتصال الشديد بين بيشة ووادي الدواسر كانت هذه المنطقة موضع  
نزاع بين الأشراف ونجد

## ٢ — تَرْبَة :

تقع على بعد تسعين ميلاً من جنوب شرق الطائف ، وهي على الطريق العام من نجد إلى اليمن ، وهي مدينة مسورة ، وتقع في حجم الطائف ، وتحيط بها الأراضي الزراعية ، ومزارع النخيل ، وتروى بمياه غزيرة . وبحوارها عدة تلال ؛ يزرع على سفوحها الشعير والأذرة . وقد اشتهرت تَرْبَة بمقاومتها العنيفة لقوات محمد علي سنة ١٨١٥ م ، كما اشتهرت بمحاربتها الشهيرة بين جنود نجد والملك حسين تحت قيادة الأمير عبد الله ( الملك عبد الله ) في ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ م .

## ٣ — أَهْجَا :

مدينة بيوتها مبنية من الحجر ، على تل في وسط عسير ، وهي على بعد نحو ١٣٩ ميلاً من قلعة يشة ، وكانت مركزاً للتصرف<sup>(١)</sup> زمن حكم الأتراك ، وهي مركز هام للمواصلات وطرق القوافل في عسير .

## ٤ — حَمَايَل :

بلدة في داخلية عسير تبعد عن القنفذة بنحو ٧٢ ميلاً ، وهي ملتقى عدة طرق : من أَهْجَا ، ومن القنفذة ، ومن حَلِي ، ومن البرك .

## ٥ — خَيْس مُسَيِّط :

هي أكبر مدينة في أخصب جزء من جنوبي عسير ، وهي واقعة بين النول إلى جنوب وادي يشة ، وهي على بعد ١٢٥ ميلاً من شرق الجنوب الشرقي للقنفذة التي تتصل بها بواسطة درب للقوافل ، مياهها وفيرة ، وهي مركز لتصرف تجارة التمر .

## ٦ — أَبُو عَزِيْش :

أشهر بلدة في تهامة ، ولها تاريخ هام في القرن التاسع عشر عصر النهضة الدينية الأولى ، وكانت عاصمة الشريف حمود الذي لعب دوراً هاماً في ذلك العصر ، وهي على بعد ٧٠ ميلاً

(١) المدير في عرف مصر .

شمال اللّحيّة ، وهى مقر المركز السى باسمها ، وأكثر بيوتها مبنى بالحجر ، مياهها غزيرة وزراعتها واسعة .

#### ٧ — صَبْيَا .

على بعد عشرين ميلا فى الداخل ، وهى الجنوب الشرقى من جيزان ، وكانت عاصمة الإدارة ، وبها قلعة قديمة بنيت أيام الحكومة الأولى وقد أصلحتها الحكومة الحالية بعد القضاء على ثورة الإدارة الأخيرة ( سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م ) وسكانها نحو عشرة آلاف نسمة ، مياهها غزيرة ومزروعتها واسعة .

#### ٨ — القنفذة .

بلدة صغيرة مسورة وسكونة من جهة بيوت وأكواخ على شاطئ البحر الأحمر وهى على بعد ٢٠٠ ميل إلى جنوب جدة ، وسكانها زهاء أربعة آلاف ، وتجلب المياه من حقائر على بعد ميلين ونصف فى الداخل ، وهى ميناء أثبها ، وتقع على بعد ٧٢ ميلا من تحايل .

#### ٩ — حِيلِي .

هى الرأس الغربى لخليج تخيمى من رياح الشمال والشرق ، وتقع على بعد أربعين ميلا من جنوب الجنوب الشرقى للقنفذة ، وهى قرية صغيرة قرب الشاطئ ، وبقرها توجد قبة حِيلِي الشهورة وهى على شكل مخروطى .

#### ١٠ — جيزان .

ميناء صغيرة على بعد ٢٠٠ ميل من جنوب الجنوب الشرقى للقنفذة ، وهى واقعة أمام مجموعة جزائر فرسان ، ويحيط بها من جهة الداخل جبل جيزان ، وبالبلد بعض مبان بالحجر ، ولكن الجزء الأكبر من بيوتها مبنى بالبن ، والمياه فى البلدة قليلة جداً ، ولكن على بعد ثلاثة أميال ونصف من شمال شرق البلدة توجد آبار مياه وحفائر ، وسكانها يبلغون ألف نفس ، وهم يشتغلون باستخراج اللؤلؤ ، وبقر جيزان جبل ملح حَجَرى .

ميدى :

قرية مكونة من بيوت قليلة وأكواخ ، ومنها تذهب القوافل شرقاً إلى صمدة وصنماء ، وهي الآن من حدود البين ، ويقع منطقة عير جزائر قرسان .

### خلاصة تاريخية عن حكومة عسير

كانت مقاطعة عير متصرفية ، تابعة لولاية البين أثناء الحكم التركي ، ولكن الحقيقة أن هذه المقاطعة كان يتنازعها نفوذ شريف مكة وإمام النجدين والإدريسى وبعض الأمراء المحليين ، الذين كان يتمتع بعضهم بشبه استقلال ، غير أن الجميع كانوا يعترفون بسلطة الحكومة التركية .

فأمير مكة كان نفوذه يمتد إلى قبائل غامد ، وبني شمر وشهران . وكان على أتم صلة بمشايخ هذه القبائل غير أن هذا النفوذ لم يمتدُ للتأثير المبتدئ . أما طريقة الإدارة والحكم ، فلم يعرف أنه لأمير مكة أى أثر فى ذلك . وفى سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١٠ م انصل بالقبائل الضاربة بين الليث وأبها أثناء الحملة التركية ضد الإدريسى ، تلك الحملة التى كان للشريف يد ظاهرة فيها ، وعلى كل فإن الأتراك أنفسهم لم يكن لهم نفوذ على غير القنفذة على الساحل ، ومحابل وأبها فى الداخل ، وبعض البلدان الصغيرة القريبة منها ، والطرق الموصلة بينها .

أما المنطقة التى كان يمتد نفوذ الإدريسى عليها فتشمل قبائل قحطان فى القسم الجنوبى من عير ، والقسم الأكبر من تهامة ، من البرك إلى الحدبدة حيث يبلغ طول هذه المنطقة من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٥٠ ميلاً وعرضها نحو ٧٠ ميلاً .

واتخذ الإدريسى مقاطعة صُنَيَّا كماصح ، وميدى وجيزان ميناءين . وقيل أن يقوم محمد على الإدريسى بحركة تأسيس حكومته فى عير كان القسم الأعظم من المنطقة المتدة من ظهران إلى الطائف خاضعاً لنفوذ عائلة بنى مُطَيْط (Mugheid) وعاصمتهم مُنَاطِر ، أو أبها كما نرى اليوم . واشتهر من بنى مُطَيْط فى القرن الماضى عايض بن سريعى الذى كانت له مواقف مشهورة فى الحملة المصرية فى عير سنة ١٨٣٤ م ، وبقيت

البلاد حرة من هذه السنة حتى سنة ١٨٦٩ م حيث رجع إليها النفوذ التركي ، فنقلص نفوذ آل عايش وأصبح سلطانهم لا يكاد يمدو منطقة أبها .

أما ما يطلق عليه الحلاف السلياني ، فكان مستقلا مدة طويلة ، وبقي محافظاً على هذا الاستقلال ضد الحكومة التركية ، والقبائل الجنية من جهة ، وضد القبائل الضاربة في الجبال الداخلية من جهة أخرى .

وبين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ م خضعت أبوعريش للشريف علي ، الذي انفق مع المصريين على التخلص من نفوذ عايش بن مرعي ، وفي أثناء حكمه وصل السيد أحمد الإدريسي القرني — أحد رؤساء الطرق — إلى صدياً ( وكان قبل ذلك مقيماً بمكة منذ سنة ١٧٩٩ م واعظاً ومرشداً إلى طريقته ) وأقام بها إلى أن توفي سنة ١٨٣٧ م . وفي أثناء إقامته في صدياً نشر فيها وفي عسير الطريقة تلك التي تلقاها في مكة سنة ١٨٢٣ . وقد ترك السيد أحمد لأولاده من بعده ثروة مادية ومعنوية لا يستهان بها ، ظهر أثرها في أيام ولد السيد أحمد وحفيده ، بعد انهزام الشريف حسين ، حاكم أبو عريش ، وقد تصاهر الإدريسي مع العائلة السنوسية المنتشرة في السودان ومصر قرب الأقصر . والحقيقة أن نفوذ الإدريسي لم يقتصر فقط على الحلاف السلياني ، بل امتد شمالاً وجنوباً حتى إن بعض القبائل الضاربة حول صعدة انتشرت بينها تعاليم الإدريسي . هذا ما تركه السيد أحمد الإدريسي الكبير من الأثر في عسير والذي استغله من بعده السيد محمد علي الإدريسي حفيده .

ولد السيد محمد علي الإدريسي في صبيا سنة ١٨٧٦ م وتلقى تعليمه ما بين الأزهر والكوفة مقر السنوسية ، ثم رجع إلى صبيا واحضاً نصب عينيه انتزاع عسير من يد الأتراك ، والاستقلال بها . وفي سنة ١٩١٠ م طرد الترك من كثير من البلاد ، غير أنه لم يوفق في الاستيلاء على أبها ، حيث لم يقو على الوقوف في وجه الحملة التي سيرها الأتراك بقيادة أمير مكة الشريف حسين بن علي . على أن ذلك لم يغل من عزمه ، فإنه انتهز فرصة اشتغال الأتراك بحمارة الإيطاليين في طرابلس ، فقام محاولاً الوصول إلى غرضه الذي



وضعه نصب عينيه ، مستعيناً بالإيطاليين . إلا أن هذه المحاولة لم تثمر ثمرة الطلوبة ، فإن أمير مكة الذي كان له بالمرصاد ، كان أكبر عقبة في سبيل الوصول إلى ما يريد ؛ ومع ذلك فإن الإدريسي قد استطاع أن ييسر نفوذه الأدبي وبعض نفوذه المادى في أثناء الحرب البلقانية ، وقد حاول أن ينال من الأتراك اعترافاً بحكومته ففشل ، ولم يقتروا به إلا كفاً مقام<sup>(١)</sup> على صبيا ، وأبى عريش ، فأكتفى بذلك منحنيّاً القوس الملائمة ؛ وفي أثناء الحرب العالمية الأولى انضم إلى الحلفاء ضد الأتراك ، وعقد معاهدة مع القم في عدن في شهر مايو سنة ١٩١٥<sup>(٢)</sup> ، وأخذ يذير على الأتراك في المناطق الجنوبية حتى وصل إلى الأحقية ؛ وبعد إمضاء الهدنة تركه الانجليز الحديّدة ؛ التي احتلوا أثناء الحرب اعترافاً بخدمانه التي قام بها أثناء النضال العالي . وقد استطاع السيد محمد على الإدريسي أن يقف في وجه الشريف حسين من الشمال ، والإمام يحيى في الجنوب ، مدة حياته بالتحالف مع سلطان نجد سنة ١٣٣٩ هـ ( ١٩٢١ م ) .

توفي محمد على الإدريسي في شعبان سنة ١٣٤١ هـ ، وولى الأمر بعده ولده السيد على الإدريسي ، فوقعت البلاد في فوضى ، وحاول الملك حسين والإمام يحيى أن يوسع كل منها منطقته على حساب الإدريسي فلم ينجح الملك حسين ، لأن الفرصة لم تساعد كما ساعدت الإمام يحيى .

وفي ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ هـ ( ١٩٢٤ م ) دخلت جيوش الملك عبد العزيز مكة ظافرة ؛ وظلت الجيوش سنة وبضعة أشهر تتقرب الأشراف لإجلائهم عن الحجاز ، فاتهم الإمام يحيى هذه الفرصة السانحة فاحتل الحديدة ، وتابع زحفه شمالاً حتى وصل يمدى ؛ فلما وجد الإدارة ما حل بهم عزلوا السيد على الإدريسي ، وولوا مكانه عمه السيد الحسن الإدريسي أخا السيد محمد على .

لم يجد السيد الحسن نفسه قادراً على الوقوف في وجه الإمام يحيى ، فأرسل من قبله

(١) نظير ما مور في عرب مصر .

(٢) تجد نس هذه المعاهدة في ذيل الكتاب .

السيد مرغني الإدريسي مندوباً إلى مكة للاستنجاد بالملك عبد العزيز ، فاجتمعت بالمرغني ووضعتاً معاً معاهدة الحماية في سنة ١٣٤٥ هـ ( ١٩٢٦ م ) لإنقاذ ما بقي من ملك الأدراسة . وفي سنة ١٣٤٩ هـ ( ١٩٣٠ م ) طلب السيد الحسن أن تضم البلاد إلى مملكة جلالة الملك عبد العزيز ، وأن يكون حكمه فيها مباشراً . ومن ذلك التاريخ أصبح ذلك القسم من عسير ملحقاتاً بمملكة نجد والحجاز ؛ التي يطلق عليها الآن المملكة العربية السعودية ، وطويت صحيفة الأدراسة كما طويت صحيفة آل عايض من قبلهم .

## نجد

وهي أكبر قسم من بلاد العرب ، ويشمل صحراء العرب الوسطى ، ومع أن حدود نجد غير معروفة تماماً في الجغرافية العربية لكثرة الأقوال وتعدد الآراء . فإن نجداً اليوم تشمل الأراضي الممتدة من قُرْبَاتِ المِلْح شمالاً ، إلى وادي الدواسر جنوباً ، ومن حدود الأحساء شرقاً ، إلى حدود الحجاز غرباً

وفيها كثير من الجبال والأودية والصحارى ، وهي ليست قاحلة كما كان يتصور الناس قديماً . فن الشمال ابتداء من حُورَان إلى شواطئ القرات ؛ أرض منبسطة تسمى العَمَاد ، ليس بها أطل ارتفاع ، كما أنه لا يوجد بها قرى أو مدن . ويظهر للمار بها أحياناً بمض الأعشاب الصغيرة . وهذا القسم لا يزال كما كان منذ ٢٣٠٠ سنة

ويوجد بها من الحيوان : الضبَّاري والنعَّام ، وابن آوى ، وبقرة الوحش ، وحمير الوحش . وتقع صحراء الأحقاف جنوب نجد ، فنجد على هذا محاطة من جميع جهاتها بسهول رملية ، مزارية الأطراف ؛ ونجد مشهورة بمراعيتها الجيدة ، وبها كثير من الميون الغزيرة المياه ، وبها كثير من الأطلال القديمة التي لم تمسح حتى الآن يد البحث والتنقيب وأشهر إياها نجد من الجنوب إلى الشمال : وادي الدواسر ، الأفلاق ، الحريق . الخرج ، العارض ، الوشم ، سدير ، القصيم ، جبل شتر ، الجوف ، قُرْبَاتِ المِلْح . ويبلغ امتداد نجد من الشمال إلى الجنوب ، أى من قريات الملح إلى وادي الدواسر نحو ٨٠٠ ميل ، ويبلغ عرضها من الغرب إلى الشرق ، أى من الوشم إلى سدير نحو ٢٢٠ ميلاً

## الجو

تنفى الصحراء قديماً بهواء نجد ، وأسهبوا في وصف نسيمه ، وهو على العموم جاف معتدل ، غير أن إقليم نجد يختلف هواؤه باختلاف المنطقة ، وموقعها الجغرافي ، فالحريق كاسمها شديدة الحر . ووادي الدواسر كذلك

أما الأمراضُ فهوؤها معتدل جاف في السهل ، شديد البرد في المرتفعات طويلاً .  
والجو في الصيف جاف بارد في الشتاء ، ومعتدل في الصيف ، وليالي الصيف في الصيف  
كليالي الصحراء ، نسيم عليل ، وسماء صافية ، ونجوم تطلع في السماء ، تلذ رؤيتها للصحراء  
والمواهب بالهدوء الصحراوي البديع

أما هواء جبل شمر فشديد البرودة ، وإذا فإن بشرة سكان نجد الشمالية تميل إلى  
البياض عكس سكان الجنوب

والأمطار في نجد لها الشأن الأول في الحياة ، وهي قليلة على العموم إذا قيسَت ببعض  
المناطق الجنوبية ، وكثيراً ما تكون الأمطار محمية ، ولها تكون عامة . فالأمطار شمالي  
النفود قلما تمتد إلى جنوبي جبل شمر ، وحديث الناس ، أسرائهم وبدوم وحضرم ، هو  
المطر . وسؤال القادم يبدأ بالمطر والمرعى . ومن يعيش في بلاد العرب يعرف الأثر العظيم  
الذي يحدثه المطر ، والتماسة التي يسببها تأخره ، فأهل نجد لا يأبهون بشيء إذا رزقهم الله  
المطر ، تحيا به زروعهم وحيواناتهم ، وتشلمهم السعادة بكل معاينها  
وأما إذا انقطع المطر ، فلا يمكنك أن تتصور ما يصيب الحيوان من الضعف  
والموت أحياناً

والرياح التي يكثر هبوبها ، الرياح الغربية ، وتميل إلى الجنوب في الجهات  
الشمالية القصوى

## السكان

يبلغ سكان نجد من حضر وبدو ثلاثة ملايين من النفوس تقريباً ، فالحضر هم سكان  
المدن . وهم في الأصل من البدو ، وتوطنوا في مساكنهم من قديم

وأم الماشر النجدية آل مرة . وبنو خالد ، والمجملان في الشرق ، وقحطان في  
الجنوب ، والجنوب الغربي . وسُبَيْح والسهول في الغرب . ومُطَيْر في الشمال الغربي وشمر  
في الشمال ، وعُتَيْبَة في الشمال الغربي ، وحَرْب في الشمال الشرقي . وعَنْزَة في الشمال  
الشرقي أيضاً

وأهل حابل ينتمى أكثرهم إلى شمر . وأهل القصيم يرجعون في الغالب إلى بنى خالد  
و بنى تميم ، وأهل الجنوب ينتمون في أنسابهم إلى عَنَزَة ، وأهل الوسط إلى الدواسر  
و بنى تميم ، وأهل الجنوب الغربي ينتمون إلى الدواسر وتحطان .

## الأدوات المحلية والمصنوعات

هذه الأدوات قديمة العهد في نجد ، كما هي في باقي بلاد الجزيرة العربية لم يشأها  
التحسين والتجديد .

وفي مقدمة السكان حضارة أهل عَنَزَة<sup>(١)</sup> في القصيم ، والرياض وآخرهم حضارة  
سكان وادى الدواسر والسَّيْل .

جميع المباني من اللبن ، ويقل سمك الحائط في مرتفعه ، إلا في القرى الموجودة في  
الجنوب ، فإنهم يستعملون جذوع النخل . والسقوف مسطحة وهي من الطين الموضوع  
على جذوع النخل ، أو فروع الأثل . والنوافذ عبارة عن فتحات صغيرة على شكل  
مثلث لإدخال النور ، وفي كل منزل فناء كبير يستعمل لحفظ الدواب المنزلية ولحفظ السَّاد  
والمنازل ذات الطابقين قليلة جداً ؛ والأثاث في البيوت بالمعنى المعروف في البلاد المتقدمة  
غير معروف إلا في بيوت المائلات الكبيرة . فالرجال يحاسون وينامون على الحصير  
المصنوع من خوص النخل ، ونصف أرضية المكان تبقى عارية ؛ والملاعن والكاهن  
والشوك لا تكاد تستعمل في نجد ، والنور الكهربائي غير معروف إلا في قصر الملك  
وعائلته ، وأغلب السكان يستعملون مصابيح تضاء بالبتول وهي واردة إليهم من الخليج  
أو الحجاز ؛ وأواني الطبخ من النحاس غالباً ، وقد يستعمل الألومنيوم أحياناً ولا سيما في  
القصيم ، ويصنع بعض أنواع الفخار في نجد ، ويصنع الخبز على شكل مسطح رقيق ،  
وهو إما أن يسوى على الحجر ، أو يسوى على لوح من الصاج ؛ أما أواني القهوة فتعد  
من الأحساء والشام ، وتصنع الخناجر والسكاكين في حابل أو الخليج ، أما الأسلحة  
النارية فتعد من الخارج .

وأما خامات الملابس فكلها ترد من الخارج . إلا ما يصنع من الصوف ، ويستعمل

(١) عَنَزَة : اسم قبيلة ، وعَنَزَة : اسم للبلدة .

في عمل المبادئ والمقالات ، ويصنع من الصوف الخيام ، وأخراج الجلال ، وأحسن أصناف المبادئ ترد من الأحساء ، ويكتفون من الملابس الداخلية بقميص من القطن ، ولا يستعملون النعال كثيراً . وأغلب الصنوعات الجلدية ترد من الخارج إلا ما يلزم لقرب المياه والدلاء ، والسروج ، والنعال ، فإنها تصنع في نجد . ويصنع أيضاً الحصى والبراح من الخوص ، ولكن هذه الصناعة متقدمة نوعاً ما في القصيم ، ولا سيما عُبَيْزَة . ومع ذلك فإن أنواعها أقل بكثير مما يصنع في موانئ الخليج الفارسي .

والطعام العادي في نجد هو التمر والبن والخبز ، وأحياناً الأرز والقمح .

هذا ما كان قبل عشرين سنة أما الآن فقد تطورت الحياة تطوراً سريعاً في البهائم والحياة المنزلية فالبيوت في الرياض وجدة لا تختلف عن مثيلاتها في البلاد الأخرى بل قد تمتاز عنها في كثير من خرافات الحياة .

## إيالات نجد

### العارض :

ويعرف في الجغرافية القديمة بِحَجَّو ، والقروض ، واليمامة ، ويقع بين سُدْر شمالاً ، والخرج والحريق جنوباً ، وهو يكون القسم الأوسط من طَوَيْق الشَّيْبَر .

ووادي حنيفة هو قلب العارض ، وفي جنوبه الغربي يقع سهل ضَرْما ، وفي شماله المِحْضَل ، والقسم الممور من العارض مساحته ١٠٠ ميل مربع .

وأهل العارض مشهورون بالشجاعة والإقدام ، واحتمال المسكاره ، والحلمة الدينية ، وقوة الإرادة ، والدهاء ، وهم شديد الإعجاب بأنفسهم ، يميلون إلى العزلة ، ويفضلون عدم الامتزاج بسوام ، يظلم عليهم سوء الظن ، وربما كان ذلك بسبب القنن الكثيرة وما جرته عليهم من المصائب . ولكنهم مع ذلك طيبو القلب لا يحملون حقد لأحد ، إن وثقوا بأحد صموا آذانهم عما يقال فيه ، وهم عدة آل سمود وجندهم ، يرجعون إليهم عند الملمات . ويستندون عليهم عند اشتداد الكروب ، ولعلبة الخلق الحربي عليهم ترى في طباعهم شيئاً من الغشونة والصلف .

### أشهر بلدان العارض :

أشهر بلدان العارض في الشمال — الرياض ، وشمالها : لَبْن القُرْشِيَّة عِرْقَة ، الدَّرْعِيَّة ، المَنَاقِي ، المَنَارِيَّة ، أبو الكَيْبَاش .

وفي الشمال الغربي : الجبيلة ، الميمنة ، الشبيب .

وفي الشرق : صلبوخ ، ملهم ، التمرينة .

وفي الجنوب الغربي : سدوس ، حريملة ، المحمل ، نادق ، المحرقة ، رغبة ، الروضة .

### الرياض :

عاصمة نجد كلها ، اتخذها آل سعود عاصمة لهم بعد تحرير الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ ( ١٨١٨ م ) ، وقد عمرت الرياض وكثرت مبانيها وسكانها في أيام الإمام فيصل جد الملك الحالي ، ثم أهل أمرها بعد جلاء آل سعود عنها ، فعلا شأن حابل في الشمال ؛ وقد امتدّت الرياض سكانها ، واشتهر أمرها ، وأصبحت كمية آمال العرب ، ومقصد الوافدين من جميع الأنحاء العربية ، بعد أن ساد الملك عبد العزيز نجداً كلها وقضى على منافسيه فيها ؛ وتنخفض الأرض المشيدة عليها عن المستوى العام بنحو ١٠٠ قدم ، حتى أن القادم من الشمال أو الشرق لا يراها إلا من قريب ويحيط بالرياض بساتين النخيل ، وهي وضواحيها تمتد من الشمال إلى الجنوب نحو ميلين ، حيث تقف عند قاع وادي حنيفة أو الباطن والرياض كاسر البلدان النجدية : كانت محاطة بـبور حصن بأبراج عديدة لحماية البلدة من غارات البدو وعدوان الأعداء .

وأكثر مباني الرياض من الطين أو اللبن ، وهي قليلة النوافذ على الطريق العام ، فإن ذلك معدود من العيوب في البلاد العربية . ويشغل قصر الملك ومنازل العائلة الحاكمة قسماً عظيماً من المساحة وهي تشبه في بنائها قصور القرون الوسطى من جهة السمة وإقامة الأبراج عليها ؛ والقصر الحالي بناء الملك عبد العزيز على أنقاض القصر القديم .

والرياض هي مقر آل الشيخ ، أو سدقاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الديني العظيم ، وهم في مركزهم الديني أشبه بأعضاء المحكمة العليا في البلدان الأخرى ، وهم المرجع الأخير في جميع انشكالات الدينية ، ويتمون في الوقت نفسه بوظيفة تدريس العلوم الدينية والآداب العربية في بيوتهم ؛ التي يمتدحها طلبة العلم ويجردون فيها ما يساعدهم على الانقطاع لطلب العلم .

والرياض تزخر بالزائرين ، وتصح بالوافدين من الحضر والبدو وقت إقامة جلالة الملك بها ، وقد يبلغ عدد الضيوف عشرة آلاف ، ولا يقل عدد الضيوف عن ٨٠٠ في الأيام العادية ، وكلهم تهيأت لهم سبل الضيافة ، وتوفرت لهم جميع وسائل الراحة على نفقة حلاله الملك

وأهل الرياض أشد أهل نجد صلاحية في الدين وغيره على حرمانه ، وشأنهم شأن أهل نجد في المحافظة على صلاة الجماعة والضرب على أيدي المنساهلين في أداؤها ويبلغ عدد سكان الرياض نحو مائتي ألفاً ، وقد أمر جلالة الملك في سنة ١٩٣٣ بإنشاء بلدية للإشراف على تنظيف البلد وتوسيع طرقها ، وقد ربطت بيوت العائلة الحاكمة بعضها مع بعض بأسلاك التليفون ، وأصبحت بعد إنشاء الخطه اللاسلكية فيها سنة ١٩٣١ مترتبة مع سائر البلدان العربية ، وأصبحت على اتصال وثيق بالعالم الخارجي بعد ما كانت في عزلة تامة عن العالم

وإذا قورنت الرياض اليوم بالرياض سنة ١٩٢٣ حيث زرتها لأول مرة وجدت الفارق العظيم في كثرة السكان والمباني المشيدة بالحجارة المزودة بتكييف الهواء وقد ربطت الرياض بالخليج الفارسي بخط حديدي حديث فاقهم صحراء الدهناء الخط الحديدي كما اقتحمتها السيارة من قبل

### الدرعية :

وهي العاصمة الأولى لآل سعود تخربت سنة ١٢٢٣ هـ سنة ١٨١٨ م . أما الدرعية الجديدة فتقابل البلدة القديمة ، وهي في الجهة الشمالية من وادي حنيفة ، تقع في غربي الرياض ، وتبعد عنها نحو ٢١ ميلا

ويبلغ سكانها الآن نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها كثير من أشجار النخيل والفاكهة يربو بها نحو ٤٠٠ بئر غزيرة للمياه ، وأشهر ضواحيها الطريف في الجهة المقابلة من الوادي وتريجة والنصبة ، وهي منفصلة عن بعضها بأسوارها الخاصة

### سدوس :

بلدة صغيرة في موقع كثير المياه ، خصب التربة ، وفيها كثير من أشجار الفاكهة



والنخيل ، وقد اشتهرت سدوس بما فيها من الآثار ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاث أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدماً ، ويبلغ سكان سدوس نحو ألف نفس  
حريلة :

في طويق أيضاً ، وفي الشمال الشرق من سدوس ، وتبعد عنها نحو ١٢ ميلاً ، وهي أيضاً في منطقة خصبة كثيرة المياه ، بها كثير من أشجار النخيل والفاكهة ، وآبارها عميقة ، وبها قلعة كبيرة محمية بناها المصريون في أوائل القرن التاسع عشر ولكنها تدهأت بعد ذلك . والقسم المنخفض من البلدة فيه كثير من المنازل التداعية ، ترى كأنها أطلال ، والطريق العام الشمالى إلى سدوس يمر بحريمة ، ويبلغ سكان حريمة ٣٠٠٠ نفس  
ثاقي :

بلدة صغيرة في الشمال الغربى من حريمة ، تقع على جانب الوادى في الجهة الغربية من منحدرات طويق ، يبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة ، وكانت من المدن الشهيرة في الماراض وعذا عليها عادى الدهر  
المدينة والجيلة :

وقد كانت الأولى زاهية زاهرة في أيام النهضة الأولى لآل سعود ؛ وهناك قصص كثيرة عن أسباب خرابها وهجر الناس لها ، ليس هنا محل ذكرها ، والجيلة مشهورة بقبور كثير من الصحابة الذين اشتهروا في حرب سيلة الكذاب  
الخرج :

أشهر بلدان الخرج : الدلم وهي الماسحة ، منفوحة في الجنوب ، تمنيعان السليية ، البامة ، المناصف ، الضبيعة البدع ، فرزان  
تقع هذه المقاطعة في الجنوب الغربى من الماراض في وادى حنيفة ، وتمتد من الضفة اليمنى للوادى قرب الرياض إلى الصحراء الكبرى الجنوبية ، ومن حدود الحريق والحوطة في الجنوب الغربى إلى الصحراء الشرقية .

والمنطقة المكونة من المقاطعة يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠ ميلاً ، ومن الغرب إلى الشرق ٥٠ ميلاً ، والخرج من أغنى المقاطعات النجدية<sup>(١)</sup> وأخصبها ؛ فيها كثير من العيون الجارية والمناطق المزروعة .  
وقد اعتاد آل سعود من قديم أن يُسموا خيولهم وإبلهم في الخرج . وأشهر بلدان الخرج هي :

#### منفوحة :

تقع في أقصى الطرف الشمالي من وادي حنيفة ، ومنازلها بعضها مبني بالطين والبعض الآخر بالحجر . وقد كان لمنفوحة شأن يذكر في نجد في الماضي لما كانت الرياض قرية ، فقد كان سكان منفوحة أكثر من سكانها الحاليين ، إذ كانوا يجاوزون الخمسة عشر ألفاً . أما الآن فمنفوحة لا يتجاوز سكانها عشرة آلاف ، وبها كثير من أشجار النخيل التي تزيد عن ٤٠ ألف نخلة ، وآبارها يبلغ عمقها من ٢٥ — ٧٠ قدماً حسب بعدها عن الوادي السليمة :

بلدة صغيرة على مجرى عين فوزان الذي يفيض من الدلم على بعد ٥٠ ميلاً من الرياض وهي في بقعة منخفضة كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها نحو ألف نفس البمامة :

مدينة صغيرة أيضاً تقع على مجرى العين السابقة ، وفي بقعة خصبة أيضاً ، كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها الآن نحو ١٢٠٠ نفس وقد كانت البمامة قديماً تطلق على منطقة واسعة

#### الدلم :

هي المدينة الرئيسية للمقاطعة في الوقت الحاضر ، وتقع على عين فوزان الشهيرة ، ويبلغ

سكانها نحو ٦٠٠٠ نفس يشغلون بالزراعة ، وأراضيها خصبة وعامرة بزراعة النخيل والحبوب والأرز ، ويبلغ عمق الآبار من ٣٥ — ٥٠ قدماً

### الحَرِيق :

تقع منطقة الحريق غربى الخرج وجنوبى العارض ، وتبعد عن الرياض بنحو خمسين ميلاً ، وآبارها بعيدة النور قد تبلغ نحو ١٠٠ قدم ، ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد اشتهرت الحريق بالثورة التى أثارها أبناء عم الملك عبد العزيز عليه سنة ٩١٠ م فى الوقت الذى كان شريف مكة يهدد إمارة نجد من جهة الحجاز

### الْحُوْطَة :

بلدة صغيرة فى جنوبى الحريق ، بها كثير من البساتين يبلغ سكانها ٤٣٠٠ نفس

### الأَفْلاج :

تقع منطقة الأفلاج غربى الخرج وشمال الحريق ، وهى سهل واسع ، وهى فى الجغرافية القديمة قسم من الهامة ، كثيرة المياه والنخيل ، عامرة بالسكان ، وأشهر بلدانها هى :

### أَيْبَلَى :

فى القسم الشمالى من المنطقة ، وهى الآن آخر بلدان الأفلاج ، ويبلغ سكانها وسكان القرى التابعة لها نحو ٥٠٠٠ نفس ، منهم نحو ٤٠٠ من الأشراف

### الْبِدَيْع :

فى القسم الجنوبى من المقاطعة ، ويبلغ سكانها نحو ٣٥٠٠ نفس

### الرَّوْضَة :

شمال البديع ، وتبعد عنها ١٠ أميال ، وبها كثير من بساتين النخيل ، والمنطقة كثيرة المياه ، ويبلغ سكانها نحو ١٦٠٠ نفس

## وادی الدواسر

يمس الوادي حافة الربع الخالي عند نقطة تبعد نحو خمسين ميلاً من جنوب شرق السَّيْل ، وعلى بُد خمسين ميلاً أيضاً من جنوب غربي المكان نفسه الطريق وبحري الدواسر يتقدم شرقاً في الرمال . وإلى الغرب من هذا توجد سلسلة جبال اليمن ، ويوجد على منحدراتها الشرقية كثير من الواحات المأمرة ، ثم تقصم هذه المنحدرات تدريجياً في الرمال ، بينا وديان التلث وبيشة ورائيا تتجه شمالاً في أعلى عسير ، حيث اجتماعها في السهل يكون وادي الدواسر نفسه

### منطقة السَّيْل :

هذا الجزء واقع إلى الجنوب الشرق لوادي الدواسر ومنخفضات القرن ، وإلى جنوبه فيما وراء المرتضعات تمتد أطراف الصحراء

### واحة السليل :

يبلغ طول الواحة حوالي ميلين ؛ في واد رمل مكون من النقاء الوديان في قلب أعلى الطريق <sup>(١)</sup> ، وأحد هذه الوديان هو وادي الدواسر الذي شق حاجز النجد إلى شطرين من الغرب إلى الشرق

ومستعمرة السليل تتكون من أربع قرى مربعة الشكل ، وكثير من الأكوخ البشيرة هنا وهناك ، وبضعة قصور منتشرة على حافة مزارع النخيل على الضفة اليسرى لوادي المجموع . ومساحة المستعمرة ميل طولاً ، وربع ميل عرضاً

وعند طرفها الشمالي الغربي تقع قرية « قَرْعَة » ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة

وعلى الطرف الآخر تقع قرى صَبْحَة أو الحَصْد ، ودَهْلَا ، والخَنْش

والقرية الرابعة هي آل مُوَيْلِم ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة . وهي واقعة في منتصف الواحة وبمجموع سكان الواحة لا يزيد عن ألفي نسمة ، بعضهم أرقاء تحرروا ، وهذا التقدير

(١) طريق : جبل في نجد الوسطى .

لا يضم العرب الرجل الذين يندون على الواحة زمن موسم التمر لأخذ حاجتهم منها  
وما تنتجه الواحة من القمح والتمر يكفي سكانها مؤونة العام ، وعدا ذلك فنزرع فيها  
أغلب أنواع الفواكه ، وفيها بزرع القطن أيضا  
ومنطقة الليل بما فيها « حَمَا » في الشمال ، وواحة « تَمَر » في الشرق هي جزء من  
إمارة الدواسر

### واحة الوادي :

تقع مزارع نخيل الشُرَافَة في مدخل الواحة من جهة الشرق ، وهي غنية بشجر الأثل  
والكروم ؛ وسكانها نحو خمسمائة نسمة من الدواسر ، ثم يتلوها لِحَاف أو مَسْرَة . ويفصلها  
عن مزارع نخيل الشرافة حواجز رملية يبلغ عرض الواحة منها حوالي نصف ميل  
وتكثر مزارع النخيل في الجهة الشرقية من الواحة بدرجة كبيرة ، وفيها توجد  
خمس قرى منها : « نَمِيمة » و « القَيْط » ، وهما قرىتان متلاصقتان ، وواقعتان على ضفة  
الوادي اليمنى ؛ وسكانها معا حوالي ثمانمائة نسمة

وعلى بعد نحو ربع ميل من شمالي هاتين القريتين ، وعلى سفح الضفة اليسرى للوادي  
تقع قرية « نَزْوا » وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة  
إلى ذلك مستمرة مَحَادِم ومَقَاتِلَة ، وهما غنيتان بمزارع النخيل . وسكانهما نحو  
ألفي نسمة

يتلو ذلك الدَّام ومَشْرِف ، وهما واقعتان على حافة الوادي اقبيلية ، ويفصلهما عن  
بعضهما مسافات صغيرة

وإلى الغرب تقع مزارع نخيل القَرَاة وكرومها ، وهي تكون الحد الغربي للواحة .  
وفي هذه الواحة يجري مجرى نهر الدواسر . ويجري الوادي نفسه طينى القرية ، ولكنه  
مغطى بطبقة خفيفة من الرمل

وإلى الجنوب تمتد صحارى قاحلة لا نبات فيها ، وبها تلال رملية تتلاشى رويدا حتى  
تتلاشى في رمال الصحراء ، وتنبه من جهة إلى الجنوب الشرق حيث توجد التَّوْبِيح

## بلدان الوادي

دام :

هي عاصمة الإقليم ، وتقع على سفح المنحدر في الجهة اليمنى من الوادي . وهي على شكل مربع تقريباً ، مبنية على مرتفع تقع على قته أحسن البيوت والمساكن ، وكانت محاطة بسور ولكن أغابه اليوم متهدم . وأحسن بناء فيها هو « قصر حنين » وهو على شبه قلعة يملكه أحد الشيوخ . وليس بالبلدة سوق عام ، ولكن بضعة حوانيت ترى هنا وهناك

وسكانها نحو ثلاثة آلاف نسمة من الرُّجَبَان ، وهم قسم من الدواسر أشدّاء البطش والقوة ، ويمتثلون كل العناية بنخيلهم وكرومهم وفي القضاء الذي يفصل « دام » من نظيرتها « مشرف » يقع « البرّزان » وهو القلعة وقصر الحاكم العام

مشرف :

هي المركز التجاري العام للواحة ، وهي تنافس « دام » في الأهمية والشهرة ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة ويحيط بالبلدة سور في حالة أحسن من سور مدينة « دام »

ولّامين :

واقعة إلى الشمال الغربي من مشرف ، وسكانها نحو ألف نسمة ، ويفصلها عن مشرف حائط يسمى الفُرَيْخ

الجوّيز :

في الجنوب الشرق من دام ، ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة

مقامية :

في شرق دام ، ويبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة

وقى الجهة الغربية من الواحة توجد مزارع نخيل واسعة النطاق يتخللها بعض أشجار الأثل ، وتسمى هذه الجهة « الفرعة » ، وبها عدة قرى بعضها إلى جانب بعض ، ويطلق عليها اسم « الحراء » ، وهي واقعة إلى الجهة اليمنى من الوادى .

ويبلغ مجموع سكان إقليم الدواسر زهاء ثلاثين ألفاً من حضر وبادية ، ويمكن الوصول من وادى الدواسر إلى رَنْيَا فى خمسة أو ستة أيام بالإبل ، ومنه إلى وادى بيشة فى نحو أسبوعين .

### الوشم :

أشهر بلدان الوشم : شَقْرَا ( العاصمة ) ، ثَرْمَدَا ، وَشِيْقِر ، الْقَصَب ، غَمَلَة ، الْوَشْف ، أَثِيْنَة ( بلدة جوير الشاعر ) ، الْفَرْعَة ، الْحَرْيْفَة ، الدَّاهِنَة .

يحده من الجنوب والشرق المارِض وسُدَيْر ، ومن الشمال القصيم ، وأما من الجهة الغربية فليس هنالك شئ بارز يحدد نهايته ، ويفصله من الجهة الجنوبية الحِجَاد عن ضَرْمَة من المارِض ؛ ويبلغ امتداد هذا السهل من الشمال إلى الجنوب حوالى ١٠٠ ميل ، ومن الشرق إلى الغرب نحو ٩٠ ميلاً — أما خط تقسيم المياه — فهو السهل الرملى الواسع الذى يبلغ عرضه نحو ١٥ ميلاً .

ويتمشى النفود إلى جنوب ثَرْمَدَا حيث الحد الفاصل ما بين الوشم والمارِض ؛ والجنوب الشرق من الوشم أهل بالقرى والسكان والمياه ، وفيه تقع أكبر بلدين فى الوشم شَقْرَا العاصمة ، وَثَرْمَدَا . أما وسط الوشم وشماله فأرضه غير خصبة ؛ ويبلغ عدد سكان الوشم نحو ١٥٠٠٠ نسمة ينتمون إلى بقى تميم وعنزة وهم يقطنون حوالى عشرين بلدة وقرية عدا القرى الصغيرة . وأشهر البلدان هى :

### شَقْرَا :

فى الجهة الجنوبية الشرقية ؛ يبلغ سكانها سبعة آلاف وسورها وأبراجها متهدمة منذ الحصار الذى أقامه عليها محمد الرشيد فى سنة ١٨٩١ م ، وبساتينها صغيرة بالنسبة إلى

مساحة المدينة ، وآبارها عميقة : ٦٠ — ٧٠ قدما ، ولكن ماءها لا ينضب حتى في أيام الجفاف الشديد .

وقد كان لشقرا في القرن الماضي مكانه تجارية عظيمة مع الهند وسوريا والعراق ؛ ولا يزال أهلها يجوبون مختلف الأقطار في سبيل التجارة .

### تُرَمْدَا :

في الجنوب الشرق من شقرا ، وهي تكاد تكون مخربة مما حلّ بها في سنة ١٩٠٣ ، حيث انحازت إلى ابن الرشيد . يبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها قلعة وسوق ، وكثير من البيوت الجميلة ، وبها كثير من البساتين الواسعة ، وهي تروى من آبار عمقها من ٦٠ — ٧٠ قدما .

### وَشِير :

في الجهة الشرقية بين وسط حافة النفود وواجهة طويق ، وهي على بعد بضعة أميال إلى الشمال الشرق من شقرا . بها مزارع تروى من آبار عمقها من ٥٠ — ٦٠ قدما .

### المَذَنَب :

في منتصف الطريق بين شقراء والقصيم ، وهي جلة قري آهلة بالسكان منضم بعضها إلى بعض ، يبلغ سكانها نحو ٢٥٠٠ نفس ، وآبارها غير عذبة ، وبها كثير من القصور ، وأقربها من الوشم عدت قسماً منه ، وبعض النجديين يمتبرها قسماً فأعماً بنفسه .

### سُدَيْر :

هو القسم الواقع إلى شمال نجد الأصلية ، وتقع القصيم إلى شمالها وشمالها الغربي ، وخط الحدود يقع في الصحراء على بعد عشرين ميلاً من وادي الرثمة بين الزنقي والمذنب ، وإلى غربها تقع الوشم وخط الحدود ، ويمكن تقدير أبعادها بمائة ميل من الشمال للجنوب ، و ٩٠ ميلاً من الشرق إلى الغرب .



وسدبر في الواقع هي الجزء الشمالي من « طويق » وتحتوى على أول السلسلة التي تنبج نحو الجنوب الشرقى ، والجزء الرئيسى الذى يكون أغلب سدير هو السهل المرتفع الواقع فى الشمال فوق السلسلة الممتدة إلى الجنوب الشرقى . والقسم المأهول بالسكان هو المنخفض من هذا السهل

وهذه الوديان منفصلة بعضها عن بعض بمجاذب صخرية ؛ والقرى هي فى الواقع واحات صغيرة منفصلة بعضها عن بعض ، وغير ذلك توجد مزارع مأهولة خارج الحد الشرقى من المرتفع ، وهى واقعة إلى شمال وشرق الزلفى والمجمعة ، وأيضاً يوجد بعضها إلى الجنوب ولا يمكن تقدير عدد السكان بأكثر من خمسة وعشرين ألف نسمة ، وكل البلاد ذات الأهمية واقعة على الطريق الرئيسى وأهمها :

المجمعة ، الزلفى ، الفاط ، بجلاجل ، الثوينم ، الدّاخلة ، الروضة ، الحصون ، حوطة ، سدير الجنوبية ، المطار ، المؤدة ؛ الخطامة ، عشيرة ، تمير  
المجمعة :

واقعة فى الشمال ، وهى فى الجانب الجنوبى من وادى مجرى فى وادى الشجر ؛ ويبلغ عدد سكانها نحو ٢٥٠٠ نفس ، وهى مسورة ، وفيها قلعة وأبراج ، وعمق آبارها يختلف بين ٣٥ — ٧٠ قدماً ، وبها سوق فيه ٥٠ دكاناً ، ويكثر فيها أشجار النخيل ، ويقع الأمير فى بيت قريب من السور

### الزلفى :

واقعة فى نهاية الطرف الشمالى فى سهل واقع بين الطويق فى الشمال الشرقى وأعلى النفود غرباً ، وتنقسم إلى بلدين يحيط بكل واحدة منهما سور . فالأولى واقعة فى عماء السهل ، والأخرى واقعة بين بساتين كبيرة واسعة على بعد ميل من الأولى . ويبلغ ارتفاع السور المقام حولها نحو ١٦ قدماً ، وعليه ثلاثة أبراج يزيد ارتفاعها عن ارتفاع الحائط بنحو عشرة أقدام ، والبوابة مرتفعة وواسعة بحيث تسمح لراكب الجمل أن يدخلها وهو راكب جمل

والقسم الشمالى الشرقى منها دارس ، وفى الجزء الباقى تمتد الشوارع من الشمال إلى الجنوب ، والبيوت ذات الطبقتين تأيلة ، وبها مسجد واحد .  
ومجموع سكان البلدين يبلغ نحو ٤٠٠٠ نسمة

الغاط :

سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها كثير من البساتين الكبيرة ، وهى على مسافة سير يوم جنوباً من زلفى ، ونحو يوم إلى شمال الجمعة

جَلَّاجِل :

تقع على بعد ١٨ ميلاً إلى جنوب الجمعة ، وتلوعنها نحو مائتى قدم ، وهى مدينة مسورة ، وبها قلعة ، وبها بعض البيوت ذات الطبقتين ، وبها بساتين كثيرة جداً فانت بساتين التوتيم التى تبعد عنها نحو خمسة أميال إلى الجنوب الشرقى ، ويبلغ سكانها نحو ٣٠٠٠ نفس

القَصِيم :

وتقع الوشم فى جنوبها الشرق ومنحدرات عَتَبَةِ فى الجنوب الغربى ، ويحفها جبل شمر من الغرب والشمال والصحراء الشمالية ، وتبلغ أبعادها نحو تسعين ميلاً من الشمال إلى الجنوب ، وستين ميلاً من الشرق إلى الغرب

ويطلق على القسم الواقع فى الشمال الشرقى القصيم العليا ، وتسرب المياه إلى آبارها من المرتفعات المحيطة بها ، وبخاصة من جبل شمر ، والقصيم ملاءم بالقرى الآهلة بالسكان ومزارعها كثيرة جداً حتى أنها تشبه حديقة تحيط بها صحراء ، وتجد فى هذه الواحة المزروعات على اختلاف أصنافها ، ويقدر عدد القيميين فيها بصفة دائمة بمائة ألف نسمة

وتقع القصيم فى طريق القوافل من مكة إلى بلاد ما بين النهرين ، وسوقها التجارية نافقة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالاً بالعالم الخارجى ، وأهلها من أذكى أهل نجد ، وأرقهم طباعاً ، وأكرمهم خلقاً ، وأسخاهم يداً ، وأكثرهم أسفاراً

للخارج ، وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل  
القصيم ، وبها بعض المدارس التي تعنى بالعلوم الدينية ، وبها بعض العلماء المتبحرين في  
فنون الفقه والعربية .

ويبلغ عدد قرى القصيم نحو ٥٠ قرية ، والمدينتان الرئيسيتان للقصيم هما بريدة وعنبر ،  
وأغلب القرى تعتمد على بريدة ولذا تسمى بأُم القصيم .

### بريدة :

تقع في الطرف الشمالي من القصيم العليا على الجانب الأيسر من وادي الرمة ، وهي  
من أكبر المدن النجدية وأحسنها نظاماً ونظافة ، وطريقها أوسع من الرياض ومن طرق  
أكثر البلدان النجدية ولسكنها ملتوية ، ومبانيها من اللبن ، وهي كائر البلدان العربية  
محاطة بسور يحمي البيوت والأسواق يبلغ ارتفاعه ١٥ قدماً ، وباتينها خارج السور  
تنتد أكثر من ثلاثة أميال في اتجاه وادي الرمة إلى قرية الخبزا ، والمياه فيها متوفرة  
وغزيرة ولسكنها ليست خالصة المذوبة ، وعمق الآبار يتفاوت من ٢٠ — ٤٠ قدماً ،  
وتطغو الرمال من وقت لآخر على البساتين .

ويقع سوقها في الجهة الجنوبية من البلدة ، وبه نحو ٣٥٠ حانوتاً وهو مقسم إلى أقسام  
حسب نوع البضاعة ، وبها أيضاً سوق للجمال والتم وبها ستة مساجد .  
وبالشمال الشرق القلعة الرئيسية للبلدة ، يبلغ ارتفاع الجدار ٤٠ قدماً ، بنيت بناء  
هندياً جليلاً قبل ٦٠٠ سنة ، ويسونها القصر أيضاً ، يسكن بها الأمير ( العامل )  
ويسكن بها أيضاً الملك عبد العزيز وقت إقامته في بريدة ويرقي في بريدة وما يليها الإبل  
والتم ، وهي تكون جزءاً من ثروة البلاد ، ويصدرون للخارج الزائد عن الاستهلاك  
الحلي ، وكذلك تعنى فيها بتربية الخيول وتصدر إلى الشرق والشمال .

ويبلغ عدد سكانها ٣٠ ألفاً أكثرهم من بني تميم ، وهم ليسوا كأهل عنيزة في  
الكرم ولين الجانب .

وتقع المدينة على مرتفع رملي ، وهي محمية جداً ، وأرضها خصبة ، وباتينها كثيرة  
وتروى بسهولة .

### عنيزة :

تقع إلى يمين وادى الرمة على بعد ميلين منه ، وتبعد عن بريدة نحو ١٢ ميلاً في مكان خصيب يحفه النخود من الشمال ، ويحيط بالقسم الأهل من السكان من البلدة حائط داخلي ، وبه بساتين عامرة تمتد إلى الشمال نحو ميابين . وبيوت عنيزة أنظف وأحسن من بيوت بريدة .

وتد اشهر أهل عنيزة بالبن الجانب وبشاشة الوجه وحسن انفاهم الأجانب وهم مشهورون بالشجاعة والاستعداد التجارى بفطرتهم .

يبلغ عدد سكانها ٢٠ ألفاً — اشهرت عنيزة ببعض الصناعات المدنية وتجارتها واسعة ، وبها عدد غير قليل من الأجانب ( غير نجدى ) .  
وقد كانت عنيزة تنافس بريدة في الأولوية والأهمية ، ولكن بريدة سبقت عنيزة الآن .

### ومن أشهر مدن القصيم : الرس :

تقع في القسم الجنوبي من القصيم على بعد ٥٠ ميلاً من بريدة في الجنوب الغربي منها ، وعلى بعد ٤٠ ميلاً من عنيزة ، وفي جنوب غربى عنيزة على الحافة اليمنى لوادى الرمة ، تحيط بها البساتين من جميع جهاتها ما عدا الجهة الشرقية ، ولها مزارع واسعة في بطن وادى الرمة وفي جهات أخرى .

ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد قاومت لإبراهيم باشا سنة ١٨١٧ م مقاومة شديدة ، وبقيت مدة طويلة تحت الحصار قبل التسليم .

### الْحَبْرَا :

تقع على الحافة اليسرى من وادى الرمة على بعد نحو تسعة أميال شمالاً من الرس ، وهى بلدة مسورة نحو ٣٥٠٠ نفس ، وبها سوق يقعد كل يوم جمعة ، وبها ميدان كبير يجتمع به الناس في وسط المدينة ، ويبلغ عمق آبارها حوالى ٥٠ قدماً .

## العيون :

في القصيم العليا على بعد ٢٨ ميلاً من شمالى غربى بريدة وهى واقعة في منخفض. وتعتمد نحو نصف ميل من الشمال إلى الجنوب

يبلغ سكانها نحو ٥٠٠٠ نفس ، وهى مكونة من قريتين متجاورتين ، تجارتها واسعة بها كثير من مزارع النخيل ، تروى من آبار يبلغ عمقها ٣٠ قدماً

## قصبة .

تقع في الشمال الشرق من القصيم العليا في مكان منخفض ، وبها مياه غزيرة ولسكنها تميل إلى اللوحة ، وبها أيضاً عين حارة ، وبها كثير من البساتين الواسعة المساحة ، وثمرها من أجود الأنواع في نجد . يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ نفس يسكنون في أربع محلات متجاورة

## جبل شمر :

يطلق اسم جبل شمر على السهل الواسع المتد بين جبلى أجا وسلمى ، والذي تسكنه قبائل شمر المشتغلة بالزراعة — ففي شهاب هذه الجبال توجد منابع عديدة للمياه ، والأرض خصبة صالحة للزراعة ، وفيها أشجار النخيل بكثرة حيث تنمو هناك نمواً عظيماً .

وفي السهل الكبير المنبسط بين هاتين السلسلتين توجد منابع المياه بوفرة تحت طبقة الرمال والصخور ، فتجعل الأرض صالحة لأنواع شتى من المزروعات ، ولسكنها في موسم الحر تحتاج إلى رعيها باستمرار .

وإمارة جبل شمر هي نجد يملأ عن سطح البحر ٢٢٠٠ قدم ، وبه رؤوس مرتفعات عالية أيضاً ، والتجد متحدر من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ، والمياه تنحدر في أغلب الأوقات إلى وادى الرمة . وأهم الظواهر في بلاد الإمارة هي سلسلة الجبلين المخاضيين لبعضهما : جبل أجا وسلمى ، وهما واقعان في شمالى الإمارة وتمتدان حتى طرف القاطمة أى أن اتجاههما من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ، وهما مكونان من حجر الجرانيت ولارتفاعهما شاق ؛ فإن جبل أجا يملأ عن سطح التجد نفسه بنحو ألف قدم . ويبلغ

ارتفاعه الأعلى في أحد المواقع إلى ٥٥٠٠ قدم ، وتبلغ مساحة السلسلة حوالي ١٠٠ ميل طولاً وعشرين ميلاً عرضاً

أما جبل سلمى فإنه لا يقل ارتفاعاً عن جبل أجا ، ولكن مساحته أقل ، والنقطة الجبلية تنحدر غرباً إلى حدود النفود الجنوبية

ويوجد في جبل أجا كثير من الحيوانات الوحشية والطيور ، والهواء في الإمارة معتدل وصحى ، وتنزل أمطار غزيرة على أعالي الجبال ، وبذا توجد المراعى الخصبة الكثيرة .

وتنزل أوائل المطر في شهر نوفمبر ، ودرجة الحرارة في فصل الشتاء منخفضة

## السكان

م خليط من الحضر والبدو يبالغون نحو ٤٢ ألفاً . ويبلغ عدد الحضر منهم نحو اثنين وعشرين ألفاً ، والبدو نحو عشرين ألف نفس ، والسكان كأهل القصيم يميلون إلى التأنيق ويغلب على طباعهم لين الجانب وإكرام الأجانب

## المحصولات والتجارة

لا ينتج الجبل من المحاصيل الزراعية ما يكفي لقوت سكانه بالرغم من أن أكثر سكانه يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية

وتصدر الولاية عدداً كبيراً من الخيول الجيدة والجمال والنم التي تنتج نوعاً جيداً من الصوف

ويزرع في الجبل الذخيل وبعض أصناف أخرى من الفواكه

## البلاد المشهورة

هى — كما سبق — الجزء الواقع بين جبلى أجا وسلمى ، وفيه تقع العاصمة « حايلى » وعلى قرب منها إلى الجنوب الغربى تقع « قفار » ، وهى قرية قديمة مشهورة واقعة على المنحدر الجنوبي لجبل أجا ، وبالتقرب من جبل سلمى تقع مجموعة قرى منها : « نيد » العاصمة القديمة ، وفي شمال جبل أجا — بينها وبين النفود — توجد بعض واحات متفرقة

واسكنها غير مهمة . وتوجد أجزاء كثيرة في المنطقة الجبلية ولكنها لا تسكن إلا وقت موسم الزراعة ، ولا توجد منطقة مأهولة باستمرار في الجبال إلا منطقة واحدة في جبل أجا تسمى « غُتَّة » ، وهو واد به جملة قرى ؛ ومزارع النخيل فيها كثيرة .

### حاييل :

تقع إلى الشمال الغربي من الوادي بين جبل أجا وسلي عند طرفه الشمالي ؛ والقسم الرئيسي من حاييل يحيط به حائط من الطين ارتفاعه ١٥ — ٢٠ قدماً ، عليه أبراج ذات شكل مستدير ؛ وقد بناه الأمير عبد العزيز الرشيد ، ويبلغ طول محيطه نحو ٣ أو ٤ أميال ، ولكن جزءاً كبيراً من الأراضي التي تقع داخل السور مزروعة قمحاً ومفروسة تيناً ، بينما يوجد جزء آخر ليس مزروعاً ولا مقاماً عليه أى بناء ؛ ولهذا السور خمسة أبواب . وعلى بعد نصف ميل إلى شرق حاييل وسيلين أو ثلاثة من الجنوب تحت جبل أجا توجد بعض بساتين النخيل والقصب مسورة . وعدا النخيل يزرع الرمان والليمون الخلو والنارنج والبرتقال والبرتوق والتفاح .

والمياه اللازمة للبساتين أو للاستعمال تمتدح من آبار عمقها حوالي ٩٠ قدماً بواسطة الجبال . وفي شمال المدينة حيث توجد مزارع النخيل تمل مياه الآبار إلى اللوحة قليلاً ؛ وليس للمدينة مصدر آخر غير الآبار للحصول على المياه . وقد حلت الماكينات الرافعة للماء محل الحيوان في كثير من الأماكن .

ويبلغ عدد السكان نحو ٥٠٠٠ نفس . ويجلب الأرز وباقي الجنوب إما من الهند أو من العراق .

### قيد :

تقع على بعد ٤٥ ميلاً من شرق جنوب شرقي حاييل على طريق جريدة ، وهي واقعة على متحدر جبل سلى الجنوبي الشرقي ، وتبعد مزار النخيل إلى مليون أو ثلاثة ، وتزرع المحبوب بكثرة ، وسكانها نحو ١٥٠٠ نفس خليط من بني قشم وشمر .

## قَفَّار :

وهي ثاني مدينة في الأهمية في جبل شمر ، وهي مساوية لحايل في عدد السكان ، وواقعة في البطن إلى الجنوب الغربي من العاصمة تحت منحدرات جبل أجا . والواحة كبيرة ، وشجر النخيل فيها كثير جداً حتى إنه يفوق نخيل حايل نفسها ، وهي مأهولة ببني نمير ، وهي واقعة على طريق تيماء .

## عُقْدَة :

مجموعة قرى منتشرة في مزارع النخيل في وادي واقع إلى الجنوب الغربي من حايل ٤ . يبلغ سكانها ١٨٠٠ نفس .

مُوتَق : بها نحو ١٢٠ بيتاً	مُسْتَجْدَة : بها نحو ١٢٠ بيتاً
سَيِّان : بها نحو ٧٠ بيتاً	الغزالة : بها نحو ٦٠ بيتاً
الجَفْنَة : بها نحو ٥٠ بيتاً	الروضة : بها نحو ٦٠ بيتاً

## تِيَاء :

بلدة صغيرة في وسط ( واحة ) باسمها واقعة إلى الجنوب الغربي من النفود على بعد ٩٥ ميلاً من شمالى التلّاء ، وهي واقعة في منخفض من السهل المرتفع الذى يبلغ ارتفاعه ٣٤٠٠ قدم . والواحة مسورة بمخاط من الطين ، وبها أبراج للدفاع مبنية من اللبن . وبالواحة أشهر عين ماء في بلاد العرب ، إذ يبلغ اتساع فوهتها أكثر من خمسين قدماً ، وصرّب عليها سوانى من جميع الجوانب ، ومياهها غزيرة . وقد أهدى جلالة الملك سعود بتركيب آلة كبيرة لرفع المياه توسيعاً للمناطق القابلة للزراعة وتشجيعاً للمزارعين .

وأرض تيماء خصبة وصالحة للزراعة وللزراعة النخيل ، ويزرع فيها القمح والشعير والأذرة والفواكه على اختلاف أصنافها ، وتيماء جيد ويتبر من أجود أصناف التمر .



عدد سكانها نحو ٢٥٠٠ نسمة ، وأغلبهم من ولد سليمان ، وبها بعض الموالى وبعض التجار من جبل شمر ، وبعضهم يحضرون لتصريف تجارتهم التى يجلبونها من بغداد وساحل الخليج ، والأهالى يبيعون محاصيلهم للبدو الرحل ، والهواء فى تيماء جيد جداً وصحى .

### الجوف<sup>(١)</sup> :

هى المدينة الرئيسية وسط منطقة زراعية كبيرة واقعة إلى شمال النفود على رأس وادى السرخان ، والواحة واقعة فى منخفض يقع نحو ٥٠٠ قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها وتوجد واحات صغيرة أخرى تابعة لواحة الجوف ، واقعة إلى الشمال الشرق منها فهى : سكاكة ، وقادة ، والطاير ، وجاوة ، وسكاكة هى الأكبر ، وسزارع النخيل فيها تكثر جداً حتى أنها تفوق تلك التى فى الجوف نفسها

ويبلغ طول واحة الجوف نحو ٣ أميال فى نصف ميل عرضاً ، وهى تمتد من الشمال الشرقى إلى الجنوب الشرقى ، وكلها حدائق وبساتين ، وبينها نحو ١٢ قرية وبها نحو ٤٠٠ منزل ، وليس بالقرية شوارع ولا أسواق

ومن مظاهر القرى هنا أن بعض بيوتها يقام إلى جانبه برج يبلغ ارتفاعه حوالى ٤٠ - ٥٠ قدماً و ١٢ قدماً عرض حائطه ، وله مدخل صغير وبه منادى صغيرة ، وفى بعض البيوت يكون البرج جزءاً من البيت نفسه

وموقع الجوف الجغرافى مهم جداً ، لأنه يقع على الطريق المباشر ما بين سوريا ووسط بلاد العرب ، وهى منفصلة إذ تقع فى المنتصف ما بين الفرات وطريق الحجاز الحديدى ، وبين جبل شمر وجبل المدروز ، وعلى بعد نحو ٣٠٠ ميل من كل من هذه المواقع وهى الواحة الوحيدة الواقعة ما بين العقبة وبغداد

(١) الجوف : هوسمى قديماً دومة الجندل

## الاحساء

كانت هذه المنطقة تسمى قديماً البحرين وهجر ، وكانت تطلق على المنطقة الممتدة من البصرة إلى عُمان . أما اليوم فتطلق الاحساء على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من خليج فارس ، من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعُمان وحمراء الجانفورة ، حيث يحدها من الغرب الصُّحَّان

### الوصف الطبيعي

القسم الأكبر من الإحساء سهل محراوي ، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، حيث تشابه البلاد مع تهامة . ويوجد كثير من التلال غير المتصلة بعضها ببعض تستخدم كحدود للمناطق ، وترتفع الأرض في القسم الداخلي إلى غربي المنطقة عن باقي السهل

ويوجد خط من التلال على طول وادي المياه وجبل الطفت ، ممتدة إلى الجنوب ، ويمتد مرتفع الصُّحَّان الصخري موازياً لساحل الخليج الفارسي ، متوسطاً بين الاحساء وبين الدُّهْنا حيث يفصل هذا القسم عن نجد

وأهم أودية إقليم الاحساء هو وادي فُرُوق في الجنوب الغربي ، وهو قسم من وادي المياه

والمنطقة الساحلية سبخة على العموم ، ويوجد بها عدد عظيم من الآبار مأزها قريب من سطح البحر ، والمراعي وافر أيضاً ، والأشجار الصحراوية من المنطقة آهلة بالبدو ، وأغنى بقاع المنطقة واحاً الاحساء ، والتخفيف في الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعميون وأنهار صغيرة تشبه البحيرات

## جو الاحساء

يشبه جو المناطق المنخفضة ، والقسم الشرقى من الاحساء يشبه جو تهامة ، وتزداد الحرارة فى بعض المناطق كإقليم منها فى بعض المناطق الأخرى ، وتتراوح درجة الحرارة فى منطقة الاحساء ما بين ٤٠° إلى ١١٠° ف وتبدأ الحرارة فى الارتفاع من إبريل حتى تصل نهايتها فى شهرى يواير وأغسطس ، وتهدأ ابتداء من سبتمبر وموسم البرد ما بين نوفمبر ومارس

والقسم الأكبر من هذه المنطقة غير مزروع ، والقسم المخصب المأهول بالسكان المشغول بالزراعة يبلغ امتداده نحو ١٢ ميلاً إلى شرق الهفوف والمبرز ؛ غير أن هنالك مناطق أخرى مزروعة فى الشمال غير متصلة بعضها ببعض بحاملة بالعيون

ومنطقة الاحساء مشهورة بعيانها الكثيرة فى المناطق المزروعة وعيونها الصديدة الدافئة والحارة ، وجميع المنطقة تكاد تنقص بالعيون ، والأرض لا تكاد تشكو الظأ من كثرة المياه ، والطرق تمتد على شواطئ العيون ، والأشجار والحضرة أينما سار الإنسان . وقد ساعدت كثرة المياه على زراعة الأرز وغيره من الحبوب .

أما المحصول الرئيسى فى الاحساء فهو التمر : وهو أنواع كثيرة أفضلها النوع المعروف بالخلّاص ، ويزرع بها أيضاً الخنطة والشعير .

وأشهر فواكه الاحساء : الأترنج ، والليمون ، والخلوح ، والمشمش ، والرمان ، والنصب ، والتين . وفى الاحساء كثير من الغنم العربية ، وأفضل الحير والبقر ، وفيها الإبل والنعيم بكثرة . وفى الاحساء يطمعون البقر أنواع من الأسماك الصغيرة ، كما يعلقون بعض الحيوانات التمر القديم . وأشهر بلدان الاحساء هى :

الهفوف :

وهى قاعدة المنطقة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من المنطقة المزروعة ، وتنقسم البلدة إلى ثلاثة أقسام : الكوت فى الشمال الشرقى ، والزقفة فى الشرق ، النعائل فى الجنوب والغرب .

والكُوت<sup>(١)</sup> هو مقر الإمارة ، محوط بسور عظيم يبلغ ارتفاعه ٢٤ قدماً ، مشيد عليه أبراج عديدة بناها إبراهيم باشا لحماية البلدة . وقد كان الكُوت مقراً للحامية التركية حتى سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٣ م . ويبلغ عدد بيوت الكُوت نحو ١٥٠٠ بيت وبيوت الرنفة نحو ٢٣٠٠ بيت ، وهي أعلى منطقة وأصحها ويسكن بها أهل الثراء والنبل من أهل الاحساء . أما النماثل التي فيها نحو ٢٠٠٠ بيت ، فتحتوي على القسم الأكبر من الطبقات الفقيرة ، وتضم أكبر مسجد للشيعة ، وفي الجهة الشرقية من الكُوت السوق وحوائث التجارة ، ويفصل الكُوت عن النماثل من جهة الجنوب غابة من النخيل .

ويحيط بباقي البلدة سور آخر يبلغ ارتفاعه ١٢ قدماً . وتبنى بيوت الاحساء في الغالب من الحجارة والجص ولكل بيت بئر ، وحائطه المرتفع لحايته ، وطرق الاحساء ضيقة . ويوجد خارج البلدة من جهة الشمال سوق الخبيس وهو مكان يجلب إليه أهل البلد والبدو حاصلاتهم ومصنوعاتهم حيث تعرض فيه يوم الخميس .

يبلغ سكان المَقُوف ٣٠٠٠٠ نفس ، وهم ما عدا التجذذين القيمين في الاحساء مزيج من العرب ومن أجناس أخرى فارسية تركية وكردية ، ويبلغ أهل السنة ثلاثة أرباع السكان والشيعة نحو الربع

## ٢ — المَبْرَز :

يقع المبرز على بعد ميلين من شمال المَقُوف ، مزروعة كلها من التراب ، ومحاطة بسور متهدم ، له بابان من جهتي الشمال والجنوب . وتوجد خارج السور لجهة التراب قلعة صاهود وتشتمل المبرز على خمسة أقسام : أكبرها العيون في الوسط ، وفي الجنوب الغربي السوق والحوائث التجارية ، ومباني المبرز كبناني المَقُوف من الحجارة في الغالب ويبلغ عددها ١٨٠٠ بيت ، يسكنها نحو ٩٥٠٠ نفس . والعمل الرئيسي لأهل المبرز هو الزراعة . وهناك سوق يقصده البدو المجاورون كل يوم جمعة لقضاء حوائجهم الضرورية

واشتهرت المَقُوف والمبرز بمركزها العلمي والأدبي لمدة طويلة فكانتا مقصداً لطلاب

(١) الكُوت : القلعة ( كلمة برتغالية ) كثر استعمالها بعد دخوله البرتغاليين خليج فارس واستيلائهم على بعض الأماكن

العلم من سائر أنحاء الخليج الفارسي ، واملأها مركز ممتاز في جميع بلدان الخليج الفارسي  
يقابلون بالإجلال والترحيب ، ويكرمون بأحسن أنواع الإكرام أينما حلوا  
ومن العائلات التي اشتهرت بانعلم في تلك المنطقة عائلة آل مبارك ، ولا يزال أفرادها  
يحافظون على تقاليد العائلة من دراسة العلوم الدينية والأدبية

## السكان

يبلغ سكان منطقة الاحساء نحو ٣٥٠ ألفاً ما بين حضر وبادية ، ويبلغ البدو نحو  
ثلاثة الأرباع ، والمميز الرئيسي بين السكان هو المذهب ، فالسكان ينتمون إلى المذهب  
الشيخي ، وإلى مذهب أهل السنة والجماعة حيث يكونون الأكثرية الساحقة في القطيف  
وتاروت وحيث يبلغون النصف في الاحساء

ولقد اختار بعض القبائل العربية الإقامة في بعض الأماكن بصفة مستديمة ؛ فعند  
من قبائل بني خالد يبلغ نحو ستة آلاف يقيمون في جزائر المُسَلِّية وحيّة وتاروت وفي قصر  
القَصْبِيح والكيلانية والحيّة في الاحساء ، وفي أم الساهك في القطيف ، وفي وادي المياه  
يقع نحو ١٤٠٠ نفس من قبائل شقي ؛ وأهم العشائر الصاربية في منطقة الاحساء .

### البحّان :

و يقم منهم في منطقة الاحساء نحو ٤٥٠٠٠ و يقيمون في جنوب المنطقة .

٨٠٠٠ آل مرّة

١٢٠٠٠ بني خالد

٦٠٠٠ بني هاجر

الموازيم : الرّشيدة : وهؤلاء يقيمون في شمال المنطقة .

أما قبائل الدواسر : السهول ، مطير ، سُبَيْح ، عَتِيبة ، خُطّان ، فإنهم ليسوا من قبائل  
الاحساء بل يأتون إليها لأغراضهم الخاصة .

## نبذة تاريخية

كان يسكن هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي خلق كثير ، من عبد القيس و بكر بن وائل و قيس<sup>(١)</sup> ، وكانت إذ ذاك تحت حكم الفرس ، فوجه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم العلاء بن عبد الله الحضري حليف بنى عبد شمس ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية فأسلم أهلها العرب وبعض الجوس ، وصالحه الياقون على الجزية وأول من عمر الاحساء وجعلها قصبة حجر أبو طاهر القرمطي<sup>(٢)</sup> وبقيت الاحساء تتنازعها الأبدى الحاكمة ، وتبث بها أيدي البدو إلى أن فتحها آل سعود في دولتهم الأولى فساد الأمن وانقطع القصاد ، وبقيت في حكمهم إلى أن انتزعها منهم المصريون بعد دخولهم الدرعية سنة ١٢٣٣ ، ثم استردها منهم الإمام فيصل ، وبقيت في حكمه زمن ولايته وصدر ولاية ولده عبد الله ، ثم استولى عليها مدحت باشا في سنة ١٨٧١ م وألحقها بولاية البصرة . وفي ٥ مايو سنة ١٩١٣ انقض عليها الملك عبد العزيز واستولى عليها وطرد الحامية التركية منها ؛ وباستيلانه عليها ساد الأمن وانقطعت غارات البدو على القوافل والسكان

### ٣ - القطيف :

تقع واحة القطيف في الجهة الشمالية الشرقية من الاحساء ، ويحدها شمالاً وغرباً صحراء بياض ، وجنوباً برّ ظهران ، ويبلغ طول هذه الواحة ١٨ ميلاً ، ومتوسط عرضها ٣ أميال ، وتقع مدينة القطيف في الوسط ، ويرتفع سطحها بضع أقدام فقط عن سطح البحر القسم الأعظم من المساحة رملى مشبع بمياه العيون العديدة في المنطقة . أما القسم المزروع فينتهى بسة أميال جنوبى مدينة القطيف ، غير أن هنالك مناطق أخرى مزروعة غير متصلة ببعضها ، سيأتى الكلام عنها

وهواء القطيف كثير الرطوبة غير صحى وينتشر فيها حمى الملاريا ، ولذا فإن الماشتر التى تقصدها في الصيف تفر منها أول الخريف ؛ لأنه فصل الحيات حسب تجاربهم يبلغ سكان القطيف نحو ٣٠٠٠٠ نسبة ، وكلهم من الشيعة تقريباً ، وهنالك بعض

العرب من بني خالد يسكنون أم التاهك ، وقليل من العرب الخلط — يطلق عليهم حوالة — يسكنون في مدينة القطيف

والزراعة وبالأخص زراعة النخيل هي العمل الرئيسي للسكان . واتسم الأعظم منه يصدر إلى عمان والبحرين والهند وفارس ؛ وأشهر بلدان القطيف :

#### ١ — مدينة القطيف :

وهي (Giparro) القديمة التي كانت مخزناً كبيراً مشهوراً بالأفوية والمطريات الواردة من تاروت (Taroot) <sup>(١)</sup> ؛ تقع مدينة القطيف على خليج يشمل أيضاً جزيرة تاروت ، وتمتد المدينة على الساحل مسافة عشرة أميال ، منها ميلان شرق المدينة خاليان ، وبهما أطلال قلعة قديمة ، وفي الشمال يوجد ثلاث قنوات متصلة بالبحر ، منها يمر بوصول إلى المدينة ، والبحر غير عميق ؛ ولذا فالدفن الكبيرة تلتقي مراسيها بعيداً عن الساحل

ومن أقسام المدينة القلعة : وهو القسم الحصن من البلدة ، ويبلغ سكان المدينة وضواحيها ١٢ ألف نفس ، كلهم من الشيعة تقريباً ، وليس بها من أهل السنة إلا الأمير وحرسه وموظفو الحكومة وبعض التجار التجديين والاحاثيين

وقد مر الرحالة ابن بطوطة بالقطيف <sup>(٢)</sup> سنة ٦٣٢ هـ فوصفها بأنها مدينة كبيرة حسنة ذات نخيل كثير يسكنها طوائف من العرب وهم رافضة غلاة

#### ٢ — سيهات :

على الساحل في الجنوب الشرق من عنك ، وهي كثيرها من المدن العربية مسورة . بسور ضخم يضم نحو ٧٠٠ بيت ، وبها كثير من السيون الجزيرة ، وسكانها يعيشون على الزراعة

#### ٣ — المقير :

أما في الجنوب الغربي من مدينة القطيف ، تبعد عنها أربعة وستين ميلاً وليس

(١) مدينة صغيرة شرق القطيف

(٢) ضبطها ابن بطوطة بالتصير . أما القاموس ووافوت فبخطها غير تصير كما يلفظها أهلها الآن.

بالمقير بيوت ولا سكان ، وكل ما فيها من المباني هو الجرك ، وبناء آخر ( خان ) اسكنى وكلاء التجار ، ويصغير المقير ميناء الاحياء ونجد الجنوبية ، وأهم الواردات التي ترد إليه من طريق البحرين : الأرز والسكر والبن والمنسوجات بأنواعها

القبائل المجاورة للمقير هي النجبان ، آل مرة ، بنو هاجر . وقد اشتهرت المقير في السنوات الأخيرة بالاجتماعات السياسية التي كانت بين الملك عبد العزيز والسير برسي كوكس المندوب البريطاني

#### ٤ — جبيل :

ميناء في شمال القطيف سكنه قبائل بؤيئين أصهار بنى خالد سنة ١٩١٠ على أثر مهاجرتهم من قطر ، ولم يكن لهذا الميناء شأن يذكر حتى سنة ١٩٢١ م فإن الحرب الاقتصادية التي أعلنتها نجد على الكويت جعلت هذه الميناء تنمو نمواً سريعاً ، وكثرت مبانيها ، وأضعفت شأن الكويت من الوجهة التجارية ، ويبلغ سكانها ٢٠٠٠ نفس

وبقرب جبيل جزيرة السمية على خليج بهذا الاسم ، على بعد خمسة أميال من رأس البديع ، بها نحو ٤٥٠ بيتاً ، وسكانها من المهاجر ( فرع من بني خالد ) وهم يعيشون على استخراج اللؤلؤ والتجارة به

#### جزيرة جنة :

جنوب السمية ، وسكانها كسكان سابقتها من بني خالد ، يعيشون على استخراج اللؤلؤ والتجارة به

#### جزيرة بوعلى :

في الجنوب الغربي من رأس البديع ، وهي غير مأهولة بالسكان ، تمتد ١٢ ميلاً من الشرق إلى الغرب ، محاطة بمقاصات اللؤلؤ ، ويطلق على الساحل الغربي من الكويت إلى ظهران اسم عدان ، كما يطلق اسم قطر على الساحل الممتد من المقير إلى اخوار بنى ياس ، كما يطلق أحياناً على القطيف اسم الخط



أشهر قرى مستعمرة القطيف عنك على الساحل تبعد أربعة أميال عن جنوب شرق مدينة القطيف ، ونجياتها مملوك لبنى خالد

العوامية :

قرية محاطة بسور يضم نحو ٣٥٠ بيتاً في الشمال الغربي من مدينة القطيف ، وفيها كثير من الميون الفزيرة للمياه

الجش :

جنوب مدينة القطيف ، وتبعد عنها أربعة أميال ، كما تبعد عن الساحل ثلاثة أميال محاطة بسور يضم نحو ٣٠٠ بيت ، وبها ثلاثة عيون تروى المنطقة

صفوة :

في الشمال الغربي من مدينة القطيف تبعد عنها ثمانية أميال ، محاطة بسور يضم نحو ٤٥٠ بيتاً ، وبها عين كبيرة تسمى داروش يتفرع منها سبعة أنهر .

الدمام :

على الساحل الجنوبي الشرقي ، تبعد تسعة أميال عن مدينة القطيف ، وقد خربت في القرن التاسع عشر ، ولكن عاد إليها العمران مرة أخرى بهجرة الدواسر من البحرين سنة ١٣٤٠ ١٩٢١ م

حاكم منطقة الاحساء العام : هو الأمير عبد الله بن جلوي ابن عم الملك عبد العزيز ، وأحد حبه المختارين الذين رافقوه في مخاطراته المديدة ، ولا سيما في انتزاع الرياض من آل رشيد ، وهو مشهور بالشدة والقوة على الجربين وأشرار البدو . وبعد وفاته عين جلالة الملك ولده الثاني سعود بن عبد الله حاكماً على الإمارة ، وأند كان لإقليم الاحساء يضرب به المثل في اختلال الأمن وفساد الإدارة في أيام الحكم التركي ، فأصبح بعد حكم آل سعود كائن البلدان النجدية يسوده العدل والأمان

ولقد طرأ على هذه المنطقة تطور عظيم بعد اكتشاف الزيت بها فشيدت المدن وثقت الطرق وتشأ عمران عظيم لم تهده المنطقة من قبل كما ربطت النقطة بالرياض بواسطة الخط الحديدي كما سيأتي شرح ذلك في قصة الزيت .

# الكويت

اشتهر اسم الكويت قبل الحرب العظمى بسنوات ؛ بسبب النزاع السياسى بين بريطانيا والمانيا على السكة الحديدية التى كان الألمان يريدون أن تنتهى إلى الكويت ، والبريطانيون يحاولون إحباط المشروع أو وقفه عند حدود ولاية البصرة ؛ صيانة لنفوذهم فى خليج فارس ، ودفاعاً عن إحدى طرق الهند . وإن مركز الكويت التجارى الحرى ، وقربها من مجرى الدجلة والفرات ، وانصلاها الوثيق بنجد جعل لها مركزاً ممتازاً ذا أهمية خاصة

## حدود الإمارة

تكون إمارة الكويت<sup>(١)</sup> نصف دائرة على الساحل الغربى من رأس الخليج الفارسى ، وتقع جنوبى مملكة العراق ، وشمالى مقاطعة الاحساء التابعة للدولة العربية السعودية ، تمتد حدودها الشمالية من أم قصر إلى سفوان مارة قرب جبل سنام إلى الباطن . أما الحدود الغربية فتتبع الباطن إلى قرب الحفر ، حيث تتصل بالحدود العراقية والنجدية ؛ ومن هنا لك تتجه إلى الجنوب الغربى حيث تتصل أيضاً بالحدود النجدية . يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ١٨٠ ميلاً ، ومن الشرق لغرب نحو ٢٥ ميلاً

## الوصف الطبيعى

تربة القسم الشمالى من خليج الكويت خصبة ، وتربة القسم الجنوبى بعضها رملى وبعضها طينى ؛ وهى على العموم مقفرة خالية من الزراعة ، يوجد بها بعض التلال مثل تلال واره فى جنوب مدينة الكويت ، وتبعد عنها نحو ٣٥ ميلاً ؛ وتلال مناقيش فى غرب مدينة الكويت ، تبعد عنها نحو ٢٥ ميلاً

(١) فى بروتوكول العير ١٩٢١ عيّنت حدود الكويت ونجد والمنطقة المجاورة بينهما .

وليس بمنطقة الكويت ماء جار ، ولكن بها آبار مبعثرة في الصحراء يبلغ عمقها ٣٠ قدماً ، ولكنها ضاربة إلى الملوحة ؛ وربما كانت منطقة البحيرة هي أغزر المناطق مياهها . وأهم أشجار الكويت النخيل ، وهناك أشجار متنوعة تستعمل للوقود ولرعى الإبل ، أما الأعشاب فتجود إذا جاد المطر . وأما الحيوانات فقليلة في الكويت ، ويوجد منها الذئب والثعلب والغزال والأرنب .

## الجو

جو الكويت على العموم معتدل ، يميل إلى البرودة إذا هبت الرياح الشمالية الغربية ؛ أما الصيف فيخفف وطأته نسيم البحر وبرودة الصحراء المجاورة السريمة ليلاً ، وأعظم درجة للحرارة هي ١١٤ ° ف ، وأقل درجة هي ٣٥ ° ، وتشتد الحرارة من مايو إلى نوفمبر ، والبرودة من ديسمبر إلى فبراير .

أما المطر فقليل في الكويت ، وقد يجود بعض السنين فتخضر الأرض ، وينثم البدو ، ويخرج الأهالي للبر استجماماً للراحة واستمتاعاً بالخضرة .

## السكان

يبلغ سكان الكويت الآن نحو ١٨٠ ألفاً ، يسكنون — عدا عمال النفط — مدينة الكويت ، ومنطقة الكويت التي تبلغ مساحتها نحو عشرين ألف ميل مربع قاحلة ، يسكنها عدد قليل من السكان فيما وراء المدينة .

أما عشائر الكويت فقد كانوا قبل سنة ١٩٢١ يبلغون نحو ١٥ ألفاً ، وقد التحق أكثرهم بنجد بعد بناء الحاجر وذويوع التاليم الدينيه . وتنحى العشائر إلى قبائل المتوازن والرشيدة ، وقليل من المشلبة ، وبنو هاجر ، والبيضان ، وبنو خالد ، ومطير ؛ وقد كان التجديون من حضير وبدو يقصدون الكويت لبيع الفم والسن والصوف وسائر الحاصلات النجدية ، وشراء جميع حاجاتهم منها ، ولكن انقلب دمج بين البلدين منذ سنة ١٩٣٩ هـ ( ١٩٢٢ م ) لأسباب اقتصادية جعلت ملك البلاد العربية السعودية يأمر رعاياه بمقاطعة الكويت ، ولكن أعيدت العلاقات الاقتصادية والروابط الودية القديمة بين البلدين سنة ١٩٤٠ هـ وهي الآن تحتل مكاناً مرموقاً بعد اكتشاف الزيت في أراضيها ، وقد تضاعف عدد سكانها بسبب كثرة الوافدين عليها حتى بلغ ١٨٠ ألفاً أو يزيد

## الصناعة والتجارة

البلاد الكويتية غير زراعية ما عدا البحيرة التي سيأتي وصفها فيما بعد ، وأهم ما يشغل به السكان هو صيد الأسماك ، وأجود الأسماك ما يسمى بالزبيدي ، وهو يصطاد بالشبك الطويل ، وكثير من الأسماك أيضاً تصطاد بواسطة ما يسمى بالحظور ، وهو عبارة عن حواجز من القصب تنصب على الساحل ، تدخلها الأسماك في وقت المد فإذا جاء الجزر استطاع الصيادون إمساكها بسهولة — وطريقة الحظور منتشرة على طول الساحل البحري

وقد كان للكويت شأن يذكر في القومص على اللؤلؤ حتى سنة ١٩٣٣ ، فقد بلغ عدد العمال ١٠٠٠٠ في سنى الرخاء ، كما بلغ عدد السفن التي تستعمل في القومص نحو ٨٠٠ ، ولكن عدد السفن والعمال نقص كثيراً في عشر السنوات الأخيرة ، بسبب التقاطع التجاري بين الكويت ونجد من جهة ، والكساد الذي حل بتجارة اللؤلؤ ، ولا أعلن عدد العمال الآن يبلغ ثلاثة آلاف .

وصناعة بناء السفن الشراعية من الصناعات التي اشتهرت بها الكويت ، وقد ناقشنا البحرين في السنوات الأخيرة ، والغلب والحبال اللازمة لبناء السفن تجلب كلها من الهند ولا سيما من إقليم مايبار . وأكثر السلع التجارية تنقل بالبوخار ، غير أن السفن الشراعية لا تزال تقوم بقسط كبير من النقل بين الكويت والبصرة ، وبينها وبين السواحل العربية الأخرى .

وأهم هذه السفن البهلة (wolaifub) والبوم والشوعي . وتحمل البهلة عادة نحو ٣٥٠٠ طرد بضاعة من القمح ، أو من أكياس الأرز . وتحمل البوم عادة نحو ٥٠٠ — ٦٠٠ طرد أيضاً ؛ وسفن الكويت الآن من هذا النوع . وقد بلغت قيمة تجارة الكويت قبل الحرب العظمى ٥٧٠٥٥٨ جنيهًا ، منه مبالغ ٣٧٠٨١٧ جنيهًا لوارد والباقي للصادر ، وللهند منه النصيب الأكبر والباقي موزع على جهات مختلفة .

وأهم الواردات : المنسوجات القطنية والحريرية ، والأناويه ، والسكر والبن ، والشاي ، والحبال التي تستخدم في السفن ، والزيت ، والدخان ، والشعير ، والماء ويجلب إليها بالسفن الشراعية من شط العرب ، الفجر ، والأخشاب .

أما الصادرات فهي : اللؤلؤ ، والسمن من البادية ، والخيول ؛ وقد قلت الأنواع الأخيرة في السنوات الأخيرة : الجلود ، والصوف ، والتمر

وقد أسست الإدارة الجركية في عهد الشيخ مبارك الصباح ، فكانت مورداً للحكومة لم يكن موجوداً من قبل ؛ وقد زاد هذا المورد زيادة عظيمة أثناء الحرب المالية ، غير أنه نقص في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب المقاطعة التجارية التي وضعها ملك نجد على جاريته الكويت وقد عادت الحالة الاقتصادية إلى ما كانت عليه بعد زوال الجفاء بين البلدين وبعد العثور على البترول في صحاريها

وقد أسس في الكويت أثناء الحرب المالية الأولى ، إدارة للبريد والتلغراف ، فارتبطت الكويت بالعالم الخارجي ، وأصبحت تجارتها تتبع الحركة التجارية المالية صعوداً وهبوطاً

### مقاطعات الكويت

ليست للمقاطعات التي سنذكرها فيما يلي أما كن مكونة كما يتبادر إلى ذهن القارئ\* بل هي صحارى مكونة بالذئاب أحياناً ، وبالفرلان أحياناً أخرى ؛ ونولاً أن الإفرنج هنوا بكتابة أسمائها على الخرائط المصورة ما اهتمنا بها . وأكثر هذه المقاطعات مراعٍ طيبة إذا جاء المطر ، وأشهر هذه المقاطعات في الشمال : هي الباطين — في الزاوية الشمالية ، وهي قسم من الوادي العظيم المسمى بهذا الاسم ، وهي ملقاة الحدود العراقية والنجديّة ؛ والشق ، والشقيق ، والباح ، وقرعة ، والمرو ، والزجلة . وهذه كلها مقاطعات قراء

والزور في الجهة الشمالية من خليج الكويت ؛ وهي عبارة عن نلال تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي قرب البحيرة

وكبد ، قرعة ، قارة ، السدان ، الهريم ، الدبديّة ، أما كن قراء أيضاً ، ينزلها البدو إذا جاء المطر

ولا نريد أن نطيل الكلام بذكر باقي المقاطعات أو الآبار التي يردّها البدو ، والتي تمتد من الكويت ، لأن ذلك يسوقنا إلى التطويل ونخرجنا عن الغرض الأصلي من الكتاب

## جزر الكويت

### ١ - بُيَّان :

في الزاوية الشمالية الغربية ، وهي جزيرة خالية من السكان ، وقد كانت مزارع  
بين شيخ الكويت والترك في سنة ١٩٠٣ ؛ ويسكنها في الصيف أفراد من القوازم لصيد  
الأسماك بالخطور

### ٢ - فيلكه :

وتنطق كانها شيئاً شأن أهل الكويت في النطق بالكاف . في الجهة الشرقية من  
خليج الكويت ، وتبعد عن مدينة الكويت نحو ١٥ ميلاً ، والمكون من الجزيرة هو  
الساحل الغربي ، وباقي الجزيرة يكاد يكون خالياً من السكان  
وسكان الجزيرة بعضهم عرب خلص ، وأكثرهم يغلب عليهم المنصر الفارسي ، وهم  
يشتغلون بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، ويؤدع بالجزيرة الحنطة والشعير ، والخضر ،  
والماء كثير بالجزيرة ، قريب من سطح الأرض

### ٣ - كُبر :

جزيرة غير آهلة بالسكان ، تبعد عن الساحل نحو ٢٠ ميلاً  
وبقرب الكويت بندر الشويخ وهو أفضل مرسى للسفن في الكويت ، وهناك  
جزر أخرى غير مكونة تابعة للكويت لا أهمية لها

## بلدان الكويت

### ١ - مدينة الكويت :

هي عاصمة الإمارة ، على الساحل الجنوبي من خليج الكويت في الجنوب الشرق  
من البصرة ، وتبعد عنها نحو ٨٠ ميلاً ، وفي الشمال الغربي من البحرين ، وتبعد عنها  
نحو ٢٨٠ ميلاً ؛ تعد على الساحل نحو ثلاثة أميال ، مع عرض يختلف ما بين ١ ميل ،  
وميل ونصف

وأرض الكويت غير مزروعة ، فلا ترى فيها ما تراه في الاحساء من البساتين والخضرة لقلة المياه ، وبسبب نمو السكان في الخمسين سنة الأخيرة تركت مياه الآبار التي كان يعتمد عليها السكان وأخذ الناس ينقلون حاجتهم من الماء من شط العرب ، والشيخ الكويت أبار خاصة يستقى منها أحياناً .

ومباني مدينة الكويت كالمباني العربية ، من الطين أو اللبن أو من الصخور البحرية . وأحسن المباني قصر الشيخ ، وهو مبني من الآجر ، ومقام على ساحل في وسط البلد تقريباً . وسوق الكويت في منتصف البلد تقريباً ، وليس فيه ما يستلفت النظر من فن البناء أو جمال العمارة ، وبالكويت مستشفى أسسه محسنو الأمريكان ، ومؤسسة للتبشير . وقد أدى المستشفى للبلد وللبدو الضاربين حول الكويت خدمات عظيمة ، أما التبشير فإنه قد فشل فشلاً عظيماً لا في الكويت وحدها ، بل في سائر الشرق الأدنى . وبها أيضاً متوصف انجليزي يؤدي مهمته الخيرية على أتم وجه ، وبها مدرستان نظاميتان ، وبضع مدارس صغيرة تشبه الكتائب في طريقة التعليم .

وبالكويت نحو خمسين مسجداً ، وأهمها ثلاثة مساجد ، وهي تميل إلى البساطة في بنائها وأثاثها ، وليس لمساجدها منائر كمنائر القاهرة ، أو بغداد ، وأكثر السكان يسكنون في المدينة ، وهم ينتمون إلى القبائل العربية الشهيرة ، وبجانب هؤلاء يوجد ٨٠٠٠ من أصل فارسي ، وعدد قليل من الموالى . وطرق الكويت ضيقة كثيرة المتعرج ، وأهم الطرق هو الطريق الذي يمتد من قصر الشيخ على ساحل البحر ؛ مخترقا السوق إلى خارج البلدة ، وقد أسست للبلدة بلدية من خمس عشرة سنة لتنظيفها وتنظيمها وإتارتها ، وقد أدت خدمات جارية للبلدة في هذه المدة القصيرة .

وفي الشهر سنوات الأخيرة اختطت الكويت تخطيطاً جديداً كاذ يطأ على المدينة القديمة وربما غدت الكويت في طليعة البلاد العربية تقدماً بما حيأها الله من البترول الغزير

## ٢ - البجيرة

قرية كبيرة على طراز البلدان العربية ، قريبة من خليج الكويت ، وتبعد عن مدينة الكويت بثمانية عشر ميلاً بالطريق الترابي ، وهي أهم قرية زراعية بالأراضي الكويتية ،

وهي محطة للقوافل القاصدة البصرة ونجد من طريق الحفر ، وموقعها مرتفع يطل على البحر ، فترى جميع السفن التي تنخر خليج الكويت .

يبلغ عدد سكانها نحو ٦٠٠ نسمة يشتغلون جلياً بالزراعة ، غير أن المدد يزيد عادة في الصيف بما ينزل حولها من البدو .

وقد كانت الجهرة<sup>(١)</sup> قبل الإسلام مأهولة بالسكان ، خاصة بهم ، ولا تزال أطلال البلاد القديمة موجودة تحت الأقاض ، وكثيراً ما يعثر على النقود القديمة ، وبعض الآثار عند حفر الآبار . وهذه التلال القائمة على أنقاض البلاد القديمة تمتد إلى مسافة فرسخين من الشمال الجنوب ، وفرسخ ونصف من الشرق الغرب .

وإلى الشمال الشرق من الجهرة على بعد أربعة عشر فرسخاً في اتجاه البحر توجد الضبيّة ، وكانت قديماً أهلة بالسكان<sup>(٢)</sup> كما تدل عليه خرائبها ، ويشق اسمها كما يقال من الصابئة ، ويقال إنها إحدى مدنيهم التي بنيت بعد خراب بابل ، ويقال أيضاً إنها استمرت أهلة بالسكان والحضارة إلى زمن الخلفاء الأمويين ، حيث تدهورت منزلاتها وهجرها سكانها ، ويؤكد السكان أن بعض سكانها لا يزالون يعيشون في خورستان ، ويقع العرب في هذه المنطقة زمن الصيف لهوائها العليل .

## خلاصة تاريخية

ليس للكويت تاريخ قديم معروف ، وبرجح أن تاريخه لا يتجاوز الثمانمائة سنة . أما حكامها الحاليون آل صباح ، فناريخهم في سكنى الكويت لا يتجاوز سنة ١٧١٦ م ، وهي السنة التي تحالف فيها الشيخ سليمان بن أحمد رئيس آل صباح ، وخليفة بن محمد رئيس آل خليفة ، وجابر المتني رئيس الجلاهمة ، فاستخلصوا الكويت من الفرس وسكنوها ، وسيأتي في الفصل الخاص بالبحرين ذكر انضمام آل خليفة عن الحلف ، واستقلالهم بالزبارة وحكم البحرين .

أما المكان الذي وفد منه هؤلاء الخلفاء ، فيظن أنه كان قريباً من شط العرب في أم

(١) انظر تقرير حكومة الهند سنة ١٨٥٤ ، ولم انصباب النسخة الحظية بدار الكتب البريطانية

(٢) لم التهاب .



قصر ، حيث كانوا يعملون هنالك للقرصنة ونهب السفن البحرية ، فقد كان هذا العمل هو السائد في ذلك الوقت في خليج فارس ، وهو يشبه غزو القبائل بعضهم لبعض في البر .

وفي الخمسين سنة الأولى من تأسيسها تمت البلدة نمواً سريعاً في السكان وفي الثروة وفي الأهمية . وعسكن آل صباح وحلفاؤهم ومؤازروهم من القبائل المجاورة في تثبيت مركزهم وتقويته ضد بني خالد الذين كانت لهم السيادة على جميع الشاطئ\* الشمالى الشرقى .

وقد زاد في تقدم الكويت وعمرانها استيلاء الفرس على البصرة سنة ١٧٧٦ فقد كان ذلك مدعاة لهجرة الكثيرين من السكان إلى الكويت ، والزبارة وفي أثناء الاحتلال الفارسي تحوالت تجارة البصرة الهندية مع بغداد وحلب وأزمير والآستانة إلى الكويت وما جاءت سنة ١٧٨٠ م حتى أخذت الكويت تشارك باقي موانئ الخليج الفارسي في التجارة ؛ وقد ساعد على ذلك احتلال عرب بني عتبة البحرين سنة ١٧٨٣ ، فصارت البضائع ترد إلى الكويت من سقط الهند والبحرين والقطيف .

وبعد استرداد الأتراك للبصرة انسحب عمال ( القابريكة البريطانية ) فيها مؤقتاً إلى الكويت سنة ١٧٩٣ م لقيام بعض المشاكل مع الموظفين الأتراك .

وفي هذا الوقت حاول السوديون غزو الكويت والاستيلاء عليها ، ففشلوا في كل محاولاتهم .

وفي سنة ١٨٥١ زار السائح Stocquerel الكويت ، وهو يقول بأنه الأوربي الوحيد الذى زار هذه البقاع منذ أميد بعيد . ويقول إن المدينة في زمنه كانت تمتد على الشاطئ\* نحو ميل ، وتعمى نمواً أربعة آلاف من السكان ، وهو يظن أن البناء ربما كانت استعملت أو اتخذت قاعدة للبرتغاليين ، بالنسبة إلى مركز الميناء المائل على مصب نهر العرب . والذى يمكن اتخاذها قاعدة لما كسبت التجارة التركية وتجارة قبس مع الهند . ويقول إن المدينة في زمنه كانت تحكم بواسطة شيخ ، وليس لديه أية قوة مسلحة ؛ وكان يحصل ضريبة قدرها اثنان في المائة على جميع الواردات .

عند ما وصل المصريون إلى شواطئ\* الخليج الفارسي في محاربتهم للسوديين ١٨٣٨

— ٣٩ وضعوا مندوباً لهم في الكويت ، وكانت وظيفته سياسية . وكان شيخ الكويت في ذلك الوقت هو الشيخ جابر ، الذي كان على صلات طيبة مع الحكومة البريطانية إلى أن توفي سنة ١٢٧٦ هـ ، وقد خلفه ابنه الشيخ صباح ، وفي أثناء حكمه قام الكولونيل « بلي ( pany ) » سنة ١٨٦٥ برحلاته الشهيرة من الكويت ليقابل حاكم نجد في الرياض ؛ وهو أول من لاحظ مستقبل الكويت التجاري . ويقول إن الكويتيين يستبشرون أحسن وأقدر بحارة بلاد الخليج الفارسي ، وهم محل ثقة في أخلاقهم ومعاملاتهم . ومنذ خمسين سنة لم تكن ميناؤهم ومدينتهم شيئاً مذكوراً ؛ والآن أصبحت أهم موانئ الخليج الشمالي ، ورئيسها له سمعة طيبة في الداخل والخارج ، وإليه يرجع الفضل في حسن الإدارة الداخلية ، والسياسة الحكيمة . فالضرائب الخفيفة على الواردات ، والجو الصحي ، والسكان المتأخون ، وحسن الميناء ، وطرق المواصلات وقربها ؛ كل هذه العوامل حوالت كثيراً من المتاجر إلى الكويت ، مما كان يرد « بوشهر والبصرة »<sup>(١)</sup> . وبالنظر إلى موقعها وحالتها السياسية كانت هذه الميناء هي المخرج البحري الوحيد للجبل شمر .

وتقبل أن تمضي عدة سنوات أخذت شركة الملاحة البريطانية British India Steam Navigation Com تجعل ميناء الكويت إحدى موانئ الخليج التي تخرج عليها بواخرها ، فهذه الحركة أثارت غيرة السلطات التركية ، ووجدت مخاوفهم من أن يكون تقدم ميناء الكويت سبباً في إنقاص أهمية البصرة ، وعليه فقد عدلت الشركة عن جعل الكويت إحدى الموانئ التي تخرج عليها بواخرها ، ولكن هذا العدول كان إلى حين ؛ فقد علمت بريطانيا أن روسيا تنوي إنشاء محطة فحم هناك ، والساعي كانت تبذل لدى الباب العالي للحصول على امتياز باسم الكويت ، كما سمحت لبناء سكة حديدية من البحر الأبيض إلى الخليج الفارسي ، وهو مشروع لو تم لجعل الروس حقوقاً في مياه الكويت الساحلية .

وانقضاء لما يسمى إليه الروس ، عقدت بريطانيا سنة ١٨٩٩ م اتفاقاً مع الشيخ مبارك على متوال الاتفاق الذي عقدته بريطانيا سنة ١٨٩١ م مع سلطان مسقط ، فهذه الخطوة

(١) خطبة الكولونيل بلي في الجمعية الجغرافية .

حركت عواهل الأتراك الذين اجتهدوا في أن يثبتوا سلطانهم في الكويت ، ولكن الشيخ مبارك قاومهم ، واستمر محافظاً على حسن علاقته مع بريطانيا

وقد تميزت سنة ١٩١٠ بوصول بعثة سكة حديد بغداد إلى الكويت للبحث عن النقطة التي تنتهي إليها السكة الحديدية ، ولولا معاهدة سنة ١٨٩٩ لكان لهذا الحادث تأثير كبير في تعرض مركز بريطانيا في الخليج الفارسي لخطر كبير

وفي سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٣ زار الكويت بعض الطرادات الروسية والفرنسية ، ولكن هذه الزيارة لم تؤثر في الحالة المحلية كما أنها لم تؤثر فيما بين بريطانيا والكويت من صلات .

وحكام الكويت الحاليون سلالة جابر بن عبد الله الملقب بجابر الكبير ، الذي جاوز المائة ، وهم أبناء صباح بن جابر بن عبد الله

واشتهر في أوائل هذا القرن من هذه العائلة الشيخ مبارك الصباح ، فقد تسم هذا الأمير حكم الكويت على جنتي شقيقه ( محمد وجراح ) ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م ، فأثار بذلك نزاعاً داخلياً استمر نحو تسع سنوات ، وقد عظم شأن الكويت في أيامه ، وزاد عدد سكانها زيادة عظيمة ؛ وفي أيامه خرج الأمير عبد العزيز بن سعود واستولى على الرياض ، وغير مجرى تاريخ الجزيرة كما سيأتي في تاريخ آل سعود

كان الشيخ مبارك طويل القامة ، أحمר البشرة ، قوى الذكاء ، صلب الإرادة ، مستبداً ، طموحاً إلى نشر سلطانه ونفوذه على البلاد المجاورة ، ولكن الظروف لم تساعد . وقد اشتهر الشيخ مبارك بالقلب وعدم الثبات على سياسة واحدة ، فقد كان يساعد آل سعود لإضعاف نفوذ الرشيد وخضد شوكتهم ، كما أنه كان يمد أحياناً إلى تقوية صلاته بالرشيد خوفاً من توسع آل سعود ، وكان لا ينف عما في أيدي الناس ؛ فقد كان يتوسل بأوهى الأسباب لفرض الضرائب على الناس وابتزاز أموالهم ، ولكنه كان بجانب ذلك غيوراً على مصالح الكويت مدافعاً عنهم أبناً حليماً ، وقد خرج في أخريات أيامه على تقاليد العرب والدين ، فكان يجاهر بالمصيبة حتى في رمضان ، مما جعل أهل الكويت يضحون منه .

لقد حاول الأتراك في سنة ١٨٩٧ أن يستولوا على الكويت ، وبنفوا الشيخ مبارك إلى الآستانة ، ولكنه أحبط هذا المشروع بما بذله من المال في البصرة وبنداد ، غير أنه في سنة ١٨٩٨ أرسل إليه الأتراك وفدًا مؤلفًا من كبار الموظفين وبعض أعيان البصرة على إحدى السفن الحربية القديمة لنقله إلى الآستانة حيث عين عضوًا في مجلس شوري الدولة ، فالتجأ إلى الإنجليز فأنقذوه من الأتراك ، وأعلنوا في تلك السنة حمايتهم على الكويت

وقد أخبرني الشيخ مبارك والسيد رجب النقيب بهذه القصة للدلالة على قصر نظر الأتراك ، وسعيهم الدائم لإضعاف العرب ، مما اضطر هؤلاء إلى الاتجاه إلى الدول الأجنبية غير أن بريطانيا اضطرت إلى إعلان الحماية إبعاداً لكل نفوذ أجنبي على الكويت ، نظراً لظهور الروس في الميدان

واجه الشيخ مبارك في أوائل حكمه كثيراً من الصعاب التي بقيها في وجهه أبناء شقيقه الشيخ محمد بن صباح وجراح ، والشيخ يوسف بن إبراهيم نصيرهما ، فأوعز الأتراك إلى عبد العزيز بن الرشيد بمناوأة مبارك ، فأخذ ينير على أطراف الكويت ، كما أخذ مبارك نفسه ينير على أطراف البقاع التابعة لأمير حائل ، وفي سنة ١٩٠٠ غزا مبارك بعض جهات تابعة لعبد العزيز آل رشيد ، وسلبهم آلافًا من الجمال ، وفي خريف هذه السنة حاول مبارك أن يقتنص قافلة كبيرة إلى العراق ، كانت مكلفة بإحضار مواد غذائية ، وملابس وذخيرة لفصل الشتاء من الحجاز ، ولكنه فشل في ذلك . وفي ذي القعدة سنة ١٣١٨ - ١٧ مارس سنة ١٩٠١ كانت معركة الصَّريف ؛ التي انعكس فيها مبارك نفسه بعد أن قتل فيها أخوه وأحد أولاده ، كما قتل فيها عدد كبير من أهل الكويت ، وقد حاول ابن الرشيد في خريف هذه السنة أن يتقدم ويستول على الكويت ، ولكن الظروف الداخلية والخارجية لم تساعد على تنفيذ خطته ، فالتورات الداخلية ، وسياسة بريطانيا في الخليج قضت على هذه المحاولات ، وقد استراح الشيخ مبارك بعد قتل عبد العزيز بن الرشيد سنة ١٩٠٥ ، وموت عدوه الألد الشيخ يوسف ابن إبراهيم سنة ١٣٢٣ في السنة نفسها ، فلم يمتد له خصوم يؤبه لهم ، وأصبح السيد المطاع في الكويت

وفي سنة ١٩٠٣ زار الكويت اللورد كيرزون في رحلته إلى خليج فارس ، وعلى أثر هذه الزيارة عينت الحكومة البريطانية وكيلًا سياسيًا للكويت ، فاحتج الأتراك على هذا التمييز الماس بسيادتهم على الكويت ، ولكن لم يكن له أي أثر .

وقد توفي الشيخ مبارك في مساء الإثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٣٤ — ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٥ ، فتولى إمارة البلاد بعده أكبر أبنائه الشيخ جابر بن مبارك الصباح ، وقد اشتهر بطيبة القلب وحسب الخير ، والرفق بالناس ، تخفف الضرائب ، وأزال كثيراً منها مما فرضه أبوه ، وحنن صلاته بابن سعود ، وكان قد أصابها شيء من التصدع أواخر أيام مبارك .

وفي انطاسة من فبراير سنة ١٩١٧ توفي الشيخ جابر بن مبارك ، فأسندت إمارة الكويت إلى أخيه الشيخ سالم بن مبارك .

كان الشيخ سالم شجاعاً مجيد الزماة وركوب الخيل ، ملماً بشيء من الفقه وبعض قواعد النحو ، وكان طبعه يميل إلى العناد والشدة ، ولم يكن موثقاً في سياسته مع ابن سعود ، ولا مع الحكومة البريطانية لظنه أنها كانت تمالي ابن سعود عليه .

وقد اشتبك في ممالك عربية مع الإخوان النجديين كانت الغلبة فيها للإخوان ، ففي تخمس هاجم البوش وخطير سنة ١٣٣٧ هـ — سنة ١٩١٩ م بمسكن ابن صباح ، واستولى على ما فيه من مال وذخيرة . سنة ١٣٣٨ هـ — سنة ١٩٢٠ م هاجموا الجزيرة وحاصروا الشيخ سالم فيها ؛ وكادوا يقبضون عليه ، وفي السنة التالية توفي الشيخ سالم بن مبارك ، فاختار الأهالي ابن أخيه الشيخ أحمد جابر ، وهو رجل في غاية الفكاهة يميل إلى الأنانية والتبصر في أعماله ، كما يميل إلى البساطة ، وقد قابل الأهالي بده حكمه بحماسة وارتياح وفي أيامه ازدهرت الكويت بما أفاض الله عليها من الزيت الغزير وقد وطدت علاقاته مع نجد ومع أمراء الخليج عامة وهو محبوب من رعاياه ومن الحكماء المجاورين .

وقد توفي سنة ١٩٥١ فتولى الإمارة ابن عمه الشيخ عبد الله السالم .

أما كانت العلاقات الاقتصادية بين نجد والكويت على أسوأ ما يكون بين البلدين

واستمرت نحو عشرين سنة . وقد أثرت هذه الناحية الاقتصادية على ما بين البلدين والعائلتين  
الحاكتين من روابط تقليدية .

وفي محرم ١٣٥٩ — فبراير ١٩٤٠ أوفدني جلالة الملك إلى الكويت لحل هذا النزاع  
الذي طال عليه الأمد . وقد حثني على بذل الجهد وجميع الماسعى للوصول إلى اتفاق يضمن  
مصالح الفريقين المتجاورين والصديقين القديمين ؛ والكويت لها في قلب الملك عبد العزيز  
ذكر مائل وأثر لا يزال وسكنها في صفره أصبحت قسما من تاريخه .

ومن جهة أخرى فإن الكويت وأهلها وأحباءها تربطني بهم صلة ود لا تنفصم ، فقد  
حانت الفرصة للقيام بواجب نحو أصدقائي ونحو ملكي المحترم .

وقد وفق الله الوصول إلى هذا الغرض ، فبعد مفاوضات يني وبين الوكيل السياسي  
بالكويت استمرت نحو أسبوعين أمضيتها في ٢٦ محرم سنة ١٣٥٩ — ٥ مارس ١٩٤٠  
ثلاثة اتفاقات هامة .

( ١ ) معاهدة صداقة وحسن جوار .

( ٢ ) معاهدة تجارية .

( ٣ ) اتفاقية لتسليم المجرمين .

ويجب أن لا يفوتني وأنا أسجل هذه الحوادث للتاريخ التنويه بخدمات وحسن  
مساعى مندوبي الحكومة البريطانية في جدة والكويت وموظفي حكومة جلالة الملك  
عبد العزيز ، فإنهم في العشرين سنة الماضية ، قد خطوا في سبيل التفاهم خطوات واسعة  
لولاها ما تمكنت من الوصول إلى النجاة المنشودة .

ولا شك أن الروح الطيبة التي كان دائما يملئها جلالة الملك عبد العزيز على مندوبيه  
كانت أكبر معين .

## إمارة البحرين

يطلق اليوم اسم إمارة البحرين على مجموعة الجزر الواقعة في وسط الخليج الفارسي منفصلة عن ساحل قطر والقطيف ، وهي الجزر التي كانت تسمى (Tylos) ، وهي جزيرة البحرين ، وجزيرة المحرق وأم نمران وسفرة ، مع عدد من جزر صغيرة صخرية لا أهمية لها .

## الجو

جو البحرين قرب السواحل وفي المناطق المزروعة حار رطب لا يكاد يحتمل ، ولقد كانت البحرين حتى سنة ١٩٤١ موبوءة كالقطيف بالحميات ، ولكن منذ السنة المذكورة قامت إدارة البلدية بتجهود كبير في ردم المستنقعات والبرك ، فتحسنت حالها تحسناً محسوساً ، وأقصى درجة الحرارة ١٠٤° في أغسطس ، وتنخفض الحرارة في ديسمبر ويناير إلى ٤٨° ، والجو من أكتوبر إلى أبريل مقبول نوعاً ، فالحرارة تتراوح من ٦٠ — ٨٠° ف في يناير وفبراير تهب الرياح الشمالية فيبرد الجو ، ويستعمل الناس النار في منازلهم للوقاية من أذاه ، وفي مايو ومنتصف يونيو يهب نسيم البحر فيخفف من شدة الحر ؛ أما من منتصف يونيو إلى آخر سبتمبر فإن الحرارة لا تكاد تنخفض عن ١٠٠° ، وعندئذ تكاد الأنفاس تنقطع ويكاد العرق لا يجف ليلاً ولا نهاراً ، ولا يطفئ الهواء إلا نسيم البحر ولكنه قليل والأمطار قليلة في البحرين ، وموسم المطر من منتصف أكتوبر إلى منتصف مايو .

والرياح التي تهب على البحرين ، هي البارح ، وهي رياح شمالية غربية ، ومثلتها أربعون يوماً تتبدى من الأسبوع الثاني من يونيو ، وتكون شديدة هوجاء في الشتاء حين تهب من الشمال ، وهذه تهب على البحرين من وقت لآخر في غير شدة ثم الرياح الجنوبية الغربية يسمونها القوس ، وهي إذا هبت في الصيف اشتد الحر ؛ ولا سيما في شهر أغسطس ، وهي تهب بغير انتظام من ديسمبر إلى أبريل .

## السكان

يبلغ سكان البحرين حسب إحصاء ١٩٥٠ : ١٠٩٦٥٠ . الثثنان من أهل السنة والثالث من الشيعة . وأكثر الشيعة من القرويين ، كما أن أغلب أهل السنة من أهل المدن : وأكثر أهل السنة من الحوالة الذين يسكنون في المنامة والحرّق والبديع والحدّة ، وهم يشتغلون بالتجارة وليس بينهم رابطة اتحاد أو نفوذ على غيرهم .

أما المتّوب ( بنى عتبة ) والسادة والدواسر فهم أكثر القبائل نفوذاً في البحرين ، فبنو عتبة لهم بالعائلة الحاكمة صلة النسب ، والسادة نفوذهم مستمد من اتصال نسبهم بالنبى الكريم ، والدواسر نفوذهم مستمد من سلوكهم الحسن في الجزيرة ، ومن ثروتهم التي اكتسبوها من التجارة . وهناك بعض قبائل أخرى تنبئ إلى بنى خالد .

وأغلب السكان الفنين يسكنون على السواحل ومعيشتهم مرتبطة بالبحر أكثر من الزراعة ، وهناك أيضاً عدد من الموالى لا يقل عن ٦٠٠٠ نفس ، وجالية صغيرة من الإيرانيين والمندود .

والحياة في البحرين تختلف عنها في جزيرة العرب ، فليس في البحرين كما في جزيرة العرب روح التعصب لدم مصاهرة غير العرب إلا في العائلة الحاكمة فقط ، وليس في البحرين كما في الجزيرة البعد عن الكاليات ، وتجد في البحرين أثر الروح الفارسية والمندية في المآكل والبناء ، وفي الملابس وبعض المادّات الأخرى .

## الصناعات والتجارة

أهم الصناعات في البحرين هو الاشتغال باستخراج الأولو من البحر ، والبحرين تلى عمان في الأهمية من حيث كثرة السفن وعدد القواصين . والقواصون وإن كان منهم عدد غير قليل يفد من الاحساء ونجد ، فإن التجار الذين يمدونهم بالمال من تجار البحرين .

لا يقل عدد المشتغلين باستخراج الأولو عن عشرين ألف نفس ، ويبلغ عدد السفن نحو ٩٠٠ سفينة صغيرة وكبيرة ، وموسم القوص يبدأ في مايو وينتهي في أكتوبر حيث يبرد ماء البحر .



وقد تداخلت حكومة البحرين في عشر السنوات الأخيرة في عمل النوص والتجارة ؛ فبعد ما كانت التجارة حرة في السنين الطويلة ، أوجبت الحكومة على التجار تنظيم دفاترهم كما حددت أرباح الشلف ، وكما حالت دون تحكم التجار في الفواصين الصغار ؛ والحالة على العموم في البحرين خير منها في بعض السواحل الأخرى . وقد جهزت حكومة البحرين سفينة أعدها بكل المعدات الطبية لمساعدة المرضى وتخفيف آلام الفقراء من سكان البحرين ، والمستشفون باستخراج اللؤلؤ قد يشتغلون في غير موسم النوص بصيد الأسماك إما بالشبك أو بالخطرة .

ويشتغل عدد كبير بالزراعة ، ولا سيما في السنوات الأخيرة حيث أكثر الأغنياء من حفر الآبار الارتوازية .

وأهم حاصلات البحرين : النمر ، الليمون ، الانرج ، التين ، البطيخ ، ويزرع بها بعض الخضراوات .

وأهم الصناعات اليدوية في البحرين : نسيج الشرع للسفن ، والعباءات وبعض أنواع أخرى من الأقمشة ، الحصر الذي يصنع من سمار الأحساء ، وبناء السفن من الأخشاب التي تستحضر من الهند خاصة لذلك ، وكثير من هذه السفن يصنع لقطر وعمان .

واقدمت التجارة في البحرين في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب بناء رصيف للسفن الشراعية ومستودعات للبضاعة . وقد أصبحت البحرين بالنظر إلى مركزها الجغرافي سوقاً هاماً لتجارة اللؤلؤ وغيره من أنواع للتاجر الأخرى . فتجار اللؤلؤ من الكويت وقطر والقطيف وسائر السواحل العربية يبيعون فيها ما يجتمع لديهم من اللؤلؤ ، حيث يصدر بعد ذلك إلى الهند وأوربا . وقد بلغت قيمة ما صدر منه في سنة الرخاء مايوونين من الجنيهات . وأما للتاجر الأخرى فتعد للبحرين من الهند وأوربا ، ومنها يصدر إلى القطيف وقطر والعمارة حيث يرسل للأحساء وجنوب نجد .

وأهم واردات البحرين : الأرز ، والنسوجات ، والسمن ، والبن والقر ، والسكر ، والشاي ، والدخان ، والأطوية ، والوقود ، والأغنام للذبح .

وأهم الصادرات : كان اللؤلؤ أهم صادرات البحرين . أما اليوم فإن البترول قد حل محله وأصبح له المكان الأول في ثروة البحرين ولا يوجد صادر آخر ذو قيمة غيره ، وتكاد الهند تستولي

على أكثر من نصف الواردات ، والبلاد الأخرى - فارس والعراق وأوربا - تستولى على النصف الآخر .

وتنقل السلع التجارية من الهند بواسطة الشركة الانجليزية الهندية وهي تكاد تحتكر تجارة الخليج وتمر أسبوعياً بالبحرين في طريقها إلى البصرة ، وفي رجوعها إلى عُمّان ، وقد أصبحت البحرين منذ سنين مركزاً من مراكز الطيران المدني ، فأصبحت الطائرات تمر بها كل أسبوع في طريقها إلى الهند أو أوربا ، وأصبح في وسع المسافرين يصل إليها في أربعة أيام من لندن ، ويوم ونصف من الهند أو مصر .

### جزيرة البحرين

أو (أوال) كما كان يسميها العرب<sup>(١)</sup> أكبر جزر الإمارة وأهمها ، كثيرة المياه ، خصبة التربة ، قابلة للنمو والتقدم ، ويمكن زيادة المناطق القابلة للزراعة فيها إذا نظّم الري ، وجببت الضرائب بالعدل ؛ وقد اتسعت المساحة الزراعية في العشرين سنة الأخيرة ، وأكثر الناس من حفر الآبار الارتوازية . وازدادت حركة شراء الأراضي سواء كان للبناء أو للزراعة ، بعد أن مجتثت شركة الزيت الأميركية في استنباط البترول من أراضيها .

يبلغ طول الجزيرة ٣٠ ميلاً ، وهي على المصوم مسطحة ومنخفضة ، ولكنها ترتفع تدريجياً إلى نجد داخل يبلغ ارتفاعه من ١٠٠ - ١١٠ أقدام .

ويزرع في الجزيرة ما عدا النخيل ، اللبون ، والمان ، والتوت ، والتين ، والبطيخ ، والأترج ، وأنواع الخضراوات .

ويقال إنه كان بالبحرين ثلثمائة قرية ، وسواء كان هذا القول صحيحاً أم مبالغاً فيه ، فإن قرى البحرين اليوم لا تتجاوز المائة ، وهي أشبه بالأكواخ . ويوجد في بعض القرى المملوكة للعائلة الحاكمة ، أو كبار التجار بيوت مبنية بالحجارة ، ومنظمة تنظيمًا حسنًا ، وهي معدة في الغالب لفصل الصيف .

وقد احتل البحرين البرتغاليون كما احتلوا القطيف ، واحتكروا جزءاً كبيراً من

(١) ياقوت . القاموس المحيط .

الفلؤل و تجارة الخليج الفارسي ، ولا يزال في الجزيرة بقايا خزانة مما شيدده البرتغاليون  
ولسكنها تداعت كلها كما تدعى بناء القلعة التي بنوها لحماية الميناء التي هجرت وانخذلت  
بدلاً منها المنامة

و يوجد على الشاطئ الشرقي من الجزيرة خرائب مدينة كبيرة يقال لها جَو (Jow)  
كانت مقراً لشيوخ البحرين ، ولكنها تركت سنة ١٨٠٠ لأن مرفأها غير أمين ، ورحل  
سكانها إلى جزيرة المحرق

## بلدان البحرين

### المنامة :

عاصمة البحرين التجارية على الساحل الشمالي الغربي من الجزيرة ، ولكون البحر  
فضلاً عند المنامة تغف البواخر على بعد أربعة أميال لتفرغ شحناتها في السفن الشراعية  
التي بدورها تنقلها للساحل ، وفي وقت الجزر لا تستطيع السفن أن تقرب من الساحل ،  
وقد أنشئ في الخمس عشرة سنة الأخيرة رصيف على ساحل البحر يمكن السفن أن ترسو  
بالقرب منه

وقد أنشئ بالمنامة بلدية سنة ١٩٢٠ م ، فقامت في الخمس عشرة سنة الماضية بخدمات  
جبل للبلد ، فشيدت طريقاً على ساحل البحر ، وغرست الأشجار على الطريق الخارجي ،  
ووسعت الطرق الضيقة المتعوية ، كما قامت بتصيب وإفرا في سبيل تنظيف البلد ، وقد  
نجمت البلدية في إنارة البادية بالكهرباء كما ربطت المنامة بالبحرين بحسب يسهل الاتصال  
بين الجزيرتين : والمنامة ما يزيد على ٥٠٠ دكان ، وكثير من البيوت التجارية الأوربية  
والهندية . والبحرين أيضاً بمنامة أمريكية ، ومستشفى أمريكي قام بخدمات تذكر في سبيل  
الإنسانية .

يبلغ سكان المنامة ٣٩٩٩٨ أكثرهم من أهل السنة ، وبها أيضاً نحو ألف من غير  
المسلمين : مشود ونصارى شرقيين ، وقليل من الأوربيين

ويستق فقراء المنامة من يترسم عين مقيل ومن مستودع آخر للماء يسمى القفول  
في غرب البلدة . أما غير الفقراء فيشربون من ماء الرافع الشرقي أو الغربي حيث ينقل

بواسطة الجمال ؛ وأما الماء المستعمل للتنظيف فكل بيت لا يخلو من بئر .  
هذا ما كان في الماضي أما الآن فأكثر البيوت والأماكن التجارية قد وصلت إليها المياه  
بواسطة الأنابيب محافظة على صحة السكان

البديع :

قرب الزاوية الشمالية الغربية من جزيرة البحرين تمتد ميلا على السواحل ، ويبلغ  
عدد سكانها نحو ٨ آلاف نفس أكثرهم من قبائل الدواسر ، ويشتهل أكثرهم بتجارة  
اللؤلؤ والعمل على استخراجها

وقد وقع خلاف بين حكومة البحرين والدواسر في أواخر سنة ١٩٢٢ م فجلا الدواسر  
من البديع إلى الدمام ، وبعد سنتين رجع قسم منهم إلى البحرين بعد استرضاء حكومتها  
لهم ، وأهم قرى البحرين :

البلد القديم :

في الجنوب الغربي من قلعة المنامة على ميل ونصف منها ، وسكانها من البجارنة<sup>(١)</sup> ،  
ويشتغلون بالزراعة وتجارة اللؤلؤ والخياطة ، وعدد سكانها نحو ٤٠٠ ، وأكثر بيوتها مبنية  
بالطين ، وفي الجهة الشمالية الغربية يوجد سوق الخبيس نسبة لليوم الذي يقام فيه السوق ،  
وعلى بعد نصف ميل من القرية في الجهة الغربية توجد عين أبو زيدان ، وبحوارها مدرسة  
متهدمة بهذا الاسم ومنارة يهتدى بها ، وبها عدد كبير من أشجار النخيل

عسكر :

قرية على الشاطئ الشرقي تبعد عن جبل الدخان أربعة أميال ونصف ، وسكانها  
من بُوعَيْنَيْن

بورى :

في الجنوب الغربي من المنامة تبعد عنها سبعة أميال وسكانها من البجارنة ، وبها عدد  
كبير من النخيل لا يقل عن ١١ ألف نخلة

(١) تطلق هذه الكلمة على سكان البحرين

### جدّ حفص :

في الجنوب الشرقى من القلعة البرتغالية الخربة ( قلعة الصّجاج ) ، تبعد عن النّامة بثلاثة أميال ونصف ، وهي من القرى الكبيرة في البحرين ، وسكانها من البحارنة المشتغلين بفرس النخيل والتجارة وإحراق الجص وتجارة اللؤلؤ ، وبها من النخيل ما يتجاوز ١٦ ألف نخلة ، وبها أيضاً بساتين جميلة يفرس فيها الأترج والتفواكه ، وتزرع الخضر بأرضها كما يزرع ( القث ) البوسم ، وقربها قرية صغيرة تسمى عين الدار .

### المعابر :

على الساحل الشرقى ، بمض بيوتها مبنى بالحجارة ، سكانها من البحارنة ويشغلون بالقوص .

### رفاع الشرقى :

قرية كبيرة في جنوب النّامة على بعد سبعة أميال منها ، وسكانها من العرب الذين يعيشون على بيع الماء المستخرج من آبارها السمي بالحنيني ، ويقم بها بعض أعضاء العائلة المالكة ، وقد كان لهم شأن يذكر قبل النظام الحالى في البحرين ، والرفاع تعتبر أصح منطقة في جزيرة البحرين .

### رفاع الغربى :

مثل الرفاع الشرقى في موقعه ويبعد عنه ١٠ ميل وهو في الغرب الشمالى منه ، وسكانها سنون أكثرهم من قبيلة بنى عتبة ، وبعض أعضاء العائلة الحاكمة كانوا يسكنونها ويحكمونها كالرفاع الشرقى ، والسكان يشغلون بنقل الماء ويبيع في النّامة ، والمنطقة غير مزرعة .

### سنابس :

على الساحل الشمالى من الجزيرة بها مسجد ، وسكانها من البحارة الذين يشغلون ببناء السفن وصيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ .

## الزَّلَاق :

على الساحل الغربى من الجزيرة أسفل البديع ، وسكانها من الدواير الذين يشتغلون بالنقوص وبها قلعة مخربة .

## جزيرة المحرق :

تقع جزيرة المحرق فى الشمال الشرقى من جزيرة البحرين حيث يفصل الجزيرتين مضيق صغير يبلغ طوله ميلا ونصف ميل فقط يعبر بالسفن الصغيرة ، وقد وصلت حكومة البحرين أخيراً الجزيرتين بهما بعض بواسطة جسر .

يبلغ محيط الجزيرة أربعة أميال ، وساحل الجزيرة رملى منخفض محاط بشعوب مرجانية مما جعل الملاحة إلى البحرين محاطة بشئ من الأخطار ، ولكن الملاحين من العرب فى غاية المهارة ، ولذا فالسفن البخارية القادمة من الهند ترسو بعيدة عن الساحل نحو أربعة أميال .

وبالمحرق عدة ينابيع على الساحل تختفى تحت ماء البحر وقت المد وتظهر وقت الجزر ، ويبلغ سكان المحرق والحد ٣٥٥٧٧ .

وجزيرة المحرق ١٦ قرية صغيرة ملحمة بمدينة المحرق أهمها :

## عمرآد :

على الساحل الجنوبى وسكانها بحارنة ، وبها قلعة متداعية قائمة على خليج عماد ، وبها نحو ١٥ ألف نخلة .

## بساتين :

على الساحل الغربى من جزيرة المحرق تبعد نحو ميل عن مدينة المحرق ، وسكانها من أهل السنة يشتغلون بالنقوص ، وبها قليل من النخيل .

### الدير :

على الجهة الشمالية الغربية من الساحل تبعد مياين عن مدينة المحرق ، وسكانها بحارة يشتغلون بالقوص وبها قليل من النخيل .

### حالة أبو ماهر :

جزيرة صغيرة جنوبي بلدة المحرق تنصل بالجزيرة وقت الجزر ، وسكانها من أهل السنة يشتغلون بالقوص ونقل الماء إلى المحرق من عين تحت البحر ، وبها قلعة صغيرة على نهاية الجزيرة للدفاع عن الماء .

### قلالي :

في الجهة الشمالية الشرقية من الساحل ، وسكانها من أهل السنة ، وأكثرهم من قبائل النّانة ، يشتغلون بالقوص وصيد الأسماك .

### مدينة المحرق :

مقر العائلة الحاكمة الأصل ، واقعة على الجهة الغربية من الجزيرة ، تبعد عن مدينة النامة ميلين .

ويستقي أكثر سكان المحرق من عين أبو ماهر الواقعة جنوبي المدينة في جزيرة صغيرة تسمى بهذا الاسم ، تبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ ياردة ، وتحيط مدينة المحرق بالماء وقت المد السالى من الجهة الشرقية والجنوبية والغربية ، فيساعد هذا ذلك على إزالة الأتقار وتنظيف الساحل .

يبلغ سكان المحرق ٢٠ ألفاً ، نصفهم من الحوالة ، وعرب المحرق ينتمون إلى بني عتبة وبني علي والزبائية ؛ والمحرق مدد لا يذكر من البحارنة ، ويشتغل أهل المحرق بتجارة القؤل واستخراجه وصيد الأسماك والملاحة وبعض الناجر الأخرى ، وفي موسم

الصيف بهجر القسم الأعظم من أهل المحرق ماكنهم وينتثرون على سواحل جزيرة البحرين .

### الحِدة :

في الجنوب الشرقى من جزيرة المحرق ، يبلغ سكانها نحو ٨٠٠٠ نسمة ، وهم من السادة وقبائل بنى ياس ، وهم يشتغلون بتجارة الأؤلؤ والنخوص ، وأخذوا أكبر مركز للنخوص .

### سترة :

جزيرة واقعة في شرق البحرين ، مفصولة عنها بقناة ضيقة ؛ يبلغ طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ونصف ، وعرضها ميل ونصف ، وبها كثير من الميون والآبار ، وسكانها في الشمال بحارنة ، ويسكنون في سبع قرى صغيرة ، وبها كثير من أشجار النخيل .

### الجزيرة :

أو كما يسمونها — النبي صالح — هي جزيرة صغيرة قريبة من الساحل الشرقى من البحرين ، تبلغ نصف ميل في كل ناحية ، وهي من الأماكن العاصرة بالنخيل ، فيها نحو ١٤ ألف نخلة ، وبها قرىتان سكانهما من البحارنة ، يشتغلون بالزراعة والنخوص وصيد الأسماك .

### أم تفسان :

جزيرة صغيرة في الجهة الغربية من البحرين تبعد عنها نحو ميلين فقط ، طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ، ونحو ميلين ونصف عرضاً ، وهي جزيرة غير مسكونة ، وبها عين ماء عذبة قرب الساحل الغربى . ويرسل سكان البديع والزلاق من قرى جزيرة البحرين حيواناتهم في الصيف للرعى فيها .

### نبذة تاريخية

لا يعرف شئ كثير عن تاريخ البحرين القديم ، وما يعرف عن تاريخها لا يتجاوز



سنة ٤٢٠ قبل الميلاد ، حيث كانت البلدة تدار بواسطة رؤسائها الوطنيين الوثنيين ، وفي سنة ٦١٥ بعد الميلاد غزا بهرام بلاد العرب وأقام بالجزيرة مندوباً من قبله يدير شؤونها ، وقد بقي بها إلى زمن الفتح الإسلامي ، وبعد الفتح الإسلامي بمدة قصيرة استقر الحكم المحليون استقلالهم ، واستمروا في حكمهم حتى زمن هشام بن عبد الملك ، حيث استقرت الجزيرة مرة أخرى ، وأقام من جانبه حاكماً قرشياً عام ٧٢٣ م ؛ وقد استمر حكم البحرين على هذا النحو حتى آخر حكم العباسيين في القرن الحادى عشر ، فعاد حكم الوطنيين مرة أخرى ، واستمر حتى القرن السادس عشر ؛ وفي القرن السادس عشر استولى عليها الفرس وعينوا من قبلهم حاكماً عليها ، ثم استولى عليها البرتغاليون كما استولوا على هرمز والقطيف سنة ١٥٠٧ ، واحتكروا جزءاً كبيراً من تجارة اللؤلؤ وتجارة الخليج الفارسي . وقد طرد الفرس البرتغاليين سنة ١٦٢٢ بعد سقوط هرمز ، كما أن الفرس بدورهم طردوا منها مرة أخرى ، وما زالت الجزيرة يتقلب عليها الحكم من الفرس تارة ومن العرب مرة أخرى ؛ حتى تمكن عرب بني عتبة من الاستيلاء عليها ، وهم الحكماء الذين تنحدر منهم العائلة الحالية .

## آل خليفة

إن تاريخ آل خليفة أسراه البحرين يشمل ضمناً آل صباح أسراه الكويت ، وإذا كان البحث في تاريخ إحدى العائلتين لا يخلو من استعراض شيء عن العائلة الأخرى للارتباط الوثيق بين العائلتين في الماضي .

قد بدأنا في الفصل الخامس بالكويت أنه في سنة ١١٢٩ هـ ( ١٧١٦ م ) تحالفت ثلاث قبائل كبرى وهم : بنو صباح ، والجلالمة ، وآل خليفة . واتخذوا الكويت موطناً لهم ، وانفصلوا فيما بينهم على أن يتولى آل صباح شؤون الحكم ، وآل خليفة التجارة ، والجلالمة الصل في البحر ، على أن يقتسم الجميع الأرباح بينهم بالتساوي . وبعد مضي خمسين سنة من الحلف سنة ١٢٦٦ رأى ابن خليفة أن يفصل عن الحلف فمرض على حلقائه مبالغ ما يصيبهم من الفنى إذا هم سمحوا له وامشيره بالانتقال إلى الجزر المجاور لمغاص اللؤلؤ

فيؤنس هناك محلة تدعى الشبيء الكثير من الأرباح فيستغنى الحلفاء ، فاستولى جلال  
الفكرة عليهم وصرحوا الرئيس آل خليفة بترك الكويت مع بعض أفراد عشيرته ، فتركها  
وزل الزبارة قرب قطر والبحرين على الشاطئ العربي .

اكتشف ابن صباح — ولكن بعد فوات الفرصة — الأسباب الحقيقية التي دفعت  
بحليفهم ابن خليفة إلى مفارقة الكويت ، وشعروا بعظم الخسارة الهائلة التي منوها بها  
بفقد عضو من أعضاء التحالف ، ففكروا في اقتفاء أثر حليفهم ابن خليفة بالتخاصم من  
قبود الحلف مع الجلاهمة ، فامتنعوا من مقاسمتهم الوارد ، ثم انتهى الأمر إلى طردهم  
من الكويت ومينائها ، فلبثوا إلى إخوانهم آل خليفة في الزبارة فأجروا لهم من الرواتب  
ما يتناسب مع مركزهم ، وبعد ذلك جرى بينهم وبين أهل الكويت من الممارك ما كان  
سبباً للقضاء عليهم وحل نفوذهم .

يسود المددود البحرين ، ويسود الصفاء بين الشيخ محمد الحاكم وأخيه الشيخ علي  
آل خليفة ، ويتماوانان على قمع الفتن وإنهاء حركة التجارة ، ويستمر هذا التعاون حتى  
سنة ١٨٦٧ ، ثم يتنافس الأخوان على الحكم فينتخب الشيخ علي أخيه ويفرد بالحكم ،  
فيترك الشيخ محمد البحرين إلى الكويت مقر آبائه الأولين ، فيسكن عبد الله بن صباح  
حاكم الكويت في الصلح بين الأخوين فلا يوفق ، فتقوم الحرب بين الأخوين فينتخب  
الشيخ محمد علي البحرين بعد قتل أخيه الشيخ علي ، فيجبهه أبناء الشيخ عبد الله بن طريف  
فيتدخل الإنجليز في الأمر ، فيطلقون سراح الشيخ محمد ويحملونه مع بعض الرؤساء  
إلى سيلان ، ويمتتون الشيخ عيسى بن علي حاكماً على البحرين سنة ١٨٧٠ ، ويستمر  
حاكماً عليها حتى سنة ١٩٢٣ ، حيث تقل يده بالنظر إلى كبر سنه ، ثم يتولى ولد الأكبر  
الشيخ محمد بن عيسى . وقد توفي الشيخ عيسى بن علي في شعبان سنة ١٣٥١ هـ ديسمبر  
سنة ١٩٣٢ م كما توفي الشيخ حمد بن عيسى ، وقد تولى الأمر من بعده ولده الأكبر  
الشيخ سلمان بن حمد وهو الحاكم الحالي .

## الحكومة البريطانية والبحرين

كانت سياسة الحكومة البريطانية في خليج فارس في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر قائمة على إيجاد عهد من السلم والأمان في تلك المنطقة ، فأعانت الحرب على القرصنة وحاربها بشدة .

وقد أرسلت الحكومة البريطانية مستر بروس Bruce<sup>(١)</sup> عام ١٨١٤ إلى البحرين لاستطلاع أحوالها ، فوصل إليها في ١٩ يوليو واستقبل فيها الشيخ عبد الله بن أحمد استقبالاً ودياً . ويقول مستر بروس : إن زيارته للبحرين كانت موفقة ومفيدة جداً ، فقد علم أن إمام<sup>(٢)</sup> مسقط عرس في أذهان العرب أشياء كثيرة ضد الإنجليز : فقد أفهمهم أن بريطانيا ستصادر سفن البحرين التي تقصد للموانئ الإنجليزية ، ولهذا السبب كانوا معتمدين مشاركة الجواسيس في القرصنة ، وقد شرح الشيخ عبد الله أسباب الخصام بينه وبين إمام مسقط ونقض هذا الأخير المعاهدة التي عقدها معهم ، وإنه هو نفسه وأفراد قبيلته مستعدون للارتباط مع مسقط لأن مصلحته لا تتعارض وهذا الاتفاق .

وقد أبان الشيخ عبد الله لمستر بروس أنه في الوقت الذي كان إمام مسقط يتظاهر بالتعاقد معهم ، كتب سرّاً إلى إمام نجد يقرّبه بالبحرين لإقامة راحة بن جابر حاكماً عليها ، وقد رفض شيخ بني ياس الانضمام للإمام في ذلك كما رفض أمراء العرب للقبول على الساحل الفارسي ، وقد رحب شيخ البحرين بالسفن الإنجليزية والتجارة البريطانية ، وصرح بأنه يستعد لدفع أي خطر عربي عن الجزيرة ، وأنه لا يشغل باله غير الإنجليز ، وأن الشيخ ينتظر أن تامل بريطانيا صفته بنفس العاملة التي يعمل بها سفنها في البحرين ، فطمأنه مستر بروس وأخبره — ولأنه ليس لديه التفويض السكافي — بأنه مستعد أن يضع معاهدة تربط مخاوف شيخ البحرين ، فوعده الشيخ بأنه سيصدر أراسره الصارمة للتشديد على صفته باحترام العلم البريطاني حتى في أشد الأوقات حرجاً .

(١) سنذكر في الجزء الثاني تفاصيل الانقلاب في البحرين وآثره في سائر البلاد العربية ، وملاحظتنا أن خليج فارس في القرن السادس والسابع عشر كان عربياً من جميع الوجوه ، غير أن مولاة الحكام كانوا معاً في تنازع وخصام دائم حتى أضغمتهم ذلك وجعلهم لغة سائلة لسكن قاع قوي .

(٢) إمام : سلطان .

ازداد نفوذ آل خليفة في الزبارة وآل صباح بالكويت ، ونمت ثروتهم ولا سيما بعد احتلال الفرس للبصرة سنة ١٧٧٥ م فقد انتقل بذلك جزء كبير من تجارة اللؤلؤ والتجارة الهندية إلى الزبارة والكويت ، وقد انتهز عرب الزبارة وحاكمهم ابن خليفة فرصة موت كريم خان واشتعال الفتن في خليج فارس ، فهاجم البحرين واستولى عليها سنة ١٧٨٢ ، ولكنه ترك الجزيرة بعد نهبا ، وبعد مارك متعمدة بين آل خليفة وأتباعهم ، وبين غيرهم من رؤساء العرب الموالين لفارس ، ثم تمكن آل خليفة بمعاونة حلفائهم آل صباح من أن يستولوا نهائياً على البحرين ويخضعوها لحكمهم ، وقد ساعدتهم ما وقع في فارس من التقلبات على الاستقرار في الجزيرة والتفرغ للتوسع التجاري ، وفي سنة ١٧٩٩ م هاجم إمام مسقط جزيرة البحرين ، وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ١٨٠١ م وأرسل إلى مسقط نحو ٥٥ عائلة من كبار المائلات ، ولم يقد عرب البحرين استنقاذهم بفارس أو تركيا ؛ لأنه كان لدى الدولتين من المشاغل ما حال دون التدخل في حوادث البحرين .

وفي نفس السنة تمكن آل خليفة بمعاونة النجديين الذين انتشرت حركتهم وامتد سلطانهم إلى الاحساء من التغلب على قوات إمام مسقط واسترداد البحرين . وفي سنة ١٨١٠ م احتل النجديون البحرين والزبارة ، وعين إمام نجد عبد الله ابن عقيصان وكيلا عليهما وعلى القطيف وقطر ، ولكن شيوخ البحرين استمروا على إدارة الأحكام ، واكتفى مندوب نجد باستلام الجزيرة وإرسالها إلى مولاه في نجد .

وفي سنة ١٨١١ م اضطر عبد الله بن سعود إلى سحب قواته من الخليج بعد غارة إبراهيم باشا ؛ فانتهم إمام مسقط هذه الفرصة ، وهاجم الزبارة وأحرقها وقبض على وكيل عبد الله بن سعود وأرسله إلى مسقط ، فاسترد آل خليفة شيئاً من سلطانهم ، ولكن نفوذ النجديين رجع بعد ذلك بقليل ، وفي سنة ١٨١٩ م حاول إمام مسقط أن يتولى على البحرين ، ويقضي قضاء ثاماً على آل خليفة . وقد أوضح في كتاب له للحكومة البريطانية أن التي دفعه إلى ذلك هو مساعدة عرب بني عتبة القرصان واعتراضهم بسيادة الوهابيين ، وقد وصل الإمام إلى الجزيرة ، وتزات الجنود في عراد ونجحت الحملة

بعض التجاع . ولكن عرب البحرين هزموه أخيراً هزيمة مفكرة فغضت على آماله في امتلاك الجزيرة ، وقد اكتشف إمام مسقط بعد ذلك أن حكومة فارس التي كانت تخوضه في ذلك الوقت على امتلاك الجزيرة إنما تصل للغدربة و يبقى رؤساء العرب .

ومن سنة ١٨١٦ — ١٨٤٢ م أخذ النفوذ النجدى في الجزيرة في الظهور تارة وفي الخفاء تارة تبعاً لقوة الدول السعودية وضعفها . وفي سنة ١٨٤٤ م ظهر الإمام فيصل أصغر شيوخ البحرين محمد بن خليفة ضد عمه وعصده بإرسال قوة برية ضد الإمام فاستولى عليها وأقام فيها .

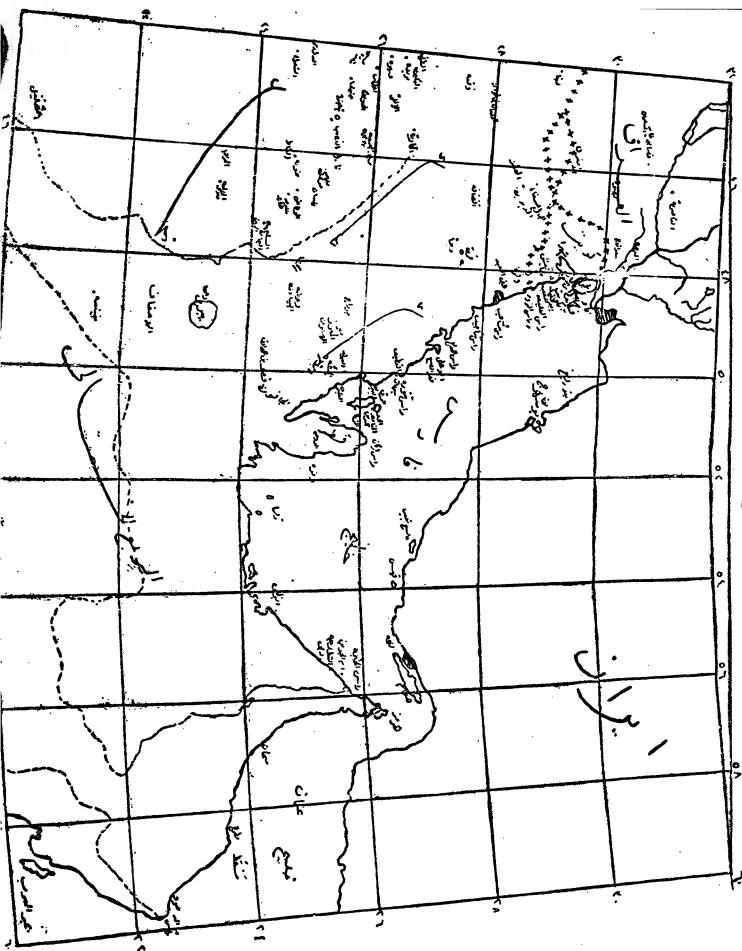
وقد وصف مستر بروس عرب بني عتبة في البحرين بأنهم من أقوى وأكفأ الملاحين العرب في الخليج ، وأنهم يملكون جانباً كبيراً من التجارة الهندية ، وهم يفضلون التجارة عن حياة القرصنة . وتعتبر هذه السنة أول سنة وضع فيها أساس التفاهم بين الحكومة البريطانية وبين رئيس بني عتبة حاكم البحرين . وفي سنة ١٨١٩ عقد معهم السير W. G. Ren معاهدة للتعاون ضد القرصنة ، لأن الجزيرة كانت أكبر مركز لتصريف منهوبات القراصنة وأخذ ما يلزمهم من الحاجيات الضرورية . وفي نفس هذه السنة عقدوا معاهدة أخرى مع إمام مسقط وتمهدوا له بدفع ضريبة سنوية قدرها تسعة آلاف ريال . وفي سنة ١٨٤٧ م عقدت معاهدة لمنع الاتجار بالرقيق ، وفي سنة ١٨٨٠ م عقدت الحكومة البريطانية مع الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين معاهدة مثل المعاهدة التي عقدتها مع سلطان مسقط قبل ذلك ، ثم مع شيخ الكويت بعد ذلك ، وهي معاهدة حماية تنص على ألا يقبل الشيخ أي وكيل سياسي غير انجليزي ، وألا يتسائد الشيخ أو يتنازل عن قطعة من أراضيه لحكومة أجنبية .

وفي سنة ١٨٩٣ أعطى للوكيل السياسي في البحرين حق الفصل في قضايا الأجانب ، ثم توسع هذا الحق حتى شمل القضايا التي فيها صالح للأجانب .

لقد طال حكم الشيخ عيسى والد الحاكم الحالي حتى جاوز الخمسين ؛ وفي عهده تقدمت البحرين تقدماً عظيماً : في التجارة ، والثروة ، واستقر فيها السلم بعد أن كانت لا تعرف السلام ، وقد اشتهر الشيخ عيسى بالكرم والتقوى ، ولسكنه كان محافظاً على القديم

لا يحب التغيير ويكره كل جديد ، ولذا فقد كان يتصادم دائماً مع الوكيل السيامي عندما يراد القيام بأي عمل عمراني ؛ وأخيراً أنفقت الحكومة البريطانية مع أبنائه على أن يحتم الشيخ حياته السياسية ويستكف في بيته ويتوب عنه ابنه الأكبر الشيخ محمد ، فاحتج الشيخ على هذا العمل الذي لا يتفق مع روح الصداقة ، وغضب على ولده نحو خمس سنوات ، ثم رضى عنه بعد ذلك . وقد ترك عزل الشيخ عيسى من إمارة البحرين أسوأ الأثر في نفوس أمراء البحرين وأهلها ، وقد أعقب هذا الانقلاب تغييراً في الإدارة فوضع بجانب الشيخ مستشار إنجليزي لمساعدته في الأمور الهامة ، وأقيم على الجمارك أيضاً مدير بريطاني ، ووضع للبحرين أيضاً موازنة لموازنة الدخل والمخرج ؛ وقد تأسس في آخر عهد الشيخ عيسى فرع ( لمصرف ) الإيسقرن ، وقد نشطت حركة التعليم في العشرينات الأخيرة نشاطاً يذكر فأسست إدارة للتعليم قامت بإنشاء مدرستين : واحدة في النامة وأخرى في المحرق ، كما أنشئت مدارس البنات ، وأسست إدارة خاصة للصحة والهوايس ، وأصلحت الأسواق ، وشقت الطرق في أنحاء الجزيرة فسهلت المواصلات بين أطرافها .

خليج فارس



## العوائد والأضداد

ذكرنا شيئاً من العوائد والأخلاق فيما كتبناه في فصل السكان ، وسنذكر في هذا الفصل بعض الصفات الأخرى المشتركة بين البدو والحضر ، أو التي يتميز بها البدو عن الحضر ، أو الحضر عن البدو ، مما لم يذكر في الفصل السابق .

### الألقاب

الفرق الأكبر من سكان جزيرة العرب ولا سيما البدو أو القبائل الرحل لا يعرفون الألقاب الشائعة في الأقطار الأخرى ، فهم ديموقراطيون بقرتهم ، يدعون بعضهم بأسمائهم المجردة ، ويخاطبون ملوكهم وأمرأهم بأسمائهم وألقابهم العادية ، فأصغر البدو يخاطب الملك عبد العزيز بما عبد العزيز ، أو يا أبا تركي ، أو يا طويل العمر ، وإذا سأل عن ملكه فيقول الشيخ أو الإمام ؛ والملك نفسه قلماً يسمي بالألقاب ، فالألقاب تعرف فقط في الحواضر الكبرى مثل الحجاز .

### المساواة

إذا استثنينا التفاضل في الأنساب والإمارات فالناس فيما سوى ذلك يتكادون يتساوون في جميع ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات ، والناس جميعاً سواء في نظر الشريعة الإسلامية ، لا فضل لشريف ولا لسيد ولا لحاكم . إذا تعدى أحد على رجل عادي فالحاكم الشرعي كفيل بإنصافه ورد الحق إليه ، وأول الناس خضوعاً للشريعة ابن السمود نفسه . على أن هذه المساواة لا تسكاد تعرف إلا في نجد ، أما في غيرها فالعدل يوزن بميزانين ؛ الأعيان والأشراف والمنتسبون إلى العائلات الحاكمة لهم ميزان خاص ، وسائر طبقات الشعب لهم ميزان آخر ، وكلما يجسر أحد من عامة الشعب على مطالبة أو تخاصمة أحد من الأشراف أو العائلات الحاكمة ؛ لعله بأن سقته لا يصل إليه من هذا الطريق ، بل لقد يصل الأمر ببعض أعضاء العائلات الحاكمة أن يحصى بعض الجرمين ، ولا يرى الحاكم من واجبه أن يجبر ابن عمه على طرد اللاجئ .



وإنَّ من له اتصال بالغليج الفارسي والحجاز ونجد يدرك بسهولة ما نفى ، وربما كان من المفيد إيراد بعض الحوادث التي لا تزال تعلق بالذاكرة :

في سنة ١٩١٦ شكّا إلى الأمير عبد الله بن جلوي أمير الاحساء رجل من فلاحى الاحساء تعدى بعض الخدم عليه وعلى أبنائه ، فأحضر الأمير جميع خدمه كي يتعرفهم الشاكي ، فلم يجد من بينهم المعتدى ، فأدرك الأمير أن المعتدى قد يكون بعض أبنائه فأمر بإحضارهم فعرف الشاكي المعتدى ، ولكنه لما علم أنه ابن الأمير تنازل عن الشكوى واعتذر بأنه لم يكن يعرف أنه ولده ، فأثبه الأمير وقال له : لقد أخطأت ، إذا لم تكن نحن مثال المدالة فكيف نطلب من الناس احترام الشريعة ؟ لقد هلك من قبلنا من بني إسرائيل وغيرهم بسبب هذه التفرقة ، أما أنت أيها الهجوم ( يقصد ولده ) فيجب أن تلقى جزاءك . وهنا قام الأمير من مجلسه ونهال عليه بنفسه بالامسا وهو يقول : يجب أن نصلح أنفسنا قبل أن نصلح الناس .

وفي سنة ١٩٢٠ شكّا أحد أهل الرياض إلى الملك عبد العزيز أن زوجته — وقد حكم عليها القاضي بالرجوع إلى بيت الطاعة لاذت ببيت فلان من أقاربه ، فأمر الملك تولا من بلغ قريبه بالزام المرأة الرجوع إلى زوجها تنفيذاً لأمر الشرع ، وإذا أخذت هؤلاء حجة الجاهلية فإنه سيدخل البيت بنفسه لتنفيذ أمر الشرع ؛ إذا لم نخرم نحن الشرع فكيف نكلف الناس باحترامه ، يجب أن نكون قدوة للناس في كل شيء .

وفي جمادى الثانية سنة ١٣٤٣ — ١٩٢٢ كنت زائراً للرحوم خالد بن أوى في بيت الإمارة بمكة ، وكان إذ ذاك أميرها فرايت أمام الشيخ ابن داود ( وهو قاضى الخرمة وقاضى مكة في أول عهد الاستيلاء النجدي ) رجلين يتخاصمان أحدهما من الأشراف من سكان الطائف والآخر من صناع الساعات ، وكان هذا الشريف أعطى الساعى ناظوراً لإصلاحه ، ولما أصلحه ادعى أن الإصلاح لم يكن طبق الشرط ، والرجل الآخر يدعى بأنه طبق الشرط ، ويطلب تحويل المألة إلى رجل خبير .

أراد الشريف أن يجلس بجوار خالد بن أوى ، فنهزه الشيخ وأمره أن يجلس أمامه مع خصمه ، وأمرهما أمامه سواء ، وبعد أن سمع الشيخ الدعوى حكم على الشريف بما

يقدره صانع خير . فقال الصانع : وإن لم يقبل الشريف ذلك فانا مستعد أن أرد إليه الناظر كما كان ، ولا أريد أن أطالبه بشيء مطلقاً جزاء أنعاني . فقال الشيخ : وما تقول في هذا ؟ فارتبك الشريف ، فالتفت إليه الصانع وقال : الحمد لله . إن وتوفى معك جنباً لجنب أمام القاضي يداوى عندى الدنيا وما فيها ، لقد مضى وقت الظلم ، فقد كانوا يكلفوننا بعمل الأشياء ولا يعطوننا أجره ، بل لا يتنازلون أن يكلمونا ، بل كانوا يضربوننا في بعض الأحيان ، الحمد لله . فقال الشيخ القاضي : إن الناس جميعاً أمام الشرع سواء ، وإن الأشراف أول الناس بانهاج جدم سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم الذي يقول : ( يا فاطمة بنت محمد ، إني لا أملك لك من الله شيئاً ) . والله يقول : ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) ، ويقول : ( فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) . وهنا أخذ خالد الناظر من الشريف ، وقال : لانسله لك حتى تسلم الأجرة التي يقدرها الخبير ، فقبل الشريف ذلك سرعاً ، وخرج وهو يطلب السلامة ؛ لأنه كان محبوطاً بالإخوان الذين كانوا يؤمنون على أقوال الشيخ ويسمعون الشريف همّاً ما يكره من قوارص الكلم

## المكرم

المكرم من الصفات المعروفة عند العرب في الجاهلية والإسلام ، ولا يزال العرب إلى الآن يتفاخرون بها . وفي الحديث الشريف : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ) ، ولا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب من مضيف ( مكان يقابل فيه الضيوف ) قد يكون حجرة واحدة وقد يكون بيتاً من الشعر ، وقد يكون بناء مستقلاً واحترام المضيف وحمايته من السائل المسلم بها في بلاد العرب ، وحق الحماية ثلاثة أيام ، كما أن حقوق الضيافة ثلاثة أيام أيضاً . لقد كان ينزل القاتل في بيت الطالبين بالتأثر فيتجاوزون عن كل شيء ما دام في ضيافتهم ، والنساء لمن هذا الحق مثل الرجال ، وإذا أعطيت كلمة للمضيف اللائذ بالبيت قبلتها القبيلة كلها ، غير أن أكثر هذه التواعد كاد يقضى عليها الآن بعدما استتب الأمر للحاكم عبد العزيز ، فسلطان الشرع فوق كل سلطان ، ولا حق لأى إنسان في إيواء مجرم ، وكلهم احتراماً للشرع ياعدون على القبض على المجرم وتقديمه للشرع

لقد جرت العادة عند أمراء العرب أن يفتحوا بيوتهم لكل ضيف يقصدهم ، ولكن بعد مضي ثلاثة أيام من إقامته يسأل عن حاجته

وقد يبلغ ضيوف الملك عبد العزيز نحو عشرة آلاف ، فتتلى بهم بيوت الرياض ويطحاؤها ، وربما كان عدد الضيوف المائتين لا يقل عن ٥٠٠ كل يوم

ومن العيوب في بعض النواحي العربية أن يأكل الرجل وبيته مطلق ، فإن إغلاق البيت من أمارات البخل ، كما أن من العيوب عندهم شراء اللحم من السوق بالرطل ، فالأربعة أو الخمسة يشتركون في شاة يشترونها ويقسمونها بينهم

والسيد ينادى خادمه : يا ولده أو يا وليد ، ولا سيما إذا كان لديه خدم كثيرون ، وإذا كان يريد القهوة فإنه يقول : هات قهوة ، فبأى الخدم يصيح هات قهوة ، حتى يحصل الصوت إلى عامل القهوة فيحضرها ، وهذه العادة لا تزال تستعمل في سائر البلدان العربية ؛ والملك ابن سعود يستعمل الأجراس الكهربية في قصره بدلا من النداء القديم ، ولكنه يرجع إلى العادة القديمة إذا كان في الصحراء أو في أحد الأماكن الأخرى التي ليس فيها أجراس

وإذا كان الملك في الصحراء للصيد ، ونزل للراحة وأراد بعض خدمه أو أحد أفراد حاشيته ، فليس هنالك وسيلة إلا النداء بأعلى الصوت ، وكل خادم يسمع النداء ينادى بدوره حتى يدوى الصوت في المعسكر ويسمع الشخص المطلوب ، فيقول : جاك أى جارك والخدام ينادى سيده : عمى ، وسيدته ، عمى

وإذا حضر الطعام وجلسوا جميعا حول المائدة ، نادى الخدام بأعلى صوته : سم ، أى باسم الله ابتدؤا

والقهوة تقدم لكل ضيف مهما صغر مقامه ، ولكن إذا سما مقامه فإن القهوة تحضر له جديدة ، ولا يصح الاعتذار عن قبول القهوة

وقد كانوا من عهد غير بعيد يعطون للضيوف بعد القهوة : إما مغلى الزعفران أو مغلى الليمون ، أو القرقة ، أو شيئا من الحليب محلى بالسكر ، ولكن في العشرين سنة الأخيرة انتشرت عادة الشاي في البادية والحاضرة ، ويستعملونه غالبا غير ممزوج باللبن ، والبادية

تستعمله غليظاً صرير الطعم من كثرة غليه على النار . وأهل عمان يقدمون شيئاً من الحلوى أو البسكوت يدعونه الفؤالة .

ومن حق القادم من سفر أن أصدقاءه ومعارفه يزورونه في بيته ويقولون لأقرب الناس إليه : قرت عينك ( أى مررت بحضور فلان ) فيقول : قرت عينك ببنيك ، وعند لقائهم يقبل الأصفر أنف أو جهة الأكبر أو كنفه ، وعادة الكتف في البحرين والكويت ، والأنف والجهة في نجد والبادية — أما تقبيل اليد فغير معروف إلا في الحجاز ، وقد استنكرها الإخوان والملاء التجديون عند أول دخولهم الحجاز ، ولكنهم بعد بضع سنوات تسامحوا فيها ، فأهل الحجاز الآن يقبلون يد الملك والقضاة ولا يرون في ذلك شيئاً ، وقد كان الأشراف في مكة يترفعون عن مد أيديهم للناس للتقبيل ، فيكتفي الناس بلثم طرف الثوب .

والغالب أن يدعو أصدقاء القادم صديقهم إلى دعوة عشاء أو غداء أو على القهوة بعد المغرب مع جمع من أصدقائه ، وعادة الدعوة للقهوة نجدها بكثرة عند أهل نجد أينما حلوا في الكويت أو البحرين أو الهند .

ومن عادة الأسماء زيارة العائلات الكبيرة في رمضان ، وقد كانت العادة في الكويت والبحرين حضور الشيخ أو أحد أبنائه المقدمين على رأس الأهالي عند إتمام بناء السفينة الكبيرة وإنزالها إلى البحرين . كما يجري أمثال ذلك في أوروبا وأمريكا ، وقد مانت هذه العادة من البحرين والكويت ، وأصبحت مقتصرة على الأهالي يمين بعضهم بعضاً عند إنزال السفينة إلى البحر .

ومن طرق إكرام الضيف تقديم القهوة ، والعادة في نجد أن يُصب للضيف بضع قطرات من القهوة ثم يتكرر الصب مرة أخرى حتى يهز الضيف يده مكثفياً . أما في البحرين والكويت والحجاز فيصب نصف التنجان تقريباً للضيف ، والقهوة في جميع البلاد العربية تحضر بلا سكر ، والقهوة من أمارات الكرم تحضر أمام الضيف في نجد والبادية ، وفي بعض البيوت الكويتية التي تمت بنسب إلى نجد : كما جرت العادة أن يتناول التنجان الأول صاحب البيت إن كان هو المتولى لخدمة ضيوفه ، أو الخادم المتولى

للصّب ؛ فهل هذا للتحقق من أن القهوة محضرة تحضيراً لا عيب فيه من حرق ، أو لا يزال  
بنقصها شيء من حب المال أو الزعفران ، أو أن ذلك من بقايا الموائد القديمة : عوائد  
الاغتيل ؟ إلى أرجح الاحتمال الأول ؛ فإن العرب مرونون باحترام الضيف وسراعاته  
والدفاع عنه .

والغالب في الضيافات أن يُرشد الضيوف بماء الورد والبخور من قبيل زيادة  
الإكرام ، وإذا أحضر الضيف ماء الورد وبخور المود فلا يجوز المسك بعد ذلك ، فن  
قبيل الأمثال الدارجة على ألسنتهم : ما بَعْدَ المود من قوم ؛ ويطلقون على المرش قُمُومُ  
( تركية أو فارسية ) إشارة للضيف : قم ولا نجس ؛ ولذا فإن أكثر المضيفين يؤخرون  
الورد والبخور حتى يهم الضيف بالانصراف من قبل نفسه ، وفي بعض الأحيان يقدمون  
الورد والبخور قبل الأكل ليمتلكوا للضيف حرية البقاء أو الانصراف بعد الفراغ من  
الطعام ، ومن العادات الإسلامية التي لا يزال التجديون محافظين عليها الانصراف بعد  
الأكل بقليل : « فإذا طعتم فانتشروا » .

والدعوة على شرب القهوة كالدعوة على شرب الشاي في البلاد المتعدنة ، ولا شيء  
ينال من إحساس العربي أكثر من إهانة الضيف . ولقد رأيت الملك عبد العزيز المعروف  
بسمه الصدر والحلم ينقلب إلى رجل آخر عند ما علم أن ضيوفه قد أهينوا من رجاله اللئول  
بهم إسكان الضيوف وخدمتهم وتوفير أسباب الراحة لهم ، ولطرافتها نورد بعضها :

في صيف سنة ١٣٤٤ هـ — أغسطس سنة ١٩٢٥ م كنت جالساً في حضرة السلطان  
عبد العزيز ( الملك عبد العزيز ) في مكة في قصره في الحابدة ( المعروف ببيت السَّقَاف ) ،  
وكان من عادته أن يجلس على شرفة داخل البيت ، ويشرف على الطريق بوساطة نافذة  
كبيرة يرى النادي والرائح ، فرجل بدوي حاول أن يتكلم معه فهره ، فقال الرجل :  
لعلّي لم أذنب يا محفوظ ، لعلّي لم أخطئ ، لقد بت من غير عشاء ، فنالت هذه الكلمة  
الجلية الحساسة منه ، فناداه : ما بالك أيها الرجل ! أدخلوه ، فلما حضر أمام عظمته قص قصته  
بالتفصيل : من أنه وصل إلى مكة بعد الغروب بساعتين ، ثم طالب شيئاً يأكله ولو غمراً يدفع  
به غائلة الجوع فلم يعطه أحد ؛ فنادى عظمة السلطان القيامين بأمر المضيف والمشرفين عليه ،

وما : إبراهيم بن جسيمة وابن إدريس ، ونارت ثأمرته حينما رآها ، ثم أخذ يوسهما ضرباً بنفسه حتى كاد يهلكان ، ثم أوقفهما عن الخدمة بضعة أيام ردهما بعدها إلى الخدمة بعد توسط بعض القريين .

وفي شتاء سنة ١٣٥١ ١٩٣٢ م كان جلالة في الصيد ، وكنت معه ، فإذ راعنا بعد الغروب إلا زئير جلالاته وأمره بضرب الطباخ نصار ، والشويعر المشرف على المضيف والطبخ ، فسألت عن جليلة الخبير ، فإذا بعض الضيوف يشكو من قلة الطعام ، وأنه أرز من غير سمن ولا لحم ، فسألت ماذا يضر هؤلاء لو أكثروا للضيوف الأرز واللحم ! إن الخبير كثير . فقال لي صاحبي : ليست هذه أول فعلة لنصار وزميله ، لأن العادة الجارية أن ما يبقى من الزاد قل أو أكثر بعد انتهاء الصيد سيكون من نصيبهما ، فن مصاحبتهما التفتير على الضيوف ليكون لهما النصيب الأوفر .

ولما حضرنا إلى مجلس الملك ، وكان ولي عهده الأمير سعود هو رئيس الركب أخذ جلالة الملك يسطيه درساً من أنفس الدروس في المراقبة والملاحظة ، وعدم الاعتماد على الخدم ، ثم أخذ يقص علينا درساً تاريخياً فيما أصاب أعمامه من تركهم الحبل على الغارب للخدم الذين لم يكونوا يراعون مرا كز الناس ومشايخ القبائل ، حتى انقضت الناس من حولهم . وقد اقترح إنهاء هذه العادة ورد ما بقي من الزاد إلى الخزن ، وبذلك نستأصل شائنة العلة ، ولكن العادات غالبات ليس من السهل إلغاؤها .

## الأكـل

والعادة في الأكل أن تقدم قصعة واحدة أو عدة قصعات إذا كان العدد كبيراً ، ويحيط عدد قليل أو كثير بالقصعة بدون تفاوت في منازلهم ، فالملك والشيخ والوزير والخدام يأكلون جميعاً بأيديهم من قصعة واحدة ، ولا يرى الملك غصاضة في أن يكون بجواره من هو أدنى منه ، لأن الجميع من آدم وآدم من تراب .

والعادة أن الإنسان إذا شبع يكف عن الأكل ، ولا يقوم حتى يقوم الجميع مرة واحدة ، فإذا قام واحد خطأ قام الجميع ، ويمدون بقاء البعض بعد قيام بعض الآكلين من

الشرب ، وقد أبطل الملك عبد العزيز هذه العادة ، فأتاح لمن شبع أن يقوم إذا أراد ، ولكن لا يزال للعادة أثرها في كثير من أنحاء نجد .

والنساء في العادة لا يأكلن مع الرجال بل يأكلن على حدة ، ومن الميوّب العظيمة أن تأكل المرأة مع زوجها أو الأم مع أولادها الذكور الكبار ، أما الأطفال الصغار فيأكلون مع أبيهم أو أمهم ، ولكن إذا كثرت البنات انحصان في الأكل عن أبيهن وصرن يأكلن مع أمهن فقط ، وهذه العادة ليست خاصة بنجد ، بل الكويت والبحرين وعمان وبادية الحجاز مثل نجد في ذلك ، أما المدن الحجازية فإنها لا تتمك بهذه العادة إلا في البيوت التي يمت أهلها بصلة إلى نجد .

والعادة في الأكل أن لا يجهز بكية تناسب الأكلين ، فالبيت الذي يضم ثلاثة أنفار يحضر الطعام فيه لحسة أو ستة احتياطاً للطوارئ ، فإن لم يحضر ضيف أعطى الطعام للفقراء أو ألقى للحيوانات .

وطريقة تحضير الطعام تختلف في نجد والحجاز وسواحل الخليج الفارسي ، فكل جهة تقتبس من الجهات القريبة منها طريقة تحضير الطبخ : ففي القصيم نجد أثر الطبخ السورى ولا سيما الحلويات ، في الكويت ترى طريقة الطبخ البصري ، وفي البحرين أثر الطبخ الهندى والفارسي ، وفي الرياض أثر الطبخ الكويتي ، وفي الحجاز أثر الطبخ الشرق على اختلاف أنواعه ، على أن لكل بلد أصنافاً خاصة تفضلها عن سواها .

والطعام الغالب في البادية التمر والأرز واللحم في بعض أيام من الأمسيوع ، أما في المدن فالطعام الرئيسى الأرز واللحم والسّمك والثّوبّيان في الجهات الساحية ، وفي أواسط بلاد العرب يستعمل الجريش ( البُرغل ) بجانب الأرز .

## المرأة في بلاد العرب

المرأة على العموم في بلاد العرب غير متعلمة التعليم المعروف في البلاد الأوروبية وبعض البلاد الشرقية ، ولكنهن في الغالب يتعلمن في صغرهن قراءة القرآن وشئون المنزل ، أما الكتابة فلا تعرف إلا نادراً ، وتعد من الميوب النسائية في بلاد العرب . ولقد قامت قيادة أهل الزبير وبعض البصريين حينما اعتزمت حكومة العراق ففتح مدرسة للبنات في البصرة ، فمدوا ذلك من أعظم المنكرات ، ولكن الحكومة العراقية مضت في مديتها ولم تأبه لشأن المعارضين هذا ما كان بالأمس أما اليوم فإن مدارس البنات في الكويت والبحرين فقد زاحت مدارس البنين ويذكرنا ذلك بالحلة الشديدة التي قام بها المصريون ضد قاسم بك أمين عندما نشر كتابه تحرير المرأة . والمرأة في الحاضرة تمتاز عن امرأة البادية بالحجاب الكثيف ، فالتساء يمدحهن بملازمتهن البيوت وقلة خروجهن منها إلا لضرورة قصوى كزيارة الأقارب وعيادة المرضى ، ولا يكون ذلك غالباً إلا في الليل ، ومن المفاخر عندهم أن المرأة بعد زواجها لا تخرج من بيت زوجها إلا للقبر . أما البادية فليس هنالك إلا أثر ضعيف للحجاب والبدوية تشارك الرجل في كل شيء حتى التزو ، فهي تقوم بقط واغفر من العمل ، وتحمي البدوي يصحب نساءه ويتأبطهن في الحاضرة كما يفعل الغربيون ؛ فيجهد البدوي والبدوية في أسواق الكويت والحجاز يشتركان في الشراء وفي البيع وفي المشي بدون أن يكون عنده أدنى اكتراث ، بخلاف الحضري فإنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ، والمرأة في بعض حواضر عمان تستغل بالبيع وتقابل الضيوف إذا كان زوجها غائباً ، ولسكن سائر العرب يميرون ذلك على أهل عمان . والمرأة في الحاضرة لا يكاد يكون لها رأى حتى في الزواج فأهلها يوافقون على الزوج وهي تخبره على سبيل الإخبار فقط ، وليس لها حق الاعتراض وإن اعترضت فلا يسم لها رأى .

والغالب في الزواج التبكي في الرجل والمرأة تنزوج البنت إذا بلغت ١٣ - ١٤ ، والولد في ١٥ - ١٦ . ومن أنواع الزواج الشائعة إيجاب بنت المم على الزوج بابتن عمها ، وليس لها أن تنزوج بأجنبي إلا إذا أذن ابن المم لها بذلك ، وقد يحدث النزاع بين أبناء



الم أهم أولى بالزواج . ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن برؤية الزوجة قبل الزواج ، فإن هذا الإذن لا يعرف مطلقاً في بلاد العرب ، فالزواج يتم بدون أن يرى الزوج زوجته إلا ليلة الزفاف .

أما في البادية فالأغلب أن الزوج يكون له سابقى معرفة بالزوجة ؛ لأن الحجاب في البادية رقيق وشأنه ليس كشأن الحاضرة .

والعادة في الزواج بعد قبول ولي الزوجة الزوج أن يرسل الزوج مبالغاً من النقود قد يكون مائتي ريال أو أكثر ، وبضعة ثياب غير مخيطة إلى بيت الزوجة ، ويسعى عندهم ( بالذرة ) أى المقدمة ، وهذه الذرة تعرض في بيت الزوجة ليراها أقاربها وأصدقاؤها ، ويتفاحرون بها إن كانت تستحق الاختيار ، وهذه العادة معروفة في نجد وسواحل خليج فارس وبادية الحجاز ، ثم بعد ذلك يتفق على يوم الدخول ، فيمقد العقد قبل يوم الدخول ، فإذا كان اليوم المتفق عليه أعلن الزوج ذلك ودعا أصحابه وأصدقاءه إلى بيته أو بيت أحد أصدقائه أو المسجد ، ومن هنالك يذهب الجميع — الزوج يحيط به أصدقاؤه — إلى بيت الزوجة حيث تعد هنالك حجرة فرشت بوفير الفراش وزينت أرضها بالزرايب الفاخرة ، فيدخلون بيت الزوجة في وسط صفوف من النساء يحمين الزوج ومن معه بالملاليل<sup>(١)</sup> ، ( وقد يكون بعض اللعنات ، وهذا في غير نجد ) وبعد بضعة دقائق من إقامتهم في الحجرة يطاف عليهم بماء الورد ويخمر الورد والند ، ثم ينصرفون ويبقى الزوج وحده في الحجرة ، وبعد بضعة دقائق تخضر الزوجة مخطوطة بأقاربها وتقدم إلى الزوج .

وفي ثاني يوم يقدم الزوج للزوجة هدية من الهدايا نفوداً أو غيرها ، ويمكن الزوج في بيت الزوجة سبعة أيام إن كانت بكرًا وثلاثاً إن كانت ثيباً ، ثم تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج حيث يكون قد أعد فرشه وتحضيره .

ولا يكاد يختلف الزواج في البادية عن الحاضرة إلا في المهر ، فالمهر الذي يتفاحريه في البادية هو قطعة أو قطعتان من السجاد وجل أشجع ( أبيض ) ومائة أو مائتان من الريالات ، وهذا آخر مهر في البادية .

وقد حدد جلالة الملك عبد العزيز المهر في نجد بمائة ريال حتى يسهل الزواج للناس ،

وإذا كان الزوج غنياً استطاع أن يهدي زوجته ما يشاء

أما في الجباز : ففي المدينة إذا رغب فتى في الاقتران بفتاة اتفق أهل مع أهلها ، ثم تذهب أسرة الزوج إلى منزل آل العروس ، فيقوم خطيب من قبل الأولين بخطب خطباً ثرية وشعرية يمدد فيها مفاخر الزوجة ، ويعرض فيها باسمها ، ثم يقوم خطيب من قبل المخطوبة ، فيمدد مآثر الزوج ومفاخر أسرته ، ثم يقبض المهر الذي يستحضر في صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر وقيمة الجارية التي يشتريها والد الزوج لتخدم الزوجة ، ويقدم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشغولة بالفضة والقل قد تتجاوز قيمتها مائة جنيه ، وقد يبالغون في التكلفة ( حزام اللباس ) حتى لقد يساوى ثمنها عشرين جنيهاً ، والغالب ألا يكون يوم الدخول قبل سنة من هذه الحفلة ، ويشترط بعض الزوجات في المهر شيعة مرصعة بالفضة والذهب ، وتقام وليمة في منزل الزوج يوم نقل الجهاز يدعى إليها أقارب العروسين والأصحاب ، ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجهاز ، وتزف العروس وقت السحر إلى منزل زوجها ، وحين تصل تزف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء سافرات يحملن الشموع ، ثم يدخل بها الخدع ، فإذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج إلى منزل العروس ليتفقد فيه ثم يرجع إلى زوجته ، ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد سنة ، وربما تساهلوا إلى ستة أشهر ، وتقام ولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وليتين قبلها ولية بعدها ، وقد أبطلت بعض هذه العوائد في السنوات الأخيرة كما طفت عوائد الشام ومصر على عوائد أهل البلاد وتعدد الزوجات والتسري منتشر كثيراً في بلاد العرب بين الأغنياء والأحرار ، أما الفقراء فلما تنهم لا تساعد على تعدد الزوجات ولا على تنوير الزوجة ؛ ولذا فإن الخصومات المالية لا يكاد يكون لها أثر في بيوت الفقراء ، والزوجة تقوم بتصحيحها من الخدمة المنزلية ، وإذا سألت زوجة الفقير عما تنهه في حياتها قالت : أن يبقى زوجي فقيراً كما هو حق نعيش سُداء ، لأنه إذا استغنى فأرل ما يفكر فيه هو الزواج ؛ والغالب أن ينحصر الزوج بأكثر من واحدة لكل واحدة بيتا ويساوى بينهما في جميع الحقوق ، فيبيت عند كل واحدة ليلة ، ويكسوهن في موسم واحد ، إلى غير ذلك من الواجبات المنزلية ،

والمرأة قلما تعرض على هذا الزوج وإن كانت تحقد على ذلك بطبيعة فطرتها ، ولكنها تقوم أن هذا حق من حقوق الزوج يستعمله

والطلاق كثير الانتشار في البلاد العربية بين الأمراء والأغنياء فقط . أما الفقراء فأكثرهم يحافظ على زوجة واحدة يقنع بها ويميشان معاً في ظل السعادة والمناه . وقد يطلق الرجل امرأته فتزوج من أخيه ، وقد يطلقها هذا فتزوج إلى زوجها الأول ، وأمراء العرب وشيوخ البادية على المصوم كثير الزواج سريع الطلاق

ويجب أن نذكر هنا بمزيد الإكبار والإجلال أولئك النسوة اللاتي اشتهرن بالمقل والحكمة وسداد الرأي ، وكان لهن دور عظيم في بناء الملك وسياسة الدولة ، فمن أولئك زوجة الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ، فهي التي كان لها الفضل الأول في التقارب بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الإمام محمد بن سعود ، وتحبيب الدعوة الدينية إليه ، وإليها يرجع الفضل أيضاً في تثبيت محمد بن سعود وتقوية عزيمته عند اشتداد الكروب وتآلب الخصوم والأعداء ، وتذكرنا هذه السيدة بأمثالها من نساء العصر الأول في إحياء الزنايم وإذكاء النشاط والحاسة

وإن شأن المرأة في نجد خير منه في الكويت والبحرين ، فقد بلغ الامتهان بالمرأة في هاتين البلدتين أنه إذا ورد ذكرها في الحديث قالوا : أكرمك الله أو يكرم من سمع كالو محمدتوا عن حيوان ، وقد يبلغ الجهل ببعضهم فيقول : أمى أكرمك الله ، كان أمه شيء خبيث ، على أن هذه المادة قد أخذت ثلاثي ، فالأولاد المتعلمون لا يستعملون هذه الألفاظ

والمرأة في بلاد العرب على المصوم إذا أنس أهلها خلافاً في سيرتها فلا يصالح هذا الخلل إلا التخلص من حياتها ، والحاكم لا يرى من حقه التحقيق في هذا الموضوع ، بل يفرض دائماً أن الأقارب محقون في عملهم ، أما الولد فلا يصيبه شيء من الجزاء ، غير أن الشريعة كنيهة بجزاء الخطي في الحائنين في البلاد التي يسودها سلطان الملك عبد العزيز

ويجب أن نقرر هنا أن ما يجري في البلاد العربية من معاملة النساء في الزواج والطلاق والميراث أكثره متأثر بالعوائد أكثر من تأثير الدين ، فالدين الإسلامي قد أعلّى شأن المرأة وجعلها مساوية للرجل في كثير من الحقوق في الوقت الذي حرمت فيه المرأة من كثير من حقوقها في الديانات الأخرى . ولقد نقل لنا كثير من أحكام الدين ، كما نقل كثير من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المنزلية بواسطة زوجاته . ولقد نبغ كثير من النساء في القرون الأولى والمتوسطة في البلاد الإسلامية الشرفية والبلاد الأندلسية ، ولكن لما أصاب الانحلال الخلقي والديني المسلمين سرى هذا الانحلال إلى المرأة أيضاً وإلى حقوقها المقررة في الشريعة .

## الطب في بلاد العرب

لا يزال الاعتماد في بلاد العرب وسواحل خليج فارس العربية على الطب القديم وتجارب الجربين ، ويرجع الفضل في إيجاد الأطباء الحديثين في بلاد العرب إلى الأمريكان ، والإنجليز في البصرة وخليج فارس ، وإلى الأتراك في الحجاز واليمن والاحساء ، ولذلك عهد العزيز في نجد ، كما يرجع الفضل للحكومة البريطانية والتركية في إيجاد نظام الكورنثينات في جميع السواحل العربية لوقاية السكان من الأمراض الفتاكة وحصر المرض في دائرة ضيقة ، ومع ذلك فالعرب على العموم لم يقبلوا على التطبيب الحديث إلا في الجراحة فقط ، وهذا من نحو عشرين سنة فقط . أما في الأمراض الباطنية فلا يكادون يستوفون بفضل الطب الحديث ، ولا يزال القسم الأكبر منهم يعتمد على الأعشاب وعلى معالجات ابن سينا وتلاميذه .

وقد كان ولا يزال كثيرون يحترفون التطبيب العربي ، وكان منهم رجال مشهورون بإخراج المظام المكسورة وتركيب عظام غيرها بدون استعمال البنج بالطبع ، وهم يستعملون السكي<sup>(١)</sup> في كثير من الأمراض ، ولا سيما الكلب ، وفي الإصابة بالرماح يستعملون نوعاً خاصاً من السكي ، وهو أن تحفر حفرة صغيرة ثم تشعل فيها النار ، حتى إذا خفت حرارة النار وضعوا العضو المصاب داخل الحفرة بطريقة خاصة ؛ وهي وإن كانت من العمليات الشاقة ، إلا أنها في الغالب يعقبها الشفاء .

وهناك نوع خاص من تطبيب الحيوانات في البادية : فأولها العزل ، وهو يستعمل في الخيل والجمال ، فإذا أصيبت ببعض الأمراض القتالة المعدية عزلوا السليم إلى أماكن بعيدة ، وهذا نوع من الكورنثينة الفطرية ، وهناك مرض يصيب النعم يسمى (أورمخ) يسلم الحيوان ثم يموت سريعاً ، غالباً يذبحون الحيوان الميت ويحرقون رتيه ، ثم

---

(١) غير أنهم يفرطون في استعماله ، فهم يكادون يستعملونه في كل مرض ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الإباحة والنهي عنه . فينهى عنه إذا أمكن التداوى بغيره وإذا لم يمكن التداوى فيباح

يأخذون من الرثة المجففة قطعة صغيرة ويشرطون بالشرط أذن الحيوانات السليمة ، ثم يضمنون قطعة مما أخذه فوق الأذن فتسلم الحيوانات من العدوى ، هذا معروف في كل البادية تحريماً ، وهناك مرض فتاك يسمى ( الفاقوش ) يصيب الخيول ولا دواء لها إلا عزل الخيول الصحيحة في أماكن بعيدة ، أما التفقيح ضد الجدري فقد انتشر كثيراً في البحرين والكويت والإحساء وقد أخذ ينتشر في السنين الأخيرة في نجد والحجاز ويرجع الفضل في انتشاره في داخلية نجد المجهودات التي يملأها الملك عبد العزيز ، وقد كان للملأ مباحث طويلة فيه ، وفي أنواع التفقيح ضد الطاعون والكلب وغيرها ، هل هي جائزة أو غير جائزة ، ولا يفهم من هذا أن هذه المباحث كانت من علماء نجد فقط ؛ بل إن علماء البحرين والإحساء ومصر كان لهم محاولات طويلة في هذا الموضوع ، ولم يقول أهل عمان وضع كُرْتَقِيَّةٍ عندهم وقاية من القادمين من البصرة حين انتشار الكوليرا ، ولم يقبل أكثرهم التطعيم من الجدري وقت انتشاره ، ولا تزال هذه الأمراض فتك بالساكن الجاهل من وقت لآخر .

ومن البذاهة في بلاد واسعة كجزيرة العرب لم ينتشر فيها ذبوع الطلح الحديث أن يسود سوق التجارب وفيها للفيد النافع والضرار الذي لا تؤمن مغبته ، فن الأدوية الشامة الأمراض المستعصية ، ولا سيما الأمراض النسبية كتابة سورة من القرآن في صحن ثم يحرق الكتابة بماء القورد ثم يحقها المريض ، وفي البحرين والكويت يتخذ بعض الأفاقيين هذا النوع من التداوي تجارة رابحة ، ومن الأدوية الشامة فيها لكثير من الأمراض حتى لا ترواح المستعصية أن يذهب أحد أقرباء المريض ومعه فنجان مملوء بالماء أو السن ثم يتف على باب المسجد لينفث فيه كل المصلين عند خروجهم من المسجد ، ففهم من ينفث بلا قراءة ، ومنهم من ينفث بعد قراءة ما يريد من قرآن أو دعاء . وقد كانوا ولا يزالون ينهون عن تنظيف البين الصابة بالرحمة الصديدي الذي يسمى « أبو طليق » ، ويكتفون بجمع العلف المريض من بعض المأكول ، وقد كانت النتيجة إصابة الكثير بالعمى أو غيره من الأمراض .

وربما كان لأول مرة وصفت لأحد المرضى بالكويت سنة ١٣٣٣ هـ ( ١٩١٤ م )

الفصل المتكرر بالبوريك ، فكانت النتيجة شفاء الطفل بعد أيام قليلة ، فكثير استعمال البوريك بعد هذه الحادثة في الكويت . على أن البعثات الأمريكية والانجليزية في البحرين والكويت والبصرة وسائر السواحل العربية فضلاً كثيراً في تجنب الطب الحديث إلى الناس ؛ ولسكن هذه البعثات بما يحيط بأعمالها من أغراض دينية جعل الناس يعتمدون عليها ، وجعل فريقاً من الناس يهتمونهم بالنش للعداوة الدينية للتأصلة . ويدأرون مرضى الأطفال بالحصبة بمجرزم في حُجَر مظلمة لا تداخلها الشمس وحمية الأطفال حمية تامة عن جميع الماء كل . ويدأرون اليرقان الذي يسونه « أبو صفير » بالكى في أصابع اليد والرجل . ومن المقائد الشائعة في البلاد العربية أن الجروح تشم أو تتأثر بالزوايح المطرية فتتفخ وتؤذى المريض ، ولذا فالجرحى يضعون قطعة من الحليث في خرقه يسدون بها أنوفهم حتى لا يشموا أو حتى لا يتأثر الجرح بالزوايح الطيبة .

ومن الشائع أيضاً أن لحم بقر الوحش يخرج الرصاص من الجروح ، فإذا أصيب أحد برصاصة في حرب واستمضى عليه إخراجها ، أكل قطعة من لحم بقر الوحش اعتقاداً منه بأنها هي الدواء الوحيد لإخراج الرصاص من الجرح ، ولذا فن آخر الهدايا أن تقدم بقره رجش ، وما أقلها في بلاد العرب مقددة إلى أحد الأسراء لأن ذلك يقوم مقام مستشفى كبير للجراحة .

ومن الأدوية الشائعة المعروفة عندهم أن أكل المارة سبعة أيام على الريق يشفى من الدمل ، وفي بلاد العرب استعمال المعاجين لاكتساب الشيخ نشاط الشباب ؛ ولذا فإذا ما قدم أحد من الهند أو من السواحل أو قدم أحد الأطباء لزيارة السواحل العربية ، كان أكثر ما يلقي عليه من الأسئلة ، وما ينهال عليه من الطلبات هو هذا الدواء .

ومما يناسب ذكره في هذا الموضع قصتان وتما على شخص الملك المرحوم عبد العزيز ابن السعور : الأولى في أواخر سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٢ ، والثانية بعد الأولى ببضعة أشهر : أصيب الملك ابن السعور بدمل صغير في شفته ، ولما أهملت العناية بهذا الجرح الصغير حصل تفحش شديد في الجرح وسبب حى شديدة كادت تؤدى بحياة الرجل ، فاستعملوا له كل أنواع العلاج المستعملة في نجد من كى وغيره ، فكانت الحالة تزداد كل يوم خطراً ، فدعى الطبيب الأمريكانى

من البحرين الدكتور (ديم) فعمل له عملية جراحية بسيطة شفى بعدها بعد أسبوعين ، فكان هذا خير شاهد لفضل الطب الحديث .

الحادثة الثانية أصيب جلالتة بـرمد حاد ، فبعد أن طال علاجه على يد الطبيب ، اقتنع بالملاج الحلى الذى كانت عاقبته ظهور قرحة في العين ، غير أن الطب الحديث أصلح ما أفسد الملاج الحلى<sup>(١)</sup> ، فماد العين شئ من قوتها ونورها .

و بعض أمراء العرب وشيوخهم لهم إلمام بالطب الباطنى القديم ، فلكل واحد منهم مستحضرات خاصة يستعملها نفسه ويشير بها على أصدقائه ومجبيه . وقد كان المرحوم الإمام عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز ملماً بكثير من المعارف الطبية المتبعة من قانون ابن سينا وتذكرة داود وأشباهها ، وقد كان يرجع إليه في بعض الأمراض فيصف لها ما يعرفه من الدواء ، وقد ورث عنه المرحوم جلالة الملك عبد العزيز بعض هذه المعارف ، كما ورث عنه بعض هذه الوصفات ، فهناك وصفة يستعملها الملك عبد العزيز على الريق حضراً وسفراً ، وهى مزيج من خشب المود والصبر والمصطكا تمزج بالتاوى .

ومن لطائف الطب التجربى القصة التالية الشائعة في البحرين ، ولعلها مختلفة للدلالة على بساطة أهل البحرين : كان يسكن جزيرة المحرق رجل مريض مصاب بالدوسنتاريا المزمنة حتى ينس منه أهله وبنوه ، ولم يفكروا في عرضه على الطبيب ، لأنهم عن لا يؤمنون بفائدة الطب ولا بملاج الطبيب . طلب هذا الشيخ من ولده وقد كان ملاحاً أن يصحبه في سفينه ليستنشق الهواء ويودع هذا العالم ، وصلت السفينة الناكثة ، وهناك ترك الولد السفينة وفيها والده لتضاء حاجة في السوق ، وفى أثناء غيابه حضر عبد من عبيد شيوخ البحرين المينين للسحرة ، فآل الشيخ السن عن البحار لأن لديه فتاً ( برسيا ) فأخبره الولد بأن صاحب السفينة في السوق ، فاستكثر العبد هذا الجواب ، فنزل عليه بالمصا بدون رحمة ولا شفقة ، فقفز الرجل من شدة الألم إلى البحر ، وبقي في البحر حتى جاء ابنه الذى نقل البرسم في سفينه إلى الجزيرة الثانية ، ونقل والده أيضاً إلى البيت ، فأما الولد فقد شفى بعد هذه العملية من مرضه ، فاعتقد أن ظروف الحادثة هى التى شفته من مرضه

(١) ويجب أن تذكر عزيد الانتخار المهارة التى أبداها أحد الأطباء الصرب المرحوم الدكتور سالم متباوى ، فلهارة القفل الأكبر في تمجاح العملية



المتحمي ، وصار يصف لكل مريض مصاب بالدوسنتاريا أن يذهب في السفينة ويمر عليه ما جرى عليه .

وقد أخبرني على القهد الخالد من كبار أهل الكويت . أن رجلاً أصيبت بقرحة استمضت على الدكتور « بنيت » الطبيب الأمريكي بالبصرة وأشار عليه بقطعها ، فذهب إلى مزرعته بالبصرة يسوده الحزن والنم على هذه المصيبة ، فلما رأى أنه لا يجدى الفلاحة استبكتشفت أمره وهي تعهده مرحاً فرحاً ، فأخبرها بأمره وبأمر الطبيب وبأن حياته في خطر ، فقالت لا تحزن لقد جرّبت الطبيب نحو شهرين أفلا تجرب دوائ أسبوعاً ، فبعد تردد قليل ، فأحضرت له مرهماً من مختلف الأعشاب ، ولم كانت دهشته حين شفى تماماً بعد أسبوعين ، وقد عرض أمره على الدكتور بنيت فوجد القرحة قد زالت تماماً ولم يبق أي أثر للقيح ، وأخبرني المذكور أن الدكتور حاول أن يتعرف الأعشاب المذكورة ليختبرها عليها وعرض جائزة كبيرة على المرأة فلم تبسح له بسرّها .

وهناك نوع من الطب له صفة التقديس ؟ وهو عايسى بالطب النبوي ، فقد ورد في البخاري وغيره من كتب الحديث بعض الأدوية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعملها أو يوصي باستعمالها ، فأخذت هذه الصفات صفة التقديس ، وكثير من هذه الصفات لا تنكر فائدتها ، ولا يزال الطب الحديث يأخذ بقسم منها . ولقد تكلم العلامة ابن خلدون على الطب النبوي في مقدمته فقال : وللبادية من أهل الصران طب بينونه في غالب الأمر على تجربة مقصورة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحى ومجازة ، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على فائدته طبيى ولا على موافقة المزاج ، وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون : مثل الحارث بن كلدة وغيره ، والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل ، وليس عن الوحي في شيء ، وإنما هو أمر كان عادياً عند العرب ؟ فإنه صلى الله عليه وسلم إنما يث لتعليمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات ، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة على أنه مشروع ، فليس هنالك ما يدل عليه ، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك ، فيكون له أثر عظيم في النفع ، فيكون من آثار الإيمان وليس من الطب المزاجي

ورأى ابن خلدون وإن كان يجد له أنصاراً ممن ضربوا بسهم في العلوم الطبية الحديثة ، فإن أنصاره قليلون في جزيرة العرب .

وإن سنة ١٣٤٢ هـ سنة ١٩٢٣ م تعتبر فتحاً جديداً للطب الحديث في جزيرة العرب ، ففي هذه السنة عين الملك عبد العزيز أحد الأطباء السوريين طبيباً خاصاً له ولل قصر أيضاً ، ولما تم لجلائته فتح الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م نظم الإدارة الطبية فيها على أحدث الطرق ، وجعل شُعْباً في نجد والاحساء وعسير فضلاً عن مدن الحجاز المهمة ، وهي تقوم بمهمتها خير قيام حسب ما تسمح به موارد البلاد المادية ، وإذا كنا نأسف لانحطاط المستوى العلمي الطبي في البلاد العربية فلا يجب أن ننسى فضل العرب وما قدموه للعالم في فن الطب والعلاج ، وما أسسوه من مستشفيات لمختلف الأمراض في بغداد والشام والقاهرة والأندلس ، فلقد كانت جامعاتهم في أم المدن العربية مرجع الطلاب الأجانب كما هي حال جامعات الغرب اليوم ، ولقد ظل الطب العربي مرجعاً للعالم مدة غير قصيرة إلى أن حلت النظريات والتجارب الحديثة محل النظريات القديمة .

وبجملتنا ونحن نكتب للتاريخ والحقيقة أن نذكر الخطوات الواسعة التي تسير بها إدارة الصحة في المملكة العربية السعودية ، والبلاد العربية الأخرى مثل البحرين والكويت فقد شيدت المستوصفات في كثير من البلاد التي كانت محرومة كما أسست بعض المستشفيات في بعض الأنحاء النائية . وقد سفت سنة حسنة في إنشاء المستوصفات النقالة أو الطبيب الرحالة للتنقل من بلد إلى بلد آخر فقد أدت هذه الطريقة إلى النهوض بالحالة الصحية نهوضاً لا ينكر .

وبما حبذا لو أن إدارة الصحة تملن حرباً لاهوادة فيها على الملاريا في المناطق التي تنتشر فيها الملاريا ونقتدى في ذلك بالأطباء الأمريكيين في مناطق مناجم البترول على الخليج الفارسي .

إنها بلا شك ستجد تعضيداً من السكان ومن الحكام المحليين ومن الحكومة المركزية .

وإذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بقسطهم العلمي في الطب وسائر العلوم المادية فإنهم لا يأتون ببدعة ، بل يعتبرون كمتحيين لهد أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن ، وقدموا للانسان خدماً لا تنكر — إن ذلك دين في عنق العالم العربي يجب عليه وفاؤه . إن النشاط العربي والتطورات السريعة التي نراها في البلاد العربية تجعلنا متفائلين خيراً من المستقبل — فآلهم حقق الآمال .

## العلوم والمعارف في جزيرة العرب

إذا استثنينا بيوت بعض علماء نجد والاحساء فإننا نستطيع أن نقول : إن بلاد العرب كانت خلواً من المدارس بمعناها المعروف ؛ فالأترك لم يتركوا أثراً يذكر أثناء حكمهم في بلاد العرب من هذه الناحية ، فشكل مجهوداتهم انحصرت في إنشاء بعض مدارس ابتدائية صغيرة لم يكن الإقبال عليها يذكر لما كان يحولها من الشبهات ؛ ففي إقليم الاحساء الواسع لم يؤسس إلا مدرسة صغيرة بعد إعلان الدستور الثاني . وكذلك الحال في اليمن والحجاز ؛ ولنا فالأمية تكاد تكون سائدة في جزيرة العرب ، وربما كانت أول محاولة لتنقيف العقول والقضاء على شيء من الأمية كانت من جانب السيد محمد علي زينل رِضاً في الحجاز ؛ فإنه في سنة ١٣٢٦ هـ وما بعدها قام بإنشاء مدرستين : إحداها في جدة والأخرى في مكة ، ومع ما وضع في طريقه من العقبات وما أحبط بمشروعه من الشكوك من الأتراك والأشراف فإن هذه المدارس قد قامت بنصيب وافر في الحجاز ، وربما كانت الشبية الموجودة في الحجاز اليوم هي من غرس هذه المدارس .

وهذه المدارس وإن كانت تسير في التعليم على الطريقة القديمة المتينة التي نرتكز على الحفظ لا على التفكير ، فإنها كانت المدارس الوحيدة في الحجاز . على أننا لا ننسى هنا بعض المعاهد التي أسسها المهتود في مكة والمدينة ، فإنها قامت أيضاً بنصيب يذكر ؛ وكل ما كان في الحجاز هو حلقات الدروس في المسجد الحرام على نظام التدريس في الأزهر قديماً ، ولم يكن العلماء يلتون إلا ببعض العلوم الشرعية والقوية .

وفي سنة ١٣٣٠ هـ أسس أهل الكويت مدرسة سموها المدرسة المباركية ، لأنها أسست في عهد الشيخ مبارك الصباح ، وفي السنين الأخيرة نشطت البلدة نشاطاً عظيماً في فتح دور العلم وإرسال الطلبة إلى مصر وأوروبا للاتهال من موارد العلم في مختلف فروعه .

وفي سنة ١٣٣٩ هـ ( ١٩٢٠ م ) أسس أهل البحرين مدرستين : إحداها في جزيرة المحرق ، والأخرى في جزيرة المنامة ، كانت التعليم فيها لا يتمدى تعليم القراءة

والكتابة ومبادئ النحو والحساب والجغرافيا . ولقد أراد المصلحون في الكويت والبحرين والحجاز إحداث انقلاب في التعليم يرمى إلى إيجاد شبان مفكرين منتورين يصلحون أن يكونوا نواة صالحة للمستقبل ، ولكن العقبات كانت كثيرة ، وأكثرها قائم من الجامدين الذين يعتقدون أن كل جديد بدعة وكل بدعة ضلالة .

لقد قام في الكويت والبحرين ونجد ضجة عظيمة من جانب العلماء على القول بكروية الأرض وحركتها ، وتعليم اللغات الأجنبية ، مما أيد كركنا بحوادث المصور الأولى ، ولولا أن السلطة تنقص هؤلاء لأرقموا من العقوبات بخصوصهم ما لا يقل عما وقع في القرون الوسطى في أوروبا .

ولقد تطورت حالة التعليم في الكويت والبحرين وسائر البلاد العربية تطوراً حسناً ، فأنشئت إدارة خاصة للإشراف على التعليم ومنعه العناية الواجبة ، واختير لإدارته في كلا البلدين أحد أعضاء الأسرة الحاكمة المروفين بالاهتمام بانتشار التعليم ، ولقد سادت روح التعليم المصرية البنية على نحو الفكر الطريقة القديمة المؤسسة على الحفظ وتقوية الذاكرة .

وفي السنوات العشر الأخيرة زاد عدد المدارس زيادة كبرى في كلا البلدين وأرسلت البعثات العلمية إلى العراق وسوريا ومصر للاغتراق من متاهل العلم العذبة ، كما وفد على انخيليج الفارسي بعثات منتدبة من حكومتى مصر وسوريا لمساعدة حكومات الكويت والبحرين للنهوض بالعلم والتعليم ، فأدّى هؤلاء الرسالة العلمية والتهديبية على أتم وجه .

واقند شاهدت لأول مرة الرياضة البدنية يعنى بها في تلك البلدان وأصبحت محل العناية اللائقة بها ، فالقتل السليم في الجسم السليم . ومما لا شك فيه أن انتشار التعليم وتطوره سيكون له أثر فعال في مستقبل العرب عامة وهو وحده الكفيل بتقارب البلدان العربية وتكوين رأى عام عربي صحيح .

إن الحالة في الحجاز في أيام الشريف حسين لم تكن تختلف كثيراً عنها في أيام الأتراك ، فمع أنه وضعت أسماء كبيرة : مثل المدرسة الراقية والزراعة والحربية وغيرها من المدارس ، فإنها كانت أسماء لا تطابق الحقيقة ، وما هي إلا طلاء لا يحوى من ورائه شيئاً وفي أيام أول عهد الملك عبدالعزيز ابن السعود قامت حركة لا بأس بها في التعليم ولكنها

أقل بكثير مما كان ينظره الناس من رجل عظيم مثله ، على أن هذه المدارس التي أسست بالحجاز لا تشمل برنامجها أكثر من برنامج المدارس الابتدائية الأخرى ، والتعليم فيها مائل على الطرق القديمة البالية من الاعتماد على الحفظ دون التفكير .

وإننا نسوق القصة التالية لنعلم مقدار الصعوبة التي يعانيها الملك ابن السعود ويعانيها أى مصلح يريد النهوض بالتعليم :

في أوائل شهر يونيو سنة ١٣٤٧ - ١٩٢٧ قامت ضجة بين علماء الدين النجدين ، واجتمعوا في مكة ؛ وبعد التشاور فيما بينهم وضعوا قراراً يحتاجون فيه على إدارة المعارف في مكة ، لأنها قررت في برنامج التعليم أولاً تعليم الرسم ، وثانياً تعليم اللغة الأجنبية ، وثالثاً تعليم الجغرافيا التي منها دوران الأرض وكرويتها .

ولما كان لى شيء من الإشراف على إدارة المعارف ، فقد تذاكرت مع جلالة الملك في الموضوع ، فرأى من الحكمة أن أجمع بكبار المشايخ وأبحث معهم الموضوع ، فاجتمعت معهم ودار الحديث على الصورة الآتية :

حافظ : لقد أمرنى جلالة الملك أن أحضر عندكم لأشرح لكم حقيقة المسائل التي رأيتم إلغاؤها من برنامج التعليم ، إنكم تعلمون مبلغ حبي لكم لأنكم من أنصار السنة ، الآخذين بالاجتهاد ، الرادين كل قول يخالف القرآن أو السنة الصريحة ، ولقد مضى الزمن الذي كان قول العالم مهما كان حجة ، ولا أعتقد أنكم تريدون منا أن نقبل كل ما تقرررون بدون مناقشة ؛ فإن ذلك لا يتفق مع الروح التي تدعون إليها ، ولا معنى لأن نسيب على الناس اتباعهم لمبادئهم من غير حجة أو دليل ، وهنا نسير على نفس النسق .

أحد المشايخ : إن ما قلته حق وصحيح ، ولكن لقد بينا الإمام عبد العزيز الأدلة والمفاسد التي تقترب على تقرير هذه العلوم . أما الرسم فهو التصوير وهو محرّم قطعاً . وأما اللغات فإنها فريضة للوقوف على عقائد الكفار وعلومهم الفاسدة ، وفي ذلك ما فيه من الخطر على عقائدنا وعلى أخلاق أبنائنا ، وأما الجغرافيا ففيها كروية الأرض ودورانها ، والكلام على النجوم والكواكب مما أخذ به علماء اليونان وأنكره علماء النصف .

حافظ : أما الرسم فليس هو التصوير لأن المقرر في المدارس الرسم أى التخطيط ، وهو

معلومات أولية ، الخرض منها تعليم الأولاد الدقة ومعرفة المسافات على الخرائط ومواقع البلدان ، وهذا أمر لا شيء فيه ، وقد اشتغل به كثير من علماء السلف ولم يبلغ الأولاد درجة تمكنهم من التصوير ؛ لأن علم التصوير هو من العلوم العالية التي تحتاج ممارستها إلى وقت طويل ودراسة واسعة . أما اللغات الأجنبية فقد كان كثير من الصحابة يعرفون لغات عصرهم ، ونحن في هذا العصر أجبرتنا الحياة على مخالطة الأجانب ، فبدلاً من أن نتخذ لنا مترجمين لا نثق بهم نمتد على أولادنا ونعلمهم اللغات ، أما علوم الإفرنج : فنها ما هو صالح يصح أن نأخذ به ونعلمه ، ومنها ما لا يتفق مع ما نعتقد فرفضه ، وعلوم الإفرنج التي تقولون عنها قد ترجم كثير منها إلى اللغة العربية في مصر وسوريا والعراق ، فالجول باللغات لا يمنع الناس من الاطلاع على ما كتب وترجم إلى اللغة العربية . وإن الخوف على العقيدة الإسلامية هورعى لما بالاضف ، لأن العقائد يجب أن تكون كالبنيان المتين لا تقوى عاديات الزمن على زلزلتها ، ونحن نعتقد أن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا امتزجت بالدم وتعلكت مشاعر النفس ، فلن يقوى أى شيء على زعزعتها

أما الجغرافيا فإننا لا نعلم الأولاد منها إلا ما يتعلق بوصف البلدان ومواقعها وجاراتها ، وما يهتنا منها من الوجهة التجارية والعلمية ، وما عدا ذلك من المسائل فانه لا يعلم في المدارس على أنه عقيدة دينية يجب الأخذ بها ، بل على أنه نظرية مقررة

وهنا يحسن قبل أن أختم كلمتي أن أقول لحضراتكم : إن مسألة سد الذريعة قد وسعت بدرجة قصت على كل معنى مقصود منها ، فحضراتكم كلما أردتم منع شيء قلتم سداً للذريعة ، فما قولكم في المنع والنهي يستخرج الخمر منهما ، والحكومة قد ضبطلت في بلد الله الحرام من يصنع الخمر من هاتين الفا كمتين ، وقد وقع مثله في عصر الصحابة ، ولم يقل أحد : بقطع أشجار الكروم والتخيل

فلما رأى حضرات المشايخ أن البحث طال قالوا : لقد قررنا ما نعتقد ورفعناه إلى الإمام ولسنا في حاجة إلى الجدل المنهى عنه شرعاً ، فإن قبل الإمام ما رأينا فالجده ، وإن خالفنا فليست هذه أول مرة يخالفنا فيها

لقد وقف جلالة الملك ابن السعود على هذه المناقشة واقتنع بشاغب فكره أن ليس

لدى العلماء دليل دینی یصح الاعتماد علیه ، فلم یوافقهم علی رأیهم ، واستمر تعلیم الفئات والرسم والجغرافیا كما كان هذا ما كان قبل ربع قرن مضی . أما اليوم فقد أنشئت وزارة للتعلیم وضوعف عدد المدارس الابتدائية والثانوية وأرسل إلى الخارج عدد كبير من الطلبة لإتمام دروسهم العالية كما أحضر عدد كبير من الأساتذة للانتفاع بهم . ومع شیوع الأمیة فی بلاد العرب فإن بعضهم یضن فی طريقة ضبط معاملاته أوحساباته بما یدل علی ذكاء کامل أو بساطة فی التفكير .

لقد شاهدت فی الكويت رجلاً من أهلها الأمیین یصور علامه ( زبانية ) بصورة مختلفة : یصور أحدهم جملاً ، والآخر حماراً ، والثالث فرساً ، وهو فی ذلك لا یکاد یخطئ ، وهو لو صرف بعض وقته فی تعلم القراءة والكتابة لوفر علی نفسه مؤونة الإختراع . أما الآخر وهو یمت إلى المائتة الحاكمة بالكویت فقد كان مشهوراً بالبخل والحرص ؛ ولكن یمکن أمیناً علی نقوده من اختلاس أبنائه کان یضع فی زاویة من زوایا یتنه عدداً من الخوص یمسوی عدد النقود الخبأة ، ویزید ینقص بقدر ما ینقص أو یزید من النقود ، فلما اكتشف أحد أبنائه هذه الحيلة أصبح يأخذ ما یمحتاج من الدرامم مع رفع عدد من الخوص مساوئها ، وقد لبث علی هذه الحال مدة إلى أن ضبطه والده يأخذ النقود ، فأخفی الخوص من الركن إلى مكان آخر کی یأمن شر ابنه .

وقد كان علماء الاحساء والبحرین ینكرون علی المدراس تعلیم الجغرافیا والقول بکرویة الأرض ، بل وینكرون علی بعض التلمذین قراءة الصحف السیارة ، غیر أن تقارب الأمم واختلاطها قد قضی علی نفوذ هؤلاء فی البحرین والكویت .

### علماء الدین فی جزيرة العرب

لیس فی جزيرة العرب علماء بالمعنی المعروف فی أوروبا ، وإنما یطلق لفظ العلماء علی الدارسین لعلم الدین الملمین بمسائل الفقه الإسلامی .

وفی جزيرة العرب علی العموم تُطلق هذه الطبقة علی نفسها طلبة العلم من باب التواضع ، ویراد بالعلم فی جزيرة العرب : التفسیر ، الحدیث ، الفقه ، أصول الدین ، علم العربیة ، التاريخ الإسلامی . وعلماء الدین فی نجد أكثر إطلاعا فی الفقه وغیره من العلوم الإسلامیة من غیرهم من علماء الكويت والبحرین وعمان ، وسیرتهم فی القضاء والافتاء تشبه سیرة

العلماء المتقدمين ، كما أن حياتهم الشخصية في الورع والزهد يشبه سيرة علماء السلف المسلمين ، لا تأخذهم في الحق لومة لائم . وعلماء نجد أشجع علماء جزيرة العرب ولا يبالون في سبيل الحق ، ولبعضهم وقوف تام على أحوال البلاد المجاورة لنجد . وهم يكادون يصرفون أعمارهم في سبيل العقيدة الإسلامية ، والرد على مخالفينهم من الطوائف التي لا تهتج نهجهم ، غير أنهم في بعض الأحيان يعنون كثيراً بالرد على بعض الفرق التي انقرضت ولم يبق لها أثر إلا في كتب العقائد .

وشأن علماء نجد شأن غيرهم في هذا القرن ليسوا كطبقة الشيخ ابن عبد الوهاب في علمهم وتبصرهم ، بل شأنهم كغيرهم من علماء الدين في البلدان الأخرى يصعدون في حياتهم العلمية على من سبقهم من المزلقين ؛ ولذا فإن مؤلفاتهم ورسائلهم ليست كرسائل الشيخ محمد وبنيه في متانة الأسلوب وحسن التصرف وكثرة المصادر التي كان يرجع إليها ، وهم لا يدعون الاجتهاد المطلق ، فهم مقلدون للإمام أحمد وللإمام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وغيره . ولعلماء الجزيرة على الصوم المقام الأول عند الأسراء ، والنفوذ العظيم في نفوس العامة ، ومع أن أكثر العلماء في جزيرة العرب أميل بطبعهم إلى الهدوء والبعد عن مظاهر الدنيا ، فإن بعضهم قد يتلوف حب الدنيا بل وقد يستعمل مركزه للقراء . وعلماء الرياض أشد علماء نجد بنضاً ومقياً للسكران والمبتدعة من المسلمين .

في سنة ١٣٤٦ هـ ( ١٩٢٨ م ) كنت مع الشيخ عبد الله بن حسن كبير علماء نجد ورئيس القضاء الآن في زيارة القنيس في المدينة المنورة ، فترننا على ماء في وسط الطريق يدعى آبار بن حسان ، وهناك التقينا بمسرفلي ( قبل إسلامه ) وكان آتياً من ينبع ، فبعد التحية دعوتني للأكل معنا ففند ما جلس معنا على المائدة سألت الشيخ : من هذا الرجل ؟ فقلت له : هذا فلبي . فقال أهو نصراني ؟ قلت له : نعم . فقال : أعوذ بالله . أنتمو لنصراني ونصافه وتهش في وجهه وتدعوه للأكل معنا ؟ إن هذا كثير ، فلما سمع مسرفلي ذلك قام متعاً للشاحنة ثم أخذ الشيخ يؤنبني على علي .

فقلت : أيها الشيخ مهلاً . إننا نطمع في إسلام الرجل ونريد أن نستميل قلبه ولا نفره من الدين ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم جذب الناس إليه بخلقه الحسن وابن جابر .

( ٩ — جزيرة )



( ولم كنت قطاً غليظ القلب لا نفصوا من حواك ) وإن ذلك عبد العزيز كثيراً ما يقوم له ولنيره تأليفاً لم ودفعاً لشرم ؛ وكثيراً ما يدعوهم إلى مائدته ، فقال : أما القسم الأول فحسن ، وأما الثاني فالملك قد يفعل الشيء لصلحة يراها وهو غير حجة في عمله وتصرفاته ، وكثيراً ما أنكرنا عليه هذا وأمثاله .

على أنى أرى من الواجب على أن أذكر أن هذا الرجل كان لي نم الرفيق الموصى أثناء مرضي في المدينة ؛ لقد كان لا يرضى إلا أن يسقيني الدواء بنفسه كما أنه كان يصرف قسطاً من وقته في تخفيف آلامي وأسقامي مما يدل على ما فطر عليه هؤلاء من الإخلاص وطيب القلب ، لا يحملون حقداً لأحد . ولا ينضبون إلا حيث يمتدنون أن منكراً أنقُرت أو أن حقاً من حقوق الله قد ضيع أو أهمل .

وعلماء نجد يحرمون التصوير ودروس المنطق والفلسفة ، ولا يوجد لديهم من يعرف هذه العلوم ، وقليل من علماء نجد من يحيط بأسرار اللغة العربية وآدابها إحاطة تامة ، وقليل جداً من يعرف علوم البيان والاشتقاق أو أسرار البلاغة ، وقابل منهم المحيط بمحوادث التاريخ الإسلامي أو التاريخ القديم ، فمعلوماتهم التاريخية لا تتجاوز السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، والتاريخ القديم لا يمدو عنهم فيه الطبري وابن الأثير ، أما الاكتشافات الحديثة وما غير معالم التاريخ القديم ، فلا يكاد يعرف في جزيرة العرب كلها ، على أن هنالك روحاً جديدة في الأسرة المالكة في أبناء الملك وبعض أشقائه في اقتناء الكتب الحديثة وحب الاطلاع على المؤلفات الحديثة في التاريخ والقانون وآداب اللغة العربية .

ونرى واجباً علينا أن نقول : إن الملك عبد العزيز لولا ما يحيط به من الصوبات من جهة استعداد شعبه لاسر ببلاده خطوات واسعة في سبيل نشر الثقافة وتعميم التعليم ، وهو يفضل السير التدريجي على قدر استعداد الأمة ، ولقدذه الاعتبار فإن الحالة الحالية في الحجاز ونجد أقل مما يجب أن يكون وينتظر من ملك حكيم كالملك عبد العزيز ، ومع هذا فإن حالة العلم في الحجاز ونجد أفضل من حالة بعض البلاد المجاورة كعمان واليمن . وعلماء نجد محافظون على القديم جداً ولا سيما ما يتعلق بالدين ، فهم يرون بقاء العقيدة سليمة كما وردت في الكتاب والسنة من غير حاجة إلى تأويل ، ويقولون :

ليسنا ما وسع عصر النبوة وخير القرون ، وترى كتبهم ورسائلهم مشحونة بازده على الفرق التي تنجح إلى التأويل أو تطبيق النظريات الفلسفية في العقائد .

وسم أن للعلم والعلماء منزلة في نفوس شيوخ العرب وطامة العرب ، فإن الشيوخ قلما يعنون بتعليم أبنائهم وثقيفهم ، وقلما يعنون بنشر الرماية والفروسية والصيد والقتل ، وبعضهم يرى طلب العلم عيباً لأن ذلك قرين الجلود والخيول وانتظار الصدقات . أما الإمارة فقرة الحركة والنشاط والتفكير .

والقصة التالية تروى في الكويت عن جابر الكبير جد الشيخ مبارك الصباح : فإنه حينما رأى أحد أبنائه يحضر مجالس العلم وصفه باختلال العقل لأن الإمارة لا تجمع مع طلب العلم ، ولكن هذا القى الذي اشتهر أول أمره بالتفوق وحب العلماء تغير سلوكه ، فاستبدل بمحلات الدروس مجالس الأوس والطرب ، وبالعلماء أهل الغلظة ، فسر والده من هذا التبدل وقال إن دم الصباح قد تملأ عليه ، فصنبرهم للكلاب وكبيرهم لا . . . قد تكون هذه القصة موضوعة على جابر ، ولكنها تعتبر أصدق تمثيل عن خلق كثير من أبناء الشيوخ : صغارهم مولعون بقرية الكلاب ، وكبارهم مولعون بالقتل والبطالة وقد عفا قال الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أى مفسده

على أن من بين شيوخ العرب قديماً وحديثاً من أخذ عن هذا السبيل فاشغل بالعلم والأدب وقرض الشعر وبرع في فنون الشرع حتى بذل علماء عصره ، ويسرنا أن ننوه هنا بما بدأ في الستين الأخيرة من اهتمام بعض الشيوخ بالانباية بتعليم أولادهم . لقد أرسل بعض شيوخ الكويت والبحرين أولادهم إلى بيروت والإسكندرية للتعلم في الكلية الأمريكية وكلية فكتوريا ، كما أن جلالة الملك عبد العزيز ما زال من وقت لآخر يبدى مزيد العناية بهذا الموضوع ويستعين برأى الخبراء في أمر التربية والتعليم وقد أبدى الملك سعود نشاطاً ملحوظاً في نشر العلم وتشجيع المجتهدين من الطلبة كما أسس في أول عهده وزارة للتعليم نرجو أن تقوم بالواجب العظيم الملقى على عاتقها .

## الصناعات في بلاد العرب

هي الصياغة والنجارة والحداذة والحياكة والقصبة وإصلاح البنادق والبيطرة وبعض أنواع الطبابة : كالجامة والقصد والسكى وغير ذلك .

والصناعات على اختلافها معدودة من النعم الخفية التي تحيط بصاحبها ؛ ولذا فالذين يحترفون هذه الصناعات . إما من غير العرب أو من العرب الذين لا ينتمون إلى أصول مشهورة أو غير قبيل . وما يدل على احتثار الصناعات ألقاظ السباب المعروفة عند العرب ( يا ابن الصانع ) إذا أرادوا تحقير إنسان وسبه بكلمة تكون بمجم السباب ، وبهذه المناسبة نذكر أن للملك ابن السمود في مجمع كبير ( وكان حائفاً على آل عابض حكام أبناء السابقين لما تكرر من خيانتهم له ) قال لأحدم هذه الكلمة ، فعندما انصرفوا وذهبوا إلى بيوتهم ابتدته زوجته وقالت له : لا يمكن أن أعاشرك بعد الآن ؛ لأنك من أبناء الصناع لا من أبناء النبائل وابن السمود لا يكذب ، ولولا أن أهمت فيما بعد أن ذلك كان عن بادرة غضب ما أمكن أن تفتنن بالرجوع إلى بيتها .

ولقد ذكرك عبد الكريم السعدون بعبد الله بك الصانع مدير الداخلية العراقية ، لأن عبد الله بك — وهو من ذرية الصناع — تجاسر على الزواج بابنة أحد أبناء السعدون الأشراف ؛ ولقد عطف بلالة الملك عبد العزيز على موقف عائلة السعدون ، ولو استطاع لتبرم موقف القضاء في هذا الموضوع الذي هز أحسن ناحية في جلالته .

وبهذه المناسبة أيضاً عند مذاكرتي في هذا الموضوع أخيراً للرحوم السيد رجب النقيب ( نقيب أشراف البصرة ) أنه في إحدى سياحاته إلى بغداد أوصى أحد أصدقائه بأن يتوسط له في الزواج بابنة أحد الأشراف ، فكان ذلك الصديق يذكر له سيدة من بنات الأشراف المشهورين ببغداد كبيت باشي وجادزي وغيرهم ، فكان السيد يتمتع من القبول ويقول : أريد الأشراف . وما كان صديقه ليفطن لما يريد السيد ، وأخيراً قال له صديقه : لقد عرضت عليك كل أشراف بغداد فن تريد بعد ذلك ؟ قال : أريد

الأشراف ، قال : لا يوجد أشراف من هؤلاء هنا ، قال : لا ، أنت ذكرت لي أسماء الصناع وأنا أريد أصحاب الأنساب ، قال : ها ! لو أخبرني بذلك لأنتيك كل يوم بأسماء عشرين بدويًا من أقدر البدو ، لقد اخترت لك أهل النظافة والمدينة واللطافة والكياسة ، أنا لا أتوسط في هذا الموضوع ، اذهب إلى السواوة أو غيرها من البادية واختر لنفسك ما تشاء . . . وإن من له اتصال ببلاد العرب يقف على كثير من القصص التي يمتنع فيها فقيرات البدو عن الزواج بأغنياء الحضرة احتجاجاً بالنسب ، فقد رفضت إحدى البدويات الزواج بابن المشري حاكم الرُّبْرِ في أيام الأتراك لأنه من أبناء العبيد

ولا تزال التجارة في البحرين من الحرف التي لا يصح اشتغال العربي الأصل بها ، ولذا كانت الأيدي غير العربية هي القابضة على زمام التجارة في البحرين . ومن الغريب أن العربي لا يزال يفضل رعاية الإبل والقمم والخدمة وراء الحمار على البيع والشراء والصناعة أو فتح متجر للبيع والشراء

ومن الصناعات المشهورة والتي يحترفها كثير من البدو والحضر غواصة اللؤلؤ ، وغواصة اللؤلؤ لها نظام خاص في غاية الغرابة : ليس هناك أجور معينة للعمل ، ولكن العمال يشاركون صاحب السفينة فيما يحصل ، فالذي يفرص له سهمان ، والذي يخرج الفواص — وهو ما يسمونه سيبا — له سهم ، وذلك بعد ما يخرجون خمس الحاصل للسفينة وتمن للمأكّل والشرب ، ولا يمكن أن يقبل أي عامل أجراً معيناً لأنه يريد أن يجرب حظّه مع صاحب السفينة ، إن كان قليلاً فقليل ، وإن كان كثيراً فكثير . وصناعة الفواص من الصناعات الشاقة ، وهي تجري حسب الطرق القديمة ولا تستخدم الآلات الحديثة ، ولا يقل عدد من يشتغل بهذه الصناعة عن مائتي ألف عامل من العرب والإيرانيين لمدة خمسة أشهر . وموسم اللؤلؤ من أحسن المواسم وأجملها ، وفيه تنشط الحركة التجارية ، ولذا لا يمكن أن يتصور مقدار ضيق أهل هذه الصناعة في الأزمات الحالية لأن أكثرهم فقراء ، وليس لهم نقابات وشركات تعاونية مثل ما هو في جميع البلاد المتقدمة

والطريقة المتبعة الآن في غواصة اللؤلؤ هي طريقة الحبر : يربط حجر كبير بطرف الحبل ، فإذا أراد القاصص أن ينزل إلى الماء تمسك بالحجر ويزل إلى قاع البحر بكل سرعة ،

وإذا ضاق نفسه هَزَّ الحبل بيده ثم صعد بمساعدة رفيقه الآخر الموجود بأعلى السفينة والتمسك لكل حركة يأتيتها الغائص . والنوص يشبه من جميع الوجوه ، بالمرعى فتجد في جهة مئات السفن ، بينما ترى بعض الجهات الأخرى ليس فيها سفينة واحدة ؛ وصاحب السفينة ينتقل من جهة إلى جهة وراء الحمار والأواو ، وهناك في البحر تجدد التجار الذين يذعون « بالطاوإيش » ينتقلون من سفينة إلى سفينة لشراء ما يستحصل من الأواو

ولقد اكتشف البترول في السنوات الأخيرة في أكثر بقاع الجزيرة العربية فسكان مصدر خير وبركة على البلاد زادت به موارد الثروة العامة ومكنت البلاد من الأخذ بتصحيحها في نواحي الإصلاح المختلفة أسست المدارس الابتدائية والثانوية وأرسل الطلبة النابهون إلى مصر وأوروبا للتزود من مناهل العلم كما أسست الإدارات الصحية وشيدت الطرق والمجلىة تطورت البلاد تطوراً سريعاً لم تكن تصل إليه لولا وجود هذا المكنن الثمين

## قصة البترول

في شتاء سنة ١٩٣١ وفد إلى الكويت رجل بريطاني يدعى ميجر هولمز منتدبا من الشركة الشرقية وهي شركة بريطانية تقوم بشراء الامتيازات وبيعها للشركات الكبرى وقد تمكن ميجر هولمز من الحصول على ثلاث امتيازات قيمة هي مناطق الكويت والأحساء والبحرين نظير مبلغ صغير هو ستة آلاف جنيه لكل امتياز وستة آلاف جنيه أخرى سنوية إلى حين العثور على البترول بصورة تجارية

لقد حصل ميجر هولمز على امتياز منطقة الكويت . والأحساء . والبحرين وذلك بمساعدة الأستاذ أمين الريحاني الكاتب اللبناني المعروف

وبعد فترة وجيزة من التصديق على الامتيازات زار هذه المناطق بثلة من المهندسين الجيولوجيين وقد كانت مؤلفة من مهندس بريطاني من الشركة الإيرانية وآخر سويسري ومهندس آخر بريطاني مستقل فرأت البثمة بعد زيارة هذه المناطق أنها لا تحوى بترولاً مطلقاً ولكنها غنية بالمياه الصالحة للزراعة . ولكن الشركة الشرقية لا تهتم بالزراعة ولذلك فقد ألغت امتياز الكويت والأحساء وتمسكت بامتياز البحرين فقد عز عليها في أول محاولاتها في هذه المنطقة أن تحقق هذا الاخفاق التام وتخرج من هذه المحاولة بخسارة لا تقل عن ثلاثين ألفاً من الجنيهات وهي شركة ليست من الشركات الكبرى ذات الاحتياطي الكبير المعد لمثل هذه الحوادث

تمسكت الشركة الشرقية بامتياز البحرين ولكنها لم تجد من شركات البترول البريطانية استعداد الشراء هذا الامتياز فبست شطر العالم الجديد وعرضت هذا الامتياز على شركة استاندر أوويل اف كاليفورنيا فوجدت منها استعدادا لشراء الامتياز إذا رأى مهندسوها أن هناك بترولاً في المنطقة المذكورة وقد تم للشركة الأمريكية شراء الامتياز بعد أن تأكد مهندسوها أن المنطقة وإن كانت صغيرة ولكنها غنية بالبترول فكان هذا أول مغامرة

الشركات الأمريكية في منطقة الخليج بعد أن كان الخليج وإماراته من المناطق التي لا يجوز لغير البريطانيين القرب منها

أقد حاولت الحكومة البريطانية منع الشركة من الحصول على الامتياز بحجة أن اتفاقية الحماية تمنع شيخ البحرين من منح امتيازات كهذا الامتياز لغير الشركات البريطانية ولكن الشركة أسرع فأست شركة خاصة في كندا لهذا الغرض فقصت حجة وزارة الهند وبالرغم من أن الأناوة التي كانت تمنحها حكومة البحرين كانت ضئيلة للغاية إذا قيست بما تدفعه أي شركة بقول أخرى إلا أن هذه الأناوة كانت سببا في نهوض البحرين وازدياد الرخاء فيها وقد ارتفعت الأناوة تدريجياً حتى وصلت في العام الماضي إلى ٥٠ في المائة من صافي الأرباح

إلا أن السخروج من البحرين قليل إذا قيس بما يستخرج من الكويت وقطر فهو لا يتجاوز للمليون ونصف المليون من الأطنان سنوياً . أما الكويت فقد تجاوزت الثلاثين ألفاً بعد توقف الشركة الإيرانية عن التصدير بسبب الخلاف المعروف بين إيران وبريطانيا وقد فشلت جميع المساعي التي بذلت لدى الشركات البريطانية لمنحها امتياز بقول في البلاد العربية السعودية لأنها كانت تعتقد أن لا زيت على الإطلاق في البلاد العربية السعودية .

ففي سنة ١٩٣٢ بذل سمو الأمير فيصل بمجهودات عظيمة أثناء زيارته للندن سواء مع وزارة الخارجية أو في بعض الدوائر المالية لبيع امتياز الزيت لأحدى الشركات البريطانية فلم تشر مسامى سموه كاشفت مساعيه أيضاً في الحصول على قرض تفرج به الحكومة العربية السعودية أزمته

وأخيراً وفد على البلاد العربية السعودية مستر لويدها ملتون موفداً من شركة استاندر أويل أت كاليفورنيا للحصول على امتياز لاستخراج البترول فحصل عليه بعد مفاوضات قصيرة وقد ساعده كثيراً اعتماد الشركة لتقديم قرض صغير للحكومة . وقد أرسلت شركة البترول العراقية مستر لوبنجرج إلى جدة لمفاوضة الحكومة العربية السعودية في نفس الغرض الذي أوفد إليه مستر هاملتون ولكن هاملتون كان مطلق اليد فنجح حيث فشل منافسة

حيث كان مقبدا بتعاليم شركته . وهكذا بدأت صفحة جديدة من الرخاء في البلاد العربية  
السعودية كما بدأت صحيفة أخرى من صحف المنامة الأمريكية

لقد حرص المرحوم الملك عبد العزيز حرصا لا يماذله حرص في منح هذا الامتياز إلى  
البريطانيين لأنه لم يتامل أو يعرف غيرهم ولكن البريطانيين كانوا متأثرين بتقارير المهندسين  
من جهة وبتقارير السر اندرويان من جهة أخرى ، وكلها كانت لا تشجع على استثمار  
الأموال البريطانية في جزيرة العرب



## الحكومات العربية

تريد هنا أن نستعرض أمام القارئ النظام الحكومي للإمارات والسلطات العربية ، والطريقة التي يدار بها الحكم في بلاد العرب ، وهي صورة مستمدة مما يفهمه العربي العادي من الحكومة ، وهي الصورة التي لا يفهم سواها شيوع العرب ، وسأذكر فيما يلي قصتين يتجلى فيهما كل ما هو واقع من الحقائق :

في شتاء سنة ١٩٣٣ ( ١٩١٥ ) كنت في حديث مع المرحوم الشيخ جابر الصباح أخى الشيخ مبارك شيخ الكويت : كنت أنسكرفيه على الشيخ مبارك فداحة الضرائب وطريقة صرفها ، فإن الشيخ مبارك في أخريات أيامه خرج على كل مأوف من التقاليد الدينية والعربية ، وأخذ يستهتر بكل شيء ، كما أنه وضع ضرائب على البيوت تقضى بدفع ثلث قيمة كل بيت يباع مما لم يعرف من قبل في بلاد العرب ، وكنت أشرح للشيخ جابر حديث . كلهم راع وكلهم مسئول عن دعيته ، وإنى في نفس الوقت لم أنس أن أذكر بعض الصفات الطيبة التي امتاز بها الشيخ مبارك من غيرته على الكويت وأهلها ، ودفاعه عن مصالح أهلها والعمل لاستقرار الأمن وزيادة حركة التجارة فيها .

فقال الشيخ جابر :

إن كلامك كلام مُطَاوَعَة ( أهل الدين ) ما هي ميزة الأمير على الباعة وأصحاب الدكاكين يا شيخ حافظ ؟ أخذها كلمة جامعة ! الرعية مثل النعم كلما طال صونها جَذَذَناه . فقلت له : ولكن النعم يا حضرة الشيخ تحتاج إلى من يعنى بها كي يتكاثر نسلها ، وأنتم لا تكفون بالصوف ، فإن المقص كثير ما يصيب الجلد ، فقال : إن الحاكم يجب أن تكون يده مطلقة في كل شيء ، في المال وفي الأرواح ، والرعية إذا استغثت وكثر ما لها طفت على الحاكم وربما أفلتت من يده . فقلت له : أيها الشيخ ! إن الرعية والراعى متضامنان في حب الخير للبلد ، وليس أحدهما خصماً للآخر ، والحاكم والد الجميع ، ولا يولد الحزانات والضغائن سوى الجبروت . فقال : أيها الشيخ ! ليست هناك فائدة من

الناقشة ، فنحن لا نفهم من الحكم إلا ما أسلفناه لك ، وكلام أهل الدين قد سمعناه كثيراً في دروس الوعظ وخطب الجمع ، ولنا في حاجة إلى المزيد .

أما القصة الأخرى فقد حدثت في نجد بعد ١٩ عاماً من القصة الأولى .

في شعبان سنة ١٣٥١ - ديسمبر سنة ١٩٣٢ زارني أحد مشايخ البدو وأخذ يسألني عن أوروبا وما فيها من جهال ورجال ومسلمين وعشب وأمطار وغير ذلك ، ثم قال : هل عليهم شيخ مثل ابن سعود ؟ فأجبته إن عليهم ملوكاً ، منهم الملوك الصغار ، ومنهم ملك بريطانيا الذي لا تقرب الشمس عن ملكه . فقال : وهل تفد عليه وفود ، وهل يحزل المطاء لوفوده ؟ فقلت : إنه لا يعطى جرام لأحد ولا يفد عليه إلا الملوك وكبار الرجال ، ولا يمنح إلا النياشين ، أما جنوده وروساء الجنود فاهم مرتبات خاصة يتقاضونها .

— لا بد أن يكون هذا الملك غنياً ما دام ملكه لا تقيب عنه الشمس ، لا بد أن تكون قصوره مملوءة بالذهب والجزائر الكريمة . فأجبته : إن الملك لعائلته مرتباً خاصاً لا يتجاوزونه ، والخزانة العامة تحت أمر وزير المالية وهو مراقب من مجلس الأمة ، فالخزانة بصرف منها أولاً على الموظفين المسكينين والمسكريين ، ثم على الأسطول ، ثم على سائر المندات الحربية ، ثم التعليم والأشغال العامة والصحة وغير ذلك ، كل شيء من هذه الأشياء لها مبالغ مرصودة لا يمكن تجاوزها .

— هل يقتل الملك الناس ؟ فأجبته : إن ملك إنجلترا كثر ملوك أوروبا الآن لا يباشرون الأعمال بأنفسهم ، فالحكمة إذا حكمت بالقتل فالملك يأمر بالتنفيذ وقد ينفو عن القتل فيستبدل الحكم بالأشغال لمدة معينة ، أما الملك بدون محكمة فلا يستطيع أن يأمر بقتل أحد ، ونيس بين الملوك وبين الناس خصومة حتى يأمرؤا بقتلهم .

— ليسوا هؤلاء ملوكاً ، إن من لم تطلق يده على الخزانة ومن تكف يده بهذا الشكل فليس بملك .

هذه هي الروح السائدة ومن هذه الروح تتكون الحكومة العربية ولا يستثنى من ذلك إلا البلاد التي كان يسودها النفوذ التركي ، فطريقة الحكم في الكويت والبحرين ونجد وقطر وعمان متشابهة ، وهي بسيطة ليس فيها من التقيد ما في البلاد المدنية ،

ولكن ضمان العدل يرجع إلى شخصية الحاكم ومهوه وميله إلى العدل والإنصاف .  
والشيخ أو السلطان أو الأمير هو الحاكم المطلق مصدر السلطات كلها ، إليه  
ترفع الدعاوى وهو يحولها بدوره إلى الشرع وما يحكم به الشرع بنفذ ، وفي المسائل  
التجارية يستأنس برأى التجار فتحول القضية إلى واحد أو اثنين أو ثلاثة من التجار  
حسب أهمية القضية ، والشيخ بعد ذلك يأمر بتنفيذ الحكم ، وفي بعض المسائل الهامة  
يجمع الشيخ كبار الجماعة لأخذ رأيهم وكثيراً ما يأخذ برأيهم هذا في الكويت وعمان  
أما في نجد فإن جميع القضايا تحول إلى الشرع فقط ، والقضاة أنفسهم قد يستأنسون  
بالعرف التجاري في البلد . كذلك كان الحال في البحرين إلى سنة ١٩٢٠ ، ومنذ هذه  
السنة قد وضع للبلد نظام للتقاضى خاص كما وضع لما نظام إدارى جديد . وعلى كل حال  
فالشرع لا يزال ينفذ على الوطنيين ما عدا الحدود الشرعية .

والبلدة إن كانت صغيرة مثل الكويت يعين الحاكم لها أميراً للسوق لفصل في القضايا  
الصغيرة ولا سيما قضايا البادية ، ووظيفة هذا الأمير تشبه وظيفة مدير البوasis ، وإن كانت  
متسمة الأطراف يعين لكل ناحية أمير من قبل الملك ابن السمود وهو يحدد سلطنة ،  
وسلطته لا تتعدى تنفيذ الأوامر الشرعية .

وربما كان الأميران ابن مساعد وابن جلوى هما أكبر الأمراء سلطة ونفوذاً ، فإن  
ابن مساعد يمتد نفوذه حابل إلى القصيم والجوف وما حولها من البادية ، والأمير عبد الله  
بن جلوى يمتد نفوذه على مقاطعة الاحساء والقطيف والبادية المحيطة بها ، وما يفرضان  
المقوبات البدنية والمالية حسبما يريان ، والغالب عليهما الصرامة في العقوبة .

وليس من حقوق الأمراء التداخل في الوظائف المالية ولا التعرض لبيت المال  
بأى شكل من الأشكال ، ولكنهم إذا رأوا شيئاً من الثمن على الحكومة أو الأهالى  
فإنهم يرفعون الشكاوى إلى الملك وهو يبيحها ويأمر بما يراه ، ولم تكن لهذه الحكومات  
إيرادات تذكر إلا ما يرد من زكاة الزرع وما يؤخذ من البادية ، وربما كانت أقل  
البلاد إيراداً للحكام الكويت حتى سنة ١٣٩٤ - ١٨٩٧ أى قبل تسنم الشيخ مبارك  
كرسى الحكم بعد اغتيال أخوية محمد وجراح ، فقد كانت شيوخ الكويت في ذلك

يتقاضون أشياء ضئيلة على التجارة لم يفرضها الحاكم على الأهالي بل فرضها الأهالي أنفسهم مساعدة للشيخ الذي ليست له موارد تقوم بحاجاته وحاجات عائلته ، وكان شيوخ الكويت يعيشون مع الأهالي كاخوان لهم ، وكان مفروضاً على الدكاكين ضريبة ضئيلة أيضاً للقيام بنفقات الحرس في الليل .

وكانت البحرين كالكويت في أكثر هذه العداير ، ولكنحكام البحرين كانوا أغنى وأحسن حالاً من شيوخ الكويت لكثرة أملاكهم في البحرين ، ولأن سكان البحرين أكثر وأغنى من الكويت .

أماحكام نجد السابقون والحاليون فواردات الحكومة عندهم من الزكاة على الزرع والحيوانات ، وما كان يوضع على الحاجاج من الضرائب ، وما يدخل بيت المال من خمس الجهاد ، وما يدخل خزانة الحاكم يصرف منه على حاجاته الشخصية وعلى الأعطيات التي يجود بها على الوافدين . أما المدارس والصحة ووسائل تنظيف البلد وتجميلها فإنه مع استنفاء الحجاز ونجد ، نجد الأهالي والحكام مشتركين في عدم الشهور بالحاجة إليها .

أذكر أن أول مدرسة نظامية أسست في الكويت سنة ١٣٣٠ هـ ( ١٩١٢ ) كانت من تبرعات الأهالي وإحسان بنت آل إبراهيم ، ولم يدفع الشيخ مبارك شيئاً لمساعدة أول مشروع على في بلاده ، وقد تبدل الحال كثيراً في السنوات الأخيرة سواء في الإدارة أو في نظام الحكم وطريقته .

ليس في البلاد العربية ما عدا الحجاز ونجداً جيوش لحمايتها من الطواري ، وكل ما هنالك خمسون أو مائة نفر ( لحاية الشيخ ) ويقومون في البلد بوظيفة البوليس ، وهذا العدد ينقص أو يزيد تبعاً لما يحس به الشيخ من الضعف أو القوة في البلد وما يحس به من أبناء عمومته نحوه . أما إذا أصبحت البلاد في حالة حرب فإن الشيخ يضع على أهالي البلد نفقات وهم يؤزعونها على البلد كل بقدر ما يستطيع ، والشيخ يوزع عليهم ما ينقص من السلاح والذخيرة .

وفي البلاد التي لم يعتد أهلها الحرب والطمأن مثل الاحساء والقطيف وبعض بلدان الحجاز يفرض عليها ضريبة تسنى إعانة الجهاد .

وبالنظر إلى قلة الواردات التي تستوفى باسم الحاكم ، فإن بعضهم لا يرى غضاضة من الاشتغال بالتجارة : كشيوخ عمان وقطر وبعض شيوخ البحرين الآن . أما شيوخ الكويت والبحرين قبل سنة ١٩٣٠ وأمرأء نجد فلم يسمع أن أحداً منهم اشتغل بالتجارة وهم يعدونها عيباً .

لقد كان المعروف في أكثر البلاد العربية أن كل من ينتمى إلى عائلة الشيخ يمكن أن ترفع إليه الدعاوى وهو يحولها إلى الشرع ، وخدمه يقومون بالتنفيذ ، ولما كان الشيخ لا يفترض على هذا التصرف إرضاء لبني عمومته ، وفي الحقيقة كان هذا الضرب مبعثاً للقوضى ومضيقاً للمسئولية . على أن بعض الحكام يأنس من نفسه القوة فيقبض بكتلتنا يديه على البلد ويمنع أى شخص سواء وسوى من يمينته لمباشرة الأحكام .

فالشيخ مبارك الصباح كان هو الشخص الوحيد في الكويت للرجوع في الشكاوى ، وأحياناً كان يكل بعض المسائل إلى أحد ولديه الشيخ جابر أو الشيخ سالم .

ولذلك إن السعود أشد من الشيخ مبارك في هذا ، لا يسمح لإخوته أو لأولاده أن يتصرفوا في أمر من الأمور بدون مراجعته ، ولقد عين الآن النجل الأكبر الأمير سعود ( الآن الملك ) نائباً عنه في نجد ، والولد الثاني الأمير فيصل للحجاز وله الإشراف العام وقد ألف قبيل وفاته مجلس وزراء أصبح أساساً لإدارة البلاد .

ولقد كانت حماية الأفراد معروفة في بلاد العرب ؛ فالشخص الذي يريد الفرار من الحكم أو التخلص مما عليه من التبعة يلحق بخدمة أحد الشيوخ أو يحتجى بظله أو يلتجئ إلى بيته ، كانت هذه الحماية معروفة في البادية على أكل مظاهرها كما هي معروفة في المدن ، وكان الحامي يرى من واجبه حماية من التجأ إليه ما دام يأنس في نفسه القوة والمنعة ، فإذا رأى أن ذلك يجر عليه مشاكل تركه إلى حيث يجذ السلامة ، أما تسليمه إلى من يطلبه فذلك معدود من الصيوب التي لا تنفزع ، فإذا كان رجل مدبناً لأحد وأراد المدين أن يتخلص من المطالبة فإما عليه إلا الاحتياء بأحد الشيوخ وذلك يخلصه من المطالبة ، ولكن هنالك من الشيوخ من لا يرضى بهذا العمل المزرى فيأمر تابعه بتسليم ما عليه من الدين أو يطرده من خدمته .

والقاتل إذا التجأ إلى بيت من البيوت الكبيرة فإنها لا تسلمه إلى المطالبين بالدم ،

وم يحسونه أو يطلقون صبيه إلى حيث يجد السلامة . وربما كان منشأ هذه الحياة الاعتزاز بالصبية ، والحماية وإن قضى عليها في نجد والحجاز فلا يزال لها أثر عظيم في بادية عمان

قلنا : إنه حتى سنة ١٨٩٧ لم تكن على سواحل البلاد العربية في الخليج الفارسي جمارك بالمعنى المعروف ، وكانت هناك ضرائب على البضائع لا تتجاوز ٣ ٪ ولكن كان لكل كبير الحق في جلب ما يحتاجه من أرز وقمح وسكر وملابس بدون دفع رسوم جمركية ، وكان أهل السفينة حين رجوعهم من الهند يحضرون حاجاتهم الضرورية معهم بدون دفع رسوم جمركية مادامت لا تسعمل في التجارة ، ويكفي أن يخبر مدير الجرك بقدم السفينة أو الشيء المطلوب السماح عنه ، وربما كان الشيخ مبارك أول أمراء العرب على الشاطئ الشرقي الذين غلوا في زيادة الجمارك ، فقد زادت الجمارك حتى ١٠ ٪ على بعض الأصناف

وقد اشتغل أحد أولاده بالتجارة ، وهو الشيخ ناصر المبارك ، وكانت تجارته مغطاة من الضرائب ، فكان يصرها في السوق بريح الجرك فأثري في مدة قصيرة ، ولكن والده بعد احتياج التجار أمره بالامتناع عن المتاجرة أو يحصل منه الجرك أسوة بآثر التجار ومن المسلم به عند العرب عموماً أن فرض الضرائب على التجارة حرام ، وم يطلقون اسم المظالم على كل نوع من الضرائب غير الزكاة ، ولذا فإن الشيخ عند ما يعين يرى إرضاء لشعبه تخفيف هذه الضرائب

فالشيخ جابر الصباح بن الشيخ مبارك عند ما تولى الحكم أنقضى بعض الضرائب التي أحدثها والده ، والتي لم تعرف في غير عهد الشيخ مبارك ، والشيخ سالم بن الشيخ مبارك بعد ما تولى الحكم بعد أخيه خفف بعض الضرائب أيضاً

والبحرين إلى سنة ١٩٢١ كانت جماركها مملعة بالضمان لأحد المندوكين ، والأمير ابن سعود لم يكن يعرف قبل احتلال الاحساء الجمارك ، ولكنه بعد ما استولى على الاحساء والقطيف وضع الجمارك على البضائع الواردة إلى نجد والاحساء ، وكانت الضريبة لا تتجاوز ٥ ٪ وكان الجرك التزاماً ، وفي أثناء الحرب العالمية نظم الجمارك النجدية الشيخ عبد اللطيف

المندبل ، فزاد الإيراد من خمسة آلاف جنيه في السنة إلى ٢٠ ألفاً ، ثم أخذها بالضمان مرة أخرى أحد أغنياء القطيف بأربعين ألف جنيه ، وفي سنة ١٩٢٠ أخذها بالضمان بمبلغ ٧٢ ألف جنيه على شرط منع التجارة مع الكويت ، فأجيب إلى طلبه ثم نظمت الجمارك بعد ذلك وألغى الضمان

وهناك ضرائب أخرى في السوق العام كأن يؤخذ شيء معين على ما يرد من البادية : من السن والقمم والجمال ، وعلى كل حال فإن بلاد العرب أقل بلاد العالم ضرائب ، وهي بلاد فقيرة لا تحتمل ما يفرض على غيرها في البلاد الأخرى

ونظام نجد في تحصيل الضرائب لا يختلف عما يجري في البلاد العربية المجاورة لها ، وإن كانت نجد تأخذ من الضرائب الجركية أكثر من غيرها بالنظر لما عليها من التبعات أما في الحجاز ، فالحالة تختلف كل الاختلاف عن باقي البلاد المجاورة ، لقد كان النظام التركي في الجمارك والإدارة مطبقاً في الحجاز ، ولكن وجود الأمير أو الشريف في مكة بجانب الوالي جعل للشريف شخصية أخرى ونفوذاً آخر بجانب الوالي

كان الشريف يتدخل في كل شيء في مكة ولكنه من طريق غير مباشر ، فكان أمر البادية راجعاً إليه ، يفصل في خصومات البادية ، وكان يضع الضرائب على المطوفين والحجاج والمخلاة ، ويختص بها أو يتقاسمها مع الوالي التركي ، وكان الأشراف يمنحون حق التطويق لمن يريدونه من أهل مكة : إما مقابل خدمة قام بها الشخص لهم ، أو مقابل مبلغ من المال . وهذا يفسر لنا الثروة التي جمعها الأشراف أثناء حكمهم في الحجاز ، وبالطبع كان الناس في طريق معاملتهم للحجاج يتبعون الخطة التي يرسمها الشريف ، وربما كان الشريف حين في السنين الأولى من حكمه أفضل الأشراف خلقاً ، وأعلام نساء ، وأنزهم كفاً

أما علاقة الناس بالحكام في سائر البلاد العربية فملاقة فائقة على الصداقة والولاء للحكام ، والحكام أنفسهم لا يتصرفون عن مخالطة الأهالي ، غير أن الأشراف كانوا يتربصون عن مخالطة الناس ، ويكبرهم يضرب للتل في سائر الجزيرة العربية ولقد قضت الثورة العربية على الملك حسين أن يغير الوضع الإداري الذي كان سائداً

في الحجاز بوضع آخر يتفق مع روح التورة وما يتطلبه العرب منه ، فأمر في أوائل سنة ١٣٣٥ م — ١٩١٧ هـ بتأليف وزارة ، كما أمر بإحداث مجلس شيوخ معين من قبله لوضع القوانين والنظم الإدارية . غير أن الباحث في سجلات الحكومة الهاشمية يرى أن الملك حينئذ كان المتصرف في كل صغيرة وكبيرة ، وأن الوزراء والمجلس لم يكونا إلا طلاء ، كما أنه لم يكن هناك نظام لتوزيع العمل والمسئوليات ، فأقل المسائل أهمية تأخذ سلسلة طويلة من التحويل من وزارة إلى أخرى حتى تنتهي إلى الملك الذي يأمر فيقطع ، وبجانب هذه التشكيلات الإدارية قد وضع الملك حسين موظفين خاصين للفصل في منازعات البدو — لأنها تحتاج إلى السرعة .

أما الحكومة الحالية فإن الملك عبد العزيز قد أنشأ أولاً النظام الذي أسسه الملك حينئذ لأنه لم يرق في نظره : فألقى الوزارة وجعل السلطة التنفيذية في يده ، وعين بضعة مديري للدوائر العامة : بعضهم مرتبط مع جلالاته رأساً ، وبعضهم مرتبط بسو نائبه العام ، وسلطة هؤلاء المديرين تضيق وتوسع باعتبار شخصياتهم ورضا الملك عنهم ، وبجانب النائب العام كان مجلس صغير معين من بضعة أشخاص ومستشارين معينين لمساعدة سموه ، وقد تميز هذا النظام تدريجياً ، فبدلاً من مجلس الإدارة أسس مجلس الشورى من نخبة المصلين وأعيان البلاد ، وبدلاً من المديرين عين بضعة وزراء للخارجية والداخلية والمالية والدفاع ، غير أنه لأن لم يوضع نظام لتوزيع الأعمال وتحديد المسؤوليات ، فالأعمال كانت ترجع إلى سمو النائب العام الذي بدوره يحول أكثرها إلى جلالة الملك تخلصاً من المسئولية ، كما أن مجلس الشورى ليس له حدود معينة ، فكثير من المسائل الصغيرة تحول إليه في الوقت الذي يفصل دونه في مسائل عظيمة الأهمية .

وفي سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م أمر جلالة المرحوم الملك عبد العزيز بتشكيل مجلس وزراء أسند رياسته لولي عهده الأمير سعود ، وبعد وفاة جلالاته أسندت رئاسة الحكومة إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ولي العهد ، ووزعت الوزارات على أخوانه ما عدا وزارة المالية ووزارة التجارة فقد أسندت إلى رجلين من غير العائلة المالكة .

وبالإجمال فإن أمراء العرب اعتادوا الاعتماد على أنفسهم فقط ومباشرة صغار الأمور



وكبارها ، وليس فيها نظام لتوزيع الأعمال ، على أن نظاماً كهذا يفتقر إلى موظفين يجوزون ثقة الملك ورضاه الدائم ويعملون لصالحه وصالح بلاده بكل نزاهة ، ومهما كانت عيوب النظام الإداري فإن شخصية الملك عبد العزيز وجهه للعدل ، وحرصه على صالح شعبه ، ومهوه الدائم على مصالح رعيته ، ومواصلته الليل بالنهار في مراقبة صغير الأمور وجايلها ، جعل أكثر الأعمال تسير في طريق مرضى بفضل شخصيته وشخصية أنجاله المباشرين للأعمال .

## السياسة الخارجية

لم يكن لأمر العرب اهتمام بالسياسة الخارجية ، لأن بعض أمراء هذه البلاد تمنعه المعاهدات الموقودة بينه وبين إنجلترا من مخافة أي دولة أجنبية مثل الكويت والبحرين وعمان ، وبعضها كنجبد والحجاز كان ممدوداً دولياً من الامبراطورية العثمانية ، على أن كثيراً من شيوخ العرب لا يفهمون السياسة الخارجية على وجهها الصحيح

لقد سألت قبل أربع سنوات أحد شيوخ البحرين عن حقيقة ما أشيع من أن جلالة الملك سيقبل تعيين أحد القناصل في القطيف أو في الاحساء . فقلت له : إن الإشاعة غير صحيحة ، ولكن ماذا يمنع من ذلك إذا كانت هناك مصالح للرايا الانجليز مثل الهند وغيرهم توجب تعيين قنصل ؟ فقال : إذا قبل الملك ذلك فعلى بلاده السلام ؛ إن الراية الانجليزية ما رفعت على بلد إلا وأعقبها الاستيلاء عليه . فقلت له : إن هذا غلط عظيم ، فادمت لا تترك بابك مفتوحاً فلا الانجليز ولا غيرهم يدخلون ، وإن رفع الراية على القنصلية ليس معناه أن البلد تابع للانجليز ، فنعن يمكننا أن نرفع رايتنا في بلادهم وفي الهند . فقال : لقد رأيت ما صنعوا في البحرين ؟ إنهم في خمسين سنة تقضوا على كل نفوذ لشيوخ البحرين :

فأجبتني أنني أعتقد لو أن شيوخ البحرين كانوا ساهرين على مصالح رعاياهم ومصالح الساكنين في جزيرة البحرين ما تدخل الانجليز في شئون البحرين ، ولكن كيف يتف الانجليز مكتوفي الأيدي وأموال رعاياهم ورعايا غيرهم من الدول في خطر ، ولست في حاجة

إلى بحث الحوادث السكثيرة التي تفلأت فيها البحرين من جهة اختلال الإدارة ، فإن ذلك معروف . فقال الشيخ : مهما كان الأمر فقد كان يجب النصيح والإرشاد فقط ، وعلى كل حال فأرجو أن يعتبر الملك عبد المزيـز بحيراته ولا يقبل تعيين قنصل في بلاده

وهذا الشيخ في الواقع يعبر أحسن تعبير عن العقيلة السائدة في جزيرة العرب ، بل لقد امتنع أهل دُكَيْن من ساحل عمان من وضع كرتينة في بلادهم سنة ١٩٢٨ وقت حدوث الكوليرا في العراق ، وقالوا لا نمر البواخر ببلادنا حتى تصبح حالة البصرة الصحية مرضية ، ولا داعي لإقامة حجر صحي في بلادنا ، وامتنعوا أيضاً عن قبول إنشاء محطة للطيران في بلادهم ، كل هذا ابتداءً عما يمكن أن يقع لبلادهم مثل ما وقع في البحرين

## أشراف مكة

كانت مكة حتى سنة ٣٥٨ هـ إمارة تابعة لبغداد ، شأنها في الإدارة شأن سائر الإمارات التابعة للخليفة

ولما استولى الفاطميون على مصر وانقطعوا مع بعض البلدان الأخرى من بلاد الخليفة المباسي استقل الأشراف الحسنيون بمكة ، وأولهم جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر ، وهؤلاء الأشراف أربع طبقات : الموسويون أو بنو موسى ، والسليمانيون ، والمهاشم ، وهذه الطبقات الثلاث حكمت مكة من سنة ٣٥٨ إلى سنة ٥٩٨ هـ أي ٢٤٠ سنة والطبقة الرابعة تتادة وبنوه ، وهؤلاء حكموا من ٥٩٨ هـ إلى سنة ١٣٤٤ هـ وهي السنة التي أجلي فيها الملك على بن الحسين عن جدة

والواقف على تاريخ الأشراف في الحجاز يرى أنه تاريخ مملوء بالدماء والفظائع ، فالشريف منهم في سبيل الإمارة لم يكن يتورع عن قتل أخيه وأبناء عمومته في سبيل الحكم ، ولقد بلغت بعضهم القسوة أن قتل أخاه وطبخ لحمه ودعا لإخوانه الباقين لولية قدم لهم فيها لحم أخيه ١٩

لقد كان الأشراف في سبيل الإمارة يستعينون بكل من يمكن الاستمانة به من أمراء الحج المصري أو الشامي ، كما أن النفوذ المصري في الحجاز كان يظهر تارة ويختفي أخرى ، كان تارة مباشراً وأخرى غير مباشرة إلى أن فتح الأتراك مصر سنة ٩٢٣ هـ فقدم شريف مكة طاعته للسلطان سليم الذي يبيع بالخلافة وأقب بخادم الحرمين الشريفين ، وكان نفوذ الأتراك والمصريين يظهر تارة ويختفي أخرى ، وكلما أنس الأشراف ضعفاً من الأتراك والمصريين وسعوا نفوذهم إلى الجهات المجاورة . ولما ضعف الأتراك في القرنين الماضيين وساد الاضطراب مصر أصبح الأشراف ذوي الكلمة المسموعة في الحجاز والنفوذ الفعلي ، ولو أنهم مازالوا يتظاهرون بأنهم خدام السلطان ويخطبون باسمه في المساجد . وإلى القرن الثامن عشر كان حق انتخاب شريف مكة محصوراً في

بنى بركات (نسبة إلى الشريف بركات بن السيد حسن الجفّلان الذى خلف أباه سنة ١٨٢٩ هـ وهو من جهة أمه ينتسب إلى الموحّدين الذين خلّعوا من حكم مكة سنة ٥٩٨ هـ)

وبعد حروب بين بنى بركات ومنافسهم من القبائل غالبوا على أسرم ، وتسم الإمارة ذور زيد ولم يكن فيهم منصب شريف مكة وراثيا ولكنه على كل حال بقى فى هذه القبيلة حتى غلبت على أسرها ، فكان بمجرد موت الشريف يطو إلى المنصب أقوى العائلة سلطاناً وأكثرهم أنصاراً ، وربما كان أقوى الأشراف فى القرن الثامن عشر الشريف سرور ١١٨٦ هـ — ١٢٠٣ هـ ، فإنه أول من أذل الأشراف وكسر شوكتهم وسلطانهم وأسس حكماً عادلاً فى مكة

لقد كانت عادة الأشراف أن يكون فى بيت كل شريف ٣٠ — ٤٠ عبداً مسلحاً عدا الخدم والأقارب ، ومن يمت إليه بحصة القرابة من البدو الذين يعيشون بقرية النغم والإبل وعطايا الحجاج ، وكان الأشراف قبل حكم الشريف سرور حكاماً فى مكة فلما ينحسرون لأواسر الشريف مكة ، وكان مهمهم جمع المال بكل الوسائل الممكنة ، فكانوا كثيراً ما يضائلون الحجاج ويقطعون عليهم الطريق بين جدة ومكة ، أو مكة والمدينة ، بل كثيراً ما كانوا يضائلون الحجاج فى بيوتهم مما تأباه شريعة العربى الكريم

فبعد جهاد طويل تمكن الشريف سرور من إخضاع الأشراف فجعل سكان مكة يحبونه من كل قلوبهم ، وكان هو نفسه خير قدوة للطبقة الوسطى فى بساطة حياته وتواضعه وكرمه لأهله وعشيرته ، مع اشتغاره بالشجاعة النادرة والذكاء المتوقد

أما ما رواه بركات من أن الشريف سروراً اكتفى بنفى المتآمرين عليه ، فإنه يخالف ما رواه السيد دحلان من أن الشريف صلب رئيس المصابة ومثل ببعض العبيد وقتل البعض الآخر

وبلى سروراً فى الشهرة الشريف غالب وإن كان دونه فى حب العدل ، وفى أيام غالب غزا السموديون الحجاز ، كما أنه فى أيامه أيضاً كان غزوة المصريين للحجاز ونجد ، وقد قبض عليه محمد على باشا ونفاه إلى سلاطيك حيث مات هناك

وبعد استرداد مكة يأبى القوات المصرية قوى النفوذ التركى والمصرى ، وأصبح

الأشراف خاضعين تمام الخضوع لأوامر الباب العالي . وقد أراد المصريون أن يكون نفوذهم قطعياً فعينوا الشريف محمد بن عون وجعلوا إلى جانبه محافظاً في مكة ومحافظاً في جدة ، كما أنهم وضعوا لأول مرة حامية أجنبية في مكة لتضمن لهم السيطرة والاطمان وتحول دون انتفاض الأشراف عليهم

ولما انسحبت الحاميات المصرية سنة ١٢٥٦ هـ حسب الصلح الذي تم بين السلطان عبد المجيد ومحمد علي استبدل بالولاة المصريين الولاة الأتراك ، كما استبدلت بالحاميات المصرية الحاميات التركية في مكة وللدبنة والطائف وجدة ، وأصبح الأشراف يعينون ويعزلون حسب أوامر الباب العالي المطلقة ، غير أن هذا لم يمنع الأشراف من إرهاب الحجاج وظلم السكان

كان الباب العالي يرسل رئيس القضاة إلى مكة كل مدة معينة لضمان العدل ، وحتى يكون القضاء مستقلاً عن الحكم ، فلا يكون للأشراف نفوذ أو تأثير في قضاء القاضي ، ولكن هذا الفرض لم يحصل إلا نادراً ، وكان أكثر القضاة آله في يد الشريف مكة ، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل أن تقدم الهدايا للقاضي

وكان سكان مكة معفين من جميع الضرائب الشخصية والمقارية ، غير أن الأشراف كانوا يضعون ضرائب صغيرة على الأغنام والمواشي ، كما كانوا يضعون ضرائب على الحجاج وقوافلهم

وفي سنة ١٢٢٦ هـ — ١٩٠٨ م رشح كامل باشا الصدر الأعظم الشريف حسين بن علي أميراً على مكة بعد وفاة ابن عمه الأمير عبد الإله في طريقه إلى مكة ، وكان قد اختير شريعاً لمكة خلفاً للأمير علي باشا الذي خلع من الإمارة وأبعد مع عائلته إلى مصر

ولد الشريف حسين بن علي سنة ١٢٣٠ هـ ( ١٨٥٣ م ) بالآستانة وبقى مع والده مدة فيها ، ثم ذهب إلى مكة بمعية والده الذي عين أميراً لمكة ، وبقى بها إلى أن تولى إمارة مكة عمه الشريف عون الرقيق سنة ١٢٩٩ هـ فطلب إبعاده عن مكة لأنه خطر على الأمن فأبعد إلى الآستانة ، وبقى بها حتى أسندت إليه إمارة مكة ، وقد اختير الشريف حسين للعمل على نشر السلم في بلاد العرب وتقوية نفوذ الأتراك فيها بعد أن كاد نفوذهم يتصدع ،

وقد عمل الشريف مكة في هذا السبيل بكل ما أوتي من قوة لأنها تنفق مع الخطة التي كان يضيرها في نفسه من تقوية نفوذه وبسط يده على بلاد العرب

لقد سافر سنة ١٣٢٧ هـ ١٩١٠ م على رأس الحملة التي أعدت لتأديب الإدريسى الشاق عصا الطاعة على الأتراك ، فدمر قوات الإدريسى ودخل أبنها دخول الفاتح الظافر ، وفي السنة نفسها سافر على رأس قوة وصلت للشعرا<sup>(١)</sup> لإجبار حاكم نجد على الاعتراف بتبعية عتبة للحجاز

وإذا كان الأشراف قد سلكوا في الناس مسلك الكبر والجبروت والترفع عن الناس وعدم مخالطتهم ، فإن الشريف حسيماً قد امتازت أيام إمارته الأولى بالتواضع والعدل والتبعية على أهل مكة والدفاع عن مصالحهم ، كما أنه اشتهر أيضاً بالشجاعة وعلو النفس ونقاء الذليل

لقد وقف الشريف حسين في وجه جميع الإصلاحات التي كانت يريد الأتراك الاتحاديون القيام بها في الحجاز ؛ لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشل يده عن العمل في الحجاز ، فعرقل مد سككة حديد ( جدة — مكة ) كما عرقل مد طريق مكة إلى الطائف من جهة جبل كركى

لقد سمعنا ونحن في الآستانة سنة ١٩١٢ م ما يهجن به الأتراك نحو الشريف مكة ، ومن سوء ظنهم به وبجديوى مصر السابق وعزمهم على التخلص منه ، ولكن الشريف تمكن من التغلب عليهم ومن التخلص من مؤامراتهم ، واستعد سرا للتخلص من سيادتهم ونفوذهم على الحجاز ، فأختار الوقت المناسب له ، فأعلن الثورة عليهم وتغلب على حاميتهم الواجدة بمد الأخرى بمساعدة بعض القوات المصرية التي أوفدها الانجليز لمساعدته حتى دانت له الحجاز كلها

(١) الشعرا : أول قرى نجد من ناحية الحجاز

## العرب والأتراك

في القرن العاشر الهجري بسط الأتراك نفوذهم على سائر البلاد العربية : الحجاز واليمن وسواحل الخليج الفارسي ، وأصبح القسم الأكبر منها جزءاً من الأميرالية العثمانية ، وبقيت معتبرة جزءاً منها في العرف الدولي حتى إعلان الصلح مع تركيا . كانت الثورات تقوم من وقت لآخر في بلاد العرب بين الحكومة التركية وبين الأمراء المحليين سعيًا وراء الاستقلال الداخلي ، مرة في اليمن وأخرى في عسير ، وآونة في نجد ، وطوراً في سوريا ، فكانت هذه الثورات نتيجة للعنف التركي ، أو لجهل الأتراك عادات وتقاليد العرب .

إن الواقع الذي لا ينكر أن الأتراك كانوا رجال فتح وحرب ، ولم يكونوا رجال تعبير وتمدين ؛ فالبلاد التركية والبلاد العربية التي خضعت لسيادة التركية مدة طويلة كانت في التفقر والتأخر سواء ، لذلك انضم أحرار العرب ومتعلموهم من ضباط وغيرهم إلى أحرار الأتراك ؛ وعملوا معهم في الجمعيات السرية ، واشتركوا معهم في جميع الأعمال الثورية التي أسقطت السلطان عبد الحميد ونجحت في إعلان الدستور الثاني في تركيا . كان متعلمو العرب يأملون أن بلادهم في ظل الدستور سيشملها الإصلاح الذي هو في أشد الحاجة إليه ، ولكن الأمل خاب ، فإن شبان الأتراك أخذوا ينظرون إلى الشعب العربي عامة وإلى زملائهم خاصة ، لا نظر الأخ إلى أخيه بل نظر الحاكم للشعوب إلى المحكوم ، فلم يكن بُدّ لقادة العرب المتعلمين من النظر في أمرهم وأمر بلادهم ، ووضع حد لغلو الأتراك ، فألفوا الجمعيات السرية في الجيش ، كما ألفوا الأحزاب السياسية للدفاع عن حقوق العرب ولإصلاح البلاد العربية ، وأهم هذه الجمعيات :

### الجمعية القحطانية

تشكلت في الآستانة سنة ١٩٠٩ م من قبل وزير الأوقاف خليل حمادة باشا ، والسيد عبد الحميد الزهراوى ، وسلم بك الجزائرى وزملائه

## جمعية المهد

شعبة من الجمعية التخطانية ، أسسها عزيز على بك المصرى بعد عودته من طرابلس الغرب سنة ١٩١٢ م وعصرها في ضباط العرب

## حزب اللامركزية

تألف في مصر سنة ١٩١٢ م من السيد الزهراوى ورفيق بك العظم ، والسيد رشيد رضا ، وحقى بك العظم ، وزملائهم ، وغايته الوصول بكل الوسائل المشروعة إلى تأسيس حكومة لامركزية في جميع الولايات العثمانية

كانت جميع هذه الجمعيات على اختلاف منازعها تواصل مساعيها في بث الدعوة القومية وإنهاض الروح العربية ، فأنشأت الفروع والشعب في معظم المدن العربية : بغداد ودمشق وحلب وحمص وحماة ويبروت

وفي سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ م أخذت الصحف العربية والتركية تناقش بعضها بعضاً مناقشات كانت حادة في كثير من الأحيان ، وأخذ متطرفو الأتراك يؤلفون الكتب في الطعن في العرب وكل ماله علاقة بالعرب ، واتهموا القائمين بالحركة الإصلاحية بأنهم يعملون لحساب الأجانب وأن الأيدي الأجنبية هي التي تدير هذه الجمعيات

لم يكن حزب من الأحزاب العربية يرى إلى الانفصال عن الترك ، بل كل ما كان يرى إليه الجميع هو الإصلاح العربى وإنحياء القومية العربية وبقاء العرب بجانب الأتراك كأخوة وحلفاء لا كسيد ومسود

## المؤتمر العربى بباريس

فكر ممثلو العرب المقيمون في باريس في عقد مؤتمر عربى ، فخابروا الجمعية اللامركزية في مصر بفكرتهم وحددت المسائل التي ستكون مدار البحث وهي :

( ١ ) الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال



- (٢) حقوق العرب في المملكة العثمانية  
(٣) ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية  
(٤) المهاجرة من سوريا وإليها

فوافقت اللجنة العليا على الاقتراح ، وقررت إرسال مندوبين من قبلها ، فانمقد المؤتمر العربي في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية في باريس من ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ م إلى ٢٣ منه ، وقد قال السيد عبد الحميد الزهراوى في خطبة افتتاح المؤتمر :

« إن العرب كانوا أئفوا الترك ، وهؤلاء قد ألقوا العرب منذ عشرة قرون ، ولكن كما مزجت بينهم السياسة فرقت بينهم السياسة أيضا ، ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم إلا رابطة بين البعض ، وهذه الرابطة لا تزال تعد ثمينة عند الترك والعرب معا ، ولكنها مع عزتها قد أصبحت مهددة بالسياسة أكثر مما كانت من قبل ، ومعلوم أن السياسة في هذه المملكة بيد الترك ؛ ولذلك تعرفوا أوروبا أنها تركية ، فلما رأى العرب الآن ما وصلت إليه هذه المملكة بتلك السياسة التي مضى العمل عليها حتى الآن ، وكانوا حريصين على البقية الباقية من تلك الرابطة ، تنبهوا إلى واجب عظيم كان الترك والعرب جميعا غير مهتمين به كما ينبغي ، وهو اشتراك الفريقين في سياسة البلاد ، فانه قد تبين واضحا أنه لا العرب انفعوا ببراءتهم من ذنب إضاعة البلاد ولا الترك انتفعوا بتحملهم وحدهم ثبته ذلك العبء الثقيل ، وبدى أن هذا الاشتراك لا يتناقى الإخاء بل الذى يتنافى هو عدم هذا الاشتراك »

نقلت جمعية الاتحاد والترقى لهذه الحركة فأيقنت أنها إن لم تعالج الموضوع بحكمة وعقل ، فإن بلاد العرب قد تفتت من أيديهم ، وأيد هذا الاعتقاد في نظرم اغتيال قومندان البصرة بيد أعوان السيد طالب النقيب ، وانتزاع الاحياء والتطيف من أيديهم بيد الأمير ابن السعود ، وهم كما قدمنا يعتقدون أن الحركة العربية وايدة تحريرات الأجانب لا الشعور بالحاجة إلى الإصلاح

بدأت الحكومة العثمانية تستعمل الشدة في أول الأمر ، فألقت القبض على عدة من أعضاء الجمعية الإصلاحية في بيروت ، فأغلقت المدينة دكا كينها أياما ، فأخرجهم

الوالى من السجن ، وأخيراً رأت أن تعالج المشكلة بالطرق السياسية ، وأرسلت جمعية الاتحاد والترقى مدحت شكرى بك سكرتيرها إلى باريس ليتفاوض مع أحرار العرب ، ويتفق معهم على خدع الطرف الذى تميد إلى الأمتين العربية والتركية التامة التبادلة . والصدافة الوطيدة القديمة التى ربطت بين الشعبين قروناً طويلاً ، فاتفق الفريقان على أكثر المسائل المختلف عليها

وأصدرت الحكومة العثمانية فى أوائل أغسطس سنة ١٩١٣ م القرار الرسمى التالى :  
إنه بالنظر للضرورات واختلاف الأزجة فى الولايات العثمانية إلى وجوب ترقية البلاد وإسعاد أهلها وزيادة رفاهيتهم ، تقرر بمد الاتكال على الله ومفاوضة الولايات ( ١ ) أن يعهد فى إدارة الأوقاف الموقوفة على أعمال الخير المحلية إلى المجالس المحلية فى الولايات حسب قانون ينشر قريباً

( ٢ ) أن تكون الخدمة العسكرية فى زمن السلم فى دائرة التفتيش ، إلا إذا رأت الحكومة أن هنالك من الأسباب ما يدعو إلى حشد الجنود فى جهة من الجهات فتعمل الجنود على الطريقة النسبية

( ٣ ) يكون التدريس باللغة العربية فى الجهات التى يتكلم أكثر سكانها اللغة العربية ، ويبدأ بذلك فى المكاتب الرشيدة والإعدادية ، والاستعداد لتوفير الأسباب فى التعليم العالى ( ٤ ) يختار الموظفون من الآن من الواقفين على اللغة العربية علاوة على اللغة التركية ، ويعين الموظفون الثانويون من الولاية رأساً حسب قانون الولايات

وعلى أثر ذلك تبادل العرب والترك الزيارات ، وأظهروا رضاهم وولاءهم للأتراك ، وفى الوقت نفسه عمل الأتراك على إيقاع الشقاق بين قادة العرب ، فعينوا السيد الزهراوى رئيس مؤتمر باريس عضواً فى مجلس الأعيان ، وعينوا بعض شبان العرب فى بعض الوظائف الهامة ، فاشتد غضب الشبيبة العربية على هؤلاء الذين قبلوا الوظائف ورومهم بخيانة الأمانة التى أؤتمنوا عليها

أما الإصلاحات فبقيت حبراً على ورق ، وأراد الأتراك أن يبالغوا من العرب بالتصديق والطلل ويضربوا زعماء الحركة الواحد تلو الآخر ، غير أن ذلك لم يطل كثيراً ، فان الحرب العامة قد استعرت لهايبها وأظهر الأتراك ميلهم إلى الألمان وأخيراً انقضوا إليهم

## الثورة العربية

كان الشائع في الدوائر التركية العليا أن الشريف مكة يعمل في الخفاء على الانفصال من الأتراك ، وأن أولاده أثناء سرورهم بمصر يمدون الطريق لذلك بواسطة اللورد كنتشر ، وأن الشريف مكة لا يحاول الانفصال فقط من الأتراك ، بل يعمل أيضاً لاستعادة الخلافة منهم ، وكان يقوى هذه الإشاعات عند الأتراك مقاومة الشريف لكل عمل إصلاحى يراد إدخاله إلى الحجاز ، فقصموا على التخلص منه فعينوا وهيب بك والياً للحجاز لقيام بهذه المهمة ، ولكن الشريف مكة كان عالماً بكل ما كان يديره الأتراك في الخفاء ، وكان يطلع على جميع التقارير التي بين الوالى ووزارة الداخلية والحربية في الأستانة ، ولذا كان يصل لأحباط المساعي من جانب وهيب بك والحذر من الوقوع في الفخ ، وهو يعلم أنه ليس أول الشريف خلعه الأتراك من إمارة مكة

أعلن الأتراك الجهاد على الخلفاء ، ووزعوا المنشورات في إستانر الولايات التركية كما أرسلوها سراً إلى بعض الجهات الخاضعة للخلفاء ، وظنوا أن المسلمين سيتبعونهم ، وكانوا جاهلين تمام الجهل حالة الإسلام والمسلمين المعنوية والمادية ، وغرهم بعض الزعماء بأن أهم حركة يقوم بها الأتراك ضد إنجلترا أو فرنسا لانتابث أن توفد النار في المستعمرات البريطانية الفرنسية ، ولكن الحوادث كشفت خطأ الأتراك فيما تخيلوه ، ولما تنكر ما حدث من الأثر بسبب دخول تركيا الحرب ضد الخلفاء ، ولكن الأتراك لم يكن عظيمًا فإن ما أخذه الخلفاء من الاحتياطات وما بثوه من الدعايات في كل مكان قد أحبط مساعي الأتراك والألمان

دخل البريطانيون في مفاوضات مع الشريف حسين لوصول ما انقطع من المفاوضات مع اللورد كنتشر ، واتفق الانجليز وشريف مكة على خطة العمل . وإنا هنا لا نريد أن ننقل رأى الترك في حركة الملك حسين ولا أن نعيد ما نشره بسبب الثورة العربية ، ولا نريد كذلك أن نعيد ما نشره الملك حسين لتبرير ما قام به من الثورة ضد الأتراك الذين أجلسوه على إمارة مكة ، ولكن الشيء الذي لا يمكن أن يدفع ، والذي أدى قلوب العرب هو

تلك الأساة التي قام بها جمال باشا في الشام من قتل وتغريب ومصادرة ، مما جعل شريف مكة يتميل الثورة قبل أن يصل إليه الدور ، فقد قاموا بتأمرون على خلة والانتقام منه ومن أولاده فأحبط مساعيهم ، وأبطل خططهم بعد أخذ ما تمكن منه من مالم وسلاحهم ، وقد أوقفت الثورة العربية طغيان جمال باشا وأبدلت شدته ليناً ، ولكن الجرح الذي أحدثه في قلوب العرب لم يندمل

### مقررات النهضة

يسمى الملك حسين الكتب المتبادلة بينه وبين الإنجليز مقررات النهضة أي الأسس التي قامت عليها الثورة العربية والخبارات التي كانت دائرة بين الملك حسين والحكومة البريطانية حتى إعلاند الثورة ضد الأتراك كانت سرية شخصية لم يشترك فيها أحد من أسراء العرب أو قادتهم ، حتى أبناء الملك حسين لم يكونوا محيطين بهذه الاخبار كما كان يجب أن يكون ، وقد صرح المرحوم الملك فيصل لأحد مراسلي الصحف العربية بأن الحجج التي يجب أن يتنوع بها لم يكن يملكها ؛ لأن والده لم يرسل إليه وهو في باريس الكتب الرسمية التي تعهد فيها الإنجليز بتكوين المملكة العربية

وزرى زاماً علينا أن ننشر الكتب الأربعة ونعقبها برأي الملك حسين في الامبراطورية العربية ، ثم رأى الجانب البريطاني وما يدلى به من الحجج للرد على ما يملك به الملك حسين تاركين الحكم للقارئ ، فليس من غرضنا إصدار الحكم على هذا الفريق أو ذاك ، بل الغرض الأسمى هو نشر ما لدينا من الوثائق لخدمة التاريخ العربي

### الكتاب الأول

إلى السيد الحبيب النسيب ، سلالة الأشراف وتاج الفخار ، وفرع الشجرة الحمدية والدوحة القرشية الأحمدية ، صاحب المقام الرفيع ، والسكانة السامية ، السيد الشريف ابن الشريف السيد الجليل المبهجل دولتو الشريف حسين سيد الجميع ، أمير مكة المكرمة قبلة المالمين ، ومحط رجال المؤمنين الطائفين ، عمت بركته الناس أجمعين بعد رفع رسوم وافر التحيات الماطرة ، والتساليات القلبية الخالصة من كل شائبة ،

نَعْرِضُ أَنْ لَنَا الشَّرَفَ بِتَقْدِيمِ وَاجِبِ الشُّكْرِ لِأَظْهَارِكُمْ عَاطِفَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَشَرِيفِ الشُّمُورِ  
وَالْإِحْسَاسَاتِ نَحْوِ الْإِنْجِلِيزِ ، وَقَدْ بَسَرْنَا عِلَاوَةَ عَلَى ذَلِكَ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ سَيَادَتَكُمْ وَرِجَالَكُمْ  
عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ ، وَأَنَّ مَصَالِحَ الْعَرَبِ هِيَ نَفْسُ مَصَالِحِ الْإِنْجِلِيزِ ، وَالْمَكْسُ بِالْمَكْسِ ، وَلِهَذَا  
الْنِيَّةِ فَدَعَيْنُ نَزَكِدُ لَكُمْ أَقْوَالَ خُتَمَةِ الْوَرْدِ كَتَشَنُّرَاتِي وَصَلَتْ سَيَادَتَكُمْ عَنْ يَدِي عَلَى أَفْنَدِي ،  
وَهِيَ الَّتِي كَانَ مَوْضِعَهَا رَغْبَتُنَا فِي اسْتِقْلَالِ بِلَادِ الْعَرَبِ وَسُكَّانِهَا مَعَ اسْتِصْوَابِنَا لِلْخِلَافَةِ  
الْعَرَبِيَّةِ عِنْدَ إِعْلَانِهَا ، وَإِنَّا نَصْرَحُ هُنَا سِرَةً أُخْرَى أَنَّ جَلَالَةَ مَلِكِ بَرِيطَانِيَا الْمُعَظَمِ  
يَرْحَبُ بِاسْتِرْدَادِ الْخِلَافَةِ إِلَى يَدِ عَرَبِيٍّ صَمِيمٍ مِنْ فُرُوعِ تِلْكَ الدَّوْحَةِ الْمُبَارَكَةِ . وَأَمَّا مِنْ  
خُصُوصِ مَسْأَلَةِ الْحُدُودِ وَالنَّحُومِ ، فَالْمُغَاوَضَةُ فِيهَا يَظْهَرُ أَنَّهَا سَابِقَةٌ لِأَوَانِهَا ، وَصَرَفَ لِلْأَوْفَاتِ  
سَدَى فِي مِثْلِ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ ، فِي حَالَةِ أَنَّ الْحُرُوبَ دَائِرَةٌ رَحَايَا ، وَلَآئِنْ الْأَتْرَاقَ أَيْضًا لَا  
يَزَالُونَ هَتَمَيْنِ لِأَغْلَبِ تِلْكَ الْجِهَاتِ احْتِلَالًا فَصْلِيًّا ، وَعَلَى الْأَخْصِ مَا عَلِمْتَاهُ وَهُوَ مَا يَدْعُشُ  
وَيَحْزَنُ ، أَنَّ فَرِيقًا مِنَ الْعَرَبِ الْقَاطِنِينَ بِتِلْكَ الْجِهَاتِ نَفْسَهَا قَدْ غَفِلَ وَأَهْلَ هَذِهِ الْفُرْصَةِ  
الْقِيَمَةِ الَّتِي لَيْسَ اعْظَمُ مِنْهَا ، وَبَدَلَ إِقْدَامِ ذَلِكَ الْفَرِيقِ عَلَى مُسَاعَدَتِنَا نَرَاهُ قَدْ مَدَّ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ  
إِلَى الْأَلْمَانِ وَالْأَتْرَاقِ . نَعَمْ مَدَّ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ لِذَلِكَ النَّهَابِ الْمَلَابِ الْجَدِيدِ وَهُوَ الْأَلْمَانُ ،  
وَذَلِكَ الظَّالِمُ الصَّوْفِ وَهُوَ الْأَتْرَاقُ

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّا عَلَى كَمَالِ الْاسْتِعْدَادِ لَأَنْ نُرْسِلَ إِلَى مَسَاحَةِ دَوْلَةِ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ مَا تَحْتَاجُهُ  
بِلَادُ الْعَرَبِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْعَرَبِ الْكَرَامِ مِنَ الْخُبُوبِ وَالصَّدَقَاتِ الْمُتَوَفَّرَةِ فِي الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ ،  
وَسَتُصَلِّ بِمَجْرَدِ إِشَارَةِ سَيَادَتِكُمْ ، وَفِي الْمَسَاحَةِ الَّتِي تَمِينُونَهُ ، وَقَدْ عَمَلْنَا التَّرْتِيبَاتِ الْإِلَازِمَةَ  
بِمُسَاعَدَةِ رَسُولِكُمْ فِي جَمِيعِ مَقَرَّاتِهِ إِلَيْنَا : وَنَحْنُ عَلَى الدَّوَامِ مَعَكُمْ قَلْبًا وَقَالِبًا ، مُسْتَشْفِقِينَ  
رَاحَةً مَوَدَّتِكُمْ الزَّكِيَّةِ ، وَمُسْتَوْثِقِينَ بِعَرَى مَحَبَّتِكُمْ الْخَالِصَةِ ، سَائِلِينَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَوَامُ  
حَسَنِ الْمُلَاقَةِ بَيْنَنَا

وَفِي الْخِتَامِ أَرْضِعْ إِلَى تِلْكَ السَّيِّدَةِ الْعَالِيَا كَامِلَ تَحِيَّاتِي وَسَلَامِي وَفَاتِقِ احْتِرَامِي ؟

الْمُخْلِصُ

السَّيْرَانُزْ مَكْتُمَاهُورَه

نَائِبُ جَلَالَةِ الْمَلِكِ

تَحْمِيرًا فِي ١٩ شَوَّالِ سَنَةِ ١٣٣٣ — ٣٠ أَوْغُسْطُسِ سَنَةِ ١٩١٥

## الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فرع الدوحة الحمديّة ، وسلالة النسب النبويّ ، الحبيب النسيب دولة صاحب المقام الرفيع ، الأمير العظيم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرزاً منيعاً للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين . وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيكم الكريم ، المورخ بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ ، وبه من عباراتكم الودية الحضة وإخلاصكم ما أورثه رضاه وجبوراً .

إني متأسف أنكم استفتجتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فإن ذلك لم يكن القصد من كتابي ، ولكفي رأيت حينئذ أن القرصة لم تكن حانت للبحث بعد في ذلك الموضوع بصورة نهائية .

ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تتهربون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة ، فذلك قد أسرع في إبلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم ، وإني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا شك في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول .

إن ولايتي سمرسين واسكندرونة ، وأجزاء بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام ، وحماة ، وحلب ، لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية خالصة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة مع هذا التعميل ، وبدون توخ المعاهدات المقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب ، نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من حيث الأقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليقتها فرنسا ، فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أنعم اللوائح الآتية ، وأجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن

تتعرف باستقلال العرب ، وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

( ٢ ) إن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجود منع التمدي عليها .

( ٣ ) وعندما تسمح الظروف تعد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها ، وتساعد على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة .

( ٤ ) هذا وإن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا العظمى وحدها ، وأن المستشارين والموظفين الأوربيين اللازمين لتشكيل هيئة إدارية قديمة يكونون من الإنجليز .

( ٥ ) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة ، فإن العرب تعترف بأن مصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي ، وزيادة خير سكانها ، وحماية مصالحنا الاقتصادية للتبادلة .

وإني متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب ، وتنتهي بمقدرة محالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستبجلة طرد الأتراك من بلاد العرب ، وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال

واقد اقتصر في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى ، وإن كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فسنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل . واقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وإتها بفضل إرشاداتكم السامية وتدابيركم المحككة قد أزلت إلى البر بلا تعب ولا ضرر ، رغمًا عن الأخطار والصاعب التي سببتها هذه الحرب الحزينة ، ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يجعل بالصالح الدائم والحرية لأهل العالم . إني مرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ محمد بن عارف بن عارفان ، وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل للفيضة التي هي في الدرجة الثانية من الأهمية ولم أذكرها في كتابي

هذا . وفي الختام أبث دولة الشريف ذا الحسب المنيف ، والأمير الجليل كامل تيمتى  
وخالص مودتى وأعرب عن محبتى له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راجياً من ذى الجلال  
أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم وصالح الشعوب ، فيبده مفاتيح الأمن والفيث بحركها  
كيف يشاء ، ونسأله تعالى حسن الختام والسلام

نائب جلالة الملك

السير ارثر عكماسهونه

تحريراً فى يوم الاثنين ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ - ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥

### الكتاب الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلك المقام الرفيع دى الحسب الطاهر والنسب الفاخر ، قبلة الإسلام  
والمسلمين ، معدن الشرف ، وعليد الحمد ، سلالة مهبط الوحى الحمدي الشريف بن  
الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن على أمير مكة المعظم ، زاده الله رفعة  
وعلاء آمين . بهد ما يليق بمقام الأمير انطير من التجلة والاحترام ، وتقديم خالص التحية  
والسلام ، وشرح عوامل الألفة وحسن التفاهم والمودة المزوجة بالحببة القلبية ، أرفع إلى  
دولة الأمير المعظم أننا تلقينا رقيصكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ من يدرسولكم  
الأمين ، وقد سررنا لوقوفنا على التداير الفعلية التى تنودونها ، وإنها لموافقة فى الأحوال  
الحاضرة ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها . وقد يسرنى أن أخبركم  
بأن حكومة جلالة الملك قد صادقت على جميع مطالبكم ، وأن كل شئ رغبتم الإسراع فيه .  
وفى إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا ، والأشياء الباقية ستحضر بكل سرعة  
ممكنة وتبقى فى بورت سودان تحت أسركم لحين ابتداء الحركة . وإبلاغنا إياها بصورة  
رسمية ( كما ذكرتم ) ، وبالمواقع التى يقتضى سوقها إليها والوسائط الذين سيكونون حاملين  
الوثائق لتسليمها إليهم

إن كل التعليمات التى وردت فى محرركم قد أعلننا بها محافظ بورت سودان وهو



سيجريها حسب رغبتكم ، وقد علمت جميع التسهيلات اللازمة لإرسال رسولكم حامل خطابكم الأخير إلى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نال الله أن يكملها بالنجاح وحسن النتائج ، وسيعود إلى بورت سودان وبسببها يصلكم بحراسة الله ليقتص على مسامح دولتكم نتيجة عمله

وانتهز الفرصة لتوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم ، وما عساه ينتج سوء تفاهم ، ألا وهو أنه يوجد بعض المراكز أو النقاط العسكرية فيها بعض المساكن التركية على سواحل بلاد العرب يقال إنهم يجامرون بالماء لنا ، والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الأحمر ، وعليه نرى من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدكم ، ولسكننا قد أصدرنا الأوامر القطعية أنه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدأون بالمضاء وبين العرب الأبرياء الذين يسكنون تلك الجهات ، لأننا لا نقدم للعرب أجمع إلا كل عاطفة ودية

وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكون على بينة من الأمر إذا بلغكم خبر مكذوب عن الأسباب التي تضرطنا إلى أي عمل من هذا القبيل . وقد بلغتنا إشاعات مؤداها أن أعداءنا الألداء باذلون جهدهم في أعمال السفن ليثبتوا بها الألقام في البحر الأحمر وللحاق الأضرار بمصالحنا في ذلك البحر ، وإنا نرجوكم سرعة إخبارنا إذا تحققت ذلك اليوم لديكم ، وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد باع للأتراك عدداً عظيماً من الجبال ، وقد أرسلت إلى دمشق الشام ، ونؤمل أن تستعملوا كل ماosكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك ، وإذا صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع المرابان الساكنين بينه وبين سوريا أن يتبضوا على الجبال حال سيرها ، ولا شك أن في ذلك صالحاً لمصلحتنا المتبادلة

وقد يسرني أن أبلغ دولتكم أن المرابان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي ، وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الألمان والأتراك ، قد ابتدأوا يعرفون خطأهم ، وهم يأتون إلينا واحداً واحداً وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد إلينا ، والحمد لله قد هزمت القوات التي جهزها هؤلاء الدسائسون ضدنا . قد أخذت العرب تبصر النش والخدمة التي حاقبت بهم ، وإن لسقوط أرضروم من يد الأتراك وكثرة انهزائمهم

في بلاد القوتاز تأثيراً عظيماً وهو في مصلحتنا المتبادلة ، وخطوة عظيمة في سبيل الأمر  
الذي نعمل له وتعملون له

ونسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح ، وأن يمدكم في  
كامل أعمالكم أحسن السبل والنماذج . وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتم  
الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والإخلاص مع المحبة التي لا يزعزها  
كر المصور وسرور الأيام

كتبه الخالص

السيد أرتغر هنري مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

تبريراً في ٦ جاد الأول سنة ١٣٣٤

الوافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦

#### الكتاب الرابع

من السيد مكماهون إلى الشريف حسين بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الإحسان والرفعة وشرف الحمد ، سلامة بيت النبوة والحسب الطاهر  
والنسب الفاهر ، دولة الشريف العظيم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة ، قبله  
الإسلام والسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء ، وبعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ الحجة سنة ١٣٣٣ وسرني ما رأيته فيه من

قبولكم لإخراج ولايتي صرسين وأطنته من حدود البلاد العربية

وقد ناقيت أيضاً بمزيد السرور والرضاء تأكيدكم أن العرب عازمون على السير

بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وغيره من السادة الخلفاء الأولين —

التعاليم التي تضمن حقوق الأديان وامتيازاتها على السواء

هذا وفي قولكم إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهدتنا مع

رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود

الحكومة العربية ، لأن حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء . أما بشأن ولايتي حلب وبيروت لحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة ، ولكن لما كانت مصالح حليفنا فرنسا داخلة فيها ، فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق ، وسنخاطبكم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب .

إن حكومة بريطانيا العظمى مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية ، ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم ، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً أدق وأنتم مما تسمح به الحالة الحاضرة ، والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات ، وإننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ، ولنا نريد أن نلفتكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ، ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبذلوا بمجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة ، وأن تحثوهم على أن لا يعدوا يد المساعدة لأعدائنا بأي وجه كان ، فإنه على نجاح هذه الجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن أن يتخذوها لاسما في غرضنا عند ما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وبنائهم .

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا قد فوضت لي أن أبلغ دراتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صالح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية ، وخلاصها من سلطة الأتراك والألمان هذا وعبرونا على صدق نيتنا ، ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسواكم الأمين مبلغ عشرين ألف جنيه ، وأقدم في الختام طائر التحيات القلبية ، وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإجلال والتمظيم للمشمولين بروابط الألفة والمودة الصرفة لمقام دولتكم السامي ، ولأفراد أسرته المكرمة مع فائق الاحترام ؟

الخلاص

نائب جلالة الملك بمصر

السيد آرثر هنري مكماهون

قد فهم الملك حسين من هذه الكتب ومن أحاديثه مع اللندوين البريطانيين أن الحكومة البريطانية توافق على إنشاء مملكة عربية على الأسس الآتية :

(١) تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، وتكون حدودها شرقاً بحر خليج فارس ، ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب وللوصول الشمالية إلى نهر الفرات وبحجامة مع الدجلة إلى مضيقها في بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود ، وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والقرارات التي أجرتها بريطانيا العظمى من أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل محلها في رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد

(٢) تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلات كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تمدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخل من دساتير الأعداء ، أو من حسد بعض الأسماء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه ، وهذه المساعدة في القيامات واللوات الداخلية تكون مدتها محدودة ، أي حين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية

(٣) تكون البصرة تحت إشغال<sup>(١)</sup> العظمة البريطانية لحين يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ، ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النفود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية ، التي هي حكماً قاصرة في حضن بريطانيا ، وتلك المبالغ تكون في مقابل الإشتغال

(٤) تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتا والدخائر والنفود مدة الحرب

(٥) تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من المنطق في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لئلا يستمددها

هذه هي الحكومة العربية التي كان يتخيلها الملك حسين ، ويسمى لها بمختلف الوسائل ، وسواء كانت هذه الحكومة بهذا الشكل تتفق مع آمال أحرار العرب أم لم تتحقق ، فالملك حسين كان يرى أن حكومة عربية يكون هو على رأسها تسدها بريطانيا بما لها وسلاحها ستكون مقدمة لحكومة عربية مستقلة استقلالاً تاماً من جميع الوجوه

بدأ بتنفيذ خطته بإعلان نفسه ملكاً على العرب في أوائل سنة ١٣٣٥ — ٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ، فكان هذا الإعلان الذي لم يسبقه تفاهم مع أمراء العرب ، ولا مع الحلفاء شيئاً أشكرك أمراء العرب ، كما أنه لم يقابل بالارتياح من قبل الإنجليز والفرنسيين

فالملك بن سعود يقول إنه احتج على إعلان الملك حسين نفسه ملكاً على العرب ، فإنه حين كتب إليه عقب هذا الإعلان يطلب الدخول في مفاوضات لتحديد حدود نجد والحجاز والقبائل التابعة لكلا البلدين ، أجابه الملك حسين أي حدود نطلب ، إنك إما مجنون أو سكران ، فلم يسمع أمير نجد إلا الاحتجاج على هذه الإهانة ، وأندر أنجلترا بأن الحالة ستضطره للدخول في قتال ضد الملك حسين ، لأن الرجل يضرر الشر لنجد وأمير نجد ، فتدخل الإنجليز في الأمر مؤقتاً وحاولوا دون وقوع الحرب بين الفريقين ، وبذلك سكنت الزوبعة ، وفي الوقت نفسه اضطروا الملك حسيناً إلى إنشاء اللقب الجديد مكنياً بملكية الحجاز

فكان هذا أول قبيلة أصابت آمال الملك حسين ، كما أنها دلت على أن الإنجليز والفرنسيين لا يشاركون الملك حسيناً في فهمه للمملكة العربية ولكن الملك حسيناً كان كله آمالاً وأن جميع المقدم ستحل بعد انتهاء الحرب لصالحه ، وأن المستقبل سيكون في مصلحته ، وأن انكساراً ستمعمل كل ما يمكن لإرضائه وإرضاء أماني العرب الذين ثاروا ضد الأتراك في صف الحلفاء

وماذا كانت يحس الملك حسيناً عليه بعد إعلان الثورة وطرد الأتراك من بعض المدن الحجازية

وقد صرف الملك حسين كل هم لإخراج الترك من الحجاز وسائر المدن العربية

مذكراً إنجلترا كلما منحت الفرصة بالملكة العربية وآمال العرب فيها ، وكان قواد  
إنجلترا في بعض المناسبات يضررون على هذا الوتر الحساس مثل منشور الجنرال صود بعد  
فتح بغداد وغيره من سياسى الخلفاء .

وبما أن القضية العربية أخذت شكلها الجدى بعد أن وضعت الحرب أوزارها وعلى  
مائدة مؤتمرات الصالح ، نرى لزماً علينا أن نعالجها بشيء من التفصيل مستعينين بضوء  
الوثائق لا سيما التى لم يسبق نشرها قبلاً .

## مؤتمرات الصلح

قبل أن نعالج موضوع القضية العربية في مؤتمرات الصلح يجب علينا أن نرجع قليلاً إلى البلاد العربية قبل الحرب وتسرب نفوذ الأجانب إليها ، فإن ذلك سياعدنا كثيراً على تفهم الحالة من كل وجوها .

كان احتلال تركيا الفعلي موجوداً فقط في العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، ومكة ، والمدينة ومدن الحجاز الساحلية ، وشاطيء عسير ، واليمن ، ولكن النفوذ الأجنبي القوي كان يتسرب إلى هذه البلاد ، فلم يبق للحكومة كبير احترام في نفوس رعاياها ، أما الجزء الشرقى الجنوبي من بلاد العرب من الكويت إلى عدن فلم يكن الأتراك سلطة يمتد بها ، بل كان النفوذ الإنجليزي متغلباً ، ولو أنه لم يكن مباشراً إلا في عدن .

لقد كان النفوذ الإنجليزي سائداً في بغداد والبصرة وسواحل ما بين النهرين ، كما أن المصالح الإنجليزية كانت متشعبة هناك ، ولكنه كان ضعيفاً في سوريا وفلسطين ، والنفوذ الأجنبي الآخر الذى كان يعمل بنشاط هو النفوذ الفرنسى والألماني ، والفرنسيون الذين يعتبرون أنفسهم حماة المسيحية في الشرق قد أسسوا نفوذاً قوياً على شواطيء سوريا بما أسسوه من المهاد ، وبما عملوه لنشر ثقافتهم وانتمهم في تلك البلاد . وفي السنوات التي سبقت الحرب جاء الألمان يناقسون الفرنسيين ، ولكن قصر المدة لم يمكنهم من إيجاد أى أثر في سوريا وآسيا الصغرى ، وإن إنشاء السكة الحديدية ( الآستانة — بغداد ) قد جعل للألمان نفوذاً لا يستهان به .

أما في فلسطين فإن النفوذ الأجنبي كان دينياً في الأكثر ، إذ يعتبر مسيحيو العالم القدس أرضاً مقدسة ، وقد تأسست بعثات مسيحية أهمها الألمانية ، كما أسس غيرها من المنشآت الأجنبية الدينية والعلمية . وبيت المقدس محترم أيضاً عند المسلمين ولم فيه آثار دينية من أقدم العصور . وقد وضع اليهود أساس حركتهم لإنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، تلك الفكرة التي لا يزال اليهود يحملون بها منذ كارتهم الكبرى .

وزيادة على ذلك فإن سلطة الأتراك في آسيا الصغرى لم تكن قوية ، نتيجة ما ايمض  
الحكومات الأوروبية من سلطة الامتيازات الأجنبية في المسائل التجارية والقضائية  
هذه حالة تركيا قبل الحرب الكبرى ، أما بعد مغاسرتها في ٣١ أكتوبر سنة  
١٩١٤ ، فقد كانت تركيا حريصة على أن لا تفقد شيئاً من أطرافها لاسيما البلاد المقدسة ،  
فإن فقدانها يضرب الخلافة ضربة قاضية ، ووراء تركيا ألمانيا التي تحمل في تأسيس  
امبراطورية الشرق الأوسط الألماني ، تدفها وتعدّها بجميع المساعدات المادية والأدبية  
ضد الحلفاء . هذا من جانب ، ومن جهة أخرى ففرنسا تريد بسط نفوذها وتوطيد سلطتها  
في الشرق الأدنى ، لأنها حامية المسيحية ، ولأنها عاجزة عن إثارة حرب أخرى خارج  
بلادها ، واليهود يحاولون تحقيق أحلامهم القديمة ، والعرب يتطلعون إلى استرداد حريتهم  
واستقلالهم بعد انكسار تركيا . ويحجم بعد هؤلاء الإنجليز ، وهم ليسوا بأقل من هؤلاء  
بالنظر إلى مصالحهم العديدة في خليج فارس والبلاد العربية ، تلك المصالح التي من أجلها  
جملوا لهم السيادة في خليج فارس كما قال The Duke of Argyll في سنة ١٨٧٠ ، والتي  
من أجلها أيضاً صرح اللورد لانسدون سنة ١٩٠٣ بأن بريطانيا تعتير إنشاء قاعدة  
بحرية ، أو تحصين أي ميناء على خليج فارس كتهديد لمصالحها التي يجب حمايتها بكل  
ما يؤديه معنى الحماية من معان

لذا فقد كانت السياسة الحربية البريطانية في الشرق الأدنى ترمى إلى غايتين رئيسيتين :  
الأولى أن تحتل رأس الخليج الفارسي فتحصى منابع الزيت ، وتمنع العدو من تأسيس  
مراكز بحرية تهدد المواصلات البريطانية مع الهند ، والثاني أن تحتفظ بهذه المواصلات  
مع الهند مفتوحة عن طريق قنال السويس والبحر الأحمر

هذه هي الحالة التي كانت تسود بلاد العرب والتي على أساسها تم الاتفاق والتفاهم  
بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩١٦ على تحديد نفوذ كل دولة منهما ، وعليها أيضاً كان  
اتجاه مؤتمر الصلح

ولكن العرب الذين خاضوا غمار الحرب كانوا يجهلون كل ما تم في الخفاء أو



كانوا لا يستوفون به لأنه متناقض لشروط ويلسن التي اختارها الحلفاء لإعلان الهدنة  
وأساساً للصالح

## موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح

يجب علينا أن نذكر هنا الحقائق الآتية خدمة للتاريخ

(١) إن الملك حسيناً كان يثق ببريطانيا ثقة لا حد لها ، وكان يعتقد اعتقاداً  
لا يشوبه أدنى شك أن بريطانيا التي قادت العالم ضد ألمانيا ستدعي بكل الوسائل  
الممكنة لتكوين المملكة العربية كما يفهمها وأن الأتراك حاولوا في أثناء الحرب التأثير  
في هذه العلاقة بإيجاد جو من الشكوك في نفوس العرب فلم يفلحوا .

لقد كتب جمال باشا إلى الأمير فيصل يخبره بما نشره الروس من وثائق تثبت  
ما اعتزمه الحلفاء من تقسيم البلاد العربية<sup>(١)</sup> واستعداد الأتراك لمقد صلح مع العرب  
أساسه استغلال البلاد العربية ، ولكن الملك حسيناً الذي لا يشك في نيات بريطانيا  
رفض اليد التي تقدمها جمال باشا بعد تأكيدات بريطانيا<sup>(٢)</sup>

(٢) إن الملك حسيناً ثقته ببريطانيا كانت يعتقد من كل قلبه أنه لا فائدة من  
المؤتمرات ، وأن إرادة بريطانيا وبدونها فوق المؤتمرات وفوق كل شيء

وترى هذا واضحاً تمام الوضوح في كتاب الملك حسين إلى نائب الملك بمصر (٢١  
أغسطس سنة ١٩١٨ — ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٦) حيث يقول :<sup>(٣)</sup>

« أما عطف الأمر وتمايقه على مؤتمر الصلح ، فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة  
لنا به ، ولا مناسبة بيننا وإياه حتى نتظر منه سلباً أو إيجاباً ، ولو قرر المؤتمر المذكور  
إضاف مقررانا ، وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها ، فنكون من المطرودين من

(١) يشير إلى معاهدة سايكس — بيكو

(٢) في القيل نس الكتاب

(٣) نس الكتاب المذكور في القيل

رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا ، الذي أتوسل إليه أن يتولانا جميعاً بعنايات  
رأفته الأبدية » .

وتمت الحرب أوزارها ، وقبل الأتراك شروط الهدنة ، وانسحبوا تماماً من البلاد  
العربية التي أشغلت بالقوات الإنجليزية الصرفة ، فيما بين الموصل والبصرة وفلسطين ،  
والقوات الإنجليزية والعربية وبعض القوات الفرنسية في الجبهة السورية .

اعتقد الملك حسين ومن التف حوله ، أنه ما دام الإنجليز هم الشاغلين للبلاد العربية ،  
فسيقومون بتشييد المملكة العربية المتحدة ، غير أن هنالك اعتبارات خطيرة أمام  
الحكومة البريطانية ستحول دون هذه الأمنية ، ولما عملها الأول في نظرم ؛ هنالك معاهدة  
( سايكس — بيكو ) التي عقدت بين فرنسا وإنجلترا سنة ١٩١٦ وأنشئ أمرها الروس ،  
وهناك العهد الذي قطعه الإنجليز للصهيونيين سنة ١٩١٧ وفرنسا دولة عظيمة لها نفوذها  
الدول وقوتها الحربية ، واليهود لهم مكانتهم المالية ونفوذهم المعنوي ، وجانبهم أقوى من  
جانب العرب . غير أن العرب الذين خاضوا غمار الحرب بنية الوصول إلى نعيم الاستقلال  
لم يبالوا بما أمامهم من المشاكل ، واستسلموا كل صعب في سبيل غايتهم المقدسة ، وبالفعل  
فإنهم ساروا في الطريق الذي كانوا يعتقدون أنه متفق تمام الاتفاق مع ما كانوا يعتقدون  
أنه حق لهم ، ومع ما كانوا يفهمونه من تصريحات قواد الحلفاء ، فبمجرد أن دخل الأمير  
فيصل ( المرحوم الملك فيصل ) فاتحاً إلى دمشق في أوائل أكتوبر سنة ١٩١٨ أرسل  
الجنرال شكري باشا الأيوبي حاكماً عسكرياً على بيروت ، فذهب للمؤى إليه وجلس في  
سراى الحكومة بدلاً من اوالى التركي الذي انسحب من هنالك .

في أواخر أكتوبر احتل العرب اللاذقية ، وانطاكية ، وبيلان ، والاسكندرونه ،  
فثار الفرنسيون واعتبروا هذا العمل خرقاً لمعاهدة ( سايكس — بيكو ) واضطروا الإنجليز  
أن يأمرهم العرب بإخلاء الأماكن الساحلية ، فكان ذلك أول ضربة أصابت آمال  
العرب وأمانتهم .

أشارت المملكة البريطانية المتحدة على الملك حسين أن يرسل من قبله مندوباً إلى

مؤتمر الصلح ، فقبل الإشارة وعين ولده الأمير فيصلاً مندوباً عنه ، وزوده بالتهنئات والآتي الذي يدل على منافع آمال الملك حسين في بريطانيا :

« حليفتنا الوفية بريطانيا العظمى ترغب حضورك نائباً عن مصالح العرب ، وكل ما يكون أساساً لحياتهم سواء ما يتماق بالحدود أو الإدارة مما هو معلوم لديك في مجتمع سيمقد في باريس في ٢٤ نوفمبر الجاري ، فانفاذاً لرأى عظمتها توجه بكل سرعة ممكنة لباريس بعد هذا كرتك لفخامة القائد العام في كيفية سترك وطريقته ، وبعد تقرير ما ترونه لحالات البلاد وإدارتها في مدة غيابك الذي لا يتجاوز تقريباً شهراً ، وحيث أن رابطينا الوحيدة هي العقلة البريطانية ، ولا علاقة لنا ولا مناسبة مع سواها في أساساتنا السياسية ، فشكل ملاحظتك وما تراه في الموضوع تهديه لنوابها وعظماؤها الأماجد إن كانوا زملاءك في المجتمع أو معتمديها السياسيين ، وما يكلفونك به من قول أو عمل إن كان في المجتمع أو في سواه تعمل به ، وتجنب كل ما سوى ذلك ، هذه درجة مأذونيتك عما يختص بالمجتمع ، وخير الأهالي بالمصاحبة والقصد والله يتولاك » .

## الأمير فيصل بباريس !!

لقد قام الأمير فيصل بما يجب عليه من الدفاع عن قومه ، فبسط لمؤتمر السلام القضية العربية ، وعود الحلفاء لوالده ، وآمال العرب في عدل الحلفاء<sup>(١)</sup> ، فكان أول جواب عمل اسمه مذكرة مستر لويد جورج الأورخة في ١٣ سبتمبر إلى كل من الأمير فيصل والحكومة الفرنسية . وتقضى هذه المذكرة :

- ( ١ ) انسحاب الجيوش الإنجليزية من سوريا وكنيكية في أول نوفمبر سنة ١٩١٩ .
- ( ٢ ) يحل محل الحمايات البريطانية جنود فرنسية في غرب الخط المستبر في معاهدة مايكس بيكوف وكنيكية .

( ٣ ) القاطعات التي تبقى فيها الجنود الإنجليزية هي العراق وفلسطين ، وهذا الاحتلال مطابق للاتفاق المقود في ديسمبر سنة ١٩١٨ بين السيوكلنصور والمستر لويد جورج

(١) رابع نص المذكرة في القبل .

كانت هذه المذكرة أول ضربة لأمانى لأشراف وآمال العرب ، ولذا فإن الأمير  
فبصلا أجاب على هذه المذكرة بمذكرة أخرى بتاريخ ٢١ سبتمبر تشتمل على النقط الآتية :  
(١) اجحاف هذا القرار بقانون العدل ، وما كان يتوقعه العرب من الخلفاء ، وقد  
تأق الملك حسين ما يؤيد هذا من وزارة الخارجية البريطانية عند ما أذاع جمال باشا ما عثر  
عليه اليولشفيك من أمر هذه الاتفاقية وغيرها

(٢) إنه ما دام هذا التمييز مؤقتاً فإلى الضرورة الملجئة لهذا التمييز ، ولذا لا يبقى  
الاحتلال البريطاني كما هو إلى أن يتم الصلح مع تركيا

(٣) الاحتجاج بشدة على تعيين الحدود لأنه مقدمة لتجزئة البلاد

(٤) إذا كان لابد من انسحاب الجيش البريطاني من سورية ، فيجب أن تنسحب  
أيضاً سائر الجيوش الأوروبية ، وتترك المسؤولية للجيش العربى

(٥) رفض العرب لتجزئة بلادهم وإنكارهم لكل اتفاق لم يكن لهم علم به

وفي ٢٣ سبتمبر أرسل الأمير فيصل كتاباً<sup>(١)</sup> إضافياً إلى رئيس الوزارة البريطانية  
يشرح فيه رفضه للبحث مع القائد العام للجيش المتحالفة فى سورية فى مسألة الاحتلال ،  
ويطلب إعادة السواحل إلى الجيوش العربية كما كانت عليه الحال فى أوائل الاحتلال ،  
وهى تتولى مسؤولية الأمن وحماية البلاد ، أو إبقاء الحالة على ما هى عليه الآن حين  
إبرام الصلح مع تركيا

## الأمير فيصل فى لندن

رأى الأمير أن يؤم لندن لعله يجد له ماعداً هنالك لحل المسائل التى تمعدت وكادت  
تجيب آمال العرب

فكان باأكورة أعماله إرساله مذكرة إلى رئيس الوزراء بتاريخ ٩ أكتوبر<sup>(٢)</sup>

(١) إنكار اتفاق باريس والاصرار على مضمون المذكرة المؤرخة فى ٢١ و ٢٣ سبتمبر

(١) راجع نس الكتاب فى القيل

(٢) راجع نس المذكرة فى القيل

(٧) التأكيد بأن انسحاب الجيوش البريطانية سيحدث أسوأ الأثر في سوريا ويؤدي إلى كارثة عظيمة

وقد ختم سموه المذكورة بالطلبات الآتية :

(١) إلغاء القرار الباريسي أو على الأقل إرجاء العمل به

(٢) عرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل النظر فيها من المؤتمر بأجمعه ، أو من لجنة فرعية مؤلفة من أعضاء بريطانيين وفرنسيين وعرب تحت رئاسة أحد الأمريكان للبحث في هذه المسألة الخطيرة ، وتقديم تقرير عنها إلى مؤتمر السلام . فتلقى سموه جواباً مطولاً من وزارة الخارجية بتاريخ ٩ أكتوبر<sup>(١)</sup> يتضمن :

(١) وصول الملاحظات الابتدائية على مذكرة رئيس الوزراء ( التي أرسل منها نسخاً أيضاً إلى كل من المستر فولك مندوب الولايات المتحدة ، وإلى السيور تيتوف مندوب المملكة الإيطالية )

(٢) أن المذكرة المذكورة لا تعبر عن اتفاق سابق بين الحكومتين ، بل تشمل مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكري في الولايات التي كانت تابعة لتركيا إلى أن يقرر مؤتمر السلام مستقبلها نهائياً

(٣) أن المقترحات التي تطلب بها الحكومة البريطانية لم تضعها إلا بعد أن قررت أنه يستحيل عليها أن تستمر على احتلال سوريا بالجيوش البريطانية

(٤) أن الحكومة البريطانية لا ترى أن هذا القرار مفاز للعهود التي عقدها حكومة جلالة الملك مع الملك حسين

(٥) رفض الطلبات التي اقترحتها الأمير فيصل ، لأن الشعب السوري عاجز عن القيام بشئون نفسه في الوقت الحاضر ، ولأن تجربة هذا الحل الذي أشار به سمو الأمير يكون مضرراً لترقي الشعب السوري سريعاً ، وبالنتيجة لاستقلال الشعوب السورية العربية

(٦) أن تعهدات الحكومة البريطانية للحكومة الفرنسية قد يبتها الحكومة البريطانية لذلك حين قبل دخوله الحرب  
(٧) أن الحكومة البريطانية لم تستطع إلا بعد صعوبة أن توطد لسوكم تأسيس ملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتل على دمشق ، وحماة ، وحمص ، وحلب

(٨) نصح الحكومة البريطانية للأمير فيصل بقبول التدبير المؤقت الذي أشارت إليه المذكرة ، والبحث — حالا — في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية  
وبعد هذه المذكرة اجتمع سمو الأمير فيصل ومعه الجنرال حداد باشا والشيخ فؤاد الخطيب في وزارة الخارجية البريطانية باللورد كرزون ومعه السكولونيل كور نواليس نائب المأمند البريطاني بدمشق ، والسكولونيل سترنج ، ودار البحث تفصيلاً في الموضوع ، وقد أخبر اللورد كرزون الوفد العربي بأن الفرنسيين يرون أن محل البحث هو باريس لا لندن . ثانياً لا يرين ضرورة لا شتراك عضو أمريكي في الموضوع إلا إذا رغبت أمريكا نفسها في ذلك الاشتراك

وقد أشار اللورد كرزون على الأمير فيصل بالسفر حالا إلى باريس والاتصال بالفرنسيين ، فإن ذلك يكون أنجح لقصد ، وأن الفرنسيين قد لا يرتاحون للمفاوضات الجارية في لندن ، فلم يسع الأمير إلا قبول النصيح الذي أسدى إليه ، وسافر إلى باريس مرة أخرى

### الأمير فيصل في باريس للمرة الثانية

بمجرد وصول الأمير فيصل إلى باريس أرسل مذكرة<sup>(١)</sup> بتاريخ ٢٥ أكتوبر إلى رئيس المؤتمر مسيو كليمينصو تتضمن :

(١) علم الأمير فيصل رأى الحكومة الفرنسية في مذكرة المستر لويد جورج المؤرخة في ١٣ سبتمبر القاضى برد جميع الاقتراحات ما عدا انسحاب الجيوش البريطانية من كليكيا وسوريا

(١) راجع اسم المذكرة في الذيل

(٢) اعتراض الأمير فيصل على هذا الانسحاب ، وتحذير فرنسا من السير في الموضوع حيث إنه سيقضى على السلم في البلاد العربية ، التي سيعتقد أهلها أن الحلفاء لا يزالون يريدون تقسيم بلادهم

فرد مسيو كليمينصو على كتاب الأمير بكتاب<sup>(١)</sup> مؤرخ في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ وأخبره :  
(أولاً) بوصول كتابه والاضطراب الذي أحدثه في نفس الأمير قرار المؤتمر الصادر في ١٥ سبتمبر ، بشأن انسحاب الجيوش البريطانية من سورية وكليسيكية ، واستبدالها بجيوش فرنسية

(ثانياً) اقتراح سمو الأمير بتأليف لجنة يهدها إليها درس طرق انسحاب الجيوش البريطانية ، وإيجاد إدارة مؤقتة تصون وحدة البلاد وتحفظ النظام في المناطق المختلفة الخاضعة له  
(ثالثاً) أنها كيد اسم الأمير بأن الحكومة الفرنسية لم تزل ترغب بكل إخلاص في توطيد دعائم الحكم المؤدى إلى الحرية والرقى والنظام في سوريا والعراق ، وسائر بلاد الشرق المحررة بفضل انتصارات الحلفاء ، عملاً بمبادئ سياستها الحرة التي هي نفس المبادئ لمؤتمر السلام ، وأن الثقة المتوية المؤسسة بين العرب وحلفائهم في أيام الحرب ستساعد على توطيد علاقاتهم

(رابعاً) رفض اقتراح تعيين اللجنة لأنه فضلاً عن أنه مشوش للحالة الحاضرة فإنه يخالف لقرار المجلس الأعلى ، ففي ١٥ سبتمبر أعلن المستر لورد جورج لوتيمر بأن الجنود الانجليزية ستسحب من كليسيكية وسوريا ، وقد طلب استبدالها بجيوش فرنسية وقد وافقه المجلس الأعلى

(خامساً) أن المسيو كليمينصو مقتنع بأن رؤساء الجيوش الفرنسية قادرين على تطمين الأهالي وحفظ النظام في جميع المناطق التي ساحتلها الجيوش الفرنسية بدلاً من الجيوش الإنجليزية ، وعلى الأمير بما لديه من السلطة أن يفعل ذلك في الشام وحلب

(سادساً) أن الحكومة الفرنسية مستعدة لتلبية أول طلب يصدر من سمو الأمير بمساعدته على صون النظام ، فيما إذا اختل ياغراض المحرضين الذين لا يقدرين على غير إلحاق الضرر بمنافع العرب

(سابعاً) استمداد الحكومة الفرنسية للنظر مع سمو الأمير في جميع الشؤون الخاصة بالمصالح المشتركة

لقد كان لهذا الرد أثر عميق في نفس الأمير فيصل ؛ ولذا فإنه أرسل كتاباً آخر بتاريخ ٥ نوفمبر لرد على المذكرة الفرنسية ، وقد تضمن الكتاب النقاط التالية <sup>(١)</sup> :

(١) شكر الحكومة الفرنسية على مودتها التي مازالت تظهرها نحو الأمة العربية ، ورغبتها الخاصة في تأييد حكم يتضمن الحرية والنظام والرقى في سوريا والعراق ، وسائر البلاد العربية الحرة

(٢) حرصاً على توطيد عرى الثقة بين العرب والحلفاء قد ألح سمو الأمير في كتابه المؤرخ ٢٥ الشهر الماضي بوجود تأليف لجنة تبحث في انسحاب الجيوش وتأسيس إدارة مؤقتة في سوريا تكفل وحدتها وفقاً لرغائب الشعب

(٣) أن مذكرة سترلويد جورج التي كانت مشار البحث ، والتي لم توافق الحكومة الفرنسية على مجمل ما احتوته ، نشأت عن تنفيذ معاهدة (سايكس — بيكو) السرية ، فليس القصد من هذا التبديل الجديد سحب الجند فقط بل تحديد مناطق سياسية واقتصادية ، وتقرير مصير بلادنا وفقاً لمصالح لا تتفق مع مصالحها ، ولهذا فقد لفت نظرة الحكومة البريطانية إلى هذا الأمر وبهد المناقشات العديدة والاجتماعات المتوالية ، قبلت مبدئياً تأليف لجنة للنظر في هذا الشأن

(٤) أن الخوف على مستقبل البلاد قد أوجد اضطراباً في الأمة العربية ، وهذا الاضطراب لا يسكن إلا إذا أزيل الأثر السيئ الذي ولدته التدابير الأخيرة وأن الشعب السوري لا يمكن أن يتلاعب به المحرضون بقصد إخلال الراحة والأمن فقط ، وأن هذا الشعب لا يحجم عن أن يهب مرة أخرى للدفاع عن حريته وكيانه .

(٥) ذكر في المذكرة الفرنسية أن الحكومة الفرنسية على يقين من إخماد كل حركة قد تشوب في الجهات التي احتلتها ، والحقيقة أن الحركة التي ستثور في كل البلاد لا تنشأ من أعمال المحرضين بل حركة وطنية عامة ، ولا يستطيع سمو الأمير أن يستعين بمنهود

(١) راجع نص الكتاب في الذيل .



أجنبية لإخفاء حركة وطنية تمت واختمرت تحت بيانات الحلفاء الرسمية وتأثيرها .  
(٦) اندحاش سمو الأمير من قرار مؤتمر الصلح بدورث دعوته لسماع ما لديه من الملاحظات .

(٧) إلحاح الأمير في المدول عن مسأله إحلال الجنود الفرنسية محل الجنود البريطانية ورغبته الصادقة في الوصول إلى اتفاق نهائي يضمن للأمة العربية التقدم والرق مع الحرية والاستقلال .

غير أن الحكومة الفرنسية أصرت على نظرها بها ولم تصغ إلى مقترحات الأمير ؛ ولذا فإن الأمير رجع إلى الإنجليز مرة أخرى لعلهم يساعدونه في حل هذا المشكل ، وهو يعتمد أن أمثال هذه المشاكل لا يستعصى عليهم حلها .

كتب الأمير مذكرة<sup>(١)</sup> لسترلويد جورج بباريس بتاريخ ٦ نوفمبر سنة ١٩١٩ يشرح فيها ما لقيته مفاوضات مع الفرنسيين ، ورفضهم تشكيل اللجنة التي كان الإنجليز قبلوها ، وأن الفرنسيين لم يقصدوا بدعوته إلا اجتماعه مع الجنرال غورو الذي صرح للأمير بأنه سيضطر إلى تنفيذ كل الأوامر التي يتلقاها وأنه مع كرهه لفك الدماء لا يحجم عنه إذا دعت الأوامر . والنس الأمير في آخر كتابه مساعدة رئيس الوزراء الإنكليزية ، وفي ٢١ نوفمبر أرسل مذكرة<sup>(٢)</sup> إلى رئيس الحكومة البريطانية محتج فيها باسم والده على ما يرد من احتلال بعض الأراضي السورية ، وبطلت مساعدتها ويذكرها بمطامنها مع الملك حسين . ويظهر لنا من البرقية التي أرسلها سمو الأمير لوالده في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ التي فيها يصرح بأن الحكومة الفرنسية مصرة على إشغال أقسام مهمة من مقاطعات دمشق ، وحلب ، تسكاً بمذكرة سترلويد جورج ، وأن الأمور كانت سائرة في اتجاه مضاد لما كان يريده الأمير ويسعى إليه ، ولكن يظهر أن توسط بريطانيا قد أثمر ، ففي ٢٦ نوفمبر أي بعد إرسال البرقية الأولى بأربعة أيام أرسل<sup>(٣)</sup> الأمير فيصل إليه شقيقه الأمير زيد نائبه في سوريا ، وأرسل وزير الخارجية الفرنسية إلى الجنرال غورو

(٢) راجع نص المذكرة في القيل

(١) راجع نص المذكرة في القيل

(٣) تجد نص البرقيتين في القيل

الاتفاق المؤقت الذى تم بين سموه وبين وزارة الخارجية الفرنسية ليقوم الطرفان بتنفيذه  
ويقضى هذا الاتفاق :

( ١ ) تأليف لجنة من فرنسى وانجليزى وعربى لأجل نسوية المشاكل التى قد تحدث  
بين المناطق .

( ٢ ) انسحاب الجنود العربية من البقاع مع بقاء الدرك العربى فيها لحفظ النظام  
والأمن تحت أوامر القائمقام .

( ٣ ) لا تحتل الجنود الفرنسية البقاع ولا محلا آخر من المناطق الحاضرة .

( ٤ ) تشكيل لجنة من ثلاثة ضباط فرنسين وثلاثة عرب للملاحظة حسن تنفيذ  
وظائف الشرطة والدرك فى تلك الجهة ورفع تقريرها إلى القائمقام .

وفى نوفمبر سنة ١٩١٩ أرسل مسيو برتلو السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية  
كتاباً<sup>(١)</sup> للأمير فيصل يسر فيه عن سرور مجلس الوزراء بالاتفاق على اللجنة العسكرية .  
الذى كان نتيجة لروح التآلف المتبادل ، غير أن مسيو برتلو صرح الأمير فيصلاً أن ما نعم  
الاتفاق عليه هو تنازل مؤقت من الحكومة الفرنسية عن حقها الذى صادق عليه المؤتمر .  
وأنة إذا لم يؤكد هذا الاتفاق باتفاق مرضى وقاطع إلى ثلاثة أشهر فليكن معلوماً أن  
الفرعيتين يستأفنان حرية العمل .

غير أن هذا الاتفاق لم يحض على تنفيذه وقت طويل ، فإن السلطة العسكرية الفرنسية  
رأت أن تقع الثورة الوطنية التى بدت فى الأحزاب العربية والشباب العربى ، وأن أى سعة  
صدر أو تهاون قد يجعل مركزها فى سوريا حرجاً ، وفى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ حدث  
اعتداء على ضابط الارتباط الفرنسى فقتل وجرح جاويشه ، فأرسلت القيادة الفرنسية  
قوة من الجند فاحتلت بعلبك ، فاحتج الأمير فيصل على هذا الاختلال المحالف لروح  
الانقائية بكتاب مؤرخ فى ١٩ ديسمبر ، وأعاد الاحتجاج بكتاب آخر مؤرخ فى ٢٢  
ديسمبر سنة ١٩١٩<sup>(٢)</sup> ، غير أن الاحتجاجات لم يكن لها أثر يذكر .

(١) راجع نص الكتاب فى القيل .

(٢) راجع نص الكتابين فى القيل .

## رجوع الأمير فيصل إلى سوريا

### وإعلان الملكية في دمشق

سبقت الأمير فيصلاً إلى سوريا إشاعات كثيرة منها : أنه عقد اتفاقاً أولياً مع الفرنسيين في باريس في ٦ ديسمبر يتضمن الاعتراف بالانتداب على سوريا وطلب المستشارين اللازمين لتنظيم الإدارات الملكية ، والمدلية ، والأشغال العمومية من الحكومة الفرنسية وحدها ، وبتدوين للدرك والشرطة ، كما أن الاتفاقية أعطت الأمير فيصل حق تعيين مندوب مفوض في وزارة الخارجية للدفاع عن الشؤون السورية ، كما أن الممثلين السياسيين والقناصل الفرنسيين في الخارج يقومون بتمثيل المصالح الخارجية للدولة السورية . وشاع أيضاً في سوريا أن الاتفاق الأول عدّل في ١٦ ديسمبر باتفاق آخر في ١٢ مادة لا يخرج في جوهره عن الاتفاق الأول ، وإن كان فيه شيء من التفصيل فيما يخص بعمل المستشار المالي ، وإعطاء حق الأولوية التامة للفرنسيين في المشروعات والقروض المحلية ، واعتبار اللغة الفرنسية لغة إضافية إجبارية بعد اللغة العربية . وقد قضت الاتفاقية الأولى والثانية على كتمان هذا العهد من الفريقين إلى وقت الإبطاء النهائي .

لقد نشرت الصحف هاتين الاتفاقيتين في وقتها ، كما نشرها بعض المؤرخين العرب بدون أن يخبرونا عن المصادر الوثيقة التي استقوا منها هذه المعلومات . وإننا لم نعرفنا لدينا من الأوراق على شيء يتعلق بهذا الاتفاق . غير أنه في الكتاب المؤرخ في ٢٦ نوفمبر المرسل من سمو الأمير فيصل إلى السيد برتلو السكرتير العام للأمر السياسية الذي يشكره فيه على الحل الموفق الخاص بسحب الجنود الإنجليزية ، وتعيين لجنة مشتركة الخ . جاء في الكتاب المذكور الجملة الآتية :

« وإنني لم أزل منذ وصولي إلى باريس أصر كما هو معلوم لديكم على هذه النقطة ، وهي أن تصدى كان الوصول إلى عقد ائتلاف مع الحكومة الفرنسية التي مع قبولي ما يضمن للشعب السوري سيادته الوطنية متمنح البلاد يطلب مني معونتها المالية ،

ومستشارين بقصد التماوت الودى مع الحكومة العربية الوطنية المؤسسة من قبل الأهلىن .

وسواء كان الاتفاق المشار إليه صحيحاً أو غير صحيح ، فإن الأمير فيصلًا كان يود من كل قلبه الاتفاق مع الفرنسيين والاستعانة بهم على تسيير دفة الحكومة العربية ، غير أن سموه حينما وصل دمشق لم يجد جوها السياسى ملائماً لما كان يريد ، فهبت الأحزاب فى وجهه لا ترضى بشير الاستقلال التام بديلا ، وأقلت زمام الأمور من يد القادة ، ووجد الشباب السورى ( والشباب فى كل بلد ) قوة بريئة تندفع إلى ما تعتقده الحق بدون أن تفكر فى النتائج التى قد تنتج . كثرت المصاهبات فى البلاد ، وقامت المنازعات الطائفية مرة أخرى ، وهذا بالطبع لم يكن برضاء أو إعاز الحكومة الوطنية السورية ، بل الظروف التى أحاطت بالبلاد هى التى حركت المنازعات من جديد .

وأخيراً دعى المؤتمر السورى مرة ثانية لبت فى قضية الاستقلال وإعلان الأمير فيصل ملكاً على سوريا ، وأعلنت الأحزاب على اختلاف نزعاتها رفض الانتداب الفرنسى على سوريا . كما رفضوا الانتداب البريطانى على فلسطين ، فاجتمع المؤتمر السورى العام وقرر فى ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ — ٧ مارس سنة ١٩٢٠ بإجماع الآراء استقلال البلاد السورية بمحدودها الطبيعية ، ومنها فلسطين استقلالاً تاماً . لا شائبة فيه على الأساس الذى التباين ، وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين فى جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو دار هجرة لهم ، واختاروا سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على سوريا ، وأعلن انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة فى المناطق الثلاث . وقد حذا العراقيون القيسون فى سوريا حذو إخوانهم السوريين فاقتاروا قادتهم الموجودين فى سوريا الذين شكلوا المؤتمر العراقى الذى انمقد بجانب المؤتمر السورى وأعلن استقلال العراق وانتخاب الأمير عبد الله ملكاً له .

وفى يوم الاثنين الموافق ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ هـ — ٨ مارس سنة ١٩٢٠ بوبع الملك فيصل ملكاً على سوريا ، كما بوبع شقيقة ملكا على العراق ، وتألقت بعد ذلك الوزارة السورية الثانية برئاسة هاشم بك الأمانى .

لم يقابل البريطانيون والفرنسيون هذه الحركة بالرضا واعتبروها تحدياً لهم ، وبالطبع فإنهما لم يسترغا بالتغييرات التي وقعت في المنطقة السورية ، رائد جرت حوادث احتكاك كثيرة بين السلطات العربية والحكومة الفرنسية جعلت سوء التفاهم يزداد بين الفريقين ، فالجانب السوري ينظر إلى الفرنسيين بنظر المستعمر الذي يريد استعباد الشعب والتحكم فيه ، والفرنسيون ينظرون إلى السوريين بنظر المحرض الكاره لهم ، العامل على خلق المتاعب في سبيلهم ، وبالرغم مما كان يبذله العقلاء لتسكين الخواطر الثائرة ، وإحلال الوئام مقام الخصام ، فإن جميع الماعى التي بذلت ذهبت سدى ، حتى أنه كان يتم بانقيانة كل من كان يشير بالاعتدال ، وأخيراً أرسل الجنرال غورو إنذاره النهائى فى ١٤ يوليو سنة ١٩٢٠ باسم الحكومة الفرنسية ، وقد تضمن البلاغ المذكور :

(١) تحمل حكومة سوريا كل تيمة إزاء سكان سوريا الذين عهد مؤتمر الصلح إلى فرنسا أن تمتعهم بحسنات إدارة مؤسسة على الاستقلال والنظام والرخاء

(٢) أن سمو الأمير قد أجاب على ما أظهرته فرنسا من تأييدها رغبة السكان الذين يتكلمون العربية على اختلاف مذاهبهم لحكم أنفسهم بأنفسهم ، بأن لسكان سوريا مصلحة كبيرة فى طلب الثورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شئون الأمة ، نظراً لما أصاب البلاد من الإزهاق القذكى ، وأن سمو الأمير دعا فرنسا إلى القيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية

(٣) ذكر حوادث متعددة نسبت إلى الحكومة العربية

(٤) سياسة حكومة دمشق العدائية بإدخالها بعض العناصر المشهورة بهداء فرنسا فى الحكومة ، وانتخاب الوزارة من تلك الفئة التي لا تقتصر خطتها على إهانة فرنسا ورفض مساعدتها ، بل تتناول المجلس الأعلى الذى منح فرنسا الانتخاب فى سوريا

(٥) النباير الإدارية ضد فرنسا بمنع جميع المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك سوريا فى المنطقة الشرقية ، ورفض التعامل بالورق النقدى السورى

(٦) اجتياز السلطة الشرفية حدود المنطقة الشرقية ، وتقديمها داخل المنطقة لظهور

أنها توسعت توسعاً به إخراجنا

(٧) الاعتداء على الحقوق الدولية التي توجب على قائد جيش الحجاز المحتل نظراً سوريا أن يظل عثمانياً حتى تقضى المعاهدة بتغييره ، وألا يحاول تغيير الحالة الراهنة التي هو حارس عليها ، ولكنه تصرف عكس هذا متخذاً صفة السيادة العليا ، وقد قرر التجنيد الإجباري ونفذ مع أن البلاد لا تزال أجنبية ، وهذا المبت قد أكره عليه الشعب حتى في المناطق التي لها شكل خاص كالأقلاع ، وإعلان المجلس الملقب بالمؤتمر السوري الذي تألف واجتمع بصورة غير قانونية بسن القوانين وتشكيل حكومة غير معترف بها ، فضلاً عن أنه قدم الأقب للملكى لسموكم بدون حق ولا وكالة

وطلب الجنرال غورو باسم الحكومة المطالب الآتية كضمانات لسلامة جنوده و سلامة السكان ، والضمانات هي :

(١) التصرف بسكة « رياق — حلب » الحديدية لإجراء جميع النقلات بمراقبة مفوضين فرنسيين

(٢) قبول الانتداب الفرنسي الذي يحترم استقلال سوريا ولا يتضمن سوى المعاونة بين الدولة المنتدبة دون أن يتخذ شكل استثمار

(٣) قبول الورق السوري

(٤) تأديب المجرمين الذين كانوا أشد عداة لفرنسا

وقد أعطيت مهلة أربعة أيام للإجابة ، تبتدى من نصف ليل ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠ ، على أن الحكومة الفرنسية ستكون مطلقة اليد في العمل إذا لم يصلها إشعار بقبول هذه الشروط في الوقت المين

ثم أعقب هذا الإنذار منشوراً من الجنرال غورو على سكان سوريا ببيان موقف حكومة فرنسا تجاه الحكومة العربية في دمشق

لقد كان لهذا الإنذار أسوأ أثر في سوريا كما أنه أوقع الحيرة في نفوس المشولين ، أسيرون إلى النهاية في خطتهم وينتظرون ما يحكم به القدر ، أم ينزلون على إرادة الجنرال غورو و يقبلون مطالبته بلا قيد ولا شرط

بعد محاورات كثيرة بين رؤساء الجيش وبين جلالة الملك ، وبين الملك وبين المؤتمر

السوري الذي كان يصر على خطة الدفاع عن حقوق البلاد ، هما كانت النتيجة ، ملحت الوزارة لجلالة الملك الرد الذي وضته على الإنذار الفرنسي ، ويتلخص في إنكار التهم التي نسبت إلى الحكومة العربية بتأليف المصائب وإيجاد جو مضاد لفرنسا ، وأن الحركة العربية هي في الحقيقة حركة طيمنية ضد الاستثمار ، وختمت المذكرة بما يأتي :

- (١) السماح بالورق السوري بالدخول إلى المنطقة السورية
- (٢) إجراء التحقيقات القانونية في قضية المشتركين في الجرائم ، ومراقبة كل من تثبت إدانته حسب القانون

(٣) الاكتفاء بالعدد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط

- (٤) قبول قرار مؤتمر سان ريمو على أن يمين شكله الصريح بواسطة الوفد الذي سيرسل إلى أوروبا لهذه الغاية

(٥) الموافقة على وضع الخط الحديدي من رياق إلى حلب تحت أمر السلطة المسكوبة المشتركة من الجيوش السورية والفرنسية ، واتخاذ مدينة حلب قاعدة حربية على شرط أن يشترك الجيش السوري مع الجيش الفرنسي في تحديد حدود سوريا الشمالية

ثم استعفت الوزارة الاناسية عقب ذلك ، ويقول الذين كانوا في سوريا في هذا الحين إن الرد لم يرسل ، وهو في الحقيقة كان أساس قبول الملك فيصل شروط الجنرال غورو بلا قيد ولا شرط ، فقد أرسل جلالته في ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ برقية يخبره فيها بذلك ، فتلقى جواباً من الجنرال يقول فيه : إنني أشكوك على تحكيم العقل في هذه الأمور ، وإعنا أرغب إليك أن يكون جوابك على الوجه الآتي : أخذت إنذارك للتضمن الشروط الآتية ، وقد قبلتها برمتها ، وقد كانت هذه البرقية سبباً في مد مدة الإنذار أربعة وعشرين ساعة أخرى ، ثم أربعة وعشرين ساعة أخرى ، حيث انتهت مدة الإنذار في الساعة الثمانية عشرة من يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٠ ، غير أن جواب الملك فيصل قد تأخر وصوله إلى الجنرال غورو لأسباب لا تزال مجهولة قد تكون من بعض الموظفين الذين لا يروهم أن يروا الصفاء سائداً بين الفرنسيين والعرب ، وقد تكون الأسباب انقطاع الأسلاك البرقية ، وقد تكون غير ذلك . ولكن المهم أن الجنرال غورو قد عرف رأى الملك فيصل

في الموضوع ، ومع ذلك فقد تذرع بتأخير التطرف ، وأمر الجيش الفرنسي بالزحف فهزم الجيش العربي بعد قتال لم يستمر أكثر من بضع ساعات ودخل دمشق في ٢٥ يوليو ، وأبلغ رئيس البعثة الفرنسية الملك فيصل أن يبادر دمشق عملاً بقرار حكومة الجمهورية ، ولم يحن يوم ٢٨ يوليو حتى وضعت فرنسا يدها على المدن الأربع ، وقضت القضاء الأخير على الحكومة العربية السورية

ولقد احتج الملك حسين أشد احتجاج على ما أنته فرنسا في سوريا ، ولكن الاحتجاجات لا تمحل من خطة القوى

لقد كان ما أصاب سوريا أكبر ضربة أصابت آمال الملك حسين وهدمت صرح أحلامه في إنشاء الإمبراطورية العربية . وفي الواقع لم تكن ضربة لآمال الملك حسين ، وحده بل ضربة لآمال متملي العرب وشبانهم الذين طالما عارضوا الأتراك في أساليب حكمهم واستبدادهم بشئون البلاد العربية

على أن الملك فيصلاً في أثناء الحرب وأثناء إقامته في أوروبا ترك أحسن الأثر في نفوس عارفيه ومن اتصل به من البريطانيين ، فرشح لرش العراق واختير في سنة ١٩٢١ ملكاً على العراق ، ومنذ ذلك الوقت وجلالته يدأب على المصالح العراق حتى تمكن بكيامته ومساعدة قادة العراق من إنشاء الانتداب على العراق ، واستخلاص استقلال العراق والاعتراف به بشكل دولي محترم ، وجعل العراق منزلة تجدها عليه سوريا إن تطورات الحوادث وسعى ملوك العرب في التقام وترك الخصام والعداء الشخصي القديم مما يبشر بخير عظيم للأمة العربية ، وكل ما نرجوه أن تجتمع كلمة زعماء العرب قاذتهم ، ويحملوا صالح الشعب العربي مقدماً على كل ما سواه ، ويسلكوا الطرق العملية للوصول إلى غرضهم ، فإن ذلك كفيل بمستقبل حسين للعرب

وإن من ينظر إلى الروح العربية قبيل الحرب في سائر البلاد العربية ، ويقارنها بالروح الحالية يشعر بتقدم عظيم وتطور في الشعور القومي يبشر بأمل كبير في المستقبل وإن الحرب العالمية الأخيرة قد أثمرت خيرات الثمرات بإخراج الفرنسيين من سوريا ولبنان وتأييد حكومة جمهورية مستقلة غير أن عدم الاستقرار والظلم الحزبي سادا البلاد وأهل القادة الحكاء يقودون الأمة إلى ساحل الأمان



## أثر الثورة العربية في الحرب العامة

لا يصح أن نبالغ كثيراً في تأثير الثورة العربية في الحرب العامة ، فإن الحجاز كانت مفتقرة إلى الحلفاء في كل شيء . في السلاح والذخيرة ، والمؤونة والغذاء ، والقوات الفنية ، ولكننا من جهة أخرى لا يصح أن ننقل من أهمية الثورة وتأثيرها في موقف الأتراك في الشرق

والأوردسل وزير الحصار ( وهو أخبر من غيره بمدى هذا التأثير ) قد وصف الأعمال العسكرية بعد إعلان الثورة في مجلس الأوردات في خطبة الآتية : —

« إنى بإذن مجلس الندوة أصف بقدر ما يمكن من الإنجاز أدوار الأعمال الحربية التي جرت منذ إعلان الاستقلال العربي في مكة في شهر يوليو سنة ١٩١٦ . كان للترك في ذلك الوقت في الأقطار الحجازية جيش نظامي مؤلف من عشرين ألف جندي مزود بالمدفعية المناسبة وكل لوازم النقلات والمواد الغذائية والمهمات الحربية ، علاوة على السكة الحديدية العسكرية التي تصل الجيش المذكور مباشرة مع مراكزه الشمالية . إن العرب الذين انضموا تحت لواء الحرية والاستقلال لم يكونوا منظمين ولا مهيئين بالأسلحة الحديثة ، وبالرغم من ذلك فقد تسنى لهم منذ أول الحركة الاستيلاء على جدة ، ومكة ، والطائف ، وينبع ، والوجه ، والمقبة وتبعا ؛ وعلى أثر ذلك انضم كثير من القبائل العربية إلى جانب جلالة ملك الحجاز ، وتطوع كثير من الضباط والجنود العرب الموحدين عندنا في الأسر في الجيش العربي ، فشكل جلالته منهم قوة متميزة مستديمة ليحفظ بها ما استولى عليه ، ويوسع نطاق الاستقلال العربي ، ولقد كانت نتيجة الجهود الذي بذله هذا الجيش القوي بقيادة أصحاب السمو : الشريف علي ، وعبد الله ، وفیصل ، وزید ، أن سواحل البحر الأحمر طهرت من الأتراك على مسافة ٨٠٠ ميل ، كما أن مواصلات السكة الحديدية العسكرية انقطعت مراراً عديدة ، وألحقت خسائر جسيمة في أدرات السكة الحديدية وعربانها ومستودعاتها ، والمدينة المنورة نفسها محصورة منذ سنة . وقد تقدم الشريف

فيصل بجهة جيشه من مكة إلى الطُّقَيْلة على شواطئ البحر الميت ينفى على مسافة ٨٠٠ ميل . وقد كانت نتيجة الفارة التي قام بها فريق من الجيش البريطاني على عمارة أنها ساعدت الجيش العربي على الاحتفاظ بمراكزه ، والخسائر التي ألحقت بالأتراك حتى الآن جسيمة جداً ، ويمكننا أن نقول بكل اطمئنان : إن القوات العربية منذ الاستقلال العربي حتى الآن قد حصرت وأسرت وأشغلت ٤٠.٠٠٠ جندي تركي ، وغنمت أكثر من مائة مدفع ، وبالرغم من اهتمام الحكومة الحجازية في الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال فقد تسنى لها افتتاح عصر جديد من النظام والترتيب لم تعرفهما الأنظار الحجازية منذ دخلت تحت سلطة الأتراك ، وقد نجحت الحكومة العربية باتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل الحج في السنين الأخيرتين ، ولقي الحجاج من ضرر الرقاية والعناية الطبية ما لم يسبق لهم التمتع به من قبل ، وكان الحج في كلتا السنين سالماً من الأوبئة والتهديدات المادية والاضطرابات . وفي القسم الشرق من جزيرة العرب قد برهن الأمير ابن سموه أنه حليف متين ، وقد أسس استقلال القسم الأعظم من نجد ، وما زال أمير حائل شخصياً تحت حكم الأتراك ، وقد مضى عليه سنة وهو متغيب عن عاصمته »

وقد أطرى اللورد اللنبي شجاعة الجيش العربي وإبلاؤه البلاء الحسن في إقصاء الأتراك عن البلاد العربية ، كما أطرى المساعدات المظيمة التي أسدوها والأثر الحربي الذي لا يفكر في ميدان فلسطين ، وأن العرب بانضمامهم للحلفاء لم يفيدوهم فقط فائدة مادية ، بل إن الملك حسيناً بذل نفوذه المعنوي في سائر الجهات التي كان دعاة الأتراك يبتشرون فيها دعوتهم ضد الحلفاء

أرسل الملك حسين الشيخ (عباس مالنكي) من علماء الحجاز إلى الخيشة حسب طلب الإنجليز ، فنشر الدعوة للشرية أو بمباراة أخرى للحلفاء ، لأن غاية الجميع واحدة ؛ وأحبطت بعثة الشريف حسين مساعي رسل الأتراك وأعادت السكون إلى تلك الأطراف . كما هيأ الشيخ سليمان أزمه لإرساله إلى بلاد التركستان ، ولكن الانقلاب الروسي حال دون سفره

فإن الجيش العربي كان يستمد من الحلفاء لاسيما الإنجليز كل شيء : المال والذخيرة

والغذاء والسلاح ، ولكن العرب لم يصفنوا بشيء في سبيل استحلال بلادهم من الأتراك ، بل بذلو نفوسهم وهي أعز شيء بذل السلاح ، وأقد أمد الحلفاء بعضهم البعض بالسلاح والرجال وغيرهم ، كما أمد الألمان الأتراك بالسلاح والمال ورجال الفن

ومهما قيل فإن ما أسداه العرب للحلفاء من الأعمال العسكرية وما خففوا به الضغط عنهم أغنى من الذهب الذي تدفق سرة تانية إلى الخارج بما اشتراه العرب من الضروريات لقد بالغ الناس كثيراً في هذه الإعانات ، ولم نر كتاباً من الكتب التي نشرت أخيراً أزال الستار عن هذا وأوضح لنا هذا الفموض ؛ ولذا فإننا نحاول باختصار أن نذكر شيئاً هنا من الأوراق التي تحت أيدينا خدمة للتاريخ العربي ، والحقيقة التي يشهد بها النصفون في كتاب بتاريخ<sup>(١)</sup> ٢٩ مارس سنة ١٩١٧ من دار الاعتماد البريطاني للملك حسين

أن الإعانات كانت توزع كالآتي : —

٤٠ ألف جنيه لسمو الأمير فيصل
٣٠ » » » » عبد الله
٢٠ » » » » علي
٢٠ » » » » زيد
١٥ » » » » لجة

١٢٥ ألف جنيه

وإنه من ذلك التاريخ سيزاد ١٠ آلاف على ما يدفع لسمو الأمير فيصل ، ومثلها لسمو الأمير عبد الله ، فيصبح ما يتناوله الأول ٥٠ ألفاً وما يتناوله الثاني ٤٠ ألف جنيه أي أن المبلغ الشهري كان أولاً ١٢٥ ألف جنيه فأصبح ١٤٥ ألف جنيه على أن هذا المبلغ قد زاد حتى وصل إلى ٢٠٠ ألف جنيه

وفي كتاب<sup>(٢)</sup> لدار الاعتماد البريطاني بمجلة بتاريخ ١٣ أبريل سنة ١٩١٩ أن الحكومة البريطانية خفضت الإعانة التي تدفع إلى الحجاز إلى ١٢٠ ألفاً منها ٨٠ ألفاً للحكومة

(١) راجع نص الكتاب في القيل (٢) راجع نص الكتاب في القيل

دمشق أو بمبارة أخرى للأمير فيصل ، ولكنها زيدت بعد ذلك إلى ١٥٠ ألفاً ، ثم خفضت إلى ١٢٠ ألفاً مرة ثانية ، ثم إلى ١٠٠ ألف ، وأن في النية تخفيضها إلى ٨٠ ألفاً ، غير أن الحكومة البريطانية استمرت تدفع ١٠٠ ألف للحجاز حتى شهر يوليو سنة ١٩١٩

وفي كتاب<sup>(١)</sup> آخر من دار الاعتماد البريطانية لذلك حسين بتاريخ مايو سنة ١٩٢٠ أن المبلغ الذي وصل إليه من الخزنة البريطانية عن المدة ما بين إبريل سنة ١٩١٨ لغاية ٣١ مارس هو مبلغ ٤٧٥٠٠٠ ر. ٣١ باعتبار ٢٠٠ ألف جنيه كل شهر مع إضافة ٢٥ ألف جنيه علاوة على كل من ثلاثة الأشهر إبريل ومايو ويونية

وفي كتابين بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٢٢ وأول فبراير سنة ١٩٢٣ أن المبلغ الذي وصل إليه من أول إبريل سنة ١٩١٩ إلى ٣١ مارس سنة ١٩٢٠ كان ٩٢٥٠٥٧٥ جنيهًا و ٧ شلنات ، و ٥ بنسات ، وفي أثناء سنة ١٩٢٠ للتداخلة في ١٩٢١ وصل إليه ٢٧٢٥٣ ر. ٢٧ جنيهًا و ١٥ شلنًا و ٦ بنسات

هذا ما يختص بالنقود التي كانت ترسل من الجانب البريطاني لمساعدة الثورة العربية ، أما الأغذية فيمكن أن نقول : إن الحجاز ليس بلدًا زراعيًا يمكن أن يقوم بمحاجات مكانه وما فيه من الأودية للزراعة لا يكفي بمحاجات السكان ؛ ولذا فقد كان الحجاز دائماً محل عطف ورعاية من سائر ملوك المسلمين ، وفي أثناء الثورة العربية كانت إنجلترا تقوم بتقديم كل ما يحتاج إليه الجيش العربي في سائر الميادين ، كما أنها كانت ترسل إلى مكة مقادير غير قليلة للأهالي الذين كانوا في أشد حاجة لهذه المساعدة ، ربما كان من المفيد أن ننشر قائمة بما أرسل من الأغذية في سبتمبر من سنة ١٩١٧ ليكون لدى القارئ صورة صحيحة مما كان يقوم به البريطانيون أثناء الحرب لتقوية الثورة العربية

شهر صبيتمبر

ما يبق بجدة لمين وصول ياخرة النخيرة الثانية من الهند	يرسل على الباخرة الحب	يرسل على الأريثوزا	ما أرسل في هذا الشهر
٥٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	دقيق ١٠٠٠
٣٠٠٠	٥٠٠٠	٣٢٠٠	أرز ١٠٠٠
—	٢٥٠	—	بن ٦٠
—	١٨٠	—	سكر ٣٠
—	٢٠٠	٥٠	شعير ٥٠٠
	٣٠٠٠	—	دقيق ١٦٠٠
	٥٠٠٠	—	أرز ٤٠٠٠
	—	٢٥٠	بن —
	—	٢٥٠	سكر —
	—	٢٥٠	شعير —
			دقيق ١٢٠٠
			أرز ١٢٠٠
			بن ٥٠
			سكر ٤٠

يبيع

الوجه

الأمير زيد بالعقبة

ملاحظة:

- ١ — كل الأعداد متبرة بأكياس صغيرة بخلاف الشعير فمحسب بأكياس كبيرة
  - ٢ — البن ممتبر بالصناديق
- اما الأسلحة والنخيرة فالثورة كلها كانت ملحة بأسلحة إنجليزية وقليل من

الأسلحة الفرنسية ، ولكن الشيء الذى يجب أن نذكره هنا : أن الحكومة البريطانية كانت دائماً تتجنب كل ما من شأنه أن يثير شبهة تداخلها فى الحجاز ، فلم ترسل طياراتها أو رجالها الفنيين إلا إلى الأحماكن البعيدة عن مكة والمدينة ، ولعلها أن جيش الشريف ينقصه الشيء الكثير من الضباط المدربين والسكر النظاميين فقد أمدت جيشه بعدد من ضباط الجيش المصرى وجنوده فى الطائف ، مكة ، والوجه ، كما أن الفرنسيين أيضاً أمدوا الجيش العربى ببعض الضباط ، ولكن أكرم كان ضميماً بالمقارنة إلى المساعدات البريطانية

ويظهر أن هذه المساعدات كانت دون حاجة الجيش ، فإن الملك حينئذ كان كثير الشكوى ويطلب من وقت لآخر المزيد ، كما أنه كان يتهدد البريطانيين بالاستقالة إذا لم تجب طلباته ، ولكن البريطانيين كانوا يعالجون الأمر بالحكمة والصبر والأناة شأنهم فى معالجة سائر الأمور حتى انتهت الحرب كما يشتهون من انتصاراتهم وانتصار حلفائهم على ألمانيا وشركائها

## المعاهدة البريطانية مع الملك حسين

لا شك أن آمال الملك حسين قد أصابها شيء من التضلع بعد حوادث سوريا ، ولكن الآمال انهمشت قليلا بعد أن تبوأ ولده المرحوم الملك فيصل عرش العراق ، غير أن الملك حسين ما زال من وقت لآخر يلج على البريطانيين بالوفاء بعهودهم المنقطوعة له ، والبريطانيون كما يتبين من أحاديثهم مع الملك فيصل شرحوا موقفهم جليا ، وأنهم لا يتفقون مع ما يقهقه الملك حسين من اليهود ، ولكنهم من جهة أخرى كانوا يترفون بمساعدات الملك حسين لهم في الحرب العامة ، فسكوا يودون أن يصفوا الحساب بينهم وبينه بمعاهدة سياسية ، فأوقفوا لهذا الغرض السكولونيل لورانس سنة ١٩٢١ ففاوض مع الأمير علي ، والشيخ فؤاد الخطيب ، ودار البحث بين الطرفين على الحدود الحجازية النجدية المتنازع عليها ، والحدود اليمنية والاتحاد العربي ، ثم على مشروع معاهدة بين الطرفين <sup>(١)</sup> ، ويظهر أن الاتفاق كان تاما ، لأنه ليس من المعقول أن يتم أي شيء بين الأمير علي وبين السكولونيل لورانس بدون موافقة الملك حسين ، ولكن الملك حسين رفض المعاهدة لأنه لم يجدها متفقة مع أمانيه ، لا سيما ما يتعلق منها بالبلاد المجاورة للحجاز وخاصة ابن سعود

واقدر أراد سمو الأمير عبد الله حينما كان في لندن في خريف سنة ١٩٢١ أن يتدخل في الموضوع بإنهاء موضوع المعاهدة ، لا سيما وقد سبق له البحث مع السكولونيل لورانس أيضا في جدة ، وبالفعل فقد استعبرت دار الاعتماد الانجليزية في جدة في ١٢ نوفمبر ١٩٢١ عما إذا كان الملك حسين يرغب في أن يعيد سمو الأمير عبد الله فتح المفاوضات وإمضاء المعاهدة بالنيابة عن جلالة الملك ، فأجاب جلالتة بكتاب صدره بالشكوى والعتاب ، وأنه أمضى المعاهدة وأرسلها للأمير عبد الله بناء على مذكرة السكولونيل لورانس بعد تعديل بعض المواد ، وأننا وإن لم نقف على التعديلات التي أدخلها الملك حسين ، غير أن تدخل

---

(١) في ذيل الكتاب نص مشروع المعاهدة وخلاصة المباحث التي دارت بين السكولونيل لورانس والأمير علي

سمو الأمير عبد الله لم يقدم الموضوع خطوة ؛ وأن التعديلات التي أدخلها على النص الموضوع لم يقبلها الجانب البريطاني  
وقد أوفد الملك حسين الدكتور ناجي الأصيل عدة مرات إلى البلاد الإنجليزية  
لحل معضلة المعاهدة والقضية العربية على الوضع الذي يريده . أما ما يتعلق بالقضية العربية  
والجهود التي قطعت لذلك حسين . فالدكتور ناجي الأصيل لم يكن له من النفوذ  
والشخصية ما كانت الملك فيصل والأمير عبد الله ، ولذا فإنه لم يكن ينتظر له الفوز من  
هذه الناحية

أما من جهة المعاهدة فإن الحكومة الإنجليزية قد استغفمت من الحكومة الهاشمية  
بكتاب سرى مؤرخ في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢ عما إذا كان الملك حسين مستعدا لقبول  
بعض إصلاحات في المعاهدة التي يحملها الدكتور ناجي الأصيل ، فإن مستند وقنصل  
بريطانيا في جدة ، استد للبحث والتوقيع على المعاهدة ؛ والإصلاحات المشار إليها قد ذكرت  
في كتاب سرى آخر مؤرخ في أول فبراير سنة ١٩٢٣ وهي :

- ١ — يحذف ما يتعلق بالإعانة لأن الإعانات كان قد تقرر قطعها
- ٢ — حذف ما يتعلق بالتمثيل التفضيلي بمصر لأن مركز مصر قد تغير عن سنة ١٩٢٢
- ٣ — إضافة مادة جديدة كالآتي : إن جلالة الملك حسين يضترف بالمركز الخاص  
لصاحب الجلالة البريطانية في العراق وفلسطين

وإضافة مادة أخرى بترجيح النص الإنجليزي في حالة وقوع خلاف في فهم إحدى  
المواد ، فأجاب الملك حسين على هذه التصحيحات بكتاب مؤرخ<sup>(١)</sup> ١٧/٦/١٩٢٣ بأنه قد  
تحقق ظنه الآن بأن اللفظ والنصب علينا من بريطانيا العظمى بشأن المعاهدة هو من جهة  
المواد المتعلقة بأبن سعود ، وهذه المسألة لا نقول عنها إلا شيئا واحداً ، هو أن عظمتها ترجح  
ابن سعود علينا ، فهل من يقول إذا لم نروا أننا نكون معه على ما كان الآباء والأجداد في  
المادة والمضى ، خذوا البلاد كلها وسلموها إليه ، ولا تبقى عليه مؤاخذه أو معاتبة ، وهل من  
موجب بعد هذا على مشاركة بريطانيا له على ما يفتك من الدماء ، وما ينهب من الأموال

(١) قد اخبرنا من الكتاب المبارات التي استعملها الملك حسين بدون أي تغيير



ويسحق ويمحق من الديار ، لإيعانتها له بالمال والسلاح ، وإني لم أزل ولن أزل على هذه التمسكة .

أما إدخال المادة الخامسة عشرة ( وهي الخاصة بالعراق وفلسطين ) لحيث إننا مستفيدون وجازمون بأن كافة البلاد العربية المحدودة في الوعود والعهود هي معنى فائضة بما يراد بقولكم في العراق وفلسطين ؛ فلا نرى لهذا إلا التشويش والاضطراب على شخص جلالته خاصة والبلاد عامة ؛ وأشرنا إلى ذلك في كتابنا إلى مندوبنا الأصيل ، وفي برقيتنا إلى دار الاعتماد في ١٩ رجب سنة ١٣٣٧ ، وهو طلب ما تقرر أساساً من جهة حدود الشام والعراق والبصرة ، وجعلت الإعانة الشهرية في مقابلة إشتغالها للبصرة ، وأن أول شرط في مقررائي المذكورة جعل بلادنا المحدودة بتلك الحدود والمعلومة في تلك المقررات تحت حماية بريطانيا من كل تعد الخ .

وهكذا فشلت هذه المحاولة كما فشلت المحاولات التي سبقتها ، وقد ارتطمت المعاهدة بصخرة قضية فلسطين وموقف بريطانيا من ابن سعود ، وقد أتاحت هذه الخلفات الفرصة لابن السعود أن يغير على الحجاز ويضع آخر حد للخلاف مع الملك حسين .

## المسألة الفلسطينية

لازبد هنا أن نأني على تاريخ محاولة اليهود إنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، فقد أنفدت لهذا الغرض مؤلفات خاصة ، ولكن القدي يهنا أن نقرر هنا أن الحركة الصهيونية التي ظهرت بعد الحرب واتخذت شكلا أزعج العرب لم تكن جديدة ، فالحكومة التركية كانت تمل خطر هذه الحركة فوضعت في سنة ١٩٠٠ م تمليات تقضى بمنع مهاجرى اليهود من الإقامة في فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر ، وقد احتجت إيطاليا وأميركا على هذا المجر ، ولكن الحكومة التركية لم تصغ إلى ذلك ، وقد بذل هرثل أكبر القائمين بالدعوة مجهودات عظيمة في الأستانة ، ولكنه فشل في حل الباب المالي على الموافقة على إنشاء حكومة يهودية في فلسطين ، غير أن الماسى اليهودية لم تعرف اليأس بل سارت في أعمالها الاقتصادية والزراعية بكل تكتم ، كما أنها انشطت في عقد المؤتمرات المتعددة لإثارة حماسة اليهود وتوحيد مساعيهم والتفاهم في الوسائل الممكنة

قد أرادت الحكومة الاتحادية بيع نحو ثلاثة ملايين فدان من الأراضي في فلسطين وسوريا ، ولكن الشهيد شكرى بك القسلى هاجم المشروع في المجلس النيابى التركى وبين المضاير والأخطار التي تصيب البلاد من أجله ، فحبطت الماسى البذولة وطوى المشروع ، غير أن الصهيونيين لم يدموا الوسائل التي يمتلكون بها الأرض ، والدرام تسخر كل شىء . دخلت تركيا الحرب في صف ألمانيا وحلفائها فانتهشت آمال اليهود يوم صرح مستر اسكويث رئيس الوزارة الإنجليزية بأن جرس جنازة تركيا قد دق ، لافى أوروبا فقط بل في آسيا أيضا ، فاستبشروا بأن تأسيس دولة يهودية في فلسطين أصبح ممكنا ومقبولا ، وبرز الدكتور ويزمن الأستاذ في جامعة مانستر واندفع حتى أصبح قائد الحركة الصهيونية العامة ، وهو الذي اعتبر دخول تركيا في الحرب هيدا جديدا لفلسطين وفرصة نادرة يجب الاستفادة منها

قابل الدكتور ويزمن مستر لويد جورج وكان يومئذ وزير المالية ، وبسط له آراؤه

وأماله يجعل فلسطين بلداً يهودية ، فارتاح إلى هذا الطلب ثم عمل على الاجتماع مع مستر بلفور فأأس منه كل تشجيع . لقد بحث الحلفاء ( فرنسا وبريطانيا ) في تقسيم تركية الزجل المريض ( تركيا ) . وأمضى اتفاق ( سايكس - بيكو ) في ربيع سنة ١٩١٦ ، ولم يخطر ببال الحلفاء إذ ذاك مسألة اليهود ، غير أن اليهود الأقوياء الأذكياء استطاعوا أن يصلوا إلى غرضهم بإقناع الإنجليز بأهمية ما يرمون إليه .

وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، أي بعد تصريح بلفور بأسبوعين أرسل السير مارك سايكس كتاباً<sup>(١)</sup> دورياً إلى زعماء العرب يوجه نظرهم فيه إلى أن الاهتمام بالتقضية العربية يجب أن لا يوجه فقط إلى نجاحها في ميدان الحرب ، بل يجب أن يوجه أيضاً إلى بقائها سائرة بالاتفاق مع سياسة العالم والنهضة المصرية لأن النهضة العربية إذا صادفت نجاحاً في ميدان الحرب فقط ، ولم تكن موافقة لأراء الحكومات وعناصر العالم المختلفة ، فإنها لا تنال التأييد السياسي اللازم لحفظ كيانها والضامن لحياتها بعد الحرب .

ووجه نظر قادة العرب أيضاً إلى أن العرب ، مع اتحادهم في اللغة والجنس ، منقسمون انقساماً عظيماً جغرافياً وتهديبياً ، علاوة على الاختلاف الناشئ عن تأثير الظالم مدة ستين طويلاً ، وقد أسدى النصيحة الآتية :

إن الحكومة البريطانية قد اعترفت بالصهيونية ، والصهيونيون أعظم قوة يهودية ، واليهودية منتشرة في العالم أجمع ، فإن اتحدت قوة الصهيونية والعرب فإن تحرير العرب محقق ، وأما إذا انشقت هاتان القوتان فإن ذلك لا يفضي إلى الارتياح فقط ، بل يؤدي إلى القوضى التامة ، وينحلّ العرب إذ ذاك إلى عناصرهم المختلفة من بدوي وحضري ، ومسلم ومسيحي ، وبستحيل ضمهم وجمع كلتهم ؛ والصهيونيون الآن مستعدون لأن يتحدوا مع العرب في تحرير سوريا وغيرها من البلاد الباقية تحت نير تركيا في اتفاق تام مع الأرمن ؛ وغاية ما يبغيه الصهيونيون أن ينالوا حق الاستعمار في فلسطين ، وأن يهيشوا في مستعمراتهم عيشتهم القويمة الخاصة ؛ وقد طالب السير مارك سايكس من حكومة الحجاز أن ترسل مندوباً في اللجنة المؤلفة من الدكتور ويزمن رئيس الصهيونيين

البريطانيين ، والمستر ملكولم مندوب الأرمن في لندن ، وهذه اللجنة تحت رئاسة السير مارك سايكس لمراقبة الاتفاق العربي الأرمني الصهيوني ونشر دعوته في العالم ، ومنع حدوث ما يضر به ، وحفظ الاتفاق بين التمهضات الثلاث ، وضبط الأركان على الدوام ، غير أن الملك حسين لم يرسل مندوباً من قبله للمشاركة في أعمال اللجنة المذكورة ، كما أنه لم يبد رأياً خاصاً في هذا الموضوع الخطير ، إما لعدم علمه بالقضية الصهيونية ومخاطرها ، وإما لثقلته النامة بالبريطانيين ، وأنهم بعد انتهاء الحرب العامة وانسحاب الأتراك من البلاد العربية سيبدلون إلى كليهما ، وهو يديرها بمساعدة الحكومة البريطانية .

توطدت العلاقات بين الصهيونيين والحكومة الإنجليزية وحازت رضاه كل من فرنسا وإيطاليا .

أخذت الصهيونية تدخل في دور دولي جديد بإسماح مجلس الحلفاء الأعلى سنة ١٩١٩ لوزمن ومستر سكولوف بالحضور أمامه لتمثيل اليهود وشرح مطالبهم ، وقد سمع المجلس المذكور في ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩ اقتراحاتهم وهي :

(١) وجوب اعتراف الدول بحق اليهود التاريخي في فلسطين وشد أزهم لإعادة بناء وطنهم القومي .

(٢) أن تسلط سلطة الحكم العليا في فلسطين إلى جمعية الأمم ، وأن يسهل إلى إنجلترا بالصيانة عليها وتكون مسئولة أمام جمعية الأمم .

(٣) أن يضاف إلى صك الانتداب لحكومة فلسطين الشروط الآتية :

(١) أن توضع فلسطين في أحوال إدارية وسياسية واقتصادية يضمن معها تأسيس الوطن القومي اليهودي ، وأن يؤول ذلك في النهاية إلى إيجاد حكومة مستقلة بشرط أن لا يعمل شيء يهين بحقوق غير اليهود ( العرب ) في فلسطين ، أو يهين حقوق اليهود التي يتمتعون بها خارج فلسطين .

(٢) للوصول إلى هذه الغاية تقوم الدولة الوصية .

١ — بتشجيع الهجرة اليهودية وإسكان اليهود في الأرض الفلسطينية مع المحافظة على حقوق السكان الحاليين من غير اليهود .

ب - وتأسيس وكالة يهودية في فلسطين وفي العالم للإشراف على بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

ح - وبعد الاقتناع بأن قانون هذه الوكالة لا يتضمن جلب الربح الخاص يجب أن يفضل على غيره بإعطاء المشروعات الاقتصادية وتمنح له الأولوية في كل امتياز في الأعمال العامة أو في تشجيع الثروة الطبيعية التي تجتهد الحكومة من الضرورة إعطاءها لها .

ومع أن مجلس الحلفاء لم يبد جواباً حاسماً لندوبى اليهود ، إلا أن اليهود كانت ثقتهم عظيمة ببريطانيا ، وأنهم بواسطة سيصلون إلى النهاية التي يتوخونها .

وفي سنة ١٩٢٠ بحث الحلفاء مرة أخرى في مسألة فلسطين فأعترفوا بمطالب الصهيونيين ووعد بلفور ، وقد تقرر أيضاً في سان ريمو بناء على أمانى الصهيونيين أن تكون الحكومة الإنجليزية هي الحكومة الوصية على فلسطين ، فأبدلت الحكومة البريطانية الإدارة العسكرية بحكومة مدنية ، وعهدت برياستها إلى السير هوبرت صمويل .

### العرب واليهود

لم يكن من الطبيعي موافقة العرب على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود ولا موافقتهم على فتح باب الهجرة لليهود بلا قيد ولا شرط ، لأن أراضي البلاد الزراعية محدودة ، وقدرتها على قبول السكان محدودة أيضاً ، وفتح باب الهجرة لليهود فقط معناه إيجاد مزاحمين جدد للسكان .

لذلك فإنهم قد هبوا في وجه تصريح بلفور واحتجوا على السياسة الجديدة التي أدخلت على فلسطين ، وأرسلوا الوفود إلى كل من مكة ولندن ، فأما وفد لندن فإنه لم يصادف نجاحاً كبيراً لقوة اليهود للمادية والأدبية وعظم نفوذهم في مختلف الأحزاب الإنجليزية ، أما وفد مكة فإنه أثار الملك حيناً وحكومة مكة ووجد صدراً رحيماً من جريدة القبلة ، فنشر كل ما يريد نشره كما أنه أثار حساسة الحاج المسلمين .

لم يسمع الإنجليز السكوت على الحملات الموجهة إليهم قبل اليهود ، لأنهم هم المسئولون عن إدارة البلاد ، فسكتوا كتاباً طويلاً لذلك حين بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٢٢ هاجموا

فيه الوفد الفلسطيني واتهموه بسوء النية ، وكذبوا كثيراً من دعاويه التي نشرها في الحجاز ، كما أنهم لاموا حكومة الحجاز والقائمين بتحرير القبلة على تركهم البيانات بدون تعليق ، وأردفوا الكتاب ببيان من وزير المستعمرات عن سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين ، فرد الملك حسين على هذا الكتاب المطول مدافعاً عن الوفد تارة ومعتذراً تارة أخرى وقال : « وحيث إن هذه المباحث كلها مخالفة لمقررات جلالة الملك مع بريطانيا وتمهيداتها لذلك لا يمكن البحث في الموضوع » . ثم انتهى باللائمة على مشروع رتبرج وتسليح اليهود ، ثم على وعد بلفور بما لا يرى ضرورة لتفصيله هنا .

وقد استمر الملك حسين على موقفه في فلسطين تحت تأثير الأحزاب العربية حتى آخر لحظة من حكمه ، وكان موقفه في فلسطين وتصريحاته المتعددة من أهم المسائل التي عرقلت المفاوضات بينه وبين الإنجليز ، وقد كانت عقيدة الملك حسين أن فلسطين هي جزء من المملكة العربية التي وعد بتشكيلها ، وأن وعد بلفور باطل لخالفته لليهود والوعود المقطوعة له من بريطانيا .

واقصد رأى الملك حسين أخيراً أن يوجه خطاباً للشعب البريطاني في نوفمبر سنة ١٩٤٣ يشكو فيه ما أصابه هو وقومه من خيبة الأمل ، وما أصاب البلاد العربية من التقسيم بالرغم من اليهود والانفاقات ؛ واستنهض همه الشعب البريطاني المعروف بتقاليده في إنصاف الشعوب المظلومة ... فلم تظمئ الحكومة البريطانية إلى موقف الملك حسين الجديد وتشجيعه للأحزاب العربية . فصرفوا النظر عنه وتركوه لخصمه ابن السعود يحل مشاكله معه بنفسه ، فنقلب عليه وأقصاه عن الحجاز .

أما المسألة الفلسطينية فقد تطورت تطوراً خطيراً وتقوى مركز اليهود بازدياد مهاجرهم ، ثارت فلسطين مرة تلو الأخرى ، واقترحت الحكومة البريطانية تقسيم فلسطين ثم عدلت عنه لأنها لم تجد عربياً يؤيده . وفي أواخر سنة ١٩٣٨ عقد مؤتمر فلسطين المشهور في لندن ولأول مرة اشتركت فيه الحكومات العربية ، ولكن المؤتمر قد فشل لأن مطالب العرب واليهود لا يمكن التوفيق بينهما . وأخيراً وضمت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض المعروف ، وقد كان خطوة طيبة لا بأس بها ، ولكن العرب واليهود قد رفضوه . وبعد انتهاء

الحرب الأخيرة عقدت الحكومة البريطانية مؤتمراً نقاش كاسايقه ، وأخيراً تقدمت الحكومة البريطانية إلى الأمم المتحدة تخبرها بانسحابها من فلسطين ، فقررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين فرفض العرب التقسيم ، ثم دخلت الحكومات العربية في حرب مع اليهود من غير استمداد حربي ومن غير اتفاق على الخطط التي يجب عليهم السير عليها ، فكانت النتيجة الهزيمة المنكرة ، وكان من نتيجة هذه الهزيمة ترك عدد كبير من سكان فلسطين مساكنهم وأملأهم إلى البلاد المجاورة وأبناؤهم مشردون هنالك يعيشون عيشة بؤس وتعاسة لا يمكن تصورها .

أما اليهود فقد تجاوزوا الحدود التي حددتها الأمم المتحدة ، وما زالوا يهددون القسم الباقي من البلاد العربية المجاورة ، وهم بتشكيلاتهم المنظمة وبقوادم الدول يؤسسون خطراً عظيماً على الشرق الأوسط ، فطامهم لا يحدوم يملوت بما بين القرات والنيل . وواجب العرب أن يلموا شمالهم ، ويرأبوا صدعهم ، ويصلحوا من أسرهم ؛ وإلا فالخطر واقع لا محالة على بلادهم .

## الملك حسين وجهيرائه

قلنا من قبل : إن جلالة الملك حسين كانت كل آماله موجهة إلى إنشاء إمبراطورية عربية<sup>(١)</sup> يرأسها ، وسواء كانت هذه الفكرة سهلة النال أو مستحيلة فإنه مازال حتى آخر لحظة يدعو إليها ويدافع عنها حتى فقد ملكه في سبيل تحقيقها ، ونقول هنا أيضاً : إن أنجاله كانوا يوافقونه على هذه الفكرة ويسمون إليها بالرغم من أن الحلفاء عارضوا في لقب ملك العرب لأنه سيثير شكوك حكام العرب الآخرين .

لقد كان جلالة الملك فيصل من المعتقدين بهذه الفكرة ، فقد كتب إلى والده في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ يخبره بمساعيه في فرنسا وتمنى لو يرفع العلم العربي على كافة أنحاء الجزيرة كالبن وعسير وغيرها ، وإعلان انضمامهم له لكي يبلغ ذلك للدول ، ويتخلصون من كفة ملك الحجاز ويقولون ملك العرب ، والأمير عبد الله في كتابه المؤرخ ٢٨ إبريل سنة ١٩٢٠ إلى نائب الملك بمصر الذي يطالب فيه الحكومة البريطانية بالإمبراطورية العربية التي وعدتهم بإنشائها ، يقول في آخره :

وخلاصة المقال أن جلالتنا يبحث عن أمرين :

الأول — عن المسألة العربية الكبرى

الثاني — في المسائل البدوية لشيخ العربان الذين كانت لهم صلات بالحكومة البريطانية منذ الحكم العثماني على ساحل خليج فارس والمحيط الهندي ، كابن الصبياح وابن سمود وغيرها ، ولا سيما الأخير الذي يدعى أن العهد البريطاني الذي بيده يسوغ له أن يفعل ما فعله من الحركات المعلومة التي شرع فيها إبان الحرب .

ولقد كتب الملك حسين ، بعد وفاة السيد محمد الإدريسي ، كتاباً لرؤساء قبائل عسير يحجب إليهم الانضمام إلى الحجاز ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح ، كما حاول الاتفاق مع

(١) راجع في الدبل معرود الوعدة العربية الذي وضعه الملك حسين .



الإمام يحيى . أما ابن سعود فالتصومة بينه وبين الملك حسين كانت أشد وأعنف ولذا فإننا سنوفىها حقها من التفصيل .

### عبد العزيز بن سعود والملك حسين

إن النزاع بين الأشراف وآل سعود يرجع عهده إلى حركة الإصلاح الدينى التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمساعدة آل سعود ، فهذه الحركة صحبها حركة فتح و - بطل نفوذ فى سائر جزيرة العرب ، وأصبحت الحجاز مهددة فى ذلك الوقت ، ومكة والمدينة كانتا كالتقاهرة من حيث المركز العلمى ، كما أن الأشراف كانوا يرون فى أنفسهم الامتياز بالنسب وحكم البلاد المقدسة ، وكان شأنهم كشأن حكام جزيرة العرب من حيث الاتصال بالبادية والاستغلال بالفرز أيضاً ، فكان من الطبيعى أن يقوم بينهم وبين آل سعود ما وقع من الخلاف :

أولاً - بسبب الدعوة الدينية ، وأساسها قائم على إنكار البدع والخرافات والقبور والمالكين عليها .

ثانياً - النزاع على السيادة . فالأشراف يرون أن مركزهم الدينى بالقرابة وبإمارة مكة جعلهم فى مركز لا يصح أن يقارن بمركز أى أمير آخر ، والتجديون طبعاً يخالفونهم فى هذا .

وفى سنة ١١٨٥ هـ أرسل الأمير عبد العزيز بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب هدايا إلى أمير مكة الشريف أحمد بن سعيد مع الشيخ عبد العزيز الحصىنى الذى أوفد إلى مكة بطلب من الشريف لشرح ما عليه أهل نجد ، وبيان وجهة نظرهم الجديدة . وقد وصل المذكور إلى مكة وتباحث مع علماء مكة فى بعض المسائل . ويقول ابن غنام المؤرخ النجدى : إنهم أحضروا كتب الحنابلة فاقنعوا بأن ما عليه أهل نجد من هدم القباب ومنع دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم حق ، وأن هذا مذهب الإمام الأعظم ، وأن الشيخ عبد العزيز انصرف مبجلاً مكوماً .

وفى سنة ١٢٠٤ هـ أوفد الأمير عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشريف

غالب الشيخ عبد العزيز الحصبني مرة أخرى إلى مكة حسب رغبة الشريف غالب ، ولكن علماء مكة في هذه المرة لم يقبلوا مناظرة الشيخ عبد العزيز ، ويقول ابن غنام : إن الشريف غالباً قبل دعوة أهل نجد ، وقد يكون الشريف غالب تظاهر بذلك ليخفي ما كان يدبره سرّاً من غزو نجد والقضاء على الدعوة الجديدة في عقر دارها ، إذ ليس من المحتمل أن يكون شريف مكة أراد أن يخدع أمير نجد حتى ينصرف لتسكين الأحوال الداخلية في مكة لا سيما مؤتمرات بني عمه ضده ، فإن الدعوة الدينية وقوة أمير نجد لم تبلغ من القوة التي يخشى على مكة منها .

ويقول السيد دحلان : إن أمير نجد قبل انساع أمره أراد الحج إلى البيت الحرام في أيام الشريف مسعود بن سعيد ، فأرسل يستأذن في الحج ، وكان أرسل قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ، وطلب من الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء النجديين ، فأمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم وأمر بسجنهم ووضعهم في السلاسل والأغلال ، وفي أيام الشريف مساعد أخى الشريف مسعود أرسل يستأذن في الحج ، فأبى وامتنع من الإذن له ، ولما تقلد الأمر الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علماء نجد للمناظرة مع علماء الحرمين ، فأبى الشريف بعد ذلك أن يأذن لهم بسبب الاختلاف الواقع بين الفريقين ، وفي أيام الشريف سرور أرسل إليه يستأذن في الحج ، فأجابه إن أردت الوصول فأبى أخذ منك مثل ما أخذ من الأعجم ، وأخذ منك مائة من الجياد فلم يقبل . وفي أيام الشريف غالب أرسل أيضاً يستأذنه في الحج ، فمنعه وتهدده بالزحف عليه .

ومهما كان الفرق بين رواية النجديين والسيد دحلان ، فما لا شك فيه أن أشراف الحجاز كانوا يعتبرون أنفسهم ملاك البيت ، يسمحون لمن يريدون ، ويمنعون من يريدون ، ولا شك أنهم كانوا يضمون المراقيل في سبيل الحجاج النجديين بسبب الدعوة الدينية التي قامت في نجد .

وفي سنة ١٢٠٥ هـ جهز الشريف غالب حملة كبيرة لغزو نجد ، والقضاء على الدعوة الدينية واجتثاث أصلها ، وثل عرش آل مسعود ، وسار الشريف بنفسه إلى الشُّقرا ، ولكن هذه

الحلّة وما تبعها من حملات رجعت تجر وراءها الخليفة والفشل ، كما كانت فائحة شر بين آل سعود والأشراف ، فإن آل سعود لم يقبلوا تحسّم الأشراف في البيت الحرام ومنعهم من الحج ، كما رأوا في الأشراف قوة أخرى لا تزال تهددهم من وقت لآخر ، وهي موئل للرجعية وللانصب للقبور ، ولذا فإنهم بعد أن استتب لهم الأمر في الجزيرة وقضوا على الإمارات الصغيرة واحدة تلو الأخرى ، ولم يبق لهم منازع في نجد وجهوا نظرم شطار الحجاز ، ففتحوه وحكوه من سنة ١٢١٩ هـ إلى سنة ١٢٢٧ هـ ، ولولا الأغلاط التي ارتكبوها ضد الأتراك والعربين ما اعترض حكمهم أحد في الحجاز ، فإنهم يفضلون الأشراف بقوةهم وقدرتهم على بسط الأمن والضرب على أيدي قطاع الطرق والظالمين في الحجاج من البدو .

وفي سنة ١٢٦٣ هـ تولى الشريف محمد بن عون جد الشريف حسين قيادة حملة تركية للقضاء على سلطة الإمام فيصل بيد الملك عبد العزيز ، فوصلت هذه الحملة إلى القصيم ، غير أن الإمام الداهية البعيد النظر أحبط هذه المؤامرة بالاتفاق مع الأتراك على أن يكون مستغلاً في بلاده خاضعاً لسياستهم ، ويدفع لهم مقابل ذلك مبلغاً سنوياً قدره عشرة آلاف ريال . ولقد كنا نظن أن مرور الأيام طوت صحائف العداوة والحقد بين هاتين العائلتين ، ولكن الزمن بدد هذا الظن ، وظهر أن الأشراف لا تزال قلوبهم ملأى بالحقد على آل سعود بالرغم من أن آل سعود لم يكن لهم قبل ربع قرن من الزمن من القوة والنفوذ ما يؤبه له ، ولقد سمعت من كثير من النجديين لا سيما من كانوا في بطانة آل رشيد ، وقد أكد هذه الرواية الملك عبد العزيز أن الشريف علياً باشا أمير مكة الأسبق كانت باكرة أعماله في إمارة مكة بعد الشريف عون إهداءه أسلحة ورماحاً إلى الأمير عبد العزيز الرشيد خصم الأمير عبد العزيز آل سعود ، والقارى يعرف أثر هذه الهدية في نفس الأمير عبد العزيز آل سعود (الملك عبد العزيز الآن) .

ولما تولى الشريف حسين إمارة مكة بعد الدستور العثماني ظننا أن عهداً جديداً سيكون للبلاد العربية ، لأن الشريف ذاق من ظلم الأتراك بإبعادهم له من مكة كما ذاق طعم الحرية بعد عصر الحرية ، ولكنه أبى إلا أن يكون آلة في يد الأتراك لضرب العرب ،

فقد سار هو وأولاده في الحملة التي سبها الأتراك لضرب الإدريسي في عسير ، وهذا كله ليبرهن الأتراك إخلاصه التام . أما الأمير عبد العزيز بن سعود فقد كان له من مشاكلة في نجد ما يفتنه عن خلق مشاكلة جديدة بينه وبين الشريف حسين ، ولكن الشريف حسيناً بحجة المطالبة بمُتَّيِّبة خرج من الحجاز حتى الشُّعرا ، أول قري نجد ، واعتقل سعد بن عبد الرحمن شقيق أمير نجد كرهينة ، ولكن أمير نجد تفاهم مع الشريف حسين وجاراه في أغراضه وأعلن أنه لم يكن من مصلحته إلا إخلاصه للدولة التركية وللأشراف ، فإن النزاع بينه وبين أبناء عمه ، وبينه وبين خصمه الألد ابن الرشيد كان على أشده ، بل إن مصلحته تقضى بخطب ود شريف مكة ومحاسنه ، وهذا ما كان .

وبعد هذا التفاهم أرسل أمير نجد في رمضان سنة ١٣٢٨ أحد أبناء عمه إلى مكة مع هدية من جواد الخليل ، وقال في كتابه<sup>(١)</sup> : « إننا حاسبون<sup>(٢)</sup> أنفسنا من خواصكم وإلا هديتنا رؤوسنا وما تحت أيدينا ، وحررنا هذا الكتاب لموجب التعرض لخدمتكم وما يبدو من اللازم ، وإلا أسركم علينا تام على كل حال ، وما تفعلون معنا وتحطون أنظاركم علينا ، نجدون إن شاء الله مضاعفاً بالخدمات والسبع والطاعة » .

وفي كتاب آخر مؤرخ ٢٧ ربيع أول سنة ١٣٣٠ يقول : « اطلعنا على تحرير عطفكم لحضرة سيدى الوالد المحرر في ٢١ صفر سنة ١٣٣٠ ، وقد سرنا سلامتكم وبما أشرتم من اجتناب كل ما يخالف مرضى سماحتكم المادلة ، فانه المطلع أننى أسى إليها ، وإنى حريص لاستجلاب مرضىكم لأن من أخص آمالنا وأقصى مرادنا رضاكم ، وبالعكس نحن محرومون من التفاتكم حتى نال منا البُغياء المفسدون الذين لا غاية لهم إلا التهب والسلب ، وإفلاق الراحة وإحداث الفتن ، فاعتقدوا أننا لم نخالف مرضىكم ولم نقصر في إراز الصداقة والمحبة والمحسوبة لحضراتكم في جميع مساعيها ، وترجو من لطفكم بأن لا تكونوا من فكر من جهتنا أبداً ، وألا تخرجوا من دائرة المحبة والصداقة » ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة قوية بيننا وبين متبوعنا الحكومة الشورية ، وتعرضوا لإخلاصنا وخدماتنا

(١) راجع تمس الكتب التي أرسلها الأمير عبد العزيز إلى الشريف حسين في القبل .

(٢) هذه لغة الكتب تنصرتها كما هي طبع الأصل .

الصادرة في مرضاة دولتنا الدستورية ، وتروني حاضراً استعداداً مع عموم أهل نجد لكل ما تكلفونا وتأمرونا به ، أغدئ السدة العثمانية بعز يزروحي »

فأين السعود في كتبه كان يعترف للأشراف بما لهم من الميزة والرياسة ، وذلك على شرط أن لا يتدخل الأشراف في الشؤون النجدية المختصة .

بعد اشتعال نار الحرب أوجس الأتراك بشيء مما سيجاروه شريف مكة ، فعرضوا على أمير نجد إمارة مكة ، غير أن ابن السعود رفض هذا العرض ، لأنه سيجر عليه مشاكل لا قبل له بها ، ولأن قبول هذا العرض سيجعله في موقف عداء مع الإنجليز ، وابن سعود يحرص على مصائبهم ومصادقهم .

وفي سنة ١٩١٦ م خلع الشريف حسين نير الأتراك ، أعلن الثورة العربية واستقلال البلاد العربية وانفصلها نهائياً من الحكم التركي .

رحب أمير نجد بالحركة العربية ، وتبادل هو وشريف مكة الكتب الودية والهدايا مما جعلنا نعتقد أن العرب سيدخلون في عصر جديد من التفاهم والاتحاد .

غير أن إعلان الشريف حسين نفسه ملكاً باسم ملك العرب ، أثار شكوك أمير نجد ، فاحتج ، فلم يسع الإنجليز إلا الاعتراض على لقب ملك العرب .

لقد كان من آثار تجديد الدعوة الدينية في نجد دخول المشائر المتاخفة للحجاز من سبع وعتية في دين الله ، تلك المشائر التي اشتركت مع الملك حسين في إعلان الثورة وكان لها أثر يذكر في فتح الطائف وجدة ، والتمل على الحاميات التركية ، فكان من آثار ذلك ازدياد الجفاء بين الملك حسين والأمير ابن سعود بالرغم من سعي الحكومة البريطانية للتوفيق بين الفريقين ، فإن هذا السعي لم يشر المرة للطلوبة وإن قلل حدة الخلاف . لقد دخل كثير من المشائر التي كانت موالية للملك حسين في الدعوة الدينية ، وأصبحوا بمقتضى هذه الدعوة يرون أن ملك الحجاز ليس من حمة الدين ، بل بالعكس حامى البدع ، وأخذت زيارة شيوخ القبائل لأمير نجد تثير سخط الملك حسين ، واعتبر هذا خيانة عظمى له .

أرسل الملك حسين بعض قوات تأديبيه لتأديب أولئك الخارجين وأدبهم بالفعل ، فعد

ابن السمود هذا التهديد موجهاً إليه ؟ اختل الأمن على حدود الحجاز بالنزو المستمر ، ووصلت الكتب التي يرسلها أمير نجد إلى شيوخ القبائل يدعوهم إلى التسك بأهداب الدين ، وأن أهل نجد لا يقصدون إلا إعلاء كلمة الله . فثارت تائرة الشريف حسين على ابن سمود ، ومن ابن سمود هذا ؟ أليس هو بأمير صغير ؟ كيف يتطاول على مقامنا ويتجاوز حدوده ؟ كانت نفس الملك حسين تحبش بهذه الكلمات طبعاً ، إذن يجب تأديبه أو إقصاؤه عن ملكه حتى يقف غيره عند حده

قام الملك حسين بالتجهيزات العسكرية في الطائف وتربة وجهز كل قواته بالدافع والرشاشات ، إن عشاير الخُرمة لا تحتاج إلى كل هذا ؟ فإن أين هذه القوات ؟ إلى الإحساء أى إلى الساحل الغربي على خليج فارس ، هذا كان يقوله قواد الملك حسين ، وماذا في نجد ؟ ألم تكن لسكم عظة بمن حاول هذه المحاولات قبلكم من الأشراف والأزك ، ألم تقتلهم رمال نجد ؟ إلى نجد نحن لا نكفكم مؤونة الذهاب إليها ، إن دون نجد أهلها ورجالها . هذا جواب أمير نجد عبد العزيز بن سمود

سار أمير نجد بمجنوده حتى أصبح قريباً من تربة ، والجند الشرقي لا يزال فيها ، غير أن عتيبة وبعضاً من سبيع أغنوا ابن السمود مؤونة الوصول إلى تربة ، فصبحوا جيش الشريف على غرة ، وانقضوا عليه من كل جانب ، وقتلوا كل من أوقعه القدر في أيديهم ، والسعيد من وجد سبيلاً للفرار ، ولم يجد هذا السبيل إلا نهر قليل بينهم القائد العام الأمير عبد الله أمير شرق الأردن (ملك الأردن)

هل يتقدم ابن السمود إلى الأمام ؟ لقد وصل إلى تربة وأظم حولها يحصى الغنائم ويقسم الأسلاب ، وليس هنالك ما يمنع من دخوله الطائف وهو على بضع ساعات منها ، بل لا شيء يمنعه من دخول مكة إذا أمرع إليها ، فإن القوات التي يعتمد عليها الملك قد فنيت في وادي تربة ؟ فزع الشريف حسين إلى الانجليز أن انظروا إلى ابن السمود يريد الاستيلاء على الحجاز ، والانجليز لا يمكن أن يتركوا حليفهم فريسة لأمير نجد ؟ أيدخل الأمير فيصل دمشق ليؤسس دولة عربية هنالك ويخرج والده من الحجاز ؟ إن هذا غير معقول طبعاً

أرسلت الحكومة البريطانية إنذاراً لأمير نجد في ٤ يونيو سنة ١٩١٩ م — ٥ رمضان سنة ١٣٣٧ هـ ، وحذرتة منية تقدمه في الأراضي الحجازية ، لم يسع الأمير عبد العزيز إلا الرجوع إلى نجد لأنه وهو الرجل الماثل البعيد النظر لم ير من مصلحته الدخول في محاصمة مع الحكومة البريطانية .

ولقد توترت العلاقات بين الحكومة البريطانية وبين ابن سعود لجهل الحكومة البريطانية بما كان يجري بين الفريقين ولعدم وقوفها على جلية الأمر ، أضف إلى ذلك أن الحكومة البريطانية ، وقد خرجت من الحرب ظافرة ، كانت متشعبة بفكرة لورنس التشجيع الأشراف المعجب بهم ، وقد حارب معهم جنياً إلى جنب ، وقد كانت الحكومة البريطانية تقطع الإعانة المالية التي كانت ترسلها إلى ابن سعود لولا ما أرسله فلي من التقارير إلى لورنس ( نائب المندوب السامي بالعراق ) الذي شرح موقف ابن سعود لحكومته وتحدى الأشراف لابن سعود وأن ابن سعود لم يكن إلا مدافعاً عن نفسه .

فأرأت الحكومة البريطانية أن تسمى بين الفريقين لإزالة ما بينهما من جفاء فطلبت منهما أن يتبادلا كتب مودة أمل هذه الوسيلة تكون سبباً في حلول الصفاء محل الجفاء . ولكن الملك حسين ليس سهل القياد ، فإنه لم يصغ لنصح الحكومة البريطانية فلم يرسل كتاباً ورفض استلام كتاب أمير نجد . فكتب إليه نائب الملك بمصر كتاباً طويلاً بتاريخ ٥ نوفمبر جاء فيه :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا نظراً إلى عنايتها بمصالح العرب الجهورية تنف إزاء اشتغال الحرب في جزيرة العرب موقف القلق المضطرب ، خصوصاً لكون حدوث ذلك يؤثر على القرارات السياسية التي سيتفق عليها قريباً

ثم إنه لا يجب أن يخامر جلالتهكم أقل ريب في وفاء الحكومة البريطانية بحكم ، التي يتحتم عليها عدم اتخاذ جانب ابن سعود أو غيره فيما يضر بمصالح جلالتهكم ، غير أن جلالتهكم لا تجهلون شروط الماهدة الحالية بين الحكومة البريطانية وابن سعود الضامنة حقوقه داخل حدود بلاده ، إلا أنها يفتنه بصنفة رسمية أنها تنظر إلى كل عمل يأتي به خارج بلاده بعين السخط ، بل رفضت طلبه زيادة الذخائر والمهمات الحربية ، زد

على هذا أنها طلبت منه إيقاف الحركات العدائية ضد ابن الرشيد صديق الأتراك التي كان قد شرع بها بناء على طلب الحكومة البريطانية نفسها

إننى لا أذكر هذا إلا لنرض إيقاف جلاتكم على حقيقة الحال ، ولكى تقدروا حق التقدير البواث التي حلت الحكومة البريطانية على الإشارة لجلاتكم بالتوقف عند حد معلوم فيما يتعلق بمسألة الحرمه وغيرها من شئون القبائل ، ونظراً إلى ما سبق ذكره ، وما تكرور وروده فى كتب جلاتكم يصعب على تصديق الخبر الذى جاءنى وهو أن جلاتكم رغبتم فى قطع العلاقات الودية مع ابن سعود مما يكفى عنه بإرجاعكم رسوله ورفضكم كتابه

إننى أرجوكم أعظم الرجاء أن تبتهدوا لمنع كل البواث الجوهرية التي تؤدى إلى سوء التفاهم مع الأمير المشار إليه بشأن سياستكم نحوه ، فإنه وإن كان أقل درجة من جلاتكم وأضعف موارد ، لا ينكر أنه ذو تأثير وأهمية فى السياسة العربية »

ساد السكون الحذر الحجازية بقية سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ تقريباً ، وتهددت الكتب الودية بين الفريقين ، فالأمير عبد الله فى كتاب له مؤرخ ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٣٣٨ — ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ يقول :

« إننى قبل كل شئ أحمد الله الذى أهدىكم وأنهمكم على إركاب الأخ أحمد إلى هذا الجنب ، لحسم ما هو واقع من الأمور المحزنة والحوادث الفجعة التي لاسبب لها سوى غلطات متتابعة ، إذ أننى على يقين من أن والدى وشخصكم لا تريدون لبعض ما يريد العذر لعدوه ، وأن لكل منكم متسعاً فيما هو لأبائه ، كما أن فطنتكم الذاتية وحسبكم السياسية لا شك أنها أرحمت إليكم كما هي أرحمت إلينا مفروضية تغير الشكل الحاضر ولزوم التفاهم فى كل وارد وصادر »

إن تبادل الكتب بين الفريقين لم يمنع من وقوع حوادث بعد ذلك على الحدود ، وهذا بالطبع للاختلاف فى النزاعات الدينية بين القبائل الخاضعة للحجاز والقبائل الخاضعة ل نجد

ولذا فإن الملك حسيناً رأى أن يمنع النجديين من الحج فى عام ١٣٣٨ — ١٩٢١ .



غير أن الحكومة البريطانية أغلظت الكتابة لابن سعود لكي يعمل على إسكان الحالة في حدود الحجاز ، وتداخلت مع الملك حسين للإذن للنجديين بالحج أسوة بسائر المسلمين وفي سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م ، أذن للنجديين أن يحجوا ، فحجوا تحت إمارة مساعد ابن سليم ، وقد عثرنا على كتاب من سلطان نجد ( كان الأمير عبد العزيز أعلن نفسه سلطاناً على نجد سنة ١٩٢١ ) للأمير علي أكبر أنجال الملك حسين يقول فيه :

« لما رأيت تفضل صاحب الجلالة الوالد المظم ببذل عنايته بالرخصة والسماح لأهالي نجد لأداء فريضة الحج حيث برهن على حسن عواطفه وإظهار فضيلته ، أحببنا أن نرخص لبعض رعايانا لزيارة بيت الله الحرام بصحبة خادمكم مساعد بن سليم ، فاتفقت هذه خير وسيلة وأعظم فرصة لأهدى حضرتكم جزيل السلام ولأعبر لسوكم عن عظيم اشتياقي وخالص نواياي لتجديد عهد الصداقة ، وتمكين الصلات الحسنة والمناسبات الودية المشتركة التي تربط القطرين الإسلاميين غير ملتفتين إلى ما قدر الله رغم إرادتنا أن يقع فيما مضى بين الطرفين من الحوادث التي ظالماً أوجبت لتأسفاتي وكدرى ... الخ »  
غير أن الخلاف قد عاد مرة أخرى بطريقة أشد ، فإن الملك حسيناً أبى أن يسمح للحجاج النجديين مرة أخرى ، والحكومة البريطانية تتوسط بين الجانبين فيتهما الملك حسين بمحابة ابن السعود وترجيحها إياه

إن الواقف على المراسلات التي كانت تدور بين الملك حسين وبين الحكومة البريطانية<sup>(١)</sup> في هذا الموضوع لا يرى موقفاً أشرف من موقفها للتوفيق بين الجانبين المسلمين العربيين ، السماح بفتح أبواب الحجاز للحجاج النجديين أسوة بسائر المسلمين ، وإزالة أسباب النزاع وانقسام بين الفريقين كي يسود السلام جزيرة العرب

واقدر كان جلالة الملك حسين مرة يرفض السماح للحجاج النجديين خشية إخلالهم بالأمن ، وقارة يقتازل بقبول عدد قليل منهم ، كما أنه في بعض الأحيان يشترط قدومهم بالبحر كإثر الحجاج

وفي ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سلطان نجد إلى المفدوب السامي بالمرافق يخبره أن

(١) اختزننا نشر كتابين في هذا الموضوع في القبل

ليس في إمكانه تحديد عدد الحجاج النجديين لعام ١٩٢٣ . كما فعل في العام السابق ، ولم تر الحكومة البريطانية سبباً مشروعاً لتغيير موقفه ، فأرسلت الحكومة البريطانية التلميحات لمتابعتها بجدية ، فكتب بدوره للحكومة العثمانية بتاريخ ٢٨ يناير يخبرها بموقف سلطان نجد ورأى الحكومة البريطانية ، واقترح الدخول في مفاوضة مع سلطان نجد لعقد معاهدة على نسق المعاهدة التي عقدت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل

وفي ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ كتب سلطان نجد للحكومة البريطانية يخبرها أن عددًا كبيراً من رعاياه يرغبون في أداء فريضة الحج ، وأنه لا يقدر أن يحدد العدد كما فعل في حج سنة ١٩٢٢ ، وأن الحكومة البريطانية لا ترى أي مانع لفتح باب الحج لكل من يريده من العجدين ما دام الحج في العام الماضي كان على خير ما يرام ، وقد اقترحت الحكومة البريطانية بمناسبة الوقت للمفاوضة في معاهدة حدود مع ابن سعود على طريقة المعاهدة التي تمت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل ، فكان جواب الملك حسين أن لا يقبل حجهم في هذه السنة إلا إذا أخلوا الجوف وسائر الجهات التي اغتصبوها من البلاد كزانية ، وبيشة ، وتربة ، ونواحي خيبر وما شاكلها . وأما المعاهدة مع ابن سعود على طريقة معاهدته مع العراق ، فإن هذا البحث مفروغ منه لأننا كلفناه مرة بعد الأخرى كما هو معلوم بأننا صمدون لذلك على أساس الشروط التي أخبرناكم بها ، وهي إما أن يعود ابن سعود إلى ما كان عليه في زمن الآباء والأجداد من جهتنا وجهته ، وإما أن يأتي ويستلم البلاد جميعها لأن الأساس المقصود هو خدمة البلاد

وما زالت الحكومة البريطانية جادة في تقريب مسافة الخلاف بين سلطان نجد وملك الحجاز حتى هيأت الجولانمر الكويت ، فجمعت بين جبهة الأشراف : — الحجاز . العراق . شرق الأردن — وبين سلطان نجد في يناير سنة ١٩٢٣ ، ولكن هذا المؤتمر قد فشل . وقد أحس الملك حسين بما بينه وبين البريطانيين من الخلاف ، فكتب وزير خارجيته كتاباً إلى رئيس المتمدنين البريطانيين في شرق الأردن يظهر فيه رغبته في التقارب بين البلدين ، غير أن فشل مؤتمر الكويت وتتابع الحوادث في الحجاز التي انتهت بسقوط الملك حسين حالت دون نجاح هذه الرغبة الأخيرة

## سياحة الملك حسين الداعية

لا نريد أن نأني هنا على تاريخ الأشراف ونفوذهم في الحجاز ، فقد أوردنا فصلاً خاصاً في هذا الموضوع ، كما أننا أوردنا أشياء كثيرة في ثنايا الكتاب تبين ما كان لهم من النفوذ والسلطان في الحجاز ، لاسيما إذا كان شريف مكة على اتفاق تام مع الوالي عندما أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك ظننا أن البلاد العربية ستدخل في دور جديد من الإصلاح والتقدم ، وكاد هذا الظن يكون يقيناً عندما رأينا كثيراً من شبان العرب وهم القائمون أولاً بالحركة العربية في تركيا التفوا حوله وأسندت إلى بعضهم إدارة بعض الأعمال

لقد قام الملك حسين في أول سنة من القيام بالحركة بتأسيس الوزارات ومجلس الأعيان ، كما أنه هم بفتح بعض المدارس في مكة والدينة

ولكن يظهر أن جلالة الملك حسين وما يقرب عليه من سوء الظن وسرعة تأثره بالوشايات جعل بعض هؤلاء الشبان يفضل ترك العمل بالمرّة ، وبعضهم يفضل الاشتغال مع أولاده ، لاسيما الأمير فيصل والأمير عبد الله ، لأن العمل مع الملك حسين لا يجدي ولا ينفع ، على أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى رأينا ميدان الحجاز قد خلا من الشبان العرب النزيهين ، ولم نرحول الملك حسين إلا أولئك الضملاء الذين لا يهمهم إلا ضمان مصالحهم الشخصية ، غرقت السفينة أو سلت

إن بلاد الحجاز في حالتها الحاضرة أشبه بحالة البلاد الإسلامية الأخرى قبل مائتي سنة ، ولكن الزمن الآن قد تغير كثيراً ، والحجاج يأتون من كل ناحية ولا يجدون في الحجاز التقدم الذي حدث في بلادهم ، لا يجدون طرقاً ولا وسائل مواصلات كالتي يشاهدونها في بلادهم ، وكذلك وسائل الإنارة والشرب والصحة والتعليم وغير ذلك من وسائل العمران الضرورية

والحجاز وإن كان من البلاد الفقيرة التي لا تكفي مواردها للقيام بهذه الإصلاحات

إلا أنه بمركزه الديني يجد شتى المساعدات من الأمراء المسلمين ومن أغنياء المسلمين إذا رأوا عزماً صادقاً من الحكومة المهيمنة على شؤونه

لقد كنا نظن أن الملك حسيناً يحكم ماله من النسب الكريم والمزلة الرفيعة في نفوس المسلمين ، وأنه — وهو الرجل الذي وقف على وسائل الحضارة في الآستانة — سيضرب للناس أفضل الأمثلة بمقدرة العرب على الإدارة والتنظيم ، ولكن الأيام خيبت هذا الظن ؛ فالتك حسين في هذه الفاحية كان كغيره من الأشراف لا يفهم ما يجري في العالم ، كما أنه لم يهتم بالواجب المنتظر منه للبلاد المقدسة ، ولقد حاولت الحكومة البريطانية أن تساعد الملك حسيناً على تنظيم مالية الحجاز في سنة ١٩١٩ — سنة ١٩٢٠ لأنها في ذلك الوقت كانت لا تزال تدفع إعانة للملك حسين — وميزانية الدولة هي أساس الإدارة في المملكة فلم توفق ، حاولت كذلك إصلاح إدارة السكرتينة والصحة وهي أهم شيء في الحجاز لأنها هي الركن الأول لسلامة الحج فلم توفق أيضاً ، حاولت أيضاً أن تساعد الحجاز ببعثات طبية ترسل من الهند لأن إدارة الصحة في الحجاز غير منظمة من جهة ، ولأنه في زمن الحج حيث يكثر الوافدون لا تسكفي الاحتياطات التي تقوم بها حكومة الحجاز ولا عدد الأطباء الموظفين ، وهذه مهمة إنسانية لا غضاضة فيها على حكومة الحجاز ، ولكن الملك حسيناً رفض هذا الطلب من بريطانيا كما رفضه من مصر أيضاً ، معتقداً أن ذلك يحط من شأن حكومته ويمس استقلاله ، ولم يجد توسط الأمير فيصل (الرحوم الملك فيصل) في هذه الأمور ولا غيره

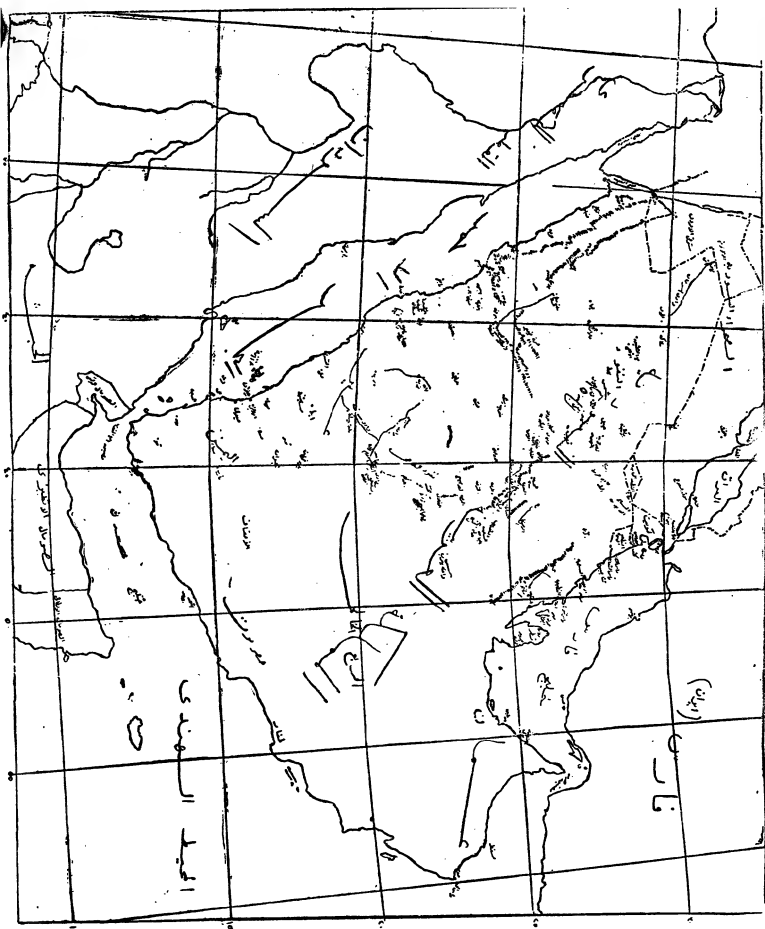
أما السياسة المالية فلم تكن تتجاوز عما كان معروفاً في أيام غيره من الأشراف (المبد وما ملكت يدها لسيده)

فالضرائب تؤخذ بغير انتظام حسب إرادة الملك ويرهق بها الناس . وهكذا يخرج الملك حسين من الحجاز ولا يترك أثراً من آثار الإصلاح فيه ، كما أنه لم يستطع أن يسطر الأمن في جميع أنحاء المملكة ؛ فاعداً للندن الحجازية كانت سيوف العشائر مصلية على رقاب الحجاج ، لا يتركونهم يسافرون إلى المدينة إلى بعد أن يأخذوا منهم ما يفرضونه عليهم من النقود . وفي سنة ١٩٢٤ رجعت قوافل الحجاج من « رابع » لأن العشائر رفضوا أن

يدفعوا غرامة جنيتها الملك حسين من أربعة عشر ، وهي الأجرة المفروضة للجمال ، وبالطبع قد ضاع ما دفعه الحجاج بين الملك حسين وبين العشار

على أنه مهما كانت أغلاط الملك حسين السياسية فإن الرجل كان أفضل الأشراف المتأخرين وأقلهم ظلماً ، وأعلام جديماً نفساً وأعظمهم شخصية ، فهو بلا شك أفضل من الشريف عون الذي ضج من ظلمه كل من زار أو سكن الحجاز ، وأفضل من ابن عمه الشريف علي في كثير من الصفات الشخصية ، ويجب هنا أن لا ننسى الرجل حقه ؛ فهو أول عربي جعل للبلاد العربية شخصية دولية وشأناً لا يفكر في أوروبا

والآن وقد وصلنا إلى الصراع بين الماهليين الكبيرين في الجزيرة العربية : الملك حبيب والملك عبد العزيز بن سعود ، وانتصار أحدهما على الآخر بعد مباركة عربية وسياسية دامت سبعة عشر عاماً ، نرى من الواجب علينا أن نأتي بخلاصة تاريخية وافية لحياة الملك عبد العزيز ، والدور الذي لعبه في السياسة العربية ولا سيما بعد استيلائه على الحجاز ويحمل بنا قبل أن نأتي على حياة الملك عبد العزيز أن نذكر فصلاً تاريخياً عن عائلة آل سعود ودرهم التاريخي ، وأنهم في الانقلاب العظيم الذي كان في القرن الثامن عشر لقرب الشبه بين ما هم في عهد آل سعود وعبد العزيز الحالي



## آل سعود

آل سعود من قبيلة عنزة من نخذ المسالينخ ، ويوجد هذا النخذ الآن قرب حمص ، وعنزة من أكثر العشائر العربية أخذاً وبطوناً وأكبرهم عدداً ، فهم منتشرون في العراق وسوريا ونجد ، وهم لا يزالون يفتخرون بالملك عبد العزيز ، كما أن الملك عبد العزيز يكرم الوافدين عليه منهم ولا سيما من كان من المسالينخ ، وعنزة من ربيعة

في سنة ٨٥٠ هـ <sup>(١)</sup> قدم ربيعة بن مانع من بلدهم القديم المسمى ( بالدرعية ) قرب القطيف ، على ابن درع صاحب حجر والجزة قرب الرياض وكان من عشيرته ، فأعطاه ابن درع الملبىيد وغصيبة المروفين في الدرعية ، فنزل هناك وعمرها هو وبنوه من بعده واتسع في العمار ، وولد لمانع ربيعة وصار له ثمرة واتسع ملكه ، ثم موسى وصار أشهر من أبيه ، وبعد موسى ابنه إبراهيم ؛ وإبراهيم هذا جد مقرن ، وسعود جد عائلة السعود

قبل سنة ١١٥٠ هـ ، وهي السنة التي وفد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الكبير على محمد بن سعود لم يكن لآل سعود شأن كبير في نجد ، ولم يكن لهم تأثير يذكر في شئون الجزيرة العربية ، بل كان شأنهم شأن غيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية ، وكانت الجزيرة العربية مقسمة إلى مناطق عدة ، لكل منطقة أمير يمتد أو يقصر نفوذه حسب كفاءته الشخصية وحمته ، والأمراء البارزون في ذلك أشراف الحجاز : بنو خالد حكام الاحساء ، وما والاها ، من المنطقة الشرقية على خليج فارس ، وآل مُمَر في المينة ، والسعدون في العراق ، وإمام صنعاء في اليمن ، والسادة في بجران ، والبوسعيد في مسقط وعمان . وبعد أن تعاهد الأمير محمد بن سعود مع محمد بن عبد الوهاب على تطهير جزيرة العرب من البدع والخرافات ونشر كلمة التوحيد ، دخلت نجد أو بالأحرى

الدرعية مع سائر الإمارات الأخرى في حرب دينية دامية ، كان النصر فيها لجيوش التوحيد ودعاة الإصلاح

وربما كانت سنة ١١٧٨ هـ — ١٧٦٥ م من أشد السفين على محمد بن سعود فقد تحالف فيها حاكم الإحساء عمر عمر الخالدي وحاكم نجران السيد حسن بن هبة الله ، وتواعدا على الزحف على الدرعية للقضاء على عهد الدعوة الدينية وخضد شوكة دعائها ، وقد زادت هموم محمد بن سعود عند ما رأى ولده وجيشه ينكسر في الحابر بين الخرج والرياض ، هذا وعمر عمر ومن معه من الجنود لم يصل بدم ، غير أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب شدد من عزيمته محمد بن سعود وذكره بما وقع لثني في غزوة أحد ، كما أن زوجة محمد بن سعود وكانت من الصادقات المخلصات للدعوة ؛ كان لها أثر لا ينكر في زوجها ، وقد تمكن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب من الصلح مع صاحب نجران وإطلاق ما تحت أيديهم من أسرى ، ثم رجع صاحب نجران قبل أن تصل جنود بني خالد ، ولذا فإن جموع بني خالد ومن التف حولهم من عشائر العجمان قد رجعت بدم ما وصلت قرب الدرعية

وفي سنة ١١٧٩ هـ — ١٧٦٦ م توفي الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ومؤيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته ؛ وتولى الأمر بعده أكبر أولاده عبد العزيز<sup>(١)</sup> ، فسار على خطة أبيه في التعاون مع الشيخ على تجديد ما اندرس من معالم الدين وإعلاء كلمة الله ، كما أنه واصل غزواته على الإمارات والبلدان التي أظهرت التمرد ورفض الدعوة الدينية الجديدة ، ففي سنة ١٢٠٨ هـ فتح الأحساء جيش التوحيد فقصى على بني خالد ، كما أنه في سنة ١٢١٢ هـ قضت هذه القوات على جيش الشريف غالب حول الخرمة وهو أقوى خصم لم ، وقد قضت السياسة : أن تعقد هدنة بين الفريقين ، ويفتح سبيل الحج للحجاج النجديين ، فخرج سعود لأول مرة في سنة ١٢١٤ هـ ، كما أنه حج في السنة التي تلتها ، غير أن الهدنة انقطعت ورمى كلا الجانبين الآخر بعدم احترامهما لشروطها المتفق عليها ، وعلى كل حال فإن السياسة التي وضعها المصلحون النجديون هي : نشر علم التوحيد

(١) ولد عبد العزيز سنة ١١٣٢ هـ



في كل جزيرة القرب والقضاء على القوات المعارضة ، حتى يسود الأمن سائر الجزيرة ،  
وحتى تأمن الدعوة شر الانتفاض والمعارضة  
ففي سنة ١٢١٥ هـ ساعد آل خليفة على استرداد الزبارة والبحرين من سلطان مسقط ،  
وشمل آل خليفة بحمايته ، ولم تأت سنة ١٢١٧ هـ حتى كان سعود في جوف الحجاز ،  
وفي ١٧ محرم سنة ١٢١٨ هـ دخل سعود مكة بمجوشه بعد ما أمن أهلها وبعد ما أظهر  
العلماء قبولهم للإصلاح الجديد ، غير أن الشريف ما لبث أن استرد مكة بعد رجوع الأمير  
سعود إل الدرعية

### وفاة الامام عبد العزيز

في ١٠ رجب سنة ١٢١٨ هـ اغتيال أحد الأجناب الإمام عبد العزيز وهو في الصلاة ،  
وقد اختلف الرواة في جنسيته ، ويرجح أنه من شيعة كربلاء المتعصبين ، أراد الانتقام  
للبلدة وما أصابها وما أصاب أهلها من الأمير سعود في غزوته عليها سنة ١٢١٦ هـ من  
هدم قبة الحسين ومصادرة أموال المقيمين في تلك البلدة

### صفات الامام عبد العزيز

اشتهر الإمام عبد العزيز بالتواضع والبعد عن زخارف الحياة ، لا يبالي بما يلبس  
ولا بما يأكل ، وكانت غايته الوحيدة هي مواصلة عمل أبيه العظيم من القضاء على البدع  
والخرافات ونشر دعوة التوحيد ، كان شديداً في الحق وتفويض أوامر الشريعة الإسلامية  
لا يبالي بمن ينفذ عليه الحكم ؛ فريضة الله عنده مقدمة على كل اعتبار  
وكان قاسياً على قطاع الطرق والعابثين بالأمن من البادية ؛ لا يكتفي بالتميز بالبدني .  
بل يضيف إليه غالباً شيئاً من المصادرة المالية . ومال اليدوي هو الجمل والخيول والغنم ؛  
ولذا فقد ساد الأمن جميع الطرق والبلدان التي امتد نفوذه إليها

### سعود بن عبد العزيز

بويح للأمير سرد بعد وفاة أبيه ١٢١٨ هـ ( ١٨٣٠ م ) وكان الشيخ محمد بن

عبد الوهاب قد أخذ له البيعة بعد أبيه في سنة ١٢٠٢ هـ ؛ لأنه كان أكبر أبناء عبد العزيز سنًا وأشدّهم بأسًا وأغذّم بصيرة وأكبرهم عقلًا وأكثرهم تفانيًا في الدعوة إلى الله ، وقد كان في حياة أبيه هو القائد للجيش والفتح لأكثر البلدان التي دانت لهم

وقد استمر حكمه من سنة ١٢١٨ إلى ١٢٢٩ هـ فتح فيها الحجاز كله ، كما أنه واصل زحفه في الشمال إلى ضواحي دمشق ، فدانت له بادية الشام والعراق ، كما امتدت فتوحاته جنوبًا إلى رأس الخيمة في عمان وزيد في اليمن

وقد بلغت الدولة في أيامه أوجها وغايتها ، إلا أن أغلاطه السياسية والإدارية أوقعته في مشاكل مع الأتراك والمصريين وشدته المتناهية صرفت القلوب عنه وجعلت الناس يتمزقون القرص للانتفاض عليه

كان سعود من أحسن الرجال صورة وجلالًا ، ورث عن عائلته جمال التقاطيع ووسامة الوجه ، وقد كان يرعى لحيمته أكثر مما اعتاده العرب ، وكان العرب حتى خصومه يتمدحون شجاعته ومهارته الحربية ، وكان عالمًا بأصول الدين والفقه والحديث ، حيث درس ذلك على جده لأمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وسعود لم يأذن قط لأولاده أن يتدخلوا في شئون الدولة ، بل حصر ذلك في نفسه وفي ولده الأكبر عبد الله

وكان يسكن هو وعائلته في بناء كبير خارج الدرعية ، كان بناء أبوه على سفح الوادي ، وكان كل أولاده وعائلاتهم ، وكل إخوته وعائلاتهم يسكنون في هذا البناء كل له جناح خاص به وبعائلته

وفي هذا البناء كان سعود يستقبل مشايخ القبائل ويمد لهم اللوائد ، وينزل السكابر منهم فيه . أما الأشخاص الثاويون فإنهم كانوا ينزلون في منازل الدرعية وترسل إليهم التعيينات والعلوف لدوابهم . وقصر سعود كان دائماً غاصاً بالضيوف

وكان مجلس سعود مفتوح الأبواب للجميع وكان من عادته أن يستقبل الزائرين في الصباح الباكر . وبعد الظهر ما بين الساعة الثالثة والسادسة ، وكان من عادته بعد أن

يتناول طعام المشاء أن يجلس بين قومه وزائريه ويتلو أحد العلماء<sup>(١)</sup> شيئاً من القرآن وتفسيره أو من أحاديث النبي ، وكثيراً ما كان سمود نفسه يتولى تفسير ما يصوب تفسيره على السامع ، وكان دائماً يقول في نهاية كلامه « والله أعلم »

وكان من طباع سمود أن تأخذه الحدة والانفعال عند ما يتبين أن أحد الأعراب خدعه أو غشه ؛ فيتناول عصاه ويهوى بها بنفسه عليه ، ولكنه كان يمود إلى نفسه بعد قليل ويستغفر الله ، وقد أصدر أمره لمن يكون حوله وقت غضبه أن يحولوا بينه وبين ضرب أى أحد من الناس ، وقد كان دائماً يحمدهم هذا التدخل بعد أن تهدأ ثأثرته

ولم يكن سمود عن مخفل بالألقاب ؛ فكان الناس ينادونه باسمه أو بيا أبا عبد الله أو يا أبا الشوارب ، كما كان هو بدوره لا يسمي الناس إلا بأسمائهم مجردة عن الألقاب وكان سمود في ملبسه مثل باقي الشعب لا يتميز عنهم بشيء ، غير أنه كان أنيقاً في ملبسه ويحب التطهر دائماً

وكانت مصاريف سمود في الغالب على الضيوف وعلى الخيول ، فإنه يقال إنه كان لديه مالا يقل عن ألفي فرس ، وكان من هذا المدد حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ دائماً في الدرعية ، والباقي في الاحساء حيث المرعى الجيد ، فكانت أكرم جياذ بلاد العرب عنده . إما أنه يكون قد أخذها من أربابها عقاباً لم على مخالفة ارتكبوها أو دفعاً لقرامة استحققت عليهم أو أنه اشتراها من أصحابها بماله الخاص ، ويقال إنه كان لا يتأخر أن يدفع خمسمائة أو ستمائة جنيه ذهباً ثمناً لفرس

وأباح سمود أن يكون لكل ولد من اولاده حرس خيالة من ١٠٠ - ١٥٠ فارساً أما عبد الله فكان له وقت حياة أبيه أكثر من ثلثائه فارس تحت أمره وفي خدمته . يضاف إلى هذا المدد كثير من التوق الأصيل السريفة ، حيث كان لدى سمود أحسن وأجود أصنافها في بلاد العرب

وكان عدد الذين يتناولون الطعام يومياً في قصره يتراوح ما بين الأربعمائة والخمسمائة شخص : منهم خدمه وحاشيته والأضياف . وكانت أصناف الطعام هي : الأرز والبرغل

(١) لا تزال هذه متبعة في العائلة السعودية إلى وقتنا هذا

والنمر والحم ، وكان سعود يأذن لأولاده الكبار والكبار المشايخ أن يتناولوا الطعام على مائدته الخاصة

ولم يحفل سعود في قصره بأى عيد من الأعياد كما يحفل به في الأمصار ، وكان يقول : إن هذه العادة لم تكن موجودة في صدر الإسلام .

والنظام الذى أوجده سعود<sup>(١)</sup> من إلغاء مسئولية الجرائم التى تقع في منطقة على شيخ القبيلة الذى تقع هذه المنطقة تحت نفوذه قد جعل الأمن يسود كل جزيرة العرب تقريباً ، وأفرح قلوب الذين كانوا معرضين للامارات والنهب . والسكان سواء في نجد أو الحجاز أو اليمن قد استراحوا إلى نظام الحكومة السعودية ، ولا سيما إذا قورنت بحالة الفوضى القديمة ، وأقبل الأهالى على الزراعة لأنهم آمنوا شر القبائل التى تهدد محصولاتهم

كان سعود مشهوراً بالقسوة على المجرمين . سمعت مراراً من جلالة الملك أنه حبس مرة بعض شيوخ مطير ، فجاء بعض كبارهم للاستشفاع لهم وأنس منهم روح الاعتزاز ، فأمر بقطع رؤوس المسجونين ، وأحضر رؤوسهم على مائدة قدمت لبنى عهم الذين جاءوا للاستشفاع فيهم ، ثم أمرهم بالأكل من المائدة ! ! وقد قص هذه الحكاية جلالة الملك عبد العزيز على شيوخ مطير الذين جاءوا للاستشفاع في فصل الدويش ، ولكن جلالة الملك عبد العزيز لم تعرف عنه قسوة من هذا النوع ، غير أن سعوداً وإن عرف بالشدة في معاقبة لمن يتجاوز حدود الشرع ، فإنه كان كذلك مشهوراً بوفائه لأصدقائه الخالصين منه ، فأى شيخ يخاض الخدمة لسعود يمكنه أن يعتمد عليه في جميع الملأ والشدائد وكانت ولا تزال أشد حقوبة يمكن أن تنزل بمجرم أن تحلق لحية ويظاف به في الطرق ، والعربي بفضل الموت على حلق اللحية

## فتح الحجاز

لقد فتح سعود الحجاز في أوائل سنة ١٢١٨ هـ في أيام والده ، وعين الشريف عبد المعين أمير على مكة من قبله ، ولكن الشريف غالباً تمكن من التغلب على القوة التى وضعت

(١) . وهذه السياسة هى التى اتبعها الملك عبد العزيز في سياسة الداخلية

في مكة واستردها منهم ثانية ، ثم استمرت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى تمكن من الاستيلاء على الحجاز مرة أخرى في سنة ١٢٢٠ هـ . على أن يبقى الشريف غالب في إمارة مكة من قبل سعود ، وأمر الشريف غالباً بهدم القبور في جدة ، وأمر أهل جدة ومكة بالإقلاع عن شرب الدخان ومنع بيعه في الأسواق ، وأمر بمنع المسكرات والمجاهرة بها ، وترك لبس الحرير والذهب وإبطال المكوس والمظالم ، ومصادرات الناس في أموالهم . وعاهده الشريف غالب على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز : من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والأئمة ، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء إلى غير الله من الخلقين الأحياء والأموات في الشدائد ، وما أحدثوه من بناء القباب والزخارف وتقبيل الأعتاب ، إلى غير ذلك مما جد وحدث وجعل ديناً والدين منه براء ، كما أمر الناس أن يبادروا إلى الصلاة حين سماع الأذان ، وألا يصل في الحرم إلا جماعة واحدة ، كما أمر الملوك أن يقرأوا الرسائل التي وضعها علماء الدرعية ، ولقد استمر حكمهم الحجاز من سنة ١٢٢٠ إلى ١٢٢٨ هـ ، وكان سعود وأهل نجد يحجون في كل سنة ، ونفذ هذا النظام في المدينة أيضاً وسائر البلدان الحجازية

لقد خضع أهل الحجاز وشريف مكة للحكم السعودي ، وأصبحت مكة قطعة من الإمبراطورية السعودية ، ونفذت أحكام الدين حسب الحركة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن كل هذا لم يكن إلا مساهمة لقوة الفاتحين

### بده الخلاف مع المصريين والآثراك

في سنة ١٢٢٠ هـ قال الأمير سعود لأمير الحج الشامي والمصري : ما هذه العريصات التي تأتون بها وتظنونها ، فأخبره بأن هذه الحملل إشارة لاجتماع الناس ، وهي عادة قديمة ، فقال لهم : لا تملوا ذلك بده هذا العلم ، وإن أتيتم بها فإني أكسرهما ، وكذلك شرط عليهما أن لا يأتيا بطبول أو زمر ، وفي السنة التي بعدها أي سنة ١٢٢١ هـ كتب الأمير سعود إلى أمير الحج الشامي ، وكان قد وصل قرب المدينة : لا تدخل الحجاز إلا

على الشرط الذى شرطناه عليك فى العام الماضى ، فرجعوا تلك السنة من غير حج  
ويقول العلامة ابن بشر فى تاريخه فى حوادث سنة ١٢٢١ هـ : إن سعوداً حشد  
جيوشاً عظيمة قرب المدينة وأمرهم أن يعمروا الحجاج الآتين من الشام واستنبول ونواحيها ،  
فرجع الحمل الشامى إلى وطنه ، وكان أميره عبد الله باشا العظمى ؛ لأن سعوداً خشى من  
مكائد غالب ، وأخرج سعود فى تلك السنة من كان فى مكة من الأتراك ، كما أخرج  
منها كل من فيها من العساكر التركية ، وبعد حجه تلك السنة زار المدينة المنورة  
فقوى حاميتها وأجلى من المدينة كل من يخاف منه

قال العلامة الجبرتي المؤرخ المصرى : وفى سنة ١٢٢٣ هـ انقطع الحج الشامى والمصرى  
متملئين بجمع الوهابى الناس الحج ، وليس الأمر كذلك ، فإنه لم يمنع أحداً أتى إلى الحج  
على الطريقة المشروعة ، وإنما منع من يأتى بالبدع التى لا يميزها الشرع : مثل الحمل  
والطبل والزمر ، وقد حج طائفة من المغاربة فلم يتعرض لهم بسوء

أما ما رواه السيد دحلان من حرق سعود للحمل المصرى فى سنة ١٢٢١ هـ وأمره  
أن ينادى : لا يأتى إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن ، فلم أجد فيما  
كتبه النجديون ما يؤيده أو ينفيه ، والذي يظهر لنا من هذه الرويات أن سعوداً لم يقبل  
دخول الحمل لأنه بدعة ، كما أنه لم يقبل دخول العساكر التى تصاحب الحمل خشية أن  
تحدث حدثاً فى الحجاز ، وهو بعد ليس مطمئناً ولا يأمن بجانب الشريف غالب فكبر  
على الأتراك والمصريين هذا الأمر الذى اعتادوه مدة طويلة

ولقد سمعت من بعض شيوخ نجد وسمعت هذه الرواية أيضاً من جلالة الملك انتقاداً  
لسياسة سعود : إنه فى الوقت الذى غاضب فيه الأتراك ورد حجاجهم ، وكان فيه أحد  
بنات أو شقيقات السلطان التركى ، كان يتهدى مع شاه إيران ويتقرب منه ، كما أنه  
انتقده أيضاً فى قبول تصامح غالب التى لم تكن تنطوى على الإخلاص ، بل كانت تنطوى  
على استتارة الناس ضد الحكم السعودى ، وإن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قد نصح  
سعوداً بعدم الإصغاء لنصائح الشريف غالب ، كما نصحه أيضاً بالاعتدال فى معاملة الأتراك  
والمصريين ، غير أن سعوداً كما قدمنا كان شديداً ، كما أنه كان شديد التمسك برأيه

أما أهل الحجاز فقد كرموا الحكم السعودي لأنه قطع عنهم الحجاج وحال بينهم وبين ما كان يردهم من الصدقات ؛ ولذا فقد هاجر كثير منهم إلى مصر واستنبول وشكوا للسلطان ولحمد على باشا ما أصابهم من الشدة والضييق بعد الاحتلال الجديد وانقطاع ما كان مرتباً لهم من الإمانات . أما الشريف غالب فإنه لم يقدم خضوعه للأمير سعود ولم يبايعه على الطاعة اعتماداً منه أو إخلاصاً له ، بل لأنه غالب على أمره ؛ ولذا فإنه ما فتئ<sup>١</sup> يكاتب محمد علي و السلطان تركيا يستجدها على خلاص الحرمين الشريفين

وفي سنة ١٢٢٢ هـ صدر الأمر من السلطان سليم لحمد علي بتواريته الحجاز وبحارته الوهابيين . غير أن محمد علي لم يكن يستطيع تنفيذ الأمر فوراً ؛ لأنه لم يستقر أمره بعد في مصر ولا يزال يخشى من نفوذ المماليك

وفي سنة ١٢٢٦ هـ بدأت الحملات العسكرية من مصر فاحتلت ينبع في السنة نفسها ، وبالرغم من انكسار طوسون في الصفراء والقضاء على الحملة قضاء تاماً ، فإن محمد علي أعاد الكرة مرة أخرى وأخذ يستعمل بالمال أسراء العربان ، والشريف غالب يمهده له السبيل حتى تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف في سنة ١٢٢٨ هـ

واند سمعت من بعض كبار النجديين أن محمد علي حاول أن يعقد هدنة لمدة عشر سنوات بينه وبين سعود لأن المهمة التي وكلت إليه وهي استرداد الحجاز قد انتهت وليست هنالك فائدة من الحرب ولا مطمع لحمد علي في نجد ، ولكن سعوداً أبى أن يعقد هدنة أو صلحاً مع محمد علي

ويقول السيد دحلان : إن سعوداً نفسه هو الذي طلب الصلح من محمد علي وافقدها عثمان المضايقي عامله على الطائف ، ولكن ماسعى الصباح لم تتم حيث اشترط محمد علي دفع المصاريف التي صرفت على الحملة العسكرية ، ورد الأخوة من الجواهر والأموال التي كانت بالحجرة النبوية أو ثمنها ، وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد علي ، وسواء سمحت الرواية الأولى أو الثانية ، فإن محمد علي وضع خطته لقضاء على الدولة الجديدة ، وقد عمل على استتباب الأمر في مكة فقبض على الشريف غالب وأولاده وأرسلهم إلى مصر ، وبذلك لم يبق له منازع في الحجاز

## وفاة الامام سعود

وفي ربيع الثاني سنة ١٢٢٩ هـ ( ١٨١٤ م ) توفي الإمام سعود بالدرعية على أثر حى أصيب بها ، ولئن شاء القدر أن يشاهد سعود قبل موته إنفلات الحجاز من يده مرة أخرى فإن ذلك لم يفت في عضده ولم يكن له أثر يذكر في حالة مملكته الداخلية ، وذلك بفضل شخصيته الجبارة والصلابة والشدة التي عرف بها

وموت سعود فقدت نجد تلك الشخصية المهيبة ، وبدأ التصدع يظهر شيئاً فشيئاً في أيام ولده عبد الله بن سعود

## عبد الله بن سعود

وبيع لعبد الله بعد وفاة أبيه ، وقد كانت الحرب مستمرة بين نجد ومحمد علي باشا ، فلم يستطع أن يملك زمام المملكة بيد من حديد ، كما لم يستطع أن يدير الحرب بمهارة كما كان يديرها أبوه

لقد انتزع عهد عبد الله بن سعود بمخلافات عائلية بينة وبين عمه عبد الله ، الجد الأكبر لجلالة الملك عبد العزيز ولم يكن هو البادئ بها ، بل إن عمه رأى نفسه أحق بالإمامة لأنه ولد محمد بن سعود المؤسس الأول ، ولكن هذا ليس بمرجح ، فإن سعوداً تولى الإمامة في حياة أعمامه ، والحقيقة أن عبد الله التّم أنس لين قفاه عبد الله ابن أخيه فأراد أن يخلعه ، وليست هذه الحادثة بمجديدة في بلاد العرب

تطلب عبد الله على عمه ، غير أن التصدع قد بدأ وانحلال المملكة قد ظهر ، وأخذ أعداء الحكومة السعودية من النجديين يستفيدون من الفرصة ، فكانوا يهاجمون محمد علي ، ومحمد علي لا يترك هذه الفرصة تمر دون أن يستفيد منها

كان عبد الله في حياة أبيه يشار إليه بالحكمة والعقل والفتنة ، غير أنه لم يكن له من الصفات الحربية مثل أبيه

كان عبد الله محبوباً من البادية لابن عربيته ، ولكنه كان قصير النظر في سياسته ،



كما أنه لم يكن له من قوة الإرادة ما يمكنه من القبض على زمام البادية ، والبدو أسرع الناس إلى الانتفاض ، فسقطت إمارة آل سعود على عهده ، ودخل إبراهيم باشا الدرعية وقبض على عبد الله وأرسله إلى الآستانة

ويقول النجديون المنفكرون : إن عبد الله قد أخطأ كثيراً في إدارة الحرب وخالف طريقة والده في الحرب ؛ فعبد الله كان يعمد إلى منازلة المصريين ، والمصريون أقوى منه آلات حربية وأقدر على إدارة الفنون الحربية . أما أبوه فكان يعمد إلى الحيلة الحصينة فيناوش أعداءه بقوات صغيرة حتى ينهك قوتهم ، ثم ينقض عليهم فيقتلهم عليهم ، وهذا ما فعله في ضرب جيش طوسون باشا سنة ١٢٢٩ هـ ، وفي تربة سنة ١٢٢٩ هـ ، ولذا فإن عبد الله لما عمد إلى مقاتلة المصريين وجهاً لوجه انكسر في تربة سنة ١٢٣٠ هـ ، وتبع هذا الانكسار استيلاء المصريين على القسم الجنوبي من الحجاز

وتقد خطأ النجديون أيضاً عبد الله في قتاله مع المصريين في الدرعية ، فالصحراء واسعة والمصريون لا يستطيعون إبقاء حاميات في جميع الأراضي النجدية

وتقد خطأ أيضاً (Rurchart) عبد الله بن سعود في عقد الهدنة مع طوسون باشا سنة ١٢٣٠ هـ ، فإن هذه الهدنة كانت من أكبر الأسباب التي عملت على تقويض عرش آل سعود ؛ لأن المصريين كانوا في أشد الظروف حرصاً : فقد كانت ذخائرهم على وشك النفاد ، كما أن الجو قد فتك بالجنود والحيوانات ، فبالهدنة تمكنهم من تجديد حملاتهم على الحجاز ، ولو أن عبد الله تابع القتال لكان من المحقق القضاء على الحملة المصرية الصغيرة

### أسباب سقوط الدولة السعودية

١ — كانت الدولة مستندة إلى القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب ، والدعوة الدينية لم تتمكن بعد من قلوب الناس ؛ فقد كانت الثورات تشب من وقت لآخر لطرح الحكم السعودي لاسيما في البلاد البعيدة عن نجد كسير وحيان ؛ ولذا فقد وجد محمد علي باشا ونفوذته المجال واسعاً في جزيرة العرب

٢ — تحرش سعود بالأتراك والمصريين بإشارة غائب ونصائحه ، والأتراك أهل

الخليفة ويهيمهم المحافظة على لقب ( خادم الحرمين الشريفين ) فهل يصيرون على عربى  
ينزع منهم الحرمين الشريفين ويحول دون حجهم ؟ إن هذا أكثر من نورة ضدم ؛  
لذلك لم يكن لم بد من إلقاء هذا الحل على محمد على باشا بد نسل ( باشا ) بندا و ( باشا )  
الشام فى تأديب هذه الفئة . ووالى مصر بهه أيضاً ببط نفوذه فى الحجاز ؛ لأن ذلك  
يتفق مع مطالبه الواسمة ويشهر اسمه فى العالم الإسلامى

إنى أعتقد لو أن سعوداً اقتصر فى الدعوة على جزيرة العرب وترك الخليج حراً للأتراك  
والمصريين ، ولم يمس الناحية الحساسة فى الترك ، وهى السيادة على الحجاز ما اهتم الأتراك  
بأمره ؛ فقد مكنت جزيرة العرب مدة طويلة ونار الفتى تأكل الأخضر واليابس ، بل  
لقد كان الحجاج الأتراك والمصريون عرضة للنهب والقتل فى كل ناحية حلوا بها فى الحجاز ،  
وكانوا يحملون هذا ويدونه من الأعمال الطبيعية . وأى فرق فى نظر الأتراك بين آل  
سعود والأشراف ؟ الفريقان من العرب ، وأفضلهم من يحتفظ بسيادة الأتراك ولو اسماً  
مع نشر الأمن والمحافظة على سلامة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم

### رأى علماء نجد

أما بعض علماء القسّم فيحصلون تبة ما وقع على نجد من تخريب وتدمير على أبدي  
الحلة المصرية على آل الشيخ<sup>(١)</sup> ؛ لأنهم كانوا السيطرين على السياسة الموحين إلى الأمراء  
بأتباعها ، فهم الذين أملوا عليهم خطة الشدة والطاء العام لاسر الناس  
أما آل الشيخ فيدفعون هذه التهمة عنهم طبعاً بالطعن على هذا الصنف من  
الملاء ، وبإزالة أهل القسّم لوالى مصر وترغيبهم بإياه لتزود نجد وتمهيد السبيل  
لذلك ، وهم ينسبون ما وقع عليهم من الحن إلى الذنوب والتقصير ، والله قد يتلى عياده  
المؤمنين بشقى الحن

(١) يطلق آل الشيخ على قرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب

## أثر الدولة السعودية في نجد

مهما قيل في الدعوة الدينية الإصلاحية ، ومهما قيل في الطريقة التي اتبعت في نشر هذه الدعوة ، فإن هذه الدعوة قد تركت في نجد أثراً عظيماً لا ينكر ، وقضت قضاء تاماً على ما كان شائماً في نجد من الخرافات ، وما كان شائماً من تعظيم القبور والندرها ، والاعتقاد في بعض الأشجار ، وأحييت معالم الشريعة بعد اندثارها ، وجعلت الرجوع إليها في مختلف الشؤون أساساً من أسس الحكم . أما أهل العلم والقضاة لاسيما آل الشيخ فإنهم فوق كل اعتبار ، وأصبح مقروناً اسم آل الشيخ وآل سعود بمقيدة التوحيد والدعوة الإصلاحية لاسيما في إقليم المارض . أما الجهات الشمالية : القصيم وجبل شمر ، فهم أقل حاسة من الجهات الجنوبية

## الدولة السعودية الثانية

بعد إبعاد عبد الله بن سعود من نجد ، وسفر إبراهيم باشا إلى مصر سنة ١٢٣٤ هـ رجعت إلى نجد فوضاها القديعة ، وحل الفساد وقطع الطرق محل النظام والأمن . حانت الفرصة لآل سعود مرة ثانية ، ولكن من يقوّم ؟ اختلف آل سعود فيما بينهم على الإمارة كما طمع غيرهم أيضاً

طمع محمد بن مشاري بن مُمَرّ في الإمارة ؛ فانتقل من العيينة إلى الدرعية وأخذ يستميل الناس إليه ، فدانت له المارض والوشم وسدير ، غير أن أمر ابن مُمَرّ لم يطل ؛ فإن مشاري بن سعود وصل إلى الدرعية في جادى سنة ١٢٣٥ هـ وانتزع الأمر من ابن مُمَرّ بلا مقاومة تذكر وبائع مشاري ، غير أن ابن مُمَرّ قام ثانية فاسترد الإمارة وألقى القبض على مشاري . وهنا يقوم تركي بن عبد الله فينأى لابن عمه مشاري ، فيقبض على ابن مُمَرّ وولده ويقتلها جزاء تسليمها مشاري للترك

## تركي بن عبد الله

١٢٢٥ - ١٢٤٩ هـ

هو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وعبد الله والد تركي ليس هو عبد الله الذي أسره إبراهيم باشا وقتله الترك ، كما نوه بعض الكتاب ، ويعتبر تركي المذكور منسباً

الدولة الثانية لآل سعود في سنة ١٢٣٥ هـ ، لأنه منذ هذه السنة اعتبر الزعيم الساعى لاسترداد إمارة آل سعود . لقد هرب تركى هذه السنة من الرياض بعد حصار الأثراك له ، واسكنه خراج من الرياض وهو رافع علم الثورة ضد أولئك الفاتحين ؛ وقد استمر ينتقل من بلد إلى أخرى سرقة مهاجراً وأخرى مدافعاً ، ولسان حاله يقول ما قاله امرؤ القيس :

فقلت له لا تيك عينك إنما نحاول مُسكاً أو نموت فنموت

وقد تمكن بعد محاولات من استرداد الرياض التي جعلها مقراً له ومن إخضاع نجد كلها ، وفي آخر سنة ١٢٤٩ هـ دبر مشاري بن عبد الرحمن بن سعود للأمير تركى مؤامرة اغتاله فيها ، وأعلن نفسه أميراً على نجد ، غير أن فيصل بن تركى الذى كان فى القطيف وقت اغتيال أبيه يادر إلى الرجوع إلى الرياض ليثأر لأبيه من مشاري بعد أن استمد لذلك . وفي ١١ صفر سنة ١٢٥٠ هـ دخل فيصل بن تركى الرياض وحاصر مشاري فى قصره ، ولم تمض بضعة أيام حتى تساق فيصل ورجاله القصر ، وقتلوا مشاري ومن ساعده على تدبير المؤامرة لاغتيال أبيه ، وأعلن فيصل نفسه إماماً وحاكماً على نجد

## فيصل بن تركى

سنة ١٢٥٠ — ١٢٥٤ هـ

أتى القبض على الأمير فيصل فيمن أتى القبض عليهم فى الدرعية من آل سعود وآل الشيخ ، وبقى فى مصر من سنة ١٢٣٤ — ١٢٤٣ هـ ، حيث فر من مصر ، ووفد على والده فى تلك السنة ، وشارك والده فى كثير من غزواته وحملاته ضد المفتصبين تارة وضد بعض أسراء آل سعود الذين رأوا الفرصة سانحة للأمارة أيضاً . كان فيصل من أعظم الأسراء همة وشجاعة ، كما كان من أتقى آل سعود وأكثرهم حية وغيرة على الدين والقومية .

لم يتمكن مشاري بن عبد الرحمن بن سعود من الإمارة ، وقد صمد إليها باغتيال تركى والده فيصل ، بل ركب متن الخطر ، وهل للأمارة فى بلاد العرب غير طريق الحظارة ؟ فأسقطه بسرعة وقتله وقتل من عاونه . تسلم فيصل عرش الإمارة الشائكة فلم يجد من

كثير من الأمراء إخلاصاً وخضوعاً . أما بعضهم فيفضل الاستقلال حتى يتحكم في الناس ويتسع المجال لهواه ومطاميه ، وبعضهم يخاف من بطش المصريين والأتراك ، غير أن فيصلاً كان كجده محمد بن سمود ليناً لمن ينفعه الدين ، شديداً على من لا يصلحه غير الشدة ، شمر فيصل عن ساعد الجد حتى أخضع أكثر البلاد العربية ما عدا الحجاز طبعاً ، وأعاد عهد النظام والأمن في البلاد العربية بعد أن سادت فيها الفوضى وانتشر الفساد

لقد هال الأتراك ومحمد على أمر نجد مرة أخرى ، وخوفهم أن يعود الأمر لآل سمود كما كان ، فأرسلوا حملة عسكرية ومنها خالد بن سمود ، فأصبحت الحرب أهلية بين آل سمود ، غير أن أهل نجد لاسياً الجنوبيين كانوا يميلون إلى فيصل لأنه لم يستعين بأحد من الأتراك ، وصرحوا بخلافه بأنه إذا كان يريد منهم الطاعة فهم مطيعون ، أما إذا كان يريد الطاعة الأتراك فهم لا يحبون الأتراك ولا يريدون الخضوع لهم . وقد استمرت الحرب الأهلية بين خالد ، ومنه جنود محمد على ومن تبعهم من النجديين ، وبين فيصل بن تركي والنجديين الصميمين من جهة أخرى ، وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين ؛ وأخيراً رأى ولاية الأمور — المصريين والأتراك — أن يضموا آخر حد لفيصل بن تركي الذي يرى إلى إعادة حكومة سعودية مستقلة لا تتأثر بالنفوذ التركي أو المصري ، فوكلوا هذا إلى خورشيد باشا الذي أوفد إلى نجد سنة ١٢٥٤ هـ بحملة عسكرية للقضاء على فيصل ، ووصل خورشيد باشا إلى الرياض في رجب من السنة المذكورة ، فانضم إليه خالد بن سمود وساروا جميعاً إلى فيصل الذي كان في ذلك الوقت في الدمام من إقليم الطرج ، وبعد معارك دامية رأى فيصل أن ليس له قدرة على مقاومة المصريين ، فاستسلم له فأرسله خورشيد باشا مع أخيه جلوي وولديه عبد الله ومحمد إلى مصر

وقد بقي الإمام فيصل في مصر من سنة ١٢٥٤ إلى سنة ١٢٥٩ هـ ، كانت نجد تخوض فيها فترة أهلية بين خالد بن سمود وبين عبد الله بن ثنيان ، الذي يريد استخلاص نجد من قوات الأتراك . استتب الأمر فيها بعد الله بن ثنيان ؛ وهرب أخيراً خالد بن سمود من الرياض إلى الإحساء فالتطيف فالكويت فمكة حيث توفي بها

## فيصل

من سنة ١٢٥٩ — ١٢٨١ هـ

تمكن الإمام فيصل بن تركي من الفرار من مصر مرة ثانية ، ويقال : إنه تمكن من ذلك بمساعدة عباس باشا الأول ؛ فإنه كان معجباً به وبمقله ، فذابت قوة ابن ثنيان ، وأسلم له سائر الرؤساء ، وتمكن بعد مدة قصيرة من استعادة المملكة القديمة ما عدا الحجاز ، وقد ساعده على ذلك أولاً انسحاب الجيوش المصرية من البلاد العربية ، وزوال نفوذهم من تلك البلاد نتيجة لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م ، وثانياً ملك الحكمة والتبصر الذي اتبعه الإمام فيصل مع الأتراك الذين اكتفوا بسيادتهم الإسمية على بلاد العرب ، وبذلك عادت الطمأنينة إلى قلوب السكان ، وشمل الأمن الطرق والبلاد التي بسط فيها فيصل سلطانه ونفوذه

## صفات فيصل بن تركي

كان الإمام فيصل قصير القامة ، يميل إلى السن ، متوقد الذكاء ، كثير التواضع ، يميل إلى العدل ، شديداً على عماله إذ رأى منهم انحرافاً عن الخطة التي رسمها لهم ، وكان في أخريات أيامه شديد المظف على الأيتام ، بنى لهم في الرياض داراً خاصة لهم ، وكان يتفقد بنفسه ويكرم منوام ويواسيهم بكلماته الرقيقة ، وقد أخبرني المرحوم الشيخ عيسى ابن علي أنه مر بالرياض في حجه سنة ١٢٧٨ — سنة ١٢٦١ م فرأى الإمام فيصلاً يزور دار الأيتام - ورآه سرّة يبكي حينما قال له أحد الميخاضيين : خف الله يا محفوظ . وتمتعت نحمد في أيامه بمسعادة ورحاء عظيمين

وقد زار الرياض الرحالة « بلجيريف » ، فوصف بلاط فيصل وما يسوده من الجاسوسية والإشاعات كما وصف الإمام فيصلاً بالضعف في آخر أيامه وسيادة عبد الله ولده في خارج القصر ، ومحبوب — عتيق تركي والد فيصل — في داخل القصر ، كما

وصف ساطة الشيخ عبد اللطيف حفيد الشيخ محمد عبد الوهاب وأنها تأتي بعد فيصل مباشرة ، وذكر أيضاً المنافسة بين عبد الله بن فيصل وسعود بن فيصل حتى اضطر فيصل إلى تعيين ولده سعود أميراً على الهامة والخرج ؛ دفعاً للاحتكاك والخافرة بين الولدين ، وإن أهل الدين المتصين يرون في عبد الله الزعيم ، كما أن فريق المتناحدين المتسامحين يرون في سعود الزعيم البصير العاقل

إن فيصلاً وأكثر أهل نجد يكرهون الأجانب من كل قلوبهم ويستوثق بهم الظنون ، وهم لا يلامون على هذا فقد ذاقوا من المصريين والأتراك ومن جيوشهم الأرمين ، وقد ذاق فيصل نفسه الشيء الكثير منهم في الحبس والإبعاد ؛ ولذا فإنه يرصد العميون على كل أجنبي قادم ولا يترك له المجال للإقامة في الرياض ، ولكنه في الوقت نفسه كان واسع الصدر مع المسلمين غير النجديين الذين فضلوا الإقامة في بلاده ، حيث وجدوها وطناً صالحاً لتعاليم الإسلام الصحيحة كما ذكر بلجريف نفسه إكرامهم لبعض الهنود ؛ ولهذا السبب لم يجد بلجريف صدراً واسعاً لإقامته ، ووجد العميون تبث حوله

وقد نشطت الدعوة النجدية في أيام الإمام فيصل بعد ما أصيبت بالجدود في أيام حملات المصريين ، غير أن هذه الدعوة سواء كانت سلمية أو حربية لم تخرج عن دائرة نجد والأحساء وعمان وقطر وعسير . أما الحجاز والمراق وسوريا فلم يشأ فيصل أن يدخل معها في نزاع جديد ؛ لأنه رأى سلامته وسلامة بلاده في حفظ صلوات المودة مع الأتراك

واعتراف الإمام بسيادة الأتراك الإسمية لم يمنعه سنة ١٨٦٢ م من مقاضاة بيلي القيص السياسي في برشهر باسم الحكومة البريطانية لتوطيد صلوات المودة والصداقة بين البلدين

أما المملكة السعودية في أيام فيصل فقد كانت حدودها حسب وصف بيلي<sup>(١)</sup> من الشمال خط يمتد من جوف العاصم إلى قرب الكويت مباشرة عند نهايتها الشرقية ، ومن الجنوب تمتد نجد بالربع الخالي أو الصحراء الكبرى ، ومن وادي الدواسر من نهايته الغربية إلى نقطة غير معينة في الصحراء في اتجاه الخليج الفارسي ، ومن الشرق تتحدر حدود نجد إلى الخليج الفارسي إلى الكويت في طرفها الشمالي فنارلاً إلى أبي ظبي ، وبعد

(١) عاصمة السكولونيل بيل في الجمعية للجمعية الجغرافية سنة ١٨٦٥ م

أن يمر خط الحدود إلى الداخل قليلاً حتى يصل إلى برّيجي ينحني خط الحدود نحو الجنوب الشرق ويمتد وراء تلال مسقط وعُمان ، ومن الغرب خط يمتد تقريباً من الشمال والجنوب بين الحجاز من جهة ، ووادي الدواسر من جهة أخرى بحيث يقع وادي الدواسر في نهاية الطرف الجنوبي لهذه الحدود . فهذه الجهات كان سكانها ورواسيها يخضعون للإمام فيصل . وهذالك جهات أخرى كان يكتفي منها الإمام فيصل بضريبة سنوية علامة على الخضوع ، فأمر البحرين كان يدفع أربعة آلاف ريال ، وسلطان مسقط ستة آلاف ، ورئيس ساحل عُمان من رأس الخيمة إلى أبي ظبي ١٢ ألف ريال

## وفاة الإمام فيصل

في سنة ١٢٨٢ هـ ( ١٨٦٦ م ) توفي الإمام فيصل فنقدت بموته شخصية عظيمة كان لها أثرها في جمع الكلمة ، تلك الشخصية الحكيمة التي كان لها الفضل في إحياء النظام والقضاء على القوضى وسيادة الأمن والقانون وبموت الإمام فيصل أوجد التنافس بين ولديه عبد الله وسعود سبيلاً لأعدائهما ، فاستفادوا من مقابلة الأخوين ، حتى انتهى الأمر أخيراً بالقضاء على إمارة آل سعود مرة أخرى

## الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود

كان التنافر بين الأخوين معروفاً منذ أيام فيصل ، ولكن الإمام فيصل أراد وضع حد لهذه المنافسة ، فجعل ولاية المهدي لولده الأكبر عبد الله وأطلق يده في كثير من الأحوال ، وكان عبد الله معروفاً بالكرم والتقوى ، كما كان معروفاً بالتنصب والشدّة ، وهو يرى نفسه الوارث الشرعي للإمارة

أما سعود فكانت شخصيته تختلف تمام الاختلاف عن شخصية أخيه عبد الله : كان طويلاً كأخواله بنى خالد ، وكان يميل إلى الاعتدال والتسامح ، وهذه الصفات ربما كانت محبوبة لدى البدو أكثر . يقول عارفوا عبد الله بن سعود : إن الرجل كان طيب



القلب شجاعاً ، ولكنه أسند الأمور إلى غير أهلها ، وأطلق يده موظفيه ، و بعضهم لبسوا من العائلات المعروفة فعاملوا رؤساء البلدان والقبائل بغير ما اعتادوه في أيام فيصل ، من كرم الضيافة والرعاية ، ولا تىء أسوأ أثراً في نفس العربى من سوء المعاملة ، كما لا تىء يحدث أحسن الأثر أكثر من الإكرام وطلاقة الوجه ، ولقد سممت كثيراً جلالة الملك عبد العزيز ينصح أولاده بعدم الركون إلى الخدم و بعض الموظفين ، وتصنع الشوث العامة بأنفسهم ، وكثيراً ما يضرب المنل بعمه عبد الله بن فيصل وركبته إلى خدمه الذين أساءوا إلى الناس ، فأنصرفت قلوب الناس عنه وانفضوا من حوله ، وعلى كل حال فإن الخصومة بين الأخوين أخذت تزداد وأخذ كل فريق يجمع أنصاره حتى ينازل خصمه ويتقلب عليه ، وقد بدأت أجزاء المملكة في الانحلال ؛ فإن القسم الشمالى من نجد أصبح تحت نفوذ آل رشيد ولم تبق لآل سعود إلا سلطنة اسمية ، ولم يبق على ولاه مع آل سعود إلا الرياض والخرج وبعض الأقسام الجنوبية

ترك سعود الرياض بعد وفاة أبيه وأخذ يبحث عن أنصار له ؛ فوجد في المعجم أنصاراً أقوياء ، والمعجم وبنو خالد كانوا أصحاب النفوذ في إقليم الاحساء ، وقضى فيصل وأسلانه على نفوذهم في تلك البقاع ، وهامى الفرصة سانحة لاسترداد نفوذهم فعمل بتزكيتها نقلت من أيديهم

تحالف رآ كان بن حشايين زعيم المعجم مع ابن خليفة حاكم البحرين يساعدهم قبائل آل مرة ، وتقدموا إلى المحفوف (عاصمة الاحساء) ، وكان فيها أحد الديرى حاكماً من قبل عبد الله بن فيصل فحاصروه فيها ، وأخذ عبد الله بمساعدة أخيه محمد بن فيصل يجمع القوات لضرب خصومه وفك حصار عامله ؛ ولكن إبعاد المقاتلات بين البلدان لم يتمكن عبد الله من حشد عدد كبير من المحاربين ؛ ولذلك أسرع بقوة صغيرة لنجدة البلد المحاصر ، وقد بقى حاكم المدينة محاصراً عدة أسابيع ، ولكن سلمها لهم لما هددوه بإتلاف البساتين ، وقد علم عبد الله ب سقوط المحفوف وهو في منتصف الطريق من الرياض إليها ، فقرر الانتقام والأخذ بالثأر فوراً ، فقسّم قوته إلى عدة سرايا وأمرهم أن يحدوا السير من طرق مختلفة إلى الماء السقى جردة ، حيث كانت تمسك قوة العدو الرئيسية ،

وحيث تقابل كل هذه الممرات في ليلة معينة ليأخذوا العدو على غرة قبيل شروق الشمس ،  
غير أن خصومه الذين كانوا يحتلون منازل المياه على مسافات واسعة بددوا هذه الفرق  
الضئيلة ، وتبطلوا أكثر من ألفي مقاتل من محاربين عبد الله المحاصرين

أما سعود فإنه سارع وأتباعه لاحتلال الرياض عاصمة ملك عائلته ، فدخلها في نهاية  
سنة ١٨٧٠ م واستولى عليها وأقام نفسه حاكماً عليها ، وقد حاولت بعض المدن وأهمها  
البرّة أن تقاوم سعوداً ، ولكن عبد الله هزم هناك سرّة أخرى ، وبعدها لم يستطع الإقامة  
في بلاد أجداده ، فحمل خزائنه ونفائسه على مائة بعير وصار ينقل من ناحية لأخرى لئلا  
يجد نصيراً أو مساعداً ، فتوجه أولاً إلى زامل السليم حاكم عتيبة ، ولكن خوفه من  
بطش سعود جعله يوعز إلى عبد الله بالرحيل عن بلاده ، فتوجه عبد الله إلى محمد بن الرشيد  
في حائل ، غير أنه لم يجد صدراً رجباً منه ، فوكل إلى سلطان الدويش ( والد فيصل  
الدويش المعروف ) وعصاف أبوثنين رئيسي مطير وسبيع ، وكانا يحققان على حاكم  
الرياض سعود ويسعيان لإضعاف نفوذه

وأراد عبد الله أن يسمي من جهة أخرى لإضعاف نفوذ أخيه سعود . فأرسل  
عبد العزيز بن بطّين إلى مدحت باشا وإلى بغداد ليستمد منه المعونة ضد أخيه ، فوجد  
مدحت باشا الفرصة سانحة للاستيلاء على الاحساء وسائر البلاد التي كانت خاضعة لتركيا  
قبل دولة آل سعود ، فاستعان على غرضه هذا بناصر باشا الحيدري رئيس قبيلة اللُتُفِيق ،  
وعبد الله بن صباح حاكم السكويت ، وبمساعدة هؤلاء وبني خالد أنصار عبد الله احتلت  
القوة التركية الاحساء وأطلقوا عليها ولاية نجد

وقد تحقق عبد الله الذي كان يحسد أخاه سعوداً على ولاية الاحساء أنها قد خرجت  
من أيديهما جميعاً

أما سعود فقد بدأت القلوب تنصرف عنه بسبب الفظائع التي ارتكبها أنصاره  
وأصهاره المجان ، فاجتمع أهل الرياض تحت قيادة عمه عبد الله بن تركي وطردوه من  
الرياض سنة ١٨٧١ م ، فوجد عبد الله بن فيصل التميمي في الاحساء الفرصة سانحة ،  
فترك الاحساء ودخل الرياض بدون مقاومة ، ولكن سعوداً لم يهن عزيمه ، فجمع

أنصاره وأصدقائه الدواسر ، ونازل أخاه عبد الله في الجَزَعَة وضربه ضربة شديدة ودخل الرياض ظافراً

أراد سعود أن يسترد الاحساء من الأتراك بعد أن أضاعها أخوه عبد الله ، فرأى البدء في مفاوضات مع الأتراك لحل هذه المشكلة ، فأرسل أخاه عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز إلى بغداد ، فأقام عبد الرحمن بن فيصل في بغداد أربع سنوات دون أن يصل إلى نتيجة ، وأبى له ذلك والأتراك يرون ببعصرهم إلى داخل الجزيرة

ترك عبد الرحمن بن فيصل بغداد سنة ١٢٩١ هـ ( ١٨٧٤ م ) مصراً على الاستيلاء على الاحساء بالقوة ، بعد أن فشلت المفاوضات السياسية ، فنزل إلى بادية الاحساء واستنحسها على قتال الترك ، فاجتمع حوله العجمان فهاجموا الاحساء واستولوا عليها ماعدا الكوييت (القلعة) ولكن الأتراك بمساعدة بني خالد هزموا عبد الرحمن والعجمان وطردوه من الأماكن التي احتلها ، فرحل عبد الرحمن إلى الرياض وأخبر أخاه سعوداً بما مضى به من الفشل في محاولاته السياسية والحربية . ولم يكن حظ سعود نفسه بأسمد من حظ أخيه عبد الرحمن ؛ فإن مُسَلِّط بن ربيمان من رؤساء عتبية حينما أنس الضعف من سعود وما مضى به في الاحساء أخذ ينهب الجاناب الغربي من الرياض ، وأخيراً حينما خرج سعود لغزو عتبية أحاط به أعداؤه في واد ضيق وقتلوا أكثر أنصاره ، وجرح هو نفسه جرحاً بائناً ، وقد نقله عبيده إلى الرياض فبقي بها مريضاً حتى مات في صيف سنة ١٢٩١ هـ — ( ١٨٧٤ م )

فبايع أهل الرياض أخاه عبد الرحمن بن فيصل إماماً لهم وحاكماً عليهم ، ومضى على ذلك نحو سنة ، غير أن عبد الله بن فيصل عز عليه أن يرى أخاه الأصغر حاكماً في الرياض وهو طريد من عشيرة إلى أخرى ، فدخل الرياض وأعلن نفسه إماماً وحاكماً عليها ، فرأى أخوه عبد الرحمن أن يضع حداً للفتن الداخلية ، فتنازل عن الإمامة وبايع أخاه عليها ، غير أن هذا الحكم لم يدم طويلاً ؛ فإن خصومه وأعداءه من أبناء أخيه سعود تمكنوا من القبض عليه وجبه سنة ١٨٨٧ م ، فأسرعه محمد بن رشيد حاكم حائل إلى مساعدته فضرب أعداءه وقتل أسره وأخذ معه إلى حائل ، وأقام في الرياض

عاملاً من قبله بجانب عبد الرحمن بن فيصل ، ثم ما لبث أن استقدم عبد الرحمن إلى حائل ليقم مع أخيه عبد الله

ومن ذلك الوقت أخذ نجم آل سعود في الأفول ، وأصبحت الكلمة العليا في نجد لآل رشيد عمال السعود بالأمس ، فأخذوا يسيطرون نفوذهم على سائر الأنحاء النجدية . وشخصية محمد بن رشيد زعيم الرشيد قد ساعدت على ذلك أتم مساعدة ، فقد اشتهر الرجل بالكرم ولين الجانب وكبر العقل وحبه للسلم ، فدانت له العشار كلها راضية أو مكروهة

وقد رأى أن يملك قلوب أهل الجنوب فأذن في سنة ١٨٩٠ م أميد الله بن فيصل بمسكن الرياض بالنظر إلى تقدمه في السن واشتداد المرض عليه ، وأذن لأخيه عبد الرحمن أن يصحبه وأن يسكن الرياض أيضاً ، غير أن النية لم تمهل عبد الله بن فيصل ، فمات بعد وصوله إلى الرياض بيوم واحد

أما الإمام عبد الرحمن فقد كبر عليه أن يعيش في الرياض بلد آبائه وأجداده بعيداً عن النفوذ ، يرى بعينه عامل ابن الرشيد هو السيد المطاع ، وكان عامل ابن الرشيد من جهة أخرى لا يسير نحو آل سعود من الإكرام وحسن المعاملة بما ينسبهم مراتهم الزائل ، فقام عبد الرحمن بن فيصل يشد أزره أهل الرياض والموالون لآل سعود ، وقبضوا على عامل محمد بن الرشيد وبأمر الإمام عبد الرحمن بالإمامة ، فجهز محمد بن الرشيد جيشاً حاصر به الرياض ، ولكن لم يتمكن من دخولها فصالحه أهلها على أن يترك لعبد الرحمن الإمارة ، وهم يطلقون عامله المدعو ابن سبتهان

غير أن الأمير عبد الرحمن الذي أصبح تحت راحة الرشيد والذي لم تمتد سلطته الرياض وما حولها كبر عليه أن يرى من كانوا بالأمس عمالاً من قبلهم لم هذا النفوذ العظيم ، وكذلك أهل القصيم كبر عليهم أن يروا حاكم حائل يتبع بهذا السلطان ، وليس أقدم منهم بيتاً ولا أكرم حساباً أو نسباً ، ولكن القوة هي التي أملت عليهم الخضوع والاستسلام

كانت فكرة أهل القصيم وفكرة الأمير عبد الرحمن ترى إلى غرض واحد ، فاتفقوا على مبايعة ومبايعة محمد الرشيد في حائل ، وضرب به ضربة تضعف سلطته وتقلل من نفوذه ،

ولكن محمد الرشيد لم تكن عينه غافلة عما يكيد له خصومه في الخفاء ؛ فإنه ما كاد يعلم بأن خصومه أخذوا بتأهبون ، حتى باغتهم بقواته في عنيزة ، وانقض عليهم فزتهم شر عموق . وقد قتل في هذه المعركة زامل آل سليم حاكم عنيزة وابن مكيماً حاكم بريدة ، وتعرف هذه الواقعة الواقعة المليدة

ومنذ سنة ١٨٩١ م وهي السنة التي كسر فيها محمد الرشيد خصومه ، أصبح السيد المطاع في نجد ، وإن كان لا يزال يعاني بعض الصعاب في جمع الضرائب من الأقاليم الجنوبية أما عبد الرحمن بن فيصل فقد نقل أهله من الرياض إلى آل مرة قرب الاحساء ، ومكث لديهم نحو سبعة أشهر ، ثم هجم على الرياض فاستخلصها من الرشيد هي وسائر إقليم الحارث ، ولكن ابن الرشيد جبر جيشاً عظيماً الذي يحيش عبد الرحمن بمرعلا ، تقضى عليه القضاء الأخير ، فأيقن عبد الرحمن أن الأمر فوق مقدوره . فترك نجداً إلى الأحساء فاطفيط فالكويت ؛ حيث ألقى عصا التسيار فيها منتهزاً الفرصة وما تأتى به المقادير

فأنام ابن الرشيد محمد بن فيصل أخا الإمام عبد الرحمن حاكماً على الرياض ، وقد كان معتقلاً في حائل ، أما عبد الرحمن الذي اختار الإقامة في الكويت في سنة ١٣٠٩ هـ ( ١٨٨٣ م ) ، فأخذ يقيم العراقل في وجه ابن الرشيد . وأوغر صدر الأتراك عليه في بغداد والاحساء ، كما ساءت العلاقات بينه وبين حاكم الكويت أيضاً ، فأخذ ابن الرشيد في تجهيز حملة لفتح الكويت المنفذ الطبيي لنجد سنة ١٣١٢ هـ ( ١٨٩٨ م ) ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل بعد أن كبده خسائر فادحة في المال والرجال ، كما أنها وسعت هوة الخلاف بين الكويت وحائل

### الدور الثالث لآل سعود

لقد كتب القدر أن يرى عبد الرحمن بن فيصل مجد أبيه ، ويرى مأساة الخلاف بين أخويه عبد الله وسعود ، تلك المأساة التي انتهت بانسحابه إلى الكويت يعيش فيها ضيقاً غربياً بعد أن كان أميراً مهيب الجانب ، ولكن الله الذي أعد للصابرين أجراً

عوض عبد الرحمن بن فيصل خيراً ، فأراه قبل موته راية ولده عبد العزيز ترفرف لا على مملكة الإمام فيصل فحسب ، بل على مملكة الحجاز أيضاً

في آخر سنة ١٣١٤ هـ ( ١٨٩٧ م ) اغتال الشيخ مبارك بن صباح أخويه الشيخ محمد والشيخ جراح خلاف بينهما ، وتبوأ عرش الكويت ثم استكتب أعيان الكويت عريضة يتهم فيها الشيخ يوسف بن ابراهيم بقتل أخويه ، وأرسل عريضة إلى والي البصرة فاطلع الشيخ يوسف بن ابراهيم على العريضة ، وقد كان خارج الكويت في الصيد ، فقرر ترك الكويت واتخذ الدّورة وهي من أملاكه الواسعة قرب مصب نهر شط العرب . وحاول مبارك في الوقت نفسه أن ينزى الشيخ يوسف بالدّوم إلى الكويت أو أن يقبض الأتراك عليه فلم يفلح ؛ لأن يوسف بن ابراهيم لم يأمن كيد مبارك

بلأ أولاد محمد الصباح وجراح إلى يوسف خشية من محهم ، وهو يعتبر كخال لهم ، واستجاروا به وطلبوا منه الأخذ بنار أبيهم ، فبدأ الخلاف الخطار بين بيت آل ابراهيم يعاونه قسم من أهالي الكويت وبعض عائلة الصباح وبين الشيخ مبارك

لقد حاول الشيخ يوسف أن يهجم على الكويت فيأخذها عنوة ، فجهز حملة بحرية في بعض شواطئ إيران وملاً السفن بالمقاتلة ، ولكن الحظ خدم مباركاً بوقوفه على المؤامرة قبل وصول السفن إلى الكويت بيوم واحد ، فرجعت الحملة خائبة حينما رأت أن أمرها قد انكشف ، وأخيراً لجأ الشيخ يوسف إلى الأتراك وابن الرشيد ، وهناك بذل الذهب وبين للجميع سهولة الاستيلاء على الكويت . وكان نتيجة هذه المحاولات إعلان الحماية البريطانية على الكويت حينما أرسل الأتراك سفينة حربية صغيرة لنقل شيخ الكويت إلى استنبول ؛ لأنه عُيِّن عضواً في مجلس الشورى ، فلم يقف البريطانيون مكتوف اليد فأعلنوا حمايتهم وهددوا السفينة بإطلاق النار عليهم إن لم تنسحب فانسحبت حالا ، وقد أخبرني الشيخ مبارك والسيد رجب النقيب بقصة إعلان الحماية البريطانية على الكويت ، وسنذكرها في مذكراتنا إن شاء الله

وقد ازدادت العدواة بين حاكم الكويت وعبد العزيز آل رشيد ، ويوسف بن ابراهيم بذكي نار الخلاف ، وفي سنة ١٣١٨ هـ ( يناير سنة ١٩٠١ م ) ، وصلت إلى عبد العزيز

ابن رشيد أسلحة كثيرة من الأتراك ، فاستفها في حملة ضد مبارك الذي كان يتقدم للغزو بمساعدة بعض العشائر التي تنحى إلى ابن سعود ، وبعض القبائل الجنوبية التي كانت ترغب في التخلص من حكم الرشيد ، فاصطدمت قوات الطرفين في الصريف — الماء المعروف في القصيم — وانقضت قوات ابن الرشيد على قوات ابن صباح ومنزقتهم عزق ، وفر مبارك إلى الكويت لا يلوى على شيء ، وقد أصيب أهل الكويت في هذه الوقعة بمصيبة لا يزالون يذكرونها ، فلم يكذبيت من بيوت الكويت يخلو من مأثم ، غير أن هذه الوقعة أثبتت أن عبد العزيز الرشيد كان سفاحاً لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً ؛ فإن أكثر من قتلوا لم يقتلوا في المعركة بل قتلوا بعد ما سلموا سلاحهم ، وقد سقنا هذه القصة هنا وإن كانت ألصق بتاريخ الكويت لما لها من العلاقة الوثيقة في تاريخ نجد الحديث

### عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

في الوقت الذي هاجر فيه الأمير عبد الرحمن بن فيصل إلى الكويت كانت من ولده عبد العزيز ( الملك عبد العزيز ) لا تزيد عن اثنتي عشرة سنة ، فهو لم يشاهد مجده جده فيصل بل شاهد محنة أبيه عبد الرحمن وعائلته

لقد ذاق عبد العزيز مرارة العيش في الكويت ، ولم يحتمل أن يعيش تلك الحياة الهادئة ، وقد كبر على نفسه أن يعيش تحت جناح الشيخ مبارك بعد ما كانوا بالأمس سادة نجد ، فقرر أن يخاطر : فأما أن يفوز فيكون قد أدى واجبه نحو نفسه ونحو عائلته ، وإما أن يموت فيستريح بن عذاب الضمير

بدأ الأمير عبد العزيز مخاطراته بالحملة على الرياض لبعدها عن مركز قوة ابن الرشيد ، ولما فيها وفي بلاد الجنوب من الانتصار والخصم لمائلة آل سعود

خرج عبد العزيز بن سعود من الكويت سنة ١٣١٩ هـ — ١٩٠١ م ، ومعه أربعون رجلاً كلهم من آل سعود والموالين لهم ، وكانت خطة ابن سعود أولاً ترمي إلى ضرب العشائر النابتة لابن الرشيد حتى يلتف حوله رؤساء البدو ، وبالفعل فإنه نجح في

ذلك حتى بلغ جيشه ألفاً وفرنسانه نحو ٤٠٠ ، واتخذ هدفه نجداً الجنوبية

شكا ابن الرشيد للدولة العثمانية من هذا العدو الصغير ، وكتب لقاسم بن ثاني — أمير قطر — يحرضه عليه ، فتمت الدولة ابن السعود أن يموت من الإحشاء ، وقطعت راتب والده ، وانفض البدو من حوله ، ولم يبق حوله إلا الأربعمائة رجل الذين خرجوا من الكويت وتحالفوا معه على الحياة أو الموت

كتب له الشيخ مبارك ووالده بالجوع ، إذ لا قبل له بمناوأة الدولة العثمانية. وابن الرشيد ، ولما كان سعود كان يحاول ملكاً ، فلما أن يصل إليه أو يموت أراد عبد العزيز أن يضرب ضربته الأسيرة فصار بجماسته الأوفياء ، وقد ألف حولهم عشرون رجلاً ، فوصل إلى حدود الرياض أول الليل ، وترك من قومه هناك عشرين رجلاً على مسافة ساعتين من الرياض ، وتقدم بالأربعين الآخرين ، فلما وصل الشمسية — وهي بساكن خارج الرياض — ترك من جماعته ثلاثين على رأسهم أخوه محمد بن عبد الرحمن ، ثم تساق سور تالبد ، ولما كان ماذا يصنع في هذا الليل البهيم وكيف يقضى ليلته ؟

طرق باب البيت المجاور لقصر عامل ابن الرشيد المدعو مجملان

— من الطارق ؟

عبد العزيز بن سعود مجيباً : — رجل من خدم الأمير مجملان يريد زوجك انقض . المرأة — اذهب لا بارك الله فيك . ما جئت إلا لتبني النساء ، وهل يطرق باب الناس

في الليل إلا فاسد

عبد العزيز — لا والله يا خالة ما جئت لهذا ، ولكنني أخشى على زوجك من القتل

غداً إذا لم يلب نداء الأمير حالا

سمع الرجل التهديد فخرج ابصر جلية الخبر ، وكان ابن السعود يعرفه جيداً ويعرف نساءه ، ومنهن من كن في خدمة بيوت آل سعود ، فلما خرج أمسكه وقال : اسكت وإلا قتلتك في الحال ، ثم دخل البيت فلما رآه النساء صحن : عفا عبد العزيز ، فقال : اسكنن ولا بأس عليكن ، ثم جهن جميعاً في غرفة وأغلق عليهن الباب جميعاً ، ثم تساق



الجدار إلى البيت المجاور للحصن ، فوجد اثنين نائمين فلقهما في فراشهما بهدوء ، ثم ادخلهما في إحدى الغرف وأغلق عليهما الباب ، ولما اطمأن بالله أرسل إلى أخيه محمد من الخارج ومن معه فجاءوا إليه دون أن يشعر بهم أحد

كان البيت المجاور للبيت الذي هو فيه أحد بيوت مجلان عامل ابن الرشيد ، وكان مجلان يزوره نهائراً وأحياناً في الليل . فشى عبد العزيز ومعه عشرة من رجاله فدخلوا البيت ثم فتشوا غرفه واحدة واحدة ، فوجد اثنين نائمين على فراش واحد ظنهما ابن سمود ومجلان وزوجته ، فدنا منهما عبد العزيز ليتحقق من شخصيتهما على ضوء سراج كان يحمله أحد الخدم ، فوجدهما زوجة ومجلان وأختها

عرفت المرأة عبد العزيز فسألته : أنت عبد العزيز ؟ فأجابها . نعم أنا هو ... !  
— من تبني ؟ وما مآربك هنا ؟ فأجابها : أريد مجلان لا سواه ، فقالت : يا بني لا تقرر بنفسك ، انج بنفسك في هذا الليل وإلا تفلوك  
عبد العزيز — ما جئنا لنسمع منك نصيحة ، ولكن نريد أن نعرف متى يخرج مجلان من القصر الداخلي

زوجة مجلان — بعد شروق الشمس بساعة

عبد العزيز — هذا كل ما نريد ، وإنك إذا لزمنا السكوت والسكون فلا بأس عليك ، وإلا قالموت لا محالة ، ثم جمع النساء جميعاً في غرفة واحدة وأغلق عليهن الباب انتصف الليل ونسيم السكون على البلد كأن لم يكن هنالك شيء ، ثم في هذا السكون أخذوا يحكمون الرأي في تدبير الهجوم على قصر مجلان . انبثق الفجر وأخذت الشمس تشرق بنورها الساطع على البلد ، وفتح باب القصر وأخرج المبيد الخليل ، فدخل عبد العزيز القصر وتبعه من رجاله خمسة عشر فقط وكنوا في داخله ، وبعد دقائق خرج مجلان ليرى الخليل كمادته ، فصادفوه في الطريق فراحه منظروهم ، فهم يريد الرجوع ، فأدركه عبد العزيز بطلقة لم تدرك منه مقتلاً فتبعه عبد العزيز ، وتصارع ابن سمود ومجلان ، ابن السمود يريد القضاء على خصمه ، ومجلان يحاول إدخال ابن السمود إلى الباب الداخلي . في هذه اللحظة أخذ رجال مجلان يطلقون النيران من نواذير الحصن المشرقة على السور ،

فقتلوا اثنين من رجال ابن سعود ، وجرحوا أربعة وتراجع الهاجرون ، ياله من خطر دام !  
هنا دخل عبد الله بن جلوى ( أمير الاحساء ، وابن عم عبد العزيز بن سعود )  
وعدا وراء مجلان الذى أفلت من عبد العزيز فرماه بطلقة أودت بحياته ، وبعد ساعة تبادل  
رجال عبد العزيز وحرس القصر النار ، ثم سلم حرس القصر على أن يتروكوا أحياء ظناً منهم  
أن عبد العزيز معه من الجند ما يكفي للقضاء عليهم ، وما كاد النهار ينتصف حتى أذن  
المؤذن أن الحسك لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وأن مجلان عامل ابن الرشيد قد قتل  
فسمع الناس وأطاعوا

إن هذه القصة التى تشبه قصص أبطال اليونان تربنا عظم الأخطار التى أحاطت بابن  
السعود ، وهى تعطينا صورة من مخاطراته بحياته ، وهل العظمة إلا ناحية من نواحي  
المخاطرة ؟ وهل يمكن أن يكون الجبان عظيماً ؟

وأخذ الأمير عبد العزيز بعد فتح الرياض يصل لنقض مملكة ابن الرشيد ، واسترداد  
ملك آباءه وأجداده ، وقد مكث أكثر من عشرين سنة بمجالد ، ويغالب المصوم من  
النجديين الأشراف والأتراك ؛ يضربهم حيناً ويأمن حيناً يرى السياسة والدين أنجح من  
الخصام والقتال

فتم له فى سنة ١٣٢٠ هـ الاستيلاء على القسم الجنوبي من نجد ( المخرج والأفلاق )  
وفى سنة ١٣٢١ هـ تم له الاستيلاء على مدير والوشم والحمل والقصيم ، وقد تدخل الأتراك  
فى الخصام بين ابن الرشيد وابن سعود ، وكانوا دائماً فى صف ابن الرشيد ، وأعقب هذا  
التدخل مشارك دموية بين ابن سعود من جهة وابن الرشيد وحلفائه الأتراك ، وكانت  
الحرب سجالاً بين الفريقين ، ولكن انتهى الأمر بانكسار الأتراك وانسحابهم من نجد  
سنة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م

وقد ضعف أسرا آل الرشيد بقتل زعيمهم عبد العزيز بن متعب سنة ١٣٢٤ هـ ،  
واستراح ابن سعود بعض الراحة لأن آل الرشيد قد كفوه أمرهم بخلافاتهم الداخلية على  
الإمارة ، وسعى بعضهم لاغتيال البعض الآخر

وربما كانت أشد السنين على الأمير عبد العزيز هى سنة ١٣٢٨ هـ — ١٩٠٩ م ،

فقد واجه ثلاث جيئات مرة واحدة : ابن الرشيد من جهة ، وثورة أبناء عمه في الجنوب ، وتقدم الشريف حسين إلى نجد وأسر محمد بن عبد الرحمن شقيقه ، ولكن ابن سعود الذي لا يعرف قلبه الخور تمكن من التغلب على خصومه . استعمل السيف مع الثأرين وابن الرشيد ، والسياسة بعد ذلك مع الملك حسين ، ونجح في ذلك نجاحاً عظيماً ، وكانت هذه الحادثة هي أول احتكاك بين الشريف حسين وبين الأمير عبد العزيز ، استطاع منها أن يزن أمير نجد كياسة الأمير حسين السياسية ومبلغ أطماعه وطموحه .

وفي سنة ١٣٣٠ هـ — ١٩١٣ م رأى الأمير عبد العزيز الدولة التركية آخذة في التصدع والانحيار ، ورأى المطامع تسكتنفها من كل ناحية ، فانتبه فرصة خروجها من حرب البلقان منهوكة القوى ، وانقض على إقليم الاحساء واستخلصه من النفوذ التركي ، وأعاد إلى ذلك الإقليم الأمن والسكينة بعد ما كان مسرحاً لأطباع البدو ، وباستيلائه على الإحصاء نفذ إلى خليج فارس ، واتصل بالحكومة البريطانية بعد ذلك اتصالاً سياسياً ما زال آخذاً بالتوثق والنمو إلى الآن .

## ابن السمود والحكومة البريطانية

كان ابن السمود في سنواته الأولى في عزلة تامة عن العالم الخارجي لم يهتم إلا بقتال ابن الرشيد وتقوية مركزه في الأماكن التي استولى عليها  
ولكنه في سنة ١٩٠٤ وجد خصماً آخر قوياً وهو الأتراك ، فإن الأتراك حينما وجدوا  
نجم ابن السمود قد ظهر من جديد في الأفق ، ونجم صديقهم ابن الرشيد قد أخذ في الأفول  
دخلوا ميدان النزاع مؤيدين لصديقهم وهم يرون في آل سمود عامة العداوة القديمة  
فرأى ابن السمود أن يتصل بالحكومة البريطانية لعلها تتدخل في إيقاف الأتراك  
من التدخل في منازعات الجزيرة .

فأرسل كتاباً للسير برسي كوكس بتاريخ ( ٢ مايو سنة ١٩٠٤ ) محتج على تدخل  
الأتراك وإرسالهم القوات المسلحة لمساعدة ابن الرشيد<sup>(١)</sup>  
وفي الوقت نفسه استلم السير برسي كوكس كتاباً آخر من الشيخ مبارك أمير الكويت  
مرسلاً من الأمير عبد العزيز إلى الشيخ مبارك يلوح له فيه بأنه إذا لم يجد عضداً وتأييداً  
من الحكومة البريطانية ضد الأتراك فإنه يضطر لقبول مساعدة الروس الذين عرضوا  
عليه مساعدتهم منذ سنة ١٩٠٣

وكان موقف الحكومة البريطانية حرجاً ، فبينما هي لا تريد أن تخرج بنفسها في التدخل  
في شؤون الجزيرة ومنازعاتها فإنها لم تكن تنظر بعين الارتياح إلى تدخل الأتراك في قالب  
الجزيرة وتهديدهم للأمير الكويت ، فإن ذلك يضعف مركزها في خليج فارس ويحمله  
عرضة للخطر . ولذا فقد قررت أن تعين الكابتن نوكس وكيلها سياسياً لها بالكويت  
سنة ١٩٠٤ ليكون على كعب من مجرى الحوادث ويحيط بحكومتها بحقيقة ما يقع في  
الجزيرة من حوادث مع البقاء على الحياد في منازعات ابن الرشيد وابن السمود ، وإن  
كانت في الحقيقة تعطف على حركة ابن سمود

(١) استقينا هذه المعلومات من كتاب حياة السير برسي كوكس

ومنذ ذلك الحين أخذ مركز ابن مسعود بتوطد ويزداد قوة ومنعة حتى أصبحت  
ترجف لذكر اسمه قلوب أسراء السواحل

ففي أوائل سنة ١٩٠٦ كتب بعض أسراء السواحل يخبرهم بهزمه على زيارة بلادهم  
في الربيع فارتدت فرائضهم وتشاوروا فيما بينهم ، وقرّر الرأي بين شيخ أبو ضي وسلطان  
مقط على أن يرفعوا مخاوفهم إلى السير برسي كوكس الذي بدورة كتب إلى الكبتين  
نوكس يسأله أن يحس نبض الشيخ مبارك عن نيات صديقه الأمير عبد العزيز وأن يرسل  
إليه النصيحة بالانقياد والسكف عن التدخل في شؤون الولايات العربية الخاضعة لتنفوذ  
البريطاني . فأبان مبارك للكبتين نوكس أن الأمير عبد العزيز لا يقصد أن يتدخل في  
شؤون هذه الولايات ، وأنه لا يرى من زيارته سوى الحصول على شيء من المال من هؤلاء  
الأسراء مساعدة له في جهاده ضد آل رشيد والترك

وفي نفس الوقت الذي كان يحس فيه الكبتين نوكس نبض الشيخ مبارك وصل إلى  
البحرين رسول من الأمير عبد العزيز إلى الكبتين بريدكس وأخبره بأن الأمير أصبح  
يعتد بأن في إمكانه طرد الأتراك من ولاية الاحساء وأنه يرغب في أن يعقد محادثة مع  
الحكومة البريطانية وأنه لا يرى مانعاً من قبول وكيل بريطاني في الاحساء أو القطيف  
على شرط أن تأخذ الحكومة البريطانية على عاتقها حمايته ضد الأتراك

ولقد أخذ الأمير عبد العزيز بنصيحة الشيخ مبارك فلم يزر ولايات الخليج ووجه  
هته للقضاء على قوات ابن الرشيد ، وانتهى الأمير بقتل ابن الرشيد في شهر أبريل سنة  
١٩٠٦ ، فزال بذلك مزاحم قوي وخصم عنيد ، وامتد نفوذ الأمير عبد العزيز في دخل البلاد  
العربية . وأصبح الأمير صاحب الكلمة الأولى . ومن ثم قرر السير برسي كوكس أن  
يهج معه سياسة جديدة

ففي يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٦ أرسل السير برسي برقية إلى حكومة الهند أوضح  
لها فيها المزاي الكبيرة التي تستفاد من وضع سياسة ثابتة لتفاهم مع الأمير  
أولاً — أن تجاهل ما عرضه في عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ربما يدعو  
إلى عداوته لنا

ثانياً — أن التفاهم مع الأمير سيزيل الشكوك والخوف من نفس سلطان مقطع وأمرام السواحل الأخرى ويميل على تحسين العلاقات مع هؤلاء الأخيرين

ثالثاً — أن مساعدة ابن مسعود ستساعدنا على وضع حد للقرصنة في شمال الخليج .  
رابعاً — تبدو القرائن بأن تدخل الأتراك في شؤون أواسط بلاد العرب سيدعوا إلى توحيد كتلة القبائل تحت زعامة ابن مسعود ، فإذا لم نساعدهم ونماضهم فمن المحتمل أن ياجأوا إلى طلب المعونة والتعصيد من غيرنا

ولكن حكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية لم تقبل هذا الاقتراح من السير برسي كوكس لأنهم كانوا يعتقدون أن مطامع هذا الأمير لاحد لها وأن نيته هي مهاجمة الأتراك بمجرد ما تسمح له قوته والفرص الملائمة . أضف إلى ذلك أن مثل هذا التدخل قد يدعو إلى تكبير صفو العلاقات بينهم وبين الأتراك . قال أن يتم التفاهم مع روسيا على إيران ومع تركيا وألمانيا على خط سكة حديد بغداد ، كان رأى الخارجية البريطانية هو الابتعاد عن الزج بنفسها في مشاكل أواسط بلاد العرب .

وقد كان السير برسي كوكس هو السامى البريطانى الوحيد الذى رأى بثاقب نظره أن القدر قد كتب في لوحته أن الأمير عبد العزيز سيكون القوة السياسية المحركة الوحيدة لشبه الجزيرة بأجمها ، كان يسعى بكل جهده لربط العلاقات الودية الحسنة مع هذا السامى الداهية والقائد الفاتح العظيم .

وفي أكتوبر سنة ١٩٠٦ أرسل الأمير عبد العزيز كتابا إلى الشيخ قاسم بن ثنى شيخ قطر يحدد فيه طلبه بوجوب عقد محالفة مع بريطانيا ، وهذا أبلغه إلى الكابتن ( بريدكس ) الذى بدوره أبلغه إلى السير برسي كوكس بتاريخ ١٧ نوفمبر

وقد جاء في كتاب الأمير عبد العزيز بأن موارد نجد قد نفذت بسبب حروبه الأخيرة وأنه لذلك ينوى أن يسترد ولاية الاحساء والقطيف ليعين بإيرادها وليخضع القبائل المائية فساداً وليرتب طرق التجارة والحج . وعليه فإنه يقترح أن يقدم الحكومة البريطانية اتفاقاً سرىاً بمقتضاه تلتزم الحكومة البريطانية بالدفاع بحرياً عن شواطئه ضد الأتراك إذا هو تمكن من طرد الأتراك من بلاد أجداده بدون مساعدة من الخارج . وفي مقابل ذلك

لا يرى الأمير مانغا من قبول ممثل للحكومة البريطانية في بلاطه . وقد ذكر الأمير في كتابه أيضاً أنه لا ينوى تنفيذ عزمه قبل مضي أربع أو خمس سنوات :

وقد أبلغ السير برسي كوكس مضمون رسالة الأمير إلى حكومة الهند وشغفها ملحاً بضرورة تفويضه بالإجابة على رسالة الأمير لئلا يستبر الأمير عدم الرد بحجاجة له أو إغضاء من شأنه شأن الأمراء الأخبرين الذين جاءت كتبهم بواسطة

وفي ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ كتبت وزارة الهند للحكومة الهند تستنير برأيها في صيغة الرد الذي سيرسل إلى الأمير عبد العزيز . وبعد استشارة السير برسي كوكس اقترحت حكومة الهند أن يكون الرد إلى الأمير كالآتي :

مع رغبة الحكومة البريطانية الشديدة في توثيق العلاقات الودية مع الأمير ملالما هو يحترم مصالحها ومعايدها مع أسراء الشاطئ\* فإنها لا ترى أي ضرورة في الوقت الحاضر لإعطائه وعداً رسمياً بمجانبته ، فإن ذلك قد يجرّض الحكومة التركية على مناوآته

وأعقبت حكومة الهند ذلك بمذكرة تفصيلية استعرضت فيها الحالة في قلب الجزيرة وذكرت أنها على يقين من أن عاصفة آخذة الآن في الهبوب على قلب الجزيرة وأنه لا بد للحكومة البريطانية أن تكون لها رأيا وسياسة معينة إزاء التقلبات المنتظرة . ( وأن المسألة هي مسألة وقت فقط ) قبل أن ينهار ملك الأتراك لافي شرق الجزيرة فحسب بل في الجزيرة كلها

فإذا ما بنى الوهابيون ملكهم على أنقاض ملك الأتراك فانهم في الغالب سيهددون المصالح البريطانية في الكويت وفي إمارات الشاطئ . وعليه فانهم يلحون بقبول صيغة الرد على كتب الأمير عبد العزيز لضمان صداقته ومماوثته قبل أن تفوت الفرصة .

ولكن لما استشارت وزارة الخارجية السفير البريطاني في الأستانة ( السير نيكولاس أو كرونور ) فإنه نصحه بالابتعاد كلية عن التدخل في شؤون الجزيرة الداخلية ، وعليه فقد أخبرت وزارة الهند حكومة الهند بأنها لا توافق على صيغة الرد على كتب الأمير عبد العزيز لأنه يوافق ضمناً على تركيز سلطة الوهابيين ، وقالت إذا كان ولا بد للسير برسي كوكس أن يعطى جواباً فله أن يقول لوسطاء الأمير بما أن كتب الأمير جاءت باتفرحات

ترى حكومة جلالة الملك استحالة التمهيد بها فإنها لا ترى ضرورة لإرسال رد عليها . وعند هذا الحد توقفت المحادثات بهذا الصدد

لم يفكر ابن سعود بعد ذلك في أسر تأسيس علاقاته مع الحكومة البريطانية . وتفرغ لبسط نفوذه في الداخل والقضاء على خصومه ومعارضيه ولبناء قواته الحاربة بعد ما نالها من وهن أطول القتال المتواصل .

وفي شهر مايو سنة ١٩١٣ هجم ابن سعود على المهفوف فاحتلها وأرسل أسرى الترك إلى الساحل ثم أعقب ذلك باحتلاله القطيف والمغير فتقهقر الترك إلى البحرين ، وهناك وصلتهم إمدادات جديدة فحلبوا على ابن مسعود في المغير ، فهزمهم شر هزيمة

ولكن نائرة ابن سعود نارت ضد البريطانيين الذي سمحوا للترك باتخاذ البحرين مركزاً لتجميع قواتهم وحركاتهم الهجومية ضده ، فكتب إلى السير برسي كوكس يفتج على هذا العمل ويطلب إليهم مرة أخرى تأسيس علاقات ودية معه . ورجا ابن سعود السير برسي في آخر كتابه أن يخبره بصراحة عن نيائه حتى يعرف موقفه منهم تماماً وليتخير الطريق الأحسن للحياة مصالحة

وهنا يقول ابن مسعود إن البريطانيين تدخلوا في الأمر ومنعوا الأتراك من الهجوم على إقليم الإحساء وأن الأتراك أرسلوا إليه وفداً فمقدوا معه معاهدة حددوا فيها موقفهم من ابن سعود لأن الحكومة البريطانية فضلت الانتظار ريثما يتجلى الموقف

في سنة ١٩١٤ اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى واندفع الأتراك يخوضون غمارها في صف الألمان ، فرأى السير برسي كوكس أن هذه خير فرصة للتفاهم مع ابن السعود

ويقول السير برسي إن الذي حل البريطانيين على ذلك هو الظروف التي كانت محيطة بالبريطانيين فجناحهم الأيسر في الحملة المراتية كان معرضاً لخللات البدو ، ومفاوضتهم مع الشريف حسين كانت سائرة في طريق النجاح فلم يبق في الميدان إلا ابن مسعود خصم الشريف والذي يخشى أن يمرقل أعمال الشريف الحدين لما بينهما من النافسة والمداة ، ولذا فقد أسرع السير برسي كوكس إلى مقابلة ابن سعود حيث غادر البصرة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٥ حيث وصل في ٢٦ ديسمبر وقابل الأمير عبد العزيز



ابن سعود لأول مرة فأعجب كل منهما بالآخر ولم يحب ظن أحدهما في الآخر  
وبعد أحاديث ودية شتى أمضى الفريقان معاهدة صداقة بين ابن سعود وبين  
الحكومة البريطانية تضمنت سبع فقرات (١).

ولا تختلف هذه المعاهدة عن المعاهدات الأخرى التي عقدت مع أمراء الخليج . وفي  
هذه المعاهدة تجلى قصر نظر مستشاري ابن سعود وجهلهم ما يجري في العالم والاستفادة  
من الفرص المتوالية

على أن هذا الخطأ قد أصلح بمعاهدة جدة سنة ١٩٢٧ حيث اعترف له بالاستقلال  
القائم وبمخابرة الدول والاتفاق معها حسب ما تمليه مصلحة بلاده بعد ما كان محروماً من  
هذا الحق في معاهدة القطيف .

---

(١) تجد نعم المعاهدة في الدليل .

## ابن سعود وجهيراته

### ابن سعود والسكويت

كانت الصلات التي تربط آل صباح والسعود دائماً ودية يرعاها الفريقان بما ينميها ويقويها ، وكان مبارك يلقب أمير نجد دائماً بولدي عبد العزيز ، كما كان الأخير يلقب الأول بالوالد ، وكانت مصالحهما المشتركة تقضي عليهما بالتعاون ، وكان كل واحد منهما لا سيما ابن سعود كثيراً ما ينفض عن أخطاء الآخر ، لأن موقفهما من أعدائهما لا يسمح لهما بدقة الحساب . ومبارك الداهية المراوغ كان يعرف كيف يرضى صديقه أمير نجد ، كما كان يعرف كيف يزيل من نفسه كل أثر لسوء تفاهم يحدث .

في سنة ١٩١٥ م قامت فتنة في الإحساء ، تار العجنان وهم من عشائر ابن السعود على حكمه ، وكان ينفخ في بوق الفتنة بعض أبناء عمومة ابن سعود . والسبب الحقيقي للثورة هو سبي ابن سعود لتأديب العجنان الذين تجرأوا ينهب إبل لابن صباح وأهل السكويت ، وكانت هذه الفتنة بعد معركة جراب التي وقعت بين ابن الرشيد وابن سعود وخرج منها ابن السعود منهوك القوة ، ولكن العجنان بعد أن حاصروا ابن سعود وضيق عليهم وجدوا لهم منجأ في السكويت ، كما وجدوا في الكويت سوقاً لبيع منهباتهم التي أخذوها من أهل الإحساء ، فأحدث هذا العمل أثراً سيئاً في نفس ابن سعود الذي أراد أن يحاسب مباركاً على هذا العمل غير الودي ، ولكن النية عاجلت مباركاً فأتت بموته كل أثر لسوء التفاهم ، وعاد الصفا إلى ما كان عليه في السنة التي تولاها الشيخ جابر بن الشيخ مبارك ، وقد رأى ابن سعود أن يزور الكويت ليمرّ جابراً في والده ، ويحدد العهد القديم عهد الصداقة والحبة فوصل إلى الكويت في ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٦ على السفينة

H. M. Jumo.

وفي اليوم التالي عقد اجتماع خطير حضره ابن سعود والشيخ جابر والشيخ فزعل ، والسربرسي كوكس وكثير من رؤساء المشائر اللوالبين البريطانيين .

وفي هذا الاجتماع خطب ابن سعود خطبة كلها ثناء على البريطانيين وهم على الأتراك ووصفهم بالكفرة الملاحدة فكان أثر ذلك سيئاً في نفوس الكويتيين الذين يميلون إلى الأتراك والألمان

وقد كان هذا الاجتماع مظاهرة سياسية كبرى  
ولسكن ما كاد الشيخ جابر ينتقل إلى رحمة ربه ويخلفه أخوه الشيخ سالم حتى عاد  
سوء التفاهم مرة أخرى ، حتى أدى ذلك إلى معركة حمض سنة ١٣٣٧ هـ — ١٩١٩ م وفيها  
خسر الكويت من المهمات والدخائر والإبل ما لا تقبل قيمته عن ثلاثين ألف جنية ، ثم  
إلى معركة الجهرة حيث حاصر الإخوان الشيخ سالماً فيها سنة ١٣٣٨ هـ — ١٩٢٠ وكادوا  
يأسرونه لولا استماله السياسة في فك الحصار  
وقد توفي الشيخ سالم سنة ١٩٢١ م فعاد الصفاء إلى سابق عهده ، وفي سنة ١٩٢٢ م  
حددت الحدود بين الكويت ونجد في ميناء المقيبر

## ابن سعود والأشراف

شرحنا في فصل سابق شيئاً عن تاريخ الصلات بين الأشراف وآل سعود ، كما أن  
الشريف حسين بدأ عهده بإظهار عداوته لابن سعود بالرغم مما كان يبديه ابن سعود إليه  
من المجاملة والتودد .

على أن ابن سعود بعد قيام الشريف بحركته ضد الأتراك رأى أن ينتهز الفرصة  
لاقتلاع جذور الأحقاد القديمة ، وخلق جو جديد مع الشريف حين يسوده الصفاء والمودة  
ففي الاجتماع الذي عقد بالكويت يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٦ والذي حضره الشيخ  
جابر والشيخ خزعل والسير رسي كوكس وأعيان الكويت أتي فيه كلمة جريئة حدد  
فيها موقف العرب من الأتراك فقال :

إن الأتراك قد حكموا على أنفسهم بالهزيمة التامة عن باقي المسلمين لبوء معاملتهم  
للشعوب الأخرى وعدم معاملتها بالإنصاف ، ولقد عملوا دائماً على إضغاف العرب وتفريق  
كلمتهم ، بينما يعمل البريطانيون على جمع كلمة العرب ، ومساعدتهم على النهوض ، ثم أتى  
الثناء العاطف على الشريف حسين ، وقيامه بثورة ضد الأتراك وقال : إن واجب كل عربي

أن يساعد الشريف ، ويتعاون معه في محاربة الأتراك . فساكن لهذه التصريحات الجزئية أثرها عند البريطانيين . ولم تمض أيام قلائل حتى أبرق الملك حسين إلى ابن سمود يشكره ويهنئه عن غيرته العربية ويحذر عن عدم المراسلة .

لقد ظننا أن عهداً جديداً من التعاون والصفاء قد حل ، وأن عهد الأحقاد والضغائن قد قضى عليه ، ولكن ظهر أننا كنا متناظرين أكثر من اللازم .

فقد شكّا أولاً الشريف حسين أن ابن سمود لا يبذل أى مجهود في سبيل القضية المشتركة ، فرأى السير برسي كوكس إيفاد هيئة إلى نجد لبحث المواقف عن كسب واستناض همة ابن سمود . وفي أواخر أكتوبر سنة ١٩١٧ أرسل بالنيابة عنه مستر فيليبي ( كرئيس للهيئة ) يساعده الليجر كنليف أوين والييجر هاملتون ( اللورد بلهافن ) .

وقد رأت اللجنة أن ابن سمود يقوم بسبب كبير ، فلولا صموده ضد ابن الرشيد حايف الأتراك اقام ابن الرشيد بحرب الشريف حسين ، وفي الوقت نفسه كان ابن السمود يشجع أهل القصيم بالانخراط في جيش الشريف حسين ، فضلاً عن ذلك فإن ابن سمود كان يحول دون أى إمداد يصل للأتراك ، لقد صادر ٥٠٠ بعير من ابن فرعون رسول الأتراك ، كما صادر بعض القوافل المحملة مؤونة والتي كان يراد إرسالها للشام .

وهذه الأعمال وإن كانت سلبية فإن لها قيمتها في حركة الشريف العدائية للناهضة للأتراك . غير أن ابن سمود لم يخف عن الإنكياز ارتيابه . في نية الملك حسين ، لاسيما بعد أن أعلن نفسه ملكاً على العرب لا ملكاً على الحجاز فقط . ولكن الإنكياز طأنوه من جهة الملك حسين .

وفي شهر مارس سنة ١٩١٨ عندما اشتدت وطأة القتال في فرنسا ، وتاقى جيش الحلفاء فيها ضربات شديدة من الألمان اضطر بسببها إلى التقهقر . رأت الحكومة البريطانية أن تحدد موقفها من القضية العربية ، وأن تضع سياسة معينة لإزاء زعماء العرب ، فتتخير الجانب الأقوى والأكثر منفعة ومساعدة لمرکزها الحربى ، فقررت عقد مؤتمر في القاهرة يضم الإخصائيين في المسألة العربية سواء منهم القائمون بأمر السكك الحديدية في القاهرة أو موظفو الخليج الفارسي التابعون للحكومة الهند .

ففي يوم ٢٣ مارس وصل السير برسي كوكس إلى القاهرة ليمثل رأى موظفى الخليج ، وعقد الاجتماع تحت رئاسة النير ريمبلد ونجت التدوب السامى فى مصر بحضور كل من الجنرال كليتون ، والكومودور هوجارت ، واليجر كورنوالس ، وهم ممثلو المكاتب العربى بالقاهرة ، وبحضور الكولونيل سبريل ولسون ممثل الحكومة البريطانية فى الحجاز . وكان السير برسي كوكس هو الممثل الوحيد لموظفى الخليج وحكومة الهند . ولكن خبرته الواسعة ومعرفته بعمق الأمور فى الجزيرة والمامة بتفاصيلها الدقيقة ساعده فى إقناع المجتمعين باستحالة تكوين اتحاد عربى تحت زعامة الشريف حسين . ولقد بدأ باستعراض سرى ابن سعود ، فأبان بأنه يشك كثيراً فى نيات الشريف فضلا عن الفيرة والتنافس القائم بين الزعيمين ، وأدلى السير برسي بيقينه من أن ابن سعود لن يقبل زعامة الشريف مطلقا ، رغم احترامه للشريف لمكانته العائلية ، كما أبان أن ابن سعود كان صريحا ومخلصا فى كل معاملاته مع الحكومة البريطانية ومعترفا لما بكل ما قدمته له من خدمات . وهو شخصيا لا يعتقد أن ابن سعود بنوى أن يهاجم الشريف حسين طالما الحرب دائرة رحاها ، لأنه يشعر تماما بالتزاماته قبلنا من جهة ويهلم من جهة أخرى أن الإحياء واللقطيف اللتين هما خير ممتلكاته تصبحان تحت رحمتنا إذا ما هو رسم نفسه سياسة معارضة لمصالحنا ، فضلا عن أن نجد نفسها تستورد جميع حاجياتها من موانينا . وزيادة على ذلك فإن ارتياب ابن سعود فى نيات الشريف حسين تقضى عليه بأن يهزى مركزه فى بلاده ويدعم سلطانه فيها ، ودلل السير برسي كوكس على صحة عقيدته هذه باجتهاد ابن سعود فى توسيع نطاق حركة الإخوان لتكون دعائمه القوية فى دفع كل عدوان خارجى على بلاده . ولقد رأى المجتمعون أن لا حاجة تدعو الحكومة البريطانية لإخبار الشريف حسين بموقفها تجاه طلبات ابن سعود وبمواقفه عليها ، ولكن إذا طلب الشريف حسين معرفة موقف الحكومة البريطانية مع ابن سعود ، فليس هناك ما يمنع من إعطائه كل الحقائق .

وبحث المجتمعون بعد ذلك موقف ابن الرشيد ، فأدلى السير برسي كوكس برأيه فى ذلك فقال : يجب علينا فى هذا الموقف أن لا نعارض ابن سعود فى احتلال حائل إذا سمحت له الفرصة ووجد من نفسه قوة تمكنه من ذلك .

ثم بحثوا في ادعاء الشريف حسين في تلقيب نفسه بملك العرب ، فأبان السير برسي استحالة قبول ابن سعود لزعامة الشريف حسين ، وأوضح لم يبلغ الخطر في فرض هذه الزعامة بالقوة على ابن سعود .

وما كادت الحرب العالمية تنتهي حتى رأى ابن سعود الأشراف يكادون يحيطون به من كل جانب في الحجاز والعراق وشرق الأردن وما كاد يتولى على حائل حتى وجد نفسه في مشكلة من المشاكل العويصة ، فإن قسما من عشائر شمر عز عليهم أن يحكمهم ابن سعود ، أو بعارة أخرى عز عليهم أن يفقدوا سلطانهم فرحلوا إلى العراق ، فطلب من حكومة العراق تسليمهم ، فأخذت تناطل في ذلك ، ويقول فيليب جريفز في كتابه حياة السير برسي كوكس الذي جمعه من أوراقه ومن وثائق أخرى : إن السير برسي كوكس بعد أن رأى من الحوادث ما عسى أن يقع من القلاقل والاضطرابات طلب إلى السلطان ابن سعود أن يجتمع مع الملك فيصل لإيجاد جو من حسن التفاهم بين نجد والعراق في المسائل المختصة بالحدود والقبائل ، ولكن ابن سعود طلب إلى كوكس تعيين المبادئ وتحديد هذه المقعد اتفافية بين البلدين قبل الاجتماع .

وقد رأى كوكس أن يكون مبدأ التفاهم على أساس أن قبائل المنتفق وعزة والضمير عراقية ، وأن خط الحدود يجب أن يعين بين البلدين حسبما تقتضيه حقوق الرى بالنسبة للأماكن الواقعة على الحدود . وفي هذا الوقت حصل ما يؤسف له فإن الملك فيصل عين في شهر يناير سنة ١٩٢٢ يوسف بك السعدون من عائلة السعدون الشهيرة في العراق ليتولى قيادة المجانة في الحدود الجنوبية ، وكان يوسف بك على غير صفاء مع شيخ الضفير الذي ذهب إلى الرياض وأعلن انفصاله عن العراق وأبى السيادة شعار الإخوان ورجع ومعه عامل الزكاة لجمع الزكاة من الضفير . وقد اجتمع في الوقت عدد كبير من الإخوان لمناصرة شيخ الضفير ، وقد أحدث ذلك قلقاً عظيماً على الحدود العراقية .

وفي اليوم الحادى عشر من شهر مارس هاجم فيصل الدويش وهو أحد أعلام الإخوان حملة المجانة وقبيلة المنتفق في مكان يبعد عن الطريق الحديدي بين البصرة والناصرية بثلاثين ميلاً قتل عدداً كبيراً منهم وشقت شمل الآخرين .

وبينا كان السير برسي كوكس ينتظر تعليمات من الحكومة البريطانية ، أرسل قوة من الطائرات لتراقب مراكز الإخوان .

وفي يوم ١٤ مارس أطلق الوهايون النار على قوة الطيران البريطانية ، فأمر السير برسي قوة الطيران أن تقابلهم بالمثل ، وحذر في الوقت نفسه ابن سعود من سوء المقي .  
ولقد أكد السلطان للسير برسي بأن فيصل الدويش قام بمقام به من تلقاء نفسه وبدون إذن منه وأنه سينزل العقاب بكل مسئول :

ولقد أطلع السير برسي كوكس الملك فيصل والنجيب على مضمون كتاب ابن سعود وجوابه عليه وأنه طلب إلى ابن سعود أن يأمر قواته بالانسحاب إلى خط الحدود بين البلدين وقد أجابه السلطان إلى ذلك . وقد انتهت المفاوضات التي دارت بين مندوبي الطرفين في الحمرة على اعتبار أن قبائل التنفق والصفير وعزة التي تسكن بين النهرين قبائل تابعة للحكومة العراقية ، وتعيين آبار المياه والمراعى التي تجوبها هذه القبائل .

وقد اتفق مندوبو الحكومتين على :

- ( ١ ) معاقبة القبائل الغيرة من جانبها .
- ( ٢ ) وأن تحصى طرق قوافل الحجاج في بلادها .
- ( ٣ ) وأن تبقى الرسوم الجركية على ما هي عليه في الوقت الحاضر .

واقدم أصدر مندوبو ابن سعود على أن تلتقى المعاهدة بين البلدين إذا قطعت إحدى الحكومتين صلاتهما مع الحكومة البريطانية .

ولقد حدث أن استقالت وزارة النقيب ، وبعد ثلاثة أيام من استقالتها سافر السير بروسي إلى الخليج .

وبينا كان مؤتمر الصلح متقدماً كان من الضروري تعيين الحدود الجنوبية مع ابن سعود الذي رفض إقرار معاهدة الحمرة ، فتوجه السير برسي إلى العقير ومعة صبيح بك نشأت وزير الأشغال السابق ونهذ بك الهذال رئيس عترة المراقية والميجر مور قنصل الكويت والميجر ديكسون ، فتقابلوا مع السلطان هناك حيث قال لهم : إن حدوده هي الفرات .

ولكن السير برسي لم يقبل ذلك : وبعد مناقشات حادة كادت تؤدي إلى أزمة قيل ابن سمود تعيين خط الحدود الذي اقترحه السير برسي كوكس والذي هو الآن خط الحدود القائم بين البلاد العربية السعودية والعراق .

ولما رأى البريطانيون أن الماهدة المذكورة لم تف بالغرض عمدوا إلى محاولة أخرى لاقتراع جذور الخلاف بين ابن سمود والأشراف ، وإزالة كل أسباب سوء التفاهم بين الأشراف وابن السمود ، فعمدوا لهذا الغرض مؤتمرا الكويت ، وهو الذي ستتكلم عليه في الفصل التالي :



## مؤتمر الكويت

ربما كان هذا المؤتمر أم المؤتمرات التي عقدت في جزيرة العرب في تلك الحقبة من الزمن ، ففي هذا المؤتمر ظهر الأشراف في بغداد والحجاز وشرق الأردن بظهور الحلفاء المتضامنين ضد خصمهم ابن السعود ، الذي أحس بالخطر المحيط به ، فأخذ يعمل لدفع هذا الخطر ، فوجه همه إلى الشجرة الشريفة في مكة فانتلمها من جذورها على ما سيجيء . بعد حاولت الحكومة البريطانية أن تربل سوء التفاهم بين الشريف حسين والملك ابن سعود ، فسمت في أثناء الحرب لاجتماعهما في عدن أو في مكان آخر محايد ، وسعت لتفتح باب المفاوضات بين الفريقين ، ولكن هذه المحاولات لم تثمر ثمرة الظاهرة .

وقد حاولت كذلك حل مشكلة الحدود بين العراق وسنجد ، فنجحت بعض النجاح ولكن النفوس كانت لا تزال تحمل الإحـ ، وقد عمل « السير برسي كوكس » صديق الملك ابن السعود لاجتماع الملك فيصل بالسلطان عبد العزيز ، ولكن الظروف — على ما يظهر — لم تكن مساعدة من كل وجه فخطب المسمى ، ثم أخذت حوادث الحدود النجدية وشرق الأردن تتكرر فيها الاعتداءات من عشائر الفريقين ، وأخذ الإخوان يهددون شرق الأردن نفسه أخذاً بثأر إخوانهم ، وأخذت الحوادث في الحجاز تأخذ شكلا لا يقل خطورة عما يحدث على حدود العراق وشرق الأردن

ويجب أن نقرر هنا حقيقة أنه فيما عدا حادثة تربة ، سنة ١٩١٩ م التي أيدت فيها قوات الشريف حسين لم يكن لذلك ابن السعود يد ظاهرة في هذه الحوادث ، وما كان يستطيع أن يمنعها تماما إلا بشورة أهابة ، ولكن طبيعة التطور الأخير في البادية وانتقال الإخوان من البادية إلى سكى الدور وتشربهم بروح الدين والتصب ضد كل من خالفهم ، وبالأخص الحساووين لهم . والملك ابن سعود وإن لم يرغب في الاعتداءات على البلاد المجاورة المشمولة بالنفوذ الإنجليزي أو بشجع عليها ، فإنه لم يكن يكره ذلك ، فإدام

الإخوان يخضدون شوكة الأعداء ويعودون بالغنائم سالمين ، وما دام الأعداء يسعون للقضاء عليه وعلى دولته فلا بأس من تركهم والإخوان يتصارعون . لقد كان الملك ابن السعود ينصح الإخوان من وقت لآخر بالكف عن أذى الحكومات المجاورة والركون إلى السلم ، ولكن نصحه لم يكن يلقى أذناً سميعة من الإخوان ، وكانوا يقولون : يا للعجب ! أليس هؤلاء كفاراً ؟ أليسوا محاربين لنا ؟ أليس كبيرهم يحول بيننا وبين أداء فريضة الحج ؟ فما بال ابن السعود يأمرنا بالكف عنهم ، وما له وما لنا ، إننا نقوم بفريضة الجهاد ، فن عاش رجع غانماً ، ومن مات لقي الله شهيداً وهو عنه راض ! ولكن الحكومة البريطانية وقد أصبح لها مركز خاص في العراق وشرق الأردن يهبطها أن ينجم السكون على تلك البلاد ؛ ذلك ففكرت في عقد مؤتمر في الكويت تحت رئاسة الكولونيل نو كس رئيس المستعدين في الخليج الفارسي لحل جميع المسائل الملقة بين الأشراف جميعاً وبين ابن السعود وصلت الدعوة إلى المؤتمر ، وكان السلطان مريضاً مرضاً خطراً ، فتأخرت الإجابة طبعاً ، وبعد أن زال عنه الخطر وعرضت عليه الدعوة رأى أن يطلب من الحكومة البريطانية تأجيل المؤتمر ريثما يتم شفاؤه ، ولكن الكولونيل نو كس الذي تقررت إحالته على المعاش كان مريضاً على عقد المؤتمر وعلى حل المشاكل الملقة التي لا تزيدنا الأيام إلا تعقيداً وإشكالا . وهل هناك خير أعظم من حل هذه العنيدة التي تركها السيد برسي كوكس ، وهو أقدر رجل عرفه العرب وأعظم الإنجليز مهارة في حل المشاكل !

ظن الكولونيل نو كس ، وهو عين الحكومة الإنجليزية في خليج فارس ، أن ابن السعود يريد أن يتخلص من الاشتراك في المؤتمر ، فأرسل إليه باسم حكومته رسالة شديدة الالفة لا تخلو من تهديد ، فقبل ابن السعود الاشتراك في المؤتمر على مضمض ، واشترط لقبوله أن لا يشترك الأشراف في المفاوضات مجتمعين ، بل يفادى كل حكومة على حدها ، فقبلت الحكومة البريطانية هذا الشرط .

## دور المؤتمر الأول

اجتمع المؤتمر في الكويت ، واجتمع مندوبو نجد والعراق وشرق الأردن ولم يحضر أحد عن الحجاز ، وبعد عدة جلسات رأينا جميع المندوبين متضامنين ، فاحتج مندوبو نجد

واعبروا هذا إخلالاً بما اشترطه سلطانهم لقبول الدعوة ووافقتهم وزارة المستعمرات على ذلك ، واعتدل مندوب العراق ، وبقى مندوب شرق الأردن على شططه بالرغم من تنبيه رئيس المؤتمر له سرا ، ويكفى أن نذكر هنا طلبات شرق الأردن لفعل ما يمكنه القدر لمؤتمر الكويت .

يطلب مندوب شرق الأردن ما يأتي : —

- ١ — تنفيذ مقررات النهضة التي عقدت بين الشريف حسين وبين الحكومة البريطانية ، والتي تقضى بأن تكون حدود حكومة نجد كما كانت سنة ١٩١٩ م ، ويجب إخلاء الجوف وسكاكه ووادي السرحان جميعه والأراضي الحجازية التي شغلها مثل : تربة والخرمة والحائط والحويط وخيبر وبيشة ووادي شهران وبلاد بني شهر .
- ٢ — تكون الحدود الفاصلة بين الحجاز ونجد هي الصحراء القاحلة
- ٣ — لا يمكن عقد صلح على غير هذا الأساس .

وينبغي أن يفهم هنا أن القرض من الاعتراف بحدود معاهدة سنة ١٩١٩ م فقط ، هو عدم الاعتراف بما تم من القضاء على حكومة الرشيد وإلحاقها بنجد .

ولما كانت هذه الطلبات غريبة كأداء في سبيل الاتفاق لم يكن هنالك بد من أن تؤجل الحكومة البريطانية المؤتمر بضعة أسابيع ، ويرجع كل فريق إلى حكومته لإيقافها على النقط التي دار عليها البحث وأخذ تمليات جديدة منها ، وتقوم الحكومة البريطانية بتقريب مدى الخلاف ونصح كل فريق بالاعتدال كي يمكن الوصول إلى طريق للاتفاق وإزالة سوء التفاهم السائد بين الجميع . وقد سمت الحكومة البريطانية لحل الملك حسين على الاشتراك في المؤتمر ، فاشترط أن يرسل الأمير زيدا على شرط أن يرسل سلطان نجد أحد أولاده فلم يقبل ابن سمود وصرح بأنه يثق بمندوبيه ، ولا يرى أي ضرورة لتغييرهم . وهكذا نشل اشتراك الحجاز في مؤتمر الكويت ، وقد أبدى سلطان نجد مهارة فائقة ومرونة سياسية دلت على بسد نظره وتقديره الظروف حق قدرها ، وأنه يعرف عقلية خصومه معرفة تامة .

لقد أوصانا رئيس المؤتمر قبل مغادرتنا الكويت بأن نبذل تفويضنا لإقناع سلطان

نجد بالتساهل ، وأرسل في الوقت كتاباً أعظمته يشرح له خيلة الموقف . وبالرغم من التكم الشديد الذي ساد جو المؤتمر ، فإن الإشاعات الكثيرة سبقتنا إلى نجد فقام وقد لها التجديون . لقد كبر على الإخوان أن يسسوا شرق الأردن والعراق بليان عليهم هذه الشروط القاسية ، وهم لم تنكس لم راية ولم ينكسر لم جيش ، فقام البوويش وسه رحله من الإخوان ومطير وجهم على عشائر العراق ، كما أن بعض الأشقياء من مطير كانوا يهجمون من وقت لآخر على حدود نجد وينهبون كل ما تصل إليه أيديهم .

### الدورة الثانية للمؤتمر

لم يحضر في هذه الدورة أحد من جهة العراق أو الحجاز ، بل حضر مندوبان فقط من شرق الأردن ولم يبدلا عما طلباه في المرة الأولى ، ولكن رئيس المؤتمر منجها من البحث في أى مسألة من المسائل الخاصة بالحجاز ، فأنحصر البحث في حدود شرق الأردن ونجد ، فطلبوا من نجد أن يكون حدودها النضود وتتخلل عن الجوف ووادي السرحان بأكله ، وقد طلب مندوبوا سلطان نجد استثناء أهل الجوف وأخيراً فشل المؤتمر .

أما السبب الحقيقي في فشل المؤتمر فهو صلابه الملك حسين وتصفه ، وعدم وقوف الأشراف في العراق وشرق الأردن على حقيقة الحالة في نجد ، وأن أحكامهم على نجد المبينة على ما يصل إليهم من الأخبار كانت خاطئة . ولو أنهم تغلبوا على العقبات التي وقفت في طريق المفاوضات في المؤتمر بشيء من التساهل لكان ابن السمرود حتى الآن في نجد .

لقد أخبرني إبراهيم بك هاشم أحد مندوبي شرق الأردن أنه سمع في بغداد أن عمر سلطنة نجد لا تتجاوز الستة أشهر ، كما أخبرني حضرة الضابط على خنق بك بأنه يستطيع أن يقضى على سلطنة نجد في مدة أقصر من هذه المدة ، وقد أضناهم بأنهم مخطئون جداً وأن ما يرى من الاختلال على الحدود ومن شغب الأتقياء لا قيسة له ، وأن البادية من قديم لم ينقطع منها أمثال هذا الشب ، وأن ستة أشهر التي قدرت عمراً لسلطنة نجد ربما كانت عمر حكومة الحجاز ، وإنه ليلكنا الأسف والأسى على ما وصل إليه العرب من التخالف ، وأن يكون موقف المتاملين من العرب هذا الموقف المزرى . والحقيقة أن

الأشراف جميعاً ومن اشتغل معهم ما كانوا ينظرون إلى ابن سعود إلا أنه رجل بدوي أو شيخ عشيرة ، وأنه ليس بأهل للتفاهم معه ، وأنه ليس من الخطر بمكان حتى يخشى ، ولكن الحوادث كانت كافية لإظهار خطئهم ، وأن الآمال التي كانوا يعتقدونها على قيام توارث في نجد لم يتحقق شيء منها ، وأن ما عجز مؤتمر الكويت عن حله قد حل في أكتوبر سنة ١٩٢٥ م في مؤتمرى حذاء وبحرة ، وفي سنة ١٩٣٠ م بين ملكي العراق والنجاز ونجد .

وها هو السكون يخيم على الحدود العراقية الفجدية ويمود الصفاء بين مكة وبغداد ، ويتنامى الفريقان الأحقاد المائلية القديمة ويعملان كلاهما على ما فيه خير الشمين العربيين وها هي شرق الأردن تحذو حذو العراق وتصفى مشاكلها مع النجاز ويتبادل ملكا المملكين الزبارة ، ويتعاون الفريقان تعاوناً صادقاً على الضرب على أيدي المفسدين من البدو ، فيسود السكون على الحدود وتمود الحياة إلى مجراها العادي ولا تزال آمال مفكرى العرب وعقلائهم ، معقودة على اتحاد الأمراء وتعاونهم لخير العرب .

## غزوة الحجاز والمؤتمر الاسلامي

### كيف نشأت فكرة الغزوة ؟

لم يكن لجلالة الملك ابن السعود أى فكرة عن غزو الحجاز وفتحها حتى سنة ١٩٢٣ م ؛ أولاً : لأنه لم يكن واثقاً تمام الوثوق بإمكان تغلب قواته على الحجاز ، وثانياً : لأنه لم يكن واثقاً من موقف الحكومة البريطانية ، ويحق له أن يحسب لموقفها ألف حساب ؛ فهي التي أرغمته على ترك الحجاز والرجوع إلى نجد سنة ١٩١٩ م بعد ضرب القوات الشريفية في تربة ، وقد كان في إمكان قواته في ذلك الوقت أن تتقدم وتستولى على الطائف ومكة ، لولا إنذار أنجلترا له بأنها تعتبر تقدمه في الحجاز عملاً عدائياً موجهاً ضدها .

من سنة ١٩٢٢ م رأينا علاقات الملك حسين تسوء مع المصريين ، فرجع الحمل من جدة ، كما ساءت بينه وبين الإنجليز والهند على شقي المسائل : على المعاهدة ، والبعثات الطبية ، وسوء معاملة الحجاج الهند ، مع عجزه عن تأمين الطريق بين مكة والمدينة . وما لاشك فيه أن فريقاً كبيراً من مسلمي الهند ومصر لم ينظروا نظرة استحسان لقيام الشريف حسين ضد الأتراك ؛ ولهذا فإنهم قابلو إعلان الملك حسين نفسه خليفة سنة ١٩٢٤ م في فلسطين إثر إلغاء الخلافة التركية بالاستيلاء الشديد .

كانت نجد في سنة ١٩٢٣ م تكاد تكون في عزلة تامة عن العالم ، وقد أتاح لها الملك حسين القرض ، فهل تتركها تغلق من يدها ، لقد تمكن مستشارو السلطان عبد العزيز من إقناعه بفائدة الاتصال بالعالم الخارجي وكتب في المقدمة فبدأ بإرسال برقية منه إلى جلالة الملك فؤاد يهنئه بافتتاح أول برلمان مصري ، ثم بأحد الأعياد ، وأعلن الأمير فيصل في منشوراته كلها موقف نجد إزاء مسألة الخلافة ، وإزاء بعض المسائل العربية ، كالاتحاد العربي ، واتصلت الهيئات الإسلامية في الهند بسلطان نجد ، وتم التفاهم على الأغراض

الإسلامية العامة ، والجميع متفقون على الاستياء من حالة الحجاز وسوء النظام السائد فيه . أخذت كتب التأييد تترى من سائر المدن الإسلامية ، وقوى الصلة بين نجد ومصر أن جلالة الملك ابن السعود شارك علماء مصر في موقفهم حيال مسألة الخلافة وحلها في مؤتمر يعقد في مصر ، فأكسبت نجد قوة أدبية لا تنكر .

فشل الإنجليز في محاولتهم تصفية المشاكل بين ابن سعود والأشراف في مؤتمر الكويت ، وكان المشول الأول عن هذا الفشل الملك حسين ، وخرج ابن السعود من المعركة ظافراً ؛ لأنه كان متواضعاً في مطالبه على خلاف الأشراف ، فإنهم كانوا مغالين ، ولو أن الأشراف انتصروا على ابن السعود في الحرب وأملوا عليه ما يريدون من الشروط لم تكن شروطهم أشد قسوة عما اشترطوا ، فكيف وهو حتى هذه الساعة لم يهزم له جيش والبلاد التي يطالب بها الملك حسين ويدعى ملكيتها لا تزال بيده . وضعت نجد لأول مرة الكتاب الأخضر وترحت فيه المسائل المختلف عليها ، وما يطالب به الحجاز وشرق الأردن والعراق ليضع الموضوع كله أمام العالم الإسلامي والعربي ، فكانت خطوة موفقة اكتب بها السلطان عبد العزيز عطف عقلاء العرب والمسلمين ، ولكنه لم يصح إلى ما أشار به مستشاروه من الهجوم على الحجاز ولو لنصفية الخلاف مع الملك حسين لأعتبارات كثيرة .

خرج السلطان من مؤتمر الكويت وهو موقن بأن الأشراف لا يريدون به خيراً ، وأنهم لا يألون جيداً في خلق المشاكل له والبلاده ، ولكنه قنع أخيراً بفكرة الهجوم على الطائف والاستيلاء عليه فقط لياوم الملك حسيناً عليه ؛ فلعل الرجل يعدل عن غطرسته ؛ وتقرر أن يكون ذلك بعد رجوع الحجاج إلى ديارهم دفناً لما قد يحدث من المشاكل ، سينبجلى موقف الملك حسين وموقف الحكومة البريطانية بعد احتلال الطائف .

لقد كنت موقناً بأن الإخوان سيتغلبون على قوة الشريف ، وموقناً بأن انكساراً متغف موقف الحياذ ، لأن سياسة ابن السعود إزاءها كانت سياسة مجاملة تامة وودية للغاية بمكس سياسة الملك حسين .

جاء عيد الأنحى وقدم رؤساء الإخوان — أهل الحرمة وعتيبة وأهل النمط —

وغيرهم من قادة الإخوان للصاعدة على ولى أمرهم ، واتتهز هو هذه الفرصة وعرض عليهم مسألة غزوة الحجاز فهشوا وبشوا للشروع ، لأنهم سيظهرون بيت الله من البدع وينشرون دين الله الصحيح ، ولأنهم سيفنون الأموال وقد ذاقوا حلاوتها في تربة ، كما سيفنون أجر الجهاد من الله . وقد وضعت خلاصة عما دار في المؤتمر من الأحاديث وأرسلت إلى جميع الصحف العربية والهندية ، فكان لها صدى استعجاب .

ترك الإخوان الرياض إلى بلدانهم ليستمدوا للجهاد : جهاد الملك حسين ، وما أسهل استمدادهم للفرز ، وهل يحتاج الأمر إلا إلى الفاقة والبندقة والزاد والذخيرة ؟ لم ينتصف شهر محرم سنة ١٣٤٣ حتى بدأ الإخوان بمناوشاتهم مع بادية الحجاز وأكثروا ناهق على الملك حسين ، ثم أخذوا يتقدمون وجيوش الملك حسين لا تقف في وجوههم حتى استولوا على الطائف في ٥ صفر ، ثم وقفوا ينتظرون أمر مولاهم . ولقد حاول الملك حسين أن يستغل الحوادث التي وقعت في الطائف ضد خصمه في تنفير العالم الاسلامي ، ولكنه فشل في ذلك وسرت الحادثة بدون أن يكون لها أثر عظيم في نفوس المسلمين . وبرنامج ابن سعود خلاب يجتذب النفوس ويتفق مع الروح الطيبة التي يتسناها عقلاء المسلمين لمهبط الوحي .

إن برنامجه أنه لا يريد التفتح ولا علوا في الأرض ولا فساداً ، وكل ما يريد هو طرد الأشراف وتطهير بيت الله ومهبط وحيه من ظلمهم وتحكمهم ، وأن مكة المسلمين عامة ، وأنه سينزل على رغبة العالم الاسلامي في ذلك كله .

ظل الإخوان في الطائف ينتظرون أمر إمامهم ، وليس هنالك سيارات أو تلفراف بين الطائف والرياض . والمواصلة الوحيدة هي الجمل ، والمسافة ذهاباً وإياباً لا تقل عن ٢٥ يوماً ، إذن يجب أن ينتظر الإخوان هذه المدة وسلاطنتهم قد شدد عليهم ألا يتجاوزوا الطائف ، وإلا فهو يبرأ إلى الله منهم ، أى أنهم سيكونون عاصين في عملهم ، ولا داعي إلى ذلك ، فالتفانم التي استولوا عليها تحتاج إلى وقت لتقسيمها بينهم بالعدل .

جمع الملك حسين آخر ما لديه من جنود وجهزم بأخر ما لديه من الأسلحة ، وسيرهم إلى الطائف لضرب الإخوان وطردهم منها ، وهنا كانت معركة الهدى التي انقضت فيها الإخوان على جنود الملك حسين وهزمهم هزيمة منكرة ، واستولوا على جميع ما كان لديهم من مال وسلاح .



هنا رأى الملك حسين أنه لم يبق له مقام في مكة ، فاستمد للرحيل منها وتنازل عن الملك لولده علي ، بعد أن أخلوا مكة ونقلوا كل ما يمكن نقله ، ثم دخل الإخوان مكة صلحاً لا حرباً ، فدخلوها خاشعين ، وتولى الشريف خالد بن لؤي إمارة مكة . ولقد صدق المثل « كما ندين نشان » ، فكما سلب الشريف حسين البدو على الأتراك وبيوتهم ، فأخلوا فيها بد النهب والسلب ، كذلك سلب الله عليه الإخوان فقاموا بنفس الرواية التي مثلت مع الأتراك ، ما عدا القتل فإن يدم لم تمتد إلى قتل أحد في مكة .

وبعد فتح مكة أرسلت الدول التي لها مننلون في جدة مذكرة إلى الطرفيين التحاربين يذكرونها برعاياهم وحسن معاملتهم ، ويحفلونها بتمعة ما يقع عليهم من الأضرار ، وأنهم جميعاً يقيمون موقف الحياد في النزاع بين الفريقين ، فكانت هذه المذكرة أحسن بشرى للملك التي كان يساوره بعض القلق ، فبجل بالسفر إلى الحجاز لينتول بنفسه استصفاء الحجاز ، وليحول دون تكرار مأساة الطائف . ولم يكن هنالك ما يمنع الإخوان من الاستيلاء على جدة ، لولا ما أسرم به إمامهم ، فكانت هذه خير فرصة للشريف عليّ حصن فيها جدة ، وحشد فيها من القوات العسكرية التي جمعها من فلسطين وشرق الأردن ماجملها تقاوم نحو ستة

غادر السلطان عبد العزيز الرياض في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ — ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، فودعه أهلها وعلاؤها وكبار أعيانها ، وقد ودع أهلها بهذه الكلمات الخالدة التي نشرتها الصحف في حينها واعتبرها العالم الإسلامي عهداً جديداً لبلد الله الحرام



إني مسافر إلى مكة لا أفتسلط عليها بل لرفع المظالم والمفارم التي أرهقت كاهل عباد الله ، إني مسافر إلى مهيط الوحي لنبسط أحكام الشريعة ، وتؤيد أحكامها ، فبعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع ، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطئ للشريعة . إن مكة للمسلمين كافة ، فأمر إدارتها وتنظيمها يجب أن يكون طبق رغائب العالم الإسلامي . إننا سنجتمع بوفود العالم الإسلامي هناك وستبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية ، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله



وقد وصل إلى مكة المكرمة في ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ — ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤ فدخلها دخول البعد الخاضع والمسلم الخاشع ، لا اللك الفاتح ، ولا الجبار التكبر ، فكان وصوله إلى مكة أكثر مصدر للطمانينة ، وأكبر مواساة للجروج الكريمة التي تركتها فسوة الإخوان في الطائف ، رأى أهل مكة والوافدون للتحية من شيوخ القبائل في سلطان نجد رجالا نبيلاً متواضعاً حسن المشر ، واسع الصدر نصيراً للضعيف ملاذاً للمحتاجين ، فأحبوه وأجلوه وأكبروه ، وكانوا يقولون في أيديهم لولا غلظة الاخوان وخشوتهم وقسوتهم لكان عهد ابن سعود في استتباب الأمن ، والضرب على أيدي الفسدين ، والقضاء على البدع والمنكرات لا يهاده إلا عهد الصحابة والتابعين .

وقد رأى بنائب فكره وبعد نظره أن يزيد الطمانينة في النفوس ، ويؤكد ما سبق لكتاب هذه السطور إعلانه على كبار الحجاز وأعيانه قبل وصول عظمة السلطان ببضعة أيام فأمر بنشر المنشور الآتي :

لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحاضر منهم والباد

محمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو رب هذا البيت الصديق . ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد فلم يقدمنا من ديارنا إليكم إلا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه ، ودفعاً لشروك كان يكيدنا لنا والديارنا من استبد بالأمم فيكم قبلنا ، وقد شرحنا لكم غايتنا هذه من قبل ، وهانحن أولاء بعد أن بلغنا حرم الله نوضح لكم الخطة التي سنسير عليها في هذه الديار المقدسة لتكون معلومة عند الجميع فنقول :

( ١ ) سيكون أكبر همتنا تطهير هذه البلاد المقدسة من أعداء أئمتهم الذين مقهم

العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومفاريها بما اقترفوه من الآثام في هذه الديار المباركة

( ٢ ) سنجعل الأمر في هذه البلاد المقدسة بعد هذا شوري بين المسلمين ، وقد أبقنا

لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لمقعد مؤتمر إسلامي عام بقر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لإنفاذ أحكام الله في هذه البلاد الطاهرة

( ٣ ) إن مصدر التشريع والأحكام لا يكون إلا من كتاب الله ، وما جاء عن

رسول الله عليه الصلاة والسلام أو ما أقروه علماء الإسلام الأعلام بطريق القياس أو أجمعوا عليه مما ليس في كتاب ولا سنة ، فلا يحل في هذه الديار غير ما أحله الله ، ولا يحرم فيها غير ما حرمه .

( ٤ ) كل من كان من العلماء في هذه الديار أو من موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذو راتب معين فبوله على ما كان عليه من قبل ، إن لم نرده فلا ننقصه شيئاً ، إلا رجلاً أقام الناس عليه الحجة أنه لا يصلح لما هو قائم عليه ، فذلك ممنوع مما كان له من قبل ، وكل من كان له حق ثابت سابق في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه ولم ننقصه منه شيئاً .

( ٥ ) لا كبير عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى آخذ الحق منه ، وليس عندي في إقامة حدود الله هواة ولا يقبل فيها شفاعه ، فن التزم حدود الله ولم يتعداها فأولئك من الأمنين ، ومن عصى واعتدى فإنما إثمه على نفسه ولا يلومن إلا نفسه . والله على ما نقول وكيل وشهيد : وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣



فكان لهذا المنشور أثره السحري لا في نفوس الحجازيين فحسب ، بل في العالم الإسلامي قاطبة ، وأخذ مركز ابن سعود يحتل قلب كل مسلم مخلص وأخذ نجم الأشراف في الحجاز في الأقوال وحكمهم في الزوال .

حاول الملك عليّ عقد الصالح ، فوسط الأستاذ الريحاني ومستر فلي ( والسيد طالب ) النقيب ، ولكن البرنامج معروف : المسألة إسلامية ياريماني ويا مستر فلي ، فليس من شأنكم التوسط فيها ، والرأي يا « متيد طالب » للعالم الإسلامي ، فما على الأشراف إلا أن يرحلوا من الحجاز ، ويحتض مؤتمراً إسلامياً ينظر في مسائل الحجاز ، من كل نواحيه . وقد مضت مدة والحرب دائرة بين الطرفين ، وكل يماني شدتها ، ولكن شدتها

على الملك على كانت أشد على كل حال . وفي أبريل سنة ١٩٢٥ م عرض قنصل السوفيت ووكيل قنصل إيران ، ووكيل قنصل هولندا واساطنهم للصلح بصفة خاصة ، لأن دولهم لم تكنهم بذلك ، فلم يقبل السلطان ذلك .

وفي مايو من السنة نفسها قدم فؤاد بك الخطيب إلى مسكر السلطان ابن سعود محاولا الوصول إلى طريقة يوقف بها الحرب ويضمن بها بقاء الأشراف في الحجاز فلم يفلح . وفي أغسطس وسط الملك على الدولة الإنجليزية للصلح ، ولكن الحكومة البريطانية حينما عرضت واساطنها بين الفريقين صرحت بأنها تقبل الوساطة إذا رضى الفريقان هذه الوساطة ، فكان جواب ابن سعود :

« إنه أعطى عهداً للعالم الإسلامى أن تكون الحجاز ومكة للمسلمين عامة »

وفي سبتمبر سنة ١٩٢٥ وصل فضيلة الشيخ المراضى وكان رئيساً للمحكمة العليا للشرعية ومعه عبد الوهاب بك طلعت من موظفى السراى الملكية ، ومعهما كتاب رقيق من جلالة ملك مصر جواباً لكتاب سلطان نجد بمناسبة عزمه على زيارة مكة . إنه ظرف ملائم جداً وفرصة نادرة لتوثيق الملائق بين مصر ونجد ، وساطان نجد كان ولا يزال معترفاً بزعامه مصر من وجهة الثقافة والمدنية ، ويجب أن توطد الملائق بينه وبين مصر .

رأى عظمة السلطان بعد الاجتماع مع الوفد المصرى والتحدث معه فى شتى المباحث أن أقوم بالبحث التمهيدى ، وما نصل إليه من النتائج نعرضه على عظته أولاً بأول . لقد سبقت الوفد عدة شائعات : منها أن الشريف علياً طلب ببط حامية مصر على الحجاز ، وطلب أن ترسل الصدقات المتأخر إرسالها إلى مكة والمدينة إلى جدة ، لتوزع على جنوده واللاجئين إليها من أهل مكة ، ولكننا لم نقم وزناً لهذه الإشاعات أو غيرها . لقد تبين من المباحثات الأولية أن الوفد جاء لنرض وساطة مصر للصلح بين الفريقين المتحاربين ، فما المخرج من هذا الموقف الدقيق ؟ إننا لا نريد إغضاب مصر ، وساطان نجد يجب ملك مصر ويحرص على اتصال جبل المودة معه ، ولكننا لا نحب الصلح الآن ، لأن حكم الأشراف فى الحجاز قد آذن بالزوال ، فالمعلومات تصل إلينا عما تقاسيه جدة والمدينة ، وأن النصر قاب قوسين أو أدنى

أخبرت الوفد بسى الحكومة البريطانية قبل شهر الصلح ، واعتذار السلطان عن قبول هذه الوساطة ، وليس من الياقة قبول توسط مصر الآن . ماذا جنته مصر من ذلك حسين ؟ ألم يرد الحمل المصرى من جدة ؟ ألم يتهم البعثة المصرية بأنها تحاول تسميم المياه ؟ ألم ينزع من كسوة الكعبة المشرفة اسم ملك مصر ؟ ألم يعتمد على الإساءة إلى كل ما هو مصرى ؟ إذا كنتم تريدون أداة أخرى فما كم ملفات الحكومة الهاشمية ، أقرأوها إن شئتم فإنها دلائل ناطق على ما كانت تطويه جوائح الملك حسين نحو مصر وملكها وشعبها . ألا يحسن أن نبحث موضوعاً آخر يكون فيه الخير البلاد المقدسة ولأهلها ولواقدين عليها من المسلمين ؟ إذا وضعنا أسساً لذلك فإننا بلا شك نكون قد قفنا بواجب عظيم نحو ديننا ، ونكون قد خدمنا الإسلام والمسلمين أجل خدمة . أما الأساس الذى كان نتيجة البحث فهو :

( ١ ) أن الحجاز للحجازيين من جهة الحكم ، والعالم الإسلامى من جهة الحقوق التى لم فى انبعاث الفلسفة .

( ٢ ) اجراء استفتاء عام لاختيار حاكم للحجاز تحت إشراف مندوبى العالم الإسلامى

( ٣ ) يجب أن تكون الشريعة الدستور للحجاز .

( ٤ ) استقلال الحجاز الداخلى .

( ٥ ) جعل الحجاز على الحياد .

( ٦ ) لانتقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دولة غير إسلامية .

( ٧ ) تحديد الحدود الحجازية ، ووضع النظم المالية والاقتصادية والإدارية موكول لتدوين المالك والشعوب الإسلامية .

وتد وثق عظمة السلطان ابن سعود على هذا الأساس وقال الوفد المصرى : لى نعلموا مقدار محبة مصر ولييكها ، والمنزلة العظيمة التى له فى قلبى ، أوكل جلالاته أن يدعو فى مصر مندوبى المسلمين لينظروا فى هذه الأمور ، وما يقررونه سأنوم بتنفيذه . فسر الوفد كتبوا وعد النتيجة التى وصل إليها سيراً من الومة الأولى . وسررنا نحن أيضاً ،

لأننا اكتسبنا مودة ملك مصر وهي شيء عظيم عندنا ، وسافر الوفد المصري حاملاً كتاب عظمة سلطان نجد المتضمن هذا الأساس .

وفي أكتوبر سنة ١٩٢٥ وصل جلال السلطنة وزير إيران المفوض بمصر ، وعين الملك قنصل إيران الجنرال في سوريا إلى الحجاز ، وأخبرها عظمة السلطان بأنهما موفدان للوقوف على صحة أو كذب ما أشيع عن إصابة القبة النبوية بالقنابل ، وفي أثناء إقامتهما في المعسكر الساطاني في حذاء وفي مكة بحثنا معهما بشأن الحجاز : ماضيه ومستقبله ، وأخبرناهما بالكتاب الذي حملته الوفد المصري ، وبال دعوة التي سيوجهها جلالة ملك مصر إلى العالم الإسلامي لوضع مسألة الحجاز على بساط البحث على الأساس الموضح في الكتاب ، فأظهر الوزير امتعاضه ، وصرح بأن حكومته لا تقبل دعوة مثل هذه من مصر ، لأن مصر دولة غير مستقلة من كل وجه ، ولا شأن لها بالبلاد المقدسة ، وقال لعظمة السلطان : لماذا لا يدعو هو المسلمين في مكة ؟ أليس هو أولى بالدعوة ؟ أو أليس هو صاحب الشأن ؟ فأجابهم عظمة أنه اختار مصر لقربها من سائر البلاد الإسلامية ، ولأن الحجاز لا يزال في حالة حرب ، وقد وكلت ملك مصر ولن أرجع في قولي ، فطلب الوفد الإيراني كتاباً من عظمة السلطان إلى رئيس حكومة إيران ، يتضمن الأسس المتقدمة ، ورجع الوزير مسروراً من زيارته بعدما وقف على الشيء الكثير من المعلومات من الإيرانيين المقيمين في الحجاز عن حكم الأشراف في الحجاز ، وما تركه السلطان ابن السعود في نفوس الحجازيين من تواضع وحلم ، وبساطته واهلته ، وحسن معشره ولين جانبه ، وأنه لولا خشونة الإخوان لكان حكم السلطان ابن السعود نعمة من نعم الله لا تعاد لها نعمة .

مضى نحو أربعة أشهر والحرب لا تزال على حالها ، ولم يصل إلى عظمته شيء عظام في أمر المؤتمر : إن الحرب قد تطول أكثر من ذلك ، فلماذا لا يفتح طريق الحج من جهة « رابغ » فيقضى القضاء الأخير على جدة ؟ لقد نجح هذا الطريق بعض النجاح في الحج الماضي ، ووفد من الجباج نحو أربعة آلاف نفس .

رأى عظمة السلطان أن يوفدني إلى مصر للبحث مع حكومتها في الإذن للجباج من هذا الطريق ، وقبل مفادرتي رابغ دخلت جيوش السلطان المدينة ظافرة فكان ذلك مشعراً بأن حكم الأشراف في الحجاز في حالة النزاع .

وصلت إلى مصر في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٥ م ، وبعد مدة قصيرة استلمت جدة آخر المدن الحجازية ، ففرح المسلمون فرحاً عظيماً ، وقابلت الصحف العربية والهندية هذا الحادث بحماسة شديدة ، ونشر عظمة السلطان في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م منشوراً عاماً على أهل الحجاز : يحضهم على الإخلاء إلى الكون والانصراف إلى أعمالهم ، وختم المنشور بالجملة التالية :

« وأما مستقبل البلاد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه لينظروا مستقبل الحجاز ومصلحه »

### العدول عن المؤتمر

وبعد أسبوعين من صدور المنشور الأول ، أصدر عظمة السلطان بلاغاً عاماً بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة — ٧ يناير سنة ١٩٢٦ م يعلن فيه عدوله عن فكرة المؤتمر الإسلامي ، لأن دعوة التي وجهها إلى الشعوب الإسلامية وإلى قادة المسلمين لم يحبه عليها أحد ، وفي اليوم نفسه بايع جلالة أهل الحجاز ملكاً على الحجاز ، فأصبح قلب جلالة « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها »

تمت هذه الخطوة الجديد وأنا في مصر أقاض حكومتها في شئون الحج ، ولم يخف على أولو الأمر استيائهم ، كما أن التلغرافات والصحف نشرت الشيء الكثير من استيائهم المنود وجمية الخلافة على الأخص ، وعدوا ذلك نكثاً بوعود جلالة الملك الكثيرة ، وقد أبرقت لجلالة الملك أخيرة بحقيقة الحالة في مصر والمند ، وإن جلالة لو كان تراث قليلاً لكسب الحجاز وتطوب المسلمين ، فأجابني جلالة ببرقية يشرح فيها الأسباب التي دعتني لتسجيلي وهي إسرار أهل نجد والحجاز على ذلك ، وإن حالة البلاد تستدعي البت في هذا الأمر ، وقد نشرت الصحف هذه البرقية في حينها ، غير أن السلطات المصرية لم يقتضا هذا الجواب ، واعتقدت أن مسألة اليمية وما اكتفتها من طلب الحجازيين والتبذيرين إن هي إلا إيماء من حكومة الحجاز

أما أنا شخصياً فكنت أهتم بموضوع المؤتمر الإسلامي لأنه وسيلة من وسائل تضافر المسلمين وإصلاح كثير من الشئون الدينية والاجتماعية ، وطريقة من الطرق التي التي

يمكننا بها خدمة الحجاز وأهل الحجاز والوافدين على الحجاز .

فالحجاز يحتاج إلى كثير من وجوه الإصلاح ، وهو وحده لا يقوى على القيام بأعباء هذا الإصلاح ، ويجب أن يستعين الحجاز بمقول المسلمين المدبرة . كما يجب على المسلمين أيضاً أن يعينوا الحجاز بالأموال للقيام بهذه الإصلاحات ، وواجب على حكومة الحجاز أن توسع صدرها لسماع كل نقد ، والأخذ بكل رأى صالح .

لقد سئلت في مصر عن المؤتمر الإسلامي هل عدل عنه نهائياً . سئلت هذا السؤال من كثير من كبار المصريين ورجال الحكم في ذلك الحين ، فلم أكن أملاك الإجابة ، لأن الفصل في هذا الموضوع الخطير في مكة .

لقد كتب إلى كثير من أصدقائي المفود يسألون نفس السؤال ، ويأخون على في بذل نفوذى لمعد المؤتمر ، لأن هذا العمل من أعظم الأعمال لخدمة الإسلام والمسلمين . غادرت مصر راجعاً إلى مكة فاجتمعت بجلالة الملك عبد العزيز ، وأخبرته عن رحلتى والأثر الحسن الذى تركته في مصر حكومة وشعباً ، ولم أخف مبلغ التأثير السىء الذى تركه إعلان الملكية في مصر والهند ، ولكن ليس في الإمكان الرجوع نياتم طبعاً ، فإذا يمكن أن نعمل لتقضاء على سوء الأثر .

بحثت مع جلالة الملك مسألة المؤتمر الإسلامى فلم أجد جلالاته مستعداً لقبول الفكرة فترك الموضوع للزمن .

تكررت السكتب والتأخرافات من الهند وغيرها من الممالك الإسلامية بطالب عقد المؤتمر ، ووصل عين الملك قفصل إيران العام في سوريا لبحث مع جلالة الملك في شئون الحج الإيراني ومسائل القباب والأضرحة المهذمة ، وأخبرنى أن الروحوم إبراهيم وجيه باشا لا يزال ينتظر منى أن أخبره عن مسألة عقد المؤتمر الإسلامى ، وبالطبع أخبرت جلالة الملك بذلك فكانت هذه العوامل الكثيرة لها أثرها في نفسه ، تقبل عقد المؤتمر الإسلامى في مكة على شرط ألا يتعرض المؤتمر لمسألة الحكم في الحجاز ، وعلى ذلك أرسلت الدعوة إلى الشعوب الإسلامية والحكومات الإسلامية ، وحدد يوم ٣٠ القعدة سنة ١٣٤٤ هـ لاجتماع المؤتمر ، وقد لبي الدعوة أكثر من دعوا إلا مصر والسكن مصر أرسلت مندوبها بعد ذلك في الوزارة الاتلافية التى كان برأسها عدلى يكن باشا .



## فشل المؤتمر

ليس هنالك من شك في أن الذين حضروا إلى المؤتمر كانت تحذوم الرغبة في إصلاح الحجاز والخير للبلاذ المقدسة ، وسكانها والوافدين عليها من جميع طوائف المسلمين ، وليس من شك في أن الملك ابن سمود لا يقل رغبة عن هؤلاء . فلماذا إذن لم ينجح المؤتمر في الغرض الذي عقد من أجله ما دامت رغبة الملك والمؤتمرين تلتقي عند خير الحجاز والمسلمين ؟ إن السبب الرئيسى هو عدم التجانس بين أعضاء المؤتمر ، وبينهم وبين النجديين من جهة أخرى . فما يعمده النجديون أساساً للحمل ويتمصبون له لا يشاركون فيه بعض الشعوب الإسلامية الأخرى ، وما يعتقدونه المنود من وسائل الإصلاح لا يشاركون فيه الجلاويون والمنود من أهل الحديث .

إن النجديين يرون أن التوحيد هو الدواء الوحيد لما أصاب العالم الإسلامى من الأمراض . لقد كانت مكة والمدينة مهبط الوحى ومصدر التشريع ، فيجب أن تبدأ فيهما . يهدم القبور وتسويتها ، وهدم القباب والمآجد القائمة على القبور ، وهدم كل مكان تشتم منه رائحة الإغلال بالتوحيد ، كما يجب إبطال جميع البدع من الحجاز .

إن سائر المؤتمرين سياسيون أكثر منهم دينيين ، فهم — وإن كانوا يتفقون مع النجديين على إصلاح حالة العالم الإسلامى وإصلاح الحجاز — ولكنهم لا يتفقون مع النجديين في طريقة الإصلاح ، ويقولون : إن العالم الآن يختلف تمام الاختلاف عنه قبل ثلاثة عشر قرناً . وإن الواجب الآن تأليف القلوب وجمع الكلمة والتدرج بالإصلاح ، وهنا يقع الخلاف بين الفريقين ويشند النزاع . ولا سبيل إلى التوفيق .

وهنا لك مسألة سياسية عربية يرى بعض المؤتمرين إثارها ، وترى حكومة الحجاز عدم الخوض فيها .

لقد كان الملك ابن السمود حكماً ، فإنه في حفلة افتتاح المؤتمر منع الحرية المطلقة للمؤتمرين ، إلا فيما يتعلق بالسياسة الدولية ، وما بين بعض الشعوب الإسلامية من خلاف ، ولكن بعض أعضاء المؤتمر لم يصغ إلى نصيح الملك ابن سمود ، وحاولوا البحث في مشاكل

سياسية لم يكن هنالك حاجة إلى إثارتها ، ولا مبرر لحاجات الحجاز كثيرة ، ووجوه الإصلاح عديدة . ولكنهم على كل حال كان رائد هم حسن النية وغير المسلمين .

أريد أن أذكر القصة الآتية . لأنها تدل على ما كان يسود جو المؤتمر وما كانت حكومة الحجاز وقتئذ تمانيه ، لأنها لا تريد أن تسوء علاقتها السياسية مع الحكومات الأجنبية ، كما لا تريد أن تفس عواطف أعضاء المؤتمر النعمانيين :

أخبرني جلالة الملك أن السيد رشيد رضا والشيخ عبد الله بن بليهد رئيس القضاة في ذلك الوقت ، أخبراه بأنهما — بالاتفاق مع وفد الخلافة — سيأخذون قراراً من المؤتمر ، على أن يجتمع أعضاء المؤتمر جميعاً أمام الكعبة ، ويتعهدوا في اليوم السابع أو الثامن من ذي الحجة صباحاً بأنهم سيؤمنون بكل قوام لتخليص جزيرة العرب من نفوذ الأجانب ، وأنهم يعتقدون أن لهذا تأثيراً عظيماً في الرأي الإسلامي

فقلت لجلالته : إن نية إخواننا حسنة بلا شك ، وإنهم لا يريدون إلا الخير للإسلام والمسلمين ، وإن ما يتبنونه هو أمنية كل مسلم ، ولكن ما هي الفائدة من هذا العهد ؟ إن من يريد أن يعمل فبحال العمل أمامه واسع ، وعلى كل حال فالمشروع إلى الآن لم يعرض على لجنة المشروعات .

فقال لجلالته : إن الجماعة سيجتمعون عندي بعد العشاء ، وكنا في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة فيجب أن تحضر لتتفقوا جميعاً على رأي واحد

حضرنا عند جلالة الملك بعد صلاة العشاء ، وكان الحاضرون هم الشيخ عبد الله بن بليهد ، والسيد رشيد رضا ، والسيد أمين الحسيني ، والرحوم محمد علي ، وولانا شوكت علي ، وكاتب هذه الأسطر ، والدكتور عبد الله الدهلوي ، والشيخ يوسف ياسين والشيخ محمد أبو زيد المصري وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن .

افتتح الحديث الشيخ عبد الله بن بليهد ، فقرأ صحيفة القسم ، وشرح الأغراض من العهد ، والروح الجديدة التي تسري في المسلمين والعرب حين سماعهم ذلك . وبعد أن ساد المجلس السكون طلب مني جلالة الملك رأيي .

فطلبت من الشيخ ابن بليهد الإيضاح عن المقصود بجزيرة العرب . فقال : إن المراد منها فلسطين — سوريا — العراق — وسواحل الجزيرة التي للأجانب نفوذ فيها . فقلت :

إني أشكر أصحاب الفكرة على هذه الروح الطيبة . ولا شك أن كل عربي ومسلم يتفق أن يتمتع العرب في كل ناحية بما يتمتع به غيرهم من الاستقلال . ولم هذه العجلة ؟ إن تركيا ومصر والأفغان والبن قد أرسلوا مندوبين إلى المؤتمر ؛ وهم في طريقهم إليه . أليس من الحكمة أن نأخذ رأيهم في هذا الموضوع الخطير ، وهم أعلم منا بالسياسة الدولية ، وأعرف بطرق معالجة هذه الشؤون ؟ فإذا وافقوا على هذا الاقتراح فإن لموافقتهم من القوة المعنوية ما ليس لموافقتنا . فقبل الجميع هذا الاقتراح ، وسر جلالة الملك من هذه الفكرة التي هيأت له فرصة للتفكير .

وبالطبع لم يقبل أحد من مندوبي الدول هذا الاقتراح . لأنه تورط لدولهم في مشكلة هم في غنى عنها .

وقد انتهى المؤتمر الإسلامي الأول بقرارات ورغبات وتغنيات كان نصيبها الإهمال من العالم الإسلامي . لأنه لم يعد لها القوة ولم يتمكن المندوبون من جمع الإعانات التي كانوا يؤملون جمعها ، وحكومة الحجاز لا تستطيع أن تقوم بما طلب منها ، فليس لديها من المال ما تستطيع به تنفيذ جميع رغبات العالم الإسلامي . وبالجملة فإن جميع الآمال التي كنا نرى إليها من المؤتمر الإسلامي من الإصلاح الديني والاجتماعي العام ، وإصلاح البلاد المقدسة إصلاحاً يتفق مع مقتضيات هذا الزمن ورفع مستوى الحجاز إلى المستوى اللائق بجلاله وقديسته ، قد فشلت . فحل المسلمون ينتفضون من أغلاطهم ، ويصلون لعقد مؤتمر آخر يصدون فيه إلى الإصلاح ، ويتركون المساعي السياسية التي ليس من ورائها فائدة إيجابية .

### ابن السعود وإمام صنعاء

لم تكن هناك صلة مراسلة أو غيرها بين ابن سعود وإمام صنعاء حتى سنة ١٩١٩ م ، فإن حادثة الحج الباني<sup>(١)</sup> في عسير كانت سبب التعارف وتبادل الرسائل من وقت لآخر ، ثم أخذت مصالح الحكومتين في التضارب بعد موت السيد محمد علي الإدريسي ، وانتهز

(١) من يريد تفاصيل غابرات البن فليراجع الكتاب الأخضر الذي أصدرته وزارة خارجية الحجاز

الإمام يحيى الفرصة لعلى صحيفة حكيم من عسير ، وتقدم سلطان نجد فى الحجاز ، كل هذا جعل الفريقين وجهاً لوجه . فإن الإدارة بعد ما أحسوا بالخطر الملقى بهم ولوا وجوبهم شطر ابن سعود حليف محمد على الإدريسى . فأعلن الحماية على عسير ، وأخبر الإمام يحيى بذلك فى خريف سنة ١٩٢٦ م . ثم أخذ الفريقان يتبادلان الكتب والرفود للوصول إلى حل ساسم خاص بالحدود والقبايل . فلم يوفقوا إلى ذلك ، لأن حسن النية لم يكن متوفراً من كل وجه . وأخيراً اضطر ابن سعود لاعتناق الحسام بعد أن أعيته الحيل ، وبعد أن انتهك الإمام يحيى حرمة بلاده باحتلال قسم منها . وقد تمكن الملك عبد العزيز فى مدة قصيرة من التقدم فى نهضة حتى الحديدة . غير أنه — وهو الرجل الصاقل النافذ البصر — لم يكن يرى فى الحقيقة إلى فتح اليمن . لأن ذلك باقى عليه مسؤوليات جديدة ، وربما يعرض البلاد العربية للتدخل الأجنبى ، وانلك عبد العزيز بفضل أن يفتح قلب إمام اليمن ويكتسب وده وصداقته أكثر من فتح اليمن نفسها . وقد وصل إلى الغرض الذى كان يرى إليه . فإمام اليمن قد أغضته الحوادث قوة ابن سعود ، وأنت ما توهبه من ضعف لم يكن إلا حليماً وطول أناة ، وقد ضرب الملك عبد العزيز الصلح الذى عقده مع إمام اليمن أفضل الأمثال فى التسامح واكتساب صداقة خصمه ، كما ضرب أفضل الأمثال فى حبه للثنام مع أسراء العرب ، وسعيه للاتحاد العربى الذى ينشده أحرار العرب ومفكروهم من نصف قرن . ولعلنا نرى فى المستقبل القريب الرغبة الصادقة من ملوكهم وأسمائهم فى التناهم وإزالة ماي بينهم من إحن شخصية ، وتقديم الصالح المشتركة العامة على الاعتبارات الشخصية . فإن محمد العرب لا يسترد إلا باحتياج كلمة العرب واتحادهم . بهر الله العرب وملوكهم لما فيه خيرهم وصلاحهم .

ويسرنا أن ننبث روح جديدة من مصر ندعو إلى التفارب والتناهم ، وتبادل المصالح واتخاذ جميع الوسائل الممكنة ، وتذليل الصعوبات فى خاتق اتحاد عربى على يرتفع به شأن العرب والمسلمين ويقضى إن شاء الله على خطر اليهود فى فلسطين بعد الكارثة التى منى بها العرب — بسبب تفرقهم وعدم إعطائهم الأمور حقها — فى حرب فلسطين .

## حياة الملك عبد العزيز الشخصية

افتد صحبت الملك عبد العزيز في السلم وفي الحرب ، وعاشرته في البادية والحاضرة ، وخبرته في حالتي الرضا والغضب ، وحياته الشخصية لا تكاد تختلف عن حياته العامة إلا يسيراً ، فهي أشبه بنظام أوتوماتيكي لا يكاد يتغير

يقوم الملك عبد العزيز عادة قبل الفجر بساعة ، فيقرأ ما تبسر من القرآن الكريم . حتى إذا أذن مؤذن الفجر أدى فريضة الصلاة . ثم ينصرف إلى بيته يقرأ شيئاً من القرآن والأوراد الصحيحة النسبة عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم تعرض عليه الأشياء التي تقتضى البت فيها بسرعة ، ثم ينام بعد ذلك قليلاً ، فيقتل كل يوم صباحاً ويلبس ثيابه ويفطر . ثم يخرج إلى مجلسه الخاص ، فتعرض عليه مهام الحكومة ، ويهمل أوامره لموظفيه . فإذا انتهى من ذلك قابل الناس من شيوخ البدو وكبار العرب مقابلات خاصة ، يسمع شكوى المشتكى ونصح الناصح ، ويباحث زعماء الزوار فيما يهم من شئونهم . ثم يذهب إلى المجلس العام الذي يجتمع فيه كل من يريد مقابلته ، ويقضى في هذا المجلس نحو ساعة يمضيها في حديث أشبه بخطابة فيما يهم من أمور الدين والدنيا . وينصرف إلى الغذاء ، ثم يرجع إلى بيته فينام قليلاً ، ثم يصلي الظهر ، ثم يرجع إلى مجلسه الخاص ، فتعرض عليه الشئون الهامة ، ثم ينصرف لصلاة العصر ، فيحضر عنده إخوانه وأولاده وأقاربه ، وكبار الموظفين يأسرهم ، ثم يخرج بعد ذلك في سيارته إلى الضواحي للرياضة ، وبعد العشاء يجلس في مجلس عام ، وهناك يحضر قارئ يقرأ نحو ساعة وشيئاً من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والتاريخ والأدب ، وبعد ذلك ينصرف إلى بيته

وما يجب أن يذكر : أن الملك عبد العزيز — أثناء إقامته في الرياض — كان يقوم بزيارة والده الإمام عبد الرحمن — رحمه الله وغفر له — كل يوم ، وكذا سائر أقاربه الأديين ، وكذلك لا تزال هذه عادته في مكة يزور كل يوم من يكون حاضراً بها من أقاربه والملك ابن سعود مشهور في بلاد العرب بكرم الخلق وبسط اليد ، لا يعرف أي قيمة

للدرم ، إلا أنه وسيلة للزلفى عند الله ، أو لبناء الجسد ، أو حسن الذكرى . فقلما يرد سائلا يطلب دعوته ، أو محتاجة صدقائه . وهو يشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم ، لأنه هو يعرفهم حق المعرفة ، وقلما يعتمد على أحد آخر في ذلك ، على أن هذه المطايا قد يكون لها مرام سياسية بعيدة يرى إليها ، ودبراته مفتوح للقاصدين يقابل زائريه مهما صغر مقامهم بوجه باش ، ويأخذ ألبابهم بالتراسمة التي لا تسكاد تفارقه ، ومجلسه لا يخلو من خطبة قصيرة يراعى فيها نفسية السامعين .

ولا يضييق صدر الملك عبد العزيز إلا عند ما يجد خزانته تضيق عن الطلبات والمطايا ، فهو يتكدر خوف أن يظهر بظهور العاجز أمام السائلين الذين تمردوا رفته .

وكان الملك يسخر منا كثيراً حينما ننصحه بالأدخار ، ونقول : إن المسئيل عليه عند الله ، وإن الرخاء ليس بدائماً . فيقول : إن كنز المال لا ينفع ، هل أفادت عبد الحميد خزانته وما ادخره من المال ؟ وهل أفادت خزائن ابن الرشيد ؟ وأعتقد أن الملك قد غير فكره في هذه الأزمنة التي أخذت بالانحطاط ، وأصبح يعتمد في المال وفائدة ادخاره لوقت الشدة .

والملك عبد العزيز من المنجبين بمحمد بن الرشيد أمير حائل ، والذي امتدت سيادته وقتما ما على نجد كلها ، والذي في أيامه هاجر الملك — وكان الأمير الصغير — مع والده إلى الكويت وهو ينحونحوه في طريقة العطاء ، وهو دائماً يقص النصبة الآتية إعجاباً بتصرف الرجل :

وقد شيخ من مشايخ البدو الكبار على محمد بن الرشيد ، فأكرمه وأعطاه شيئاً قليلاً ، وفي نفس الوقت وفد شيخ من مشايخ البدو الصغار — وكان الأخير في وقته يقطع الطرق مع رجال قبيلته في شمال نجد — فأكرمه إكراماً زائداً ، وكساه وأعطاه منحة كبيرة ، فسل محمد بن الرشيد عن هذا التصرف الغريب ؟ فقال : أما الأول فإنه وإن كان قوياً وكبيراً ، ولكنه يحس بما عليه من السئولية ، وإنه يحافظ على مركزه وماله بالولاء لنا . فهو في حاجة إلينا ، وأما الآخر فمثل المصفور ينقل من شجرة إلى أخرى يتصمت صيده ، فنحن في حاجة إلى تأليفه وإرضائه ، وما نكف به شره لا يساوى شيئاً إذا قورن بجانبه لتأديبه وعقوبته .

وللك عبد العزيز وفي لأصدقائه ، محافظ على ودم ، ولا يحب أن يبدأ أحداً بالعداء ،

ويعمل إلى استرضاء الناس واكتساب ودهم متهما كلفه ذلك ، ولكن إذا تيقن أن ليس هنالك من سبيل للصدقة فإنه يعادى — ويعادى بشدة — ولكنه قلما يهاجم خصمه ، فإذا حاجه خصمه فإنه يبذل كل ما يمكنه بذله للقضاء عليه ، وهو في هذه الحالة يأخذ سياسة « الغاية تبرر الوسيلة » .

والملك عبد العزيز طيب القلب ، لا يكاد يضر حقداً . وهو إذا غضب — وغضبه قليل — فإنك ترى أسداً يزار ، أو جلاً يهدر ، وتكاد عينك تكذب أن هذا النضبان هو عبد العزيز بن سعود ، الرضى الخلق الوسيم الوجه . وكثيراً ما كان يحتذر عن التصرفات التي تصدر في حالة غضبه ، كما أنه كثيراً ما يفمر خدمه الذين يصيبهم من شرر غضبه ما ينسبهم ألم ما أصابهم .

وهو متواضع ، طيب المشرة ، رقيق السر ، له جاذبية لمن يعرفه تشبه السحر . وإن لا أذكر أن واحداً من كبار الإنجليز عرفه وعامله إلا أحبه ، ولا يزال له أصدقاء من الإنجليز الذين كان لهم مهم اتصال سياسى . وهو كثير الشبه بمعاوية بن أبى سفيان في حلمه وبعد نظره ، وحسن حيلته في تصرف الأمور .

في سنة ١٩٢٥م كان الملك ابن السعود يظهر إيجابه بالإنجليز — وسعة ملكهم ، وإخلاص رجالهم لبلائهم الجنرال كلايتون ، فقال الجنرال : إن ما ذكرته صحيح ، ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا في مئات السنين ، ولكن ألا يصح لنا — نحن الإنجليز — أن نجلب بك . فإنك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسعاً ، وإذا اطرد لك هذا النتج وهذا التقدم فأظن أنه في نصف المدة التي أسسنا ملكنا تؤسس أنت امبراطورية مثل أو أكبر من امبراطوريتنا . وهذا ليس ببعيد إذا ساعدتكم تصرفات الزمان ، وأخذتم بسنن التقدم ، فإن أسلافكم العرب قد شيدوا امبراطورية عظيمة في مدة قصيرة جداً لم يعرف التاريخ مثلاًها .

فقال الملك : هذه وإن كانت أمنية العرب ، ولكننى لا أعتقد في نفسى القدرة على تحقيق ذلك ، وكل ما أتمناه أن يجعل الله من رجالنا من يماثلكم في الإخلاص والتضحية لبلائهم . والملك ابن سعود بما كان أحلم أمراء العرب ، وأبعدهم عن الانتقام من الموظفين . ولا سيما الموظفين الذين يعرف لهم سوابق خدمة أو إخلاص . فإن هؤلاء أقصى عقوبة لهم العزل

والملك ابن سعود يتساهل في كل شيء إلا ما يمس سيطرته الشخصية ، أو ما يمس مركز حكومته . فإنه لا يتساهل فيه بحال ، وقد يعاد الموزول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العزل تصرفاً يرضى الملك . اتقد عزل الملك أمير الطائف سنة ١٩٢٧ م لشدة ، فلما أن حضر إلى مكة قال له الملك : إننا لم ن عزلك من منصبك لنقص في دينك ، أو شبهة في أمانتك ، ولكننا نحييناك لشدة ، ونحن نريد الذين مع الناس ، فقال له الأمير : الحمد لله لقد ولاك الله على المسلمين وأنت أعلم بمصالحهم ، وأن حرمت من للنصب فإني أمتنع برويتكم صباحاً ومساءً ، وهذا لا يعادله شيء عندي في هذه الدنيا . فخر الملك لهذا الجواب الطيف وواظب هذا الأمير على الحضور إلى مجلس الملك كل يوم ، فلم تمض بضعة أشهر على عزله من الطائف حتى عين أميراً للمدينة .

والملك عبد العزيز من الرجال الصليين الذين لا تفرم مظاهر الأمور . كان علماء الرياض لما اعترضوا عليه سنة ١٣٤٩ هـ ( ١٩٣٠ م ) إذنه بإقامة الاحتفالات لمناسبة عيد جلوسه على عرش الحجاز ، وغالفة ذلك السنة ، أراضاهم بالنزول على رأيهم ؛ لأن ما يتعلق بشخصه لا أهمية له في نظره ، ولكن هذا لم يمنعه من معارضتهم في تصميم المواصلات اللاسلكية في بلاده وتشييدها ، لاعتمادها بخطأ المعلومات التي تصل إلى نجد عن التفراف اللاسلكي من أنه من عمل الشيطان ، وأنها بالعكس ركن من أركان السلم وحفظ الأمن وإنجاز الأعمال .



## أعمال الملك عبد العزيز الـصـوـديـة

لا يقدر مجهودات الملك عبد العزيز حق قدرها إلا الواقفون على أحوال البلاد العربية المتصلون بها ، الخميرون بشؤونها ، الملمون بأحوال سكانها وطرق معيشتهم . إن الذي يعرف بلاد العرب — قبل ثلاثين سنة — عن خيرة شخصية ، أو يقرأ كتب الجوابين من الإنجليز : يعرف ما لهذا الرجل من فضل في استنباط الأمن ، والضرب على أيدي قطاع الطرق من القبائل .

والذي يعرف بلاد العرب وما كانت عليه من نشاحن بين أمرائها ، وحروب مستمرة بين حكامها ، يقدر مجهود هذا الرجل في قطع دابر الخصومات بتوحيد بعض الإمارات المتخاصمة .

واقدر ذكرنا في فصول متفرقة في هذا الكتاب ما له من الأيادي ، كإدخال النظام الصحي الحديث في نجد والأحساء بالإكثار من الأطباء ، وإنشاء المستشفيات المنقلة لمعالجة المرضى ، لأن حالة البلاد المالية لاتساعد على إنشاء مستشفى في كل بلد ، كما أدخل نظام التطعيم ضد الجدري بالرغم من معارضة بعض الـمـعـصـبين ، كما ذكرنا فضله على العمل لنشر التعليم والإكثار من المدارس ، ومكافحة الجهل بكل الوسائل الممكنة ، ولولا قلة المال الذي يعوز كل مشروع إصلاحى لوجدنا البلاد العربية التي يقود سفيتها عبد العزيز أسبق البلاد وأسرعها خطى في طريق التقدم .

والملك عبد العزيز في طريقه الإصلاحى بفضل التزودة والتأني وإعداد الشعب تدريجاً لما يريد له من الإصلاح .

إن كثيراً من القراء لا يدركون الصعوبات التي كان يعانيها الملك عبد العزيز ، ولا العقبات التي كانت تقف في سبيل ما يريد من المشروعات .

لقد مكث الملك عبد العزيز يجاهد ويجاهد في سبيل التأليف والتأليف الاسلامي جهاداً غنياً — مرة مع الإخوان ، وأونة أخرى مع العلماء نحو عشر سنوات — وكان هذا الموضوع من الموضوعات التي أثارته عليه حفيظة الإخوان .

سأقص عليك القصتين التاليتين ، من كثير ، نعرف المحيط الذي كان يشغل فيه الملك عبد العزيز ، ونعرف الصعوبات التي كان يتغلب عليها .

أوفدني جلالة الملك للمدينة سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م مع عالم كبير من علماء نجد لانتعش الإداري والديني ، فجرى ذكر التلغراف اللاسلكي وما يتصل به من المستحبات ، فقال الشيخ : لا شك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجنب ، وقد أخبرني ثقة أن التلغراف اللاسلكي لا يشغل إلا بعد أن تذبح عنده ذبيحة ، ويذكر عليها اسم الشيطان .

ثم أخذ يذكر لي بعض القصص عن استخدام بني آدم للشيطان ، ولم يكن لشرحي لنظرية التلغراف اللاسلكي وتاريخ استكشافه نصيب من إقناع الشيخ ، فلم أجد أي فائدة من وراء البحث . فسكت على مضض .

وفي يوم من الأيام دعاني الشيخ لزيارته لزيارة قبر حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم عند جبل أحد - وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة - فليت الدعوة وسرنا من المدينة بعد صلاة العصر ، وفي أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التلغراف اللاسلكي ، وهنا دار بيني وبين الشيخ الحديث التالي :

سأل الشيخ : لماذا وقفت السيارة ؟ فأجبت . لرى التلغراف اللاسلكي ، فإن كان هنالك ذبائح ودعوة لخير الله ، فإني سأحرقه مهما كانت النتيجة ، فالدين لله لا لابن سعود ، وقد يكون الملك مخدوعاً في أمر هذه التلغرافات ، وتذكر له الأشياء على غير حقيقتها . فقال الشيخ : بارك الله فيك . فدخلت الحطة ، وبعد البحث لم يجد الشيخ أي أثر لمظام الذبائح وقرونها أو صوفها ، ثم أراه الموظف المختص طريقة الخبارة . وفي دقائق تبودلت الخبرات والتحيات بينه وبين جلالة الملك في جدة .

كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة للشك فيما كان يعتقد من عمل الشيطان في الخبرات اللاسلكية ، ولكنه ظن أنني ربما دبرت هذه المكيدة بإيماز الملك ، فزار الشيخ محطة التلغراف بضع مرات منفرداً في أوقات مختلفة ، بدون أن يخبر أحداً بهزمه ، فكان يفاجئ العامل المختص بالزيارة ، ويأله عن كل ما يخفى عليه ، وقد أخبرني الشيخ ونحن في طريق عودتنا إلى مكة ، بأنه يستغفر الله ويتوب إليه مما كان يعتقد ، ويتم به بعض

الناس — وربما كان يقصدني بذلك — ثم ختمت الموضوع بقولي : ما قولكم يا حضرة الشيخ في رواية أولئك النقات ؟ أخشى أن تكون رواياتهم لكم عن أكثر المسائل العلمية كرواياتهم عن البلغراف ! فقال : حسبى الله ونعم الوكيل .

وقد أخبرني جلالة الملك في شعبان سنة ١٣٥١ هـ — ديسمبر سنة ١٩٣٢ م أثناء زيارتي للرياض أن بعض كبار رجال الدين حضروا عنده سنة ١٩٣١ م لما علموا بعزمه على إنشاء محطات لاسلكية في الرياض وبعض المدن الكبيرة في نجد . فقالوا له : يطويل العمر ، لقد غشك من أشار عليك باستعمال البلغراف وإدخاله إلى بلادنا وإن « فلي » سيجر علينا المصائب ، ونخشى أن يسلم بلادنا للإنجليز ، فقال لهم الملك : لقد أخطأتم فلم يغشنا أحد ، واست — والله الحمد — بضعف العقل ، أو قصير النظر لأخضع بخداع المخادعين ، وما « فلي » إلا تاجر . وكان وسيطاً في هذه الصفقة ، وإن بلادنا عزيزة علينا لانسلاها لأحد إلا باليمن الذي استلمناها به . إخواني المشايخ ، أنتم الآن فوق رأسى . تماسكوا ببعضكم ببعض لا تدعوني أهر رأسى فيقع بعضكم أو أكثركم ، وأنتم تعلمون أن من وقع على الأرض لا يمكن أن يوضع فوق رأسى مرة ثانية ؛ مسئلتان لا أسمع فيها كلام أحد ، اظهور فائدتهما لي وإيلادي ، وليس هنالك من دليل أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنع من إحداث اللاسلكى والسيارات .

وعندما وضعت الآلة اللاسلكية في الرياض واستعملت ، كان الناس يفرى بعضهم بعضاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحد بين الخير والشر . وكان العلماء يرسلون من ياتمونهم لزيارة المحطة ورؤية الشياطين والذبابح تقدم لهم ، فلم يجدوا شيئاً .

وقد أخبرني عامل المحطة بأن بعض المشايخ الصغار كانوا يترددون عليه من وقت لآخر نسأله عن موعد زيارة الشياطين . وهل الشيطان الكبير في مكة أو الرياض ؟ وكم عدد أولاده الذين يساعده في مهمة نقل الأخبار ؟ فكان يجيبهم بأن ليس للشياطين دخل في عمله ، وكان بعضهم يفرى بالقرود وأنهم سيكتشون هذا السر . ولكن العامل كان يأخذ الأخبار ويرسلها أمامهم ويخبرهم أن الموضوع صناعى محض . كانت الأيام تعمل عملها في نفوسهم ، ورسائلهم ينقلون إليهم حقيقة ما يرونه وبشاهدونه حتى لسوا فائدة سرعة الأخبار

في فتنة ابن رفاة وعسير . فقد ساعدتم ذلك على قبح الفتنة مبرها ، ولو كان الاعتماد على الجبال لكانت الأخبار لاتصل قبل ٢٥ يوماً أو أكثر ، ومنها في الرجوع ، ولا يعلم إلا الله ماذا يجري من الحوادث أثناء ذلك .

وتذكرنا هذه القصة بما كان يجري في القرون الوسطى في أوروبا ، فهاذا قوبل القائل بدوران الأرض ؟ وبهاذا قابل امبراطور فرنسا ووزرائه الساعة التي أهداها له هرون الرشيد ؟ ألم يفزعوا منها . ولقد حدث مثل هذا في نجد قبل ستين سنة ؟ فإن أول ساعة دقاقة كسرت ، وعدت من عمل الشيطان ، وحدث أن بعض الجبهة أذاع بين الإخوان هذه الفكرة فقامت قيامة الإخوان منكبين على المشايخ استمهاها ، وأن أهل الأحوال فيها أنها بدعة ، فتصدى لهم أحد المشايخ ورد عليهم في رسالة صغيرة سنة ١١٣٤ هـ (١٩١٦ م) وطبعت في مصر سنة ١٩٢٣ .

فهذه القصص وأمثالها ترينا ناحية من نواحي عظمة ابن سمود ، ومقدار ما كان يمانيه من الصعوبات في طريق الإصلاح ، وترينا ناحية من نواحي الكفاح بين القديم والجديد . ومن أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبدالعزيز : مشروع تحضير البادية وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة ، وتعليمهم للبادي الدينية ومكارم الأخلاق . ولما كان هذا المشروع قد شغل قسما من التاريخ النجدى الحديث ، أحببنا أن نفرده الفصل الآتي ، مفضلين التفصيل على الإيجاز .

ولقد امتدت يد الإصلاح إلى كثير من المرافق بعد استكشاف الزيت « البترول » وكثرة إراداته فهدت أنابيب المياه المذبة من وادي فاطمة إلى جدة ، كما بنى صرفاً حديثاً ضخماً لجدة ترسو عليه السفن وفتحت المدارس في كثير من البلدان النائية ، وأرسلت البعثات العلمية إلى مختلف البلدان وهي نهضة تبشر بنجر عظيم .

ولقد توفى الملك العظيم في ٩ نوفمبر ١٩٥٣ وترك الأمانة لخير من يحافظ عليها ويرفع شأنها ، ويحوطها بمن رعايته بجله الأكبر جلالة الملك سعود الأول — حفظه الله — وهو في أول سنة من حكمه أبدى نشاطاً عظيماً في تفقد شئون رعيته والوقوف على ما تحتاجه من عناية .

## الإخوان

إذا ذكر الإخوان على حدود العراق ، أو شرق الأردن ، أو الكويت استولى الرعب على قلوب السكان ، وهب البدو بطوون الصحراء لاثذين بالبلاد القريبة منهم يحمون بحملاتها وأبراجها . فمن هم رسل الذعر والمهلح في بلاد العرب ؟

إن كلمة « الأخ » قد استعملت بمعنى الخليف والمعاهد أول نشأة الإسلام ، فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج من الأنصار وتناسوا ما بينهم من العداة والغصومات ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة عليكم إذ كنتم أعداء فأثف بين قلوبكم فأصبستم بمنهته إخواناً . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »

أما في السنوات الأخيرة : فقد أصبحت علماً على مكان البادية الذين تركوا السكنى في الغمام واستقروا في أما كن معينة ، وبنوا لساكنهم بيوتاً من الطين سميت « حجرة » إشارة إلى أنهم هجروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى محبوبة .

إن أول « حجرة » بنيت هي حجرة الأرطاوية سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م ، وسكانها خليط من قبائل حرب ومطير ، ثم انطنط وسكانها من « عتيبة » ثم « دخنة » وأكثر سكانها من حرب ، ثم « الأجر » وأكثر سكانها من تميم ، وبلغ المهجر نحو ستين حجرة ، ولكن أهمها ما تقدم .

ثم أخذت المهجر تنتشر بسرعة ، وأخذت العشائر تقلد بعضها بعضاً في ترك حياة البادية التي أصبحت تسمى عندهم بالجاهلية كما يسون الحياة الجديدة بالإسلام .

وقد غالى فريق كبير من عتيبة في كره الجاهلية أو حياة البادية ، قرأوا أن من آية الإخلاص لله دينه ، وآية الإيمان الصحيح : التخلص من كل ما يشتم منه رائحة الجاهلية ، فأخذوا يبيعون إبلهم وأغناملهم ، وينتطمسون في « المهجر » للعبادة وسماع السيرة النبوية ، وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ انتشار الإسلام في جزيرة العرب ، فوجدوا

أن حياتهم الأولى تشبه في كثير من الوجوه حياة الجاهلية ، كما أن حياتهم الأخيرة تشبه حالة الإسلام في أيامه الأولى . فعكف أكثرهم على تعلم مبادئ القراءة وحفظ شيء من القرآن والحديث . غير أن هذا الانقلاب كان خطيراً وعنيفاً جداً .

لقد تشرب هؤلاء كثيراً من المبادئ والتعاليم النافضة ، حتى اعتقدوا أنها هي الدين ، وما سواها ضلالة ، كما أساءوا الظن بغيرهم من حضرة نجد ، بل وبولي أمرهم الإمام عبد العزيز . أصبحوا يعتقدون أن لباس العامة هي السنة ، وأن المقال من البدع المنكرة ، بل غالى بعضهم فجعله من لباس الكفار ، ويجب مقاطعة لأبسيه . وكان كثير منهم يعتقد أن لا إسلام لمن لم يسكن الهجرة مها كان عليه من الإسلام ، وترك ضرور البادية وعوائدها ، فلا يبدأون غيرهم من هؤلاء بسلام ، ولا يردون عليهم السلام ، ولا يأكلون ذبائحهم . وذنّب هؤلاء عندهم هو عدم سكني الهجرة .

وكان من عوائد الإخوان إذا قدموا زائرين قاموا في المسجد ، وقالوا : السلام عليكم ( يا إخوان ) إخواننا يسمون عليهم .

وكان فريق منهم يعتقد أن الشايح مقصرون مدهنون لابن سعود ، وقد كتبوا الحق عنه .

وكانوا يعتقدون أن الحضر ضالون ، وأن غزو المجاورين واجب ، وأنه أتى عليهم هذا الواجب من قبل الله . فلا يسمعون كلام أحد في منع النزول .

ولقد نال بعضهم الإمام عبد العزيز ، فرموه بموالة الكفار والتساهل في الدين . وأنكروا عليه تطويل الثياب والشارب ولبس المقال ، إلى غير ذلك من ضرور الجاهلية . وأصبحوا يحرمون كل ما لا يتفق وهوام . وإن سرعان هذه الروح المتمردة يرجع إلى هؤلاء الجاهلة أنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الإخوان باسم العلم ، واقتنوم هذه التعاليم وحببوا إليهم التعصب الذميم .

وربما كانت سنة ١٣٤٥ هـ من أشد السنين في نجد ، إذ كادت تقع فيها فتنة أهلية ، بين الإخوان من جهة ، وبين الحكومة والحضر من جهة أخرى ، واقصد جرد الإمام جيشاً من طلبة العلم المتفقهين في دينهم وأرسلهم إلى الإخوان كي يصلحوا ما أفسد الأولون ، كما أنه انتزع أولئك الذين بذروا بذور الجاهلية والفوضىّة ، ومنهم من السكني في

المهجر . على أن الملك عبد العزيز — وإن نجح في ذلك كثيراً — فإنه لم يتمكن تماماً من استئصال تلك الجذور التي تمكنت من نفوسهم ، ولولا أنهم يخافون سيقه ، ويهابون سلطانه ومسطوته لعدت القوضى جزيرة العرب .

لقد عرفت البدوي حروبهم وفي حياتهم البدوية ، وعرفتهم بعد ما سكنوا المهجر ، وعرفت كثيراً من قاداتهم في جاهليتهم وإسلامهم ، فرأيت أن الدين قد غيرهم تغييراً تاماً . كان البدوي لا يملك إلا النهب والسلب وقطع الطريق . ثم هو بعد هذا السبل من مفاخر البادية . والويل للضعيف في البادية . وكان لسان حالهم يقول « المال مال الله ، يومئذ يومئلك » ، نصبح فقراء ونمسي أغنياء ، ونصبح أغنياء ونمسي فقراء » والقوافل التجارية كانت تحت رحمة البادية ، لا تمر من المنطقة إلا بأناوة أو مجيز .

والبدوي لم يكن أبداً مخاطراً بحياته ، فإذا رأى أن النهب سيكون من ورائه خطر تركه . وكذلك إذا رأى دقاً قوياً من خصمه تركه .

والبدوي لا يعرف قلبه الإخلاص تقريباً ، شيمته الرياء والنفاق ، لا تنفع معه إلا الشدة المشوبة بالعدل ، ولذا فلا يعمل الأسراء كثيراً على عددهم ولا على قوتهم . وكثيراً ما كانوا وبالا على صديقيهم ، فإذا بدرت منه بوادر الهزيمة فانهم يكونون أول الناهبين له . ويحتجون بأنه مادام صديقهم منهوباً ، أو مأخوذاً — كما يقولون — فهم أولى به .

أما الإخوان الآن : فهم حمة الطريق ، يرون حرمة التعدي على المسافرين وابن السبيل ، ويرون للجار والمسلم حرمة ، فالمسلم حرام دمه وماله .

أصبح الإخوان لا يهابون الموت ، بل يتدفعون إليه اندفاعاً ، طائفاً للشهادة وإلقاء الله ، وأصبحت الأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات « جعنا الله وإياك في الجنة » وأصبحت كلمة التشجيع على الحرب « هبت هبوب الجنة وإن أنت ياباغيا » .

وكلماتهم عند الهجوم « إياك نعبد وإياك نقتعين » .

وأقد شاهدت بعض مواعدهم الحربية ، فوجدتهم يقذفون بأنفسهم إلى الموت قذفاً ويتقدمون إلى أعدائهم صفاً صفاً ، ولا يفكر أحدهم في شيء إلا هزيمة العدو وقتله . والإخوان على العموم لا تعرف قلوبهم الرحمة على الأعداء ، ولا يفلت من تحت يدهم أحد . فهم رسل الموت أينما رحلوا .

قد ظهرت قوة الإخوان الحربية في هزيمة أهل الكويت هزيمة منكبة في واقعة «حوض» سنة ١٩١٩ م ، ثم في حصار شيخ الكويت في «الجهرة» سنة ١٩٢٠ م ، وفي إبادة جيش الشريف عبد الله في واقعة «تربة» سنة ١٩١٩ م ، وفي هجومهم المتكرر على العراق والكويت وشرق الأردن .

وبالرغم من أن إمامهم كان ينههم كثيراً عن هذه الغزوات ، وأنه كان دائماً يأمرهم بالرفق وعدم القتل ، وبالرغم من أن علماءهم كانوا يوصونهم دائماً بعدم قتل الأسير أو المستجير ، فانهم لم يصغوا إلى أحد .

وإن من يقرأ رسائل العلماء في الإنكار عليهم ، وعلى أنصاف المتعبدين الذين سمعوا أفكارهم ، يرى أن علماء نجد لم يقصروا في النصيحة ، ويعلم أن ما يأتية بعض الإخوان مما تأباه طبائع العرب ، ولا تقره الشريعة الإسلامية ، لا يصح أن تلقى تبته على علماء نجد أو الملك عبد العزيز .

والإخوان قصص طريفة تدل على بساطتهم وشدة تأثرهم بالدين :

جاء أحد الإخوان إلى أحد المشايخ وسأله عن النفاق ؟ فأخبره بحده الشرعي . ثم سأله عن الخوف في الحرب ؟ فقال له العالم : إذا لم تخط العدو ظهرك فلا يسمى هذا فراراً أو نفاقاً ، فقال : لا ، إن شاء الله لا أعطي العدو ظهري . إن هذا كفر يا شيخ . لا ، إن في قاي نفاقاً . إنى حينما كنت أحم وجددت في نفسي شيئاً من التردد بسبب أزيز الرصاص ، لا بد أن يكون النفاق في جنبي . أخرج النفاق بمصاك أيها الأخ . ولكن الشيخ أقامه بصحبة أن هذا ليس من النفاق أو الكفر أو الهزيمة .

وجاء رجل آخر حاملاً صرة فيها نقود ذهبية وجدها بعد معركة «تربة» ، فسأل الشيخ : هل هي حلال له ؟ فقال الشيخ : إنها من الغنيمة . ولا يحل لك إلا ما سيصيبك بعد القسمة فلهذا من فورهِ لنفولي الغنيمة ، ثم قال : لا والله لا أستحلها . فأين هذا من خلق البادية ؟

إذا وجدك الأخ في الطريق ووجد شاربك طويلاً فإنه يدعوك إلى السنة ، ثم يضع يده على شاربك ويقص الزائد . أما إذا كنت ماراً بالهجرة فإن المعالية تتم قسراً وجزراً لا بطريق النصح والطف .



وكذلك إذا وجدوا الثوب زائداً فإن النقص يعمل عمله في الزائد تنفيذاً للحديث «ما تحت الكعبين في النار» وبالرغم مما يأتيه الإخوان من الخطأ والغلط ، وتجاوزهم حدودهم إزاء الحكومة ، فإن الملك ابن السعود كان يفضي عن أذاهم ، ويحتمل تقديمهم بحلم وصبر ، قلما عرف عن غيره من ملوك العرب . وكان دائماً يقول : إن الإخوان يجب احتالهم . ومهما فعلوا فغالتهم الآن خير من حالهم الأولى . وأما هذه المصيبة والشدة : فالزمن كفيل بتخفيف حدتها .

أما شدة الإخوان في مكة - أول دخولهم لها - فحدث عنها ولا حرج ، فلم تكن هناك أى هيبة للحكومة ، فكل ما يعقده الأخ مفكراً يزيله بنفسه ، ببندقية أو بصاع أو بيده . وكثيراً ما كان الملك ابن السعود ينزل على رأيهم اتقاء لفنته قد تحدث . كما أنه كثيراً ما كان يقبض عليهم بيد من حديد إذا رأى أن السائرة قد تضاف ساطانته في جزيرة العرب .

لأول مرة شاهد الملك ابن السعود التليفون في مكة ، ورأى الفائدة العظيمة التي يؤديها التليفون في إنجاز الأعمال وسرعة المواصلات ، ولما نقل مسكره من الزاهر (الشهداء بقرب مكة) إلى حداء أراد أن يعد سلكا تليفونيا بين مكة وبين حداء ، وسلكا آخر بين الرغامة وبين حداء . حتى يكون على اتصال تام بين مكة ومقره وفي ميدان الحرب . وكنا نقطع المسافة بين مكة وبين مسكره الخاص في ٤ ساعات ذهاباً ، ومنتهاً لمايا ، بالجمال أو الإبل المريمة ، وكانت الخيل تقطع المسافة أيضاً في مثل هذه المدة من الرغامة إلى حداء ، واسكنه عدل أخيراً عن هذه الفكرة . لأن إنشاء التليفون قد يهيج نائرة الإخوان ، فأرجأ هذه المسألة . وكثيراً ما كان الإخوان يقطعون أسلاك التليفون لأنه مفكر يجب إزالته . وكثيراً ما كانوا يعمدون قطع الأسلاك الموصلة إلى قصر ابن السعود أثناء وجوده في مكة . كل هذا كان يتحمله على مضض معتمداً على الزمن . وحدث مرة أن أحد الإخوان ضرب خادماً للملك يركب عجلة (بسكايت) وتسمى باقة نجد (عربة الشيطان) أو (حصان إبليس) بدعوى أنها بدعة ، وأنها تسير بقوة السحر وعمل الشيطان ، بدليل أن الراكب إذا نزل لم تقف ، ولكن الملك أدب هذا المعتدى أدباً أرجعه إلى رشده .

وفي سنة ١٩٢٦ م اضطرت جلالة الملك أن ينزل على رأيهم في إيقاف تلفراف المدينة اللاسلكي ، وهدم بعض المساجد القائمة على القبور ؛ لأنه لم يكن يسهه غير ذلك ، والحكمة كانت تقضى بذلك ، فهو لا يقف أمام التيار ، بل يتركه يسير بطبيعته ، ثم بعد أن تهدأ العاصفة يعمل فكره لضرب خصومه في الظروف المناسبة ، وعند سقوط القرصى للامنة . وكان أشد الناس على الإخوان : الأمير عبد الله بن جلوى حاكم منطقة الاحساء ، فكثيراً وما سمعته يقرع رؤساء بني خالد وآل مرة والمعجمان على شدتهم وغلوهم ، ويقول : إن حالتهم الأولى — على ما فيها من الشرور — خير من حالتهم هذه ، وإن الدين ليس في المأثم . وهو لا يسمح لأحد منهم كأنفا من كان أن تمتد يده إلى أحد من أهل الاحساء ، وإذا تجرأ أحد فجزأه أصرم المقربات ، ولذلك كانوا إذا دخلوا الاحساء للصيرة نزعوا حياءهم وقضوا جوارحهم في هدوء وسكون . ولقد سمعت الأمير عبد الله بن جلوى وغيره من آل سعود وكبار آل الشيخ ينصحون الملك عبد العزيز بالتبصر في غلو الإخوان وخروجهم عن حدودهم ، ولكن الملك كان دائماً يقول : هؤلاء أولادى . وواجبى احتالمهم والتجاوز عن سيئاتهم وخطيئهم ، وبذل النصح لهم ، وإنى لا أئسى أعمالهم وأعتقد أنهم حسنوا النية وسيكشف الحق لهم .

## أول مؤتمر للإخوان

في عيد الفطر سنة ١٣٤٣ هـ — وهو أول عيد لنا في مكة — زرت الشريف خالد بن أوى وأنا والدكتور عبد الله الدموحى . وكان لديه فيصل الدويش وجماعة من الإخوان اجتمعوا هناك بعد صلاة العيد للمباينة على بعضهم ، فخطب الحضور فيصل الدويش ، وهذه عادة من عادات الإخوان . لا تخلو مجالسهم من نصيحة أو عظة ، فقال مخاطباً خالداً وجماعته :

نحمد الله يا خالد ، ويا « الإخوان » على نعمته ، فقد دخلنا بلاد الله الحرام وطردناه الشريف من هذا البيت . إننا جند الله وخدم لدينه ، لا نريد إلا أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر ، ولا نريد إلا رفع الظالم وإزالة البدع والمنكرات .

وإن هذا السيف وهذا الجند سيعمل هذا العمل في كل من يسير في طريق الشريف ويعمل عمله ، فأمن الإخوان كلهم على كلامه .

فكان هذا في الحقيقة أول إنذار من أحد قادة الإخوان ، ولم تمض سنة على هذه الخطبة حتى سمعنا أن هنالك مؤتمراً يعقد في الأرباطية ، حضره رؤساء الإخوان من مطير وعنتبة والمجنان ، تعاهدوا فيه على نصره دين الله والجهاد في سبيله ، ثم أنكروا صراحة على الملك عبد العزيز :

أولاً : إرسال ولده سعود إلى مصر .

ثانياً : إرسال ولده فيصل إلى لندن بلد الشرك .

ثالثاً : استخدام السيارات والتلفونات والتليفونات .

رابعاً : الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد .

خامساً : الاحتجاج على إذنه لعشائر العراق وشرق الأردن بالرعي في أراضي المسلمين .

سادساً : الاحتجاج على منع للتجارة مع الكويت ؛ لأن أهل الكويت : إن كانوا كفاراً حوربوا ، وإن كانوا مسلمين فلماذا المقاطعة ؟ .

سابعاً : النظر في شيمة الأحياء والقطيف ، وإجبارهم على الدخول في دين أهل السنة والجماعة .

لقد مجل الملك عبد العزيز بالرجوع من الحجاز إلى نجد عن طريق المدينة ليعالج الحالة بحكمته ، فدعا زعماء الإخوان إلى مؤتمر أمر بمقده في الرياض في ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥ هـ — يناير سنة ١٩٢٧ م ، وقد ادى الدعوة جميع زعماء الإخوان ما عدا سلطان ابن بجاد . وفي هذا الاجتماع شرح الملك عبد العزيز موقفه شرعاً وادعياً ، فوصف نفسه بأنه خادم الشريعة ، يحافظ عليها أتم المحافظة ، وأنه هو الذي يهدونه من قبل لم يتغير . كما يتوهم بعض الناس ، ولا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين .

وقد انتهى هذا الاجتماع بالتفوي الشهيرة التي أصدرها علماء نجد في صدد المسائل التي كانت سبب تشويش الإخوان ، وأعلن الحاضرون تعلقهم بإمامهم وملكهم ، وبايعوه بالملكبة على نجد ، فأصبح لقبه الرسمي « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » وفيما يلي نص التفوي :

من محمد بن عبد اللطيف ، وسعد بن عتيق ، وسليمان بن سفيان ، وعبد الله بن عبد العزيز المتيق ، وعبد الله المنقري ، وعمر بن سليم . وصالح بن عبد العزيز ، وعبد الله بن حسن ، وعبد الله بن عبد اللطيف ، وعمر بن عبد اللطيف ، ومحمد بن إبراهيم ، ومحمد بن عبد الله ، وعبد الله بن زاحم ، ومحمد بن عثمان الشاوي ، وعبد العزيز المنقري ، إلى من يراه من إخواننا المسلمين . سلك الله بنا وبهم الطريق المستقيم . وجئنا وإياهم طريق أهل الجحيم ، آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد ورد علينا من الإمام — سلمه الله تعالى — سؤال من بعض الإخوان عن مسائل يطلب منا الجواب عنها ، فأجبناه بما نصه :  
أما مسألة البرق <sup>(١)</sup> فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان . ولا نعلم حقيقته ، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم ، فتوقفنا في مسألته ، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم ، والجزم بالإباحة والتحریم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته . وأما مسجد حرة وأبي رشيد فأفتينا الإمام — وفقه الله — بهدئهما على الفور . وأما القوانين : فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً . ولا يحكم إلا بالشرع المظهر . وأما دخول الحاج المصري بالسلاح والقوة في بلد الله الحرام : فأفتينا الإمام بمنعهم من الدخول بالسلاح والقوة ، ومن إظهارهم الشرك وجميع المنكرات . وأما المحمل : فأفتينا بمنعه من دخول المسجد الحرام ، ومن تمكين أحد أن يتسبح به أو يقبله ، وما يفعله أهله من الملاحى والمنكرات بمنعهم منها . وأما منعه عن مكة بالكلية : فإن أمكن بلا مفسدة تميم ، وإلا فاحتمال أحد الفسدين لدفع أعلاهما سائغ شرعاً . وأما الرافضة : فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام ، ومنعهم من إظهار شعار دينهم الباطل ، وعلى الإمام أيضاً أن يلزم نائبه على الأحساء أن يحضرم هند الشيخ ابن بشر ، ويباعوه على دين الله ورسوله ، وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم ، وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على مآتهم وغيرها مما يقيمون به شعار مذهبهم الباطل ، ويمنعون من زيارة المشاهد ، كذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس وغيرهم في المساجد . ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة . ويلزمون بتعليم ثلاثة الأصول

وكذلك إن كان لم يحال مبنية لإقامة البدع تهدم ، ويمنون من إقامة البدع في المساجد وغيرها . ومن أتى قبول ما ذكر بنى من بلاد المسلمين . وأما الراضة من أهل القطيف : فيأزم الإمام — أيده الله — الشيخ ابن بشر أن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا . وأما البوادي والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين : فأفتينا الإمام أن يبحث لهم دعاة ومعلمين . ويلزم نوابه من الأمراء في كل ناحية بمساعدة المذكورين على إلزامهم بشرائع الإسلام ، ومنهم من الهرمات . وأما راضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بأدية المسلمين : فأفتينا الإمام بكنهم عن الدخول في مراتع المسلمين وأرضهم . وأما المكوس : فأفتينا أنها من الهرمات الظاهرة ، فإن تركها فهو الواجب عليه ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا طاعة المسلمين واغترج عن طاعته من أجلها . وأما الجهاد : فهو محمول إلى نظر الإمام ، وعليه أن يراعى ما هو الأصلح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة الفراء . ونسأل الله لنا وله ولهم ولكافة المسلمين التوفيق والمداية ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

[ حرر في ٨ شعبان سنة ١٢٤٥ هـ ]

إزاء هذه الفتوى اضطر الملك إلى عدم قبول الحمل ، كما اضطر إلى هدم مسجد حمزة ، وتعطيل التلغراف اللاسلكي . فعمل بذلك على تلافى الفتنة أو تأجيل وقتها .

لمرض الدويش — وهو أول رأس مذبذبة الإخوان — أن يحبط ابن سعود عمله وتديره فوضه أمام مشكلة جديدة . وذلك أنه أرسل قوة صغيرة في أكتوبر سنة ١٩٢٧ م قتلت عمال مخفر بخصية على الحدود العراقية النجدية ، وقتلت بضعة أنصار من الشرطة كانوا مع المال ، فأدى هذا العمل إلى إنذار السلطات البريطانية في العراق للمشاير التي على الحدود بالابتعاد إلى داخل نجد ، ثم هجوم الطائرات البريطانية واشتباها مع المشائر النجدية نحو ثلاثة أشهر ، فرأت الحكومة البريطانية — بعد مفاوضات مع جلالة الملك عبد العزيز — إيفاد السير جابر كلابتون لحل المشاكل القائمة . وقد رأى جلالة الملك أن يعقد مؤتمر برتبة في أبريل سنة ١٩٢٨ م تهدئة نائرة الإخوان وإفهامهم أنه يشاركهم الرأي في سخطهم على بناء الخافر على الحدود ، ولكنه يرى الأفضل حسم المشكل بطريق المفاوضات وأخبرهم أنه مسافر إلى جدة للاجتماع بالمفاوض البريطاني ، ووعدهم بالاجتماع معهم في الرياض بعد رجوعه من الحجاز ، ومفاوضة الحكومة البريطانية ، لإيقانهم على جليلة

الأمر ، غير أن المفاوضات البريطانية لم تسفر عن قبول وجهة النظر النجدية . وأصررت هي والحكومة العراقية على موقفيهما في بناء الخافر .

رجع الملك عبد العزيز من الحجاز إلى الرياض . فوصلها في ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وأمر بعقد المؤتمر النجدي — أو الجمعية العمومية — كما سمّتها أم القرى في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ م .

اجتمعت الجمعية العمومية في أحد أروقة القصر الداخلية . وكان عدد الحاضرين نحو ٨٠٠ من علماء ورؤساء حضر وبدو . ولم يحضر الدويش ولا ابن بجاد هذا المؤتمر . وقد انتخب الملك المؤتمر بخطبة شرح فيها تاريخه في نجد من بدء استرداد الرياض إلى الوقت الحاضر ، وأعماله في توحيد الجزيرة ، وتأمين الطرق ، والإخاء بين العشائر . وبعد أن انتهى من خطبته عرض على الحاضرين تنازله عن العرش ، ووجوب اختيار غيره من آل سعود ، وأنه يهادمهم أنه سياعد من يختارونه . وأخبرهم أيضاً بنتيجة المفاوضات البريطانية وتمكك الإنجليز بالنيابة ، ولكنه ألقى على الدويش مسئولية بناء الخافر بسبب تعديه على الحدود العراقية من وقت لآخر .

أما مسألة التنازل عن العرش : فلم تقبل بالطبع ، لأنهم يعلمون أن ابن سعود لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمونة الله ثم سيفه ، ولذا فقد يأموه مرة أخرى على السمع والطاعة والسير وراءه . وفي الواقع لم يكن الملك يرى في هذا المؤتمر إلا إلى اجتماع كلة النجديين وإنارة هميتهم ضد الإخوان المتطرفين . وهذا الناحية قد نجح فيها نجاحاً تاماً .

أما الإخوان المتطرفون الذين اتفقوا حول ابن بجاد وفصل الدويش وابن خثيلين : فإنهم لم يأبهوا لهذا المؤتمر . وقد أذاعوا في المهجر أنهم قأمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي كاد يهدمها ابن سعود ، وأن ابن سعود طالب ملك ، وموال للكفار ، وشر يك لهم في جميع الأعمال ، وأنهموا هذا التهديد بالإغارة على حدود الكويت والبراق أحياناً ، ونهب القوافل النجدية أيضاً .

وقد أثبتت حوادث ثورة الإخوان أنه لا يزال للمصيبة شأن كبير في جزيرة العرب . فإن كثيراً من الإخوان الذين حضروا الجمعية العمومية من مطير والمجنان وعتيبة كانوا

تحت لواء الدويش وابن خثيلين في الثورة بالرغم من مبايعتهم وعهودهم التي قطعوها الملك ابن السمود ، ثم أخذوا يعتمدون على السابلة بدون أن يفرقوا بين أهل نجد وغيرهم ، وأخذوا يحملون السيف في رقاب من ترقعه الأقدار تحت أيديهم لأهم كفره .

لم يستطع الملك ابن السمود صبراً على هذه الحالة التي أصبحت تهدد البنيان الذي أسسه في ثلاثين سنة . فاستحث أهل نجد عليهم ، وكلهم ناظم عليهم ، بل أكثرهم كان ناقداً لسياسة ابن السمود في ملايتهم وإرخاء الجبل لهم .

اجتمع أهل نجد حول راية ابن السمود في القصيم . كما اجتمع حوله كثير من الإخوان — حرب ، وقحطان ، وبعض من مطير وعتيبة — الناقين على الدويش وابن حميد . فلما أن علم الإخوان بوصول ابن سمود إلى بريدة اجتمعوا كلهم بعد ما كانوا مشفقين ، وصمموا على مهاجمة ابن السمود ، وهم وانتمون من الفوز تمام الثقة . ولقد كان مع ابن سمود سلاح آخر لا يقل عن سلاح الجند . وهم العلماء ، والسكن العاصين لم يعودوا يتقنون حتى بالعلماء . استمرت المفاوضات بين ابن السمود وبين الإخوان مدة ، والملك يقرب بمجنوده منهم حتى تقارب الجيشان في السبيلة قرب الزاقي .

### ابن بجاد يرسل رسولا إلى ابن سمود

ثم أرسل ابن بجاد رسولا إلى ابن سمود في مسكره ، فدخل الرسول يحمل كتاباً إلى ابن سمود ، فلم يسلم هذا الرسول على الملك لأنه مبتدع في زعمهم . إنها لكبيرة ، وهل يصبر ابن السمود على هذه الإهانة ؟

— من أنت ؟ ألت ماجد بن خثيلة ؟ وأخذ يسرد عليه تاريخه . ويقرعه ، ويقول : أتدخل علي ولا تسلم ؟ اذهب من فورك إلى الذي أرسلاك . وأخبره أنما قادمون للهجوم عليهم غداً ، فإذا أرادوا أن يحرقوا دماهم فليستسلموا بلا قيد ولا شرط ، والشرعية هي الحكم بيني وبينهم ، وهؤلاء العلماء حاضرون . قم واذهب إلى رفيقك .

وقد أخبرني ماجد — وكان كالوزير لابن بجاد — بأنه أشار عليه بتقديم خضوعه إلى إمامه قبل أن يحم القضاء ، لأن ابن سمود ليس هو الرجل الدين الذي كانوا يمهّدونه ، والسكن الدويش

طلب منهم أن يذهب هو بنفسه ليرى جاية الأمر . وأخبرهم أنه إذا لم يرجع إليهم مساء .  
يكون ابن سمود قد اعتقله .

وصل الدويش إلى المعسكر . ثم أخذ يتماق الملك ومن معه . وأظهر استمداه للتسليم  
وأنه ليس على رأى ابن حميد ، وأنه سيبيت عندهم ، فقال له الملك : قم فقم عند قومك  
ومعدكم غداً بعد شروق الشمس ، وإن كنت صادقاً فتفتح عن الجماعة ، وإن لم تكن  
صادقاً فسترى وخامة العاقبة ، والله ولى الصابرين .

— ماذا رأيت ( يا الدويش ؟ ) سؤال وجه إليه من أركان حرب الإخوان .

— ماذا رأيت ؟ رأيت حضرياً ترتعد فرائسه من الخوف ، وليس حوله إلا طبايخ  
( طهاة ) لا يعرفون إلا النوم على الدواشع ( المراتب ) ابشروا يا إخوان . لقد وجدت  
لديهم خللاً كثيراً وأموالاً عظيمة ، فأبشروا بالكسب والغنيمة ، وسنمهر هذا الطاغوت  
غداً ونستولى على ماله . هذه رواية بعض الإخوان الذين كانوا مع المصاة .

وفي اليوم الثانى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩ م هاجمت جيوش الملك ابن السمود جنود  
الإخوان ، وحلت عليهم حملة عنيفة لم يقدروا على ردها ، ولم يتصرف النهار حتى ولى  
الإخوان الأدبار ، فصر ابن بجاد من الحركة . وحل الدويش جريحاً إلى الملك يحوط به بقاته  
وزوجته وهن يبكين يستشفعن فيه ، ففاثر الملك من هذا المنظر وعقا عن الدويش الذى  
عاهد على السمع والطاعة بعد ذلك ، وبعد ثلاثة أيام استسلم ابن بجاد فى شقراً ، فأمر  
الملك بسجنه . لأنه كان خطراً على الأمن ، ولا يأمن شره من الانتفاض ، ثم أمر الملك ولده  
وأخاه بتأديب المصاة حسب درجاتهم ، كما أمر ابن جلوى بتأديب العجبان .

## الثورة تعود مرة أخرى

رجع الملك إلى الحجاز بعد أن قهر الإخوان ، غير أن الضربة لم تكن فاصلة . فإن  
الدويش الذى كان يظن أنه سيموت متأثراً من جراحه قد برى ، وبدلاً من أن يعود إلى  
صوابه ويستغفر الله مما ارتكب ، ظن أن ابن سمود قد يقبض عليه ويأقيه فى غياهب  
السجن مثل ابن بجاد وجماعته . فترك الأوطاربة واستقر بين الكويت والاحساء ،



وانضم إليه المجاهد بعد أن قُتل زعيمهم بيد فهد بن جلوى ، وبعد أن قتلوا هم أيضاً قهراً انتقاماً لزعيمهم ، وأخذوا يعيشون في الأرض فساداً ، تارة جنوباً وتارة شمالاً ، ولم يقتصر أمرهم على النهب والسلب ، بل تعداه إلى قتل الشيب والنساء والأطفال .

عادت الثورة أشد مما كانت ، فمقيبة انتشرت بين نجد والحجاز ، وفصلوا الملكيين بمضهما عن بعض ، وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والرياض وخليج فارس . غير أن أهل نجد — لاسيما الحاضرة — لا تحمل في قلبها إلا الإخلاص والولاء لإمامها ومليكها لتواضعه وكرمه وسهره على مصالحهم ، وتفانيه في الدفاع عنهم ، وقد كون منهم أمة لها نصيبها من الحياة تحت الشمس .

وهل كانوا يقومون عليه إلا تساهله مع الإخوان ، وغضه الطرف عن مساوئهم ؟ إن الفرصة قد سحبت لتقليم أظافر القوضى ودعائها .

أخذ الملك عبد العزيز يبالغ الموقف بما عرف عنه من سمة الحيلة وبمد النظر ، فقوى الحاميات في الاحساء والقطيف وحائل ، ثم أخذ يجمع الجند فأرسل قوة كبيرة من الرياض يسندوها القسم الموالي من عتيبة . وضرب عتيبة ضربة لا تقوم لها قائمة بعدها ، وصادر جهالم وسلاحهم ، وترك لهم الضروري لحياتهم ، والتقى ابن مساعد بعبد العزيز بن فيصل الدويش في أم الرضمة ، فوقعت بين الفريقين موقعة دامية قتل فيها ولد الدويش ، ولم يفلت من المصاة سوى بضعة أنفار . وهؤلاء كانوا أنضل رجال مطير الحرييين ، ففقت هاتان الضربتان من عضد الدويش وهزته هزاً عنيفاً ، وأيقن أنه مقضى عليه لا محالة . ولكن كيف يكون المصير ؟

### الدويش يطلب الصلح

أخذت الرسل تصدو بين الرياض وبين الدويش لطالب الأمان ، ولكن الملك أصر على التسليم بلا قيد ولا شرط ، ثم الخضوع لحكم الشريعة ، وأنه يعد بالعفو عن حياة الدويش فقط .

خرج الملك يقود القوات بنفسه مستحيماً هذه المرة بالسيارات والدفاع الرشاشة .

وفي ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ م هجم على الدويش مَحْسِنُ الْفَرَم (من حرب) من الإخوان ،  
ومعه عربات العراق ، ابن طَوَّالَة وابن سُويط ، وهؤلاء كانوا موتورين من الدويش ،  
فانتهزوا الفرصة السانحة للانتقام قرب الحفر . ونهبوه وأشعلوا النار في خيمة الدويش ،  
وهؤلاء لم يكن لهم علم بوجود الملك ابن السعود قرب آصافة<sup>(١)</sup> .

وكان الدويش — حتى تلك الساعة — يكذب بوجود ابن السعود في آصافة ، ويقول :  
إنه يستحيل أن يقدم ابن سعود . لأن نجداً تحل وليس هناك ما ينقل عليه ابن سعود قوته .  
ومع أني أنا الذي أذعت الخبر إذ كنت بالكويت أمثل ابن السعود لدى السلطات  
الإنجليزية ، ومع أن الخبر وصل إلينا بسيارات خاصة ، فإن الدويش كذب هذه الأخبار  
حتى لا ينفذ من حوله العشائر والطامعون في النهب والسلب ، ولكن بالرغم من تكذيب  
الدويش هذه الأخبار ، فإن الأخبار انتشرت في جميع القبائل المشتركة منه في المصيان  
وأيقنوا أن ليس في طاقتهم المقاومة ، ففرقوا من حول الدويش كما لجأ بعضهم إلى  
الحدود العراقية ، وفر بعضهم إلى نجد ، واستسلم الدويش وبعض رؤساء مطير والمجبان  
إلى السلطات الإنجليزية التي كانت بالجمهرة في ٩ يناير سنة ١٩٣٠ م .

### مؤتمر خَبَارِي وَأَصْحَة<sup>(٢)</sup>

كانت المفاوضات منذ سنة تقريباً بين الملك ابن السعود والحكومة البريطانية  
بخصوص العصاة ، وطلب تسليمهم إذا لجأوا إلى حدود العراق والكويت ، وها هم  
الإخوان قد استسلموا الآن .

أوفدت الحكومة البريطانية في ١٩ يناير سنة ١٩٣٠ م الكولونيل بيسكو رئيس  
قناصل خليج فارس يساعده الكولونيل ديكسون قنصل الكويت ، وفي عشرين منه  
سافرت على الطائرة فيكتوريا مع اليمنة إلى خَبَارِي وَأَصْحَة في جنوبي الكويت حيث  
عقد المؤتمر . واستمر المؤتمر منعقداً نحو أسبوع ، انتهى بموافقة الحكومة البريطانية على

(١) اسم لما .

(٢) اسم مكان .

تسلم الدويش ورقاقه على أن يبقى الملك على حياتهم ، وعلى أن يقصد تسليم الشهوات التي تهبها من أهل الكويت والعراق .

وفي يوم ٢٨ يناير وصل الكولونيل ديكسون وقائد البارجة الحربية في طائرة إنجليزية ومعه الدويش ورقاقه المعتقلون ، فاستقبلتهم بالنيابة عن جلالة الملك ، ثم أخذتهم السيارات إلى خيمة جلالة الملك .

### الدويش في حضرة ابن سعود

وصل الدويش إلى خيمة جلالة الملك بعد أن اخترق المسكر ، ولم يسمع اللغات التي كانت تصب عليه بسبب ضجيج حركة السيارة . دخلنا خيمة جلالة الملك فقدمت قائد البارجة إلى جلالتهم ، ثم الكولونيل ديكسون بالنيابة عن حكومة بريطانيا ، وأنهم قدموا ليلسوا الدويش ورقاقه إلى جلالة الملك ، فشكرهم وشكر الحكومة البريطانية على صداقتها ومودتها ، وأنها في كل يوم تقيم له برهاناً جديداً على مودتها الوطيدة ... ثم انصرفوا .

أقد رأيت الدويش هذا اليوم ، ورأيت صراراً يزور الملك في الرياض ، فما أعظم الفرق بين الحالتين ! كان الدويش حينما يقدم على الرياض يصحبه نحو ١٥٠ رجلاً مسلحاً ، يدخلها كقائد كبير ، وكرجل عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعلماؤها وملوك نجد ، إذا جلس لا يجلس إلا بجوار ابن سعود ، يمتدحه الملك كصديق قديم وقائد من قوادده العظام . أما غطرسة الدويش وجفاؤه وترفعه عن السلام على أي مخلوق يضمه القصر — ما عدا العلماء طبعاً — فحدث عنها ولا حرج ، وكان كل من يعرف الدويش في الجاهلية ، ويعرف أخلاقه الشخصية ، يهزم بأنه منافق في دينه ، وأن ما يظهره من الشدة والنفور مصطنع . أما إذا استأذن الدويش الملك في الرجوع إلى الأوطان فإن القائمة التي اعتاد تقديمها لذلك تبدي من حبال الآبار ونعاله إلى السلاح والجواري وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود ، وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات ، ولكن قائمته تكون محلاً لرفض أو التحويل ، أما قائمته الدويش فلا يدخلها أي تحويل أو تعديل .

اليوم يقف الدويش ذليلاً أمام الملك ابن السعود وأمام قواد الجيش ، وكلهم كانوا بالأمس دونه منزلة .

## ابن السعود يخاطب الدويش

إنك تعلم يا فيصل ما عملت معك في الماضي ، ما قصرت في شيء نحوكم ، لقد كنت في حرب دأمة مع أهل نجد من أجلكم ، فهل هذا جزائي منكم ؟ هل كنتم تريدون الملك ؟ لقد كنتم كلكم ملوكاً في الجهات التي كنتم فيها ، من منكم له الفضل على ؟ الفضل لله وحده . من منكم لم آخذه بسيفي ؟ نيس منكم إلا من قتل أباه أو أخاه ، ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف . قد كنت أفتد رغائبكم . فكنت أشقى لأجلكم ، وأواصل الليل بالنهار لراحتكم وسعادتكم . ألا تخاف الله حينما تكتب إجْلُوب<sup>(١)</sup> : أنك تريد الهجرة للعراق ، وأنتك تحب أن تكون تابعاً له ؟ فهل تظن أنك كنت ستكون في منزلة أعلى من منزلتك التي كنت عندي فيها ؟

## الدويش يتكلم

— يعلم الله يا عبد العزيز أنك لم تقصر معنا ، وقد فمت كل ما يبض وجهك ، وقد قابلنا معروفتك بالإساءة ، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار . حملونا إليك في طائرة من طياراتهم ، ويكفي ما أشعر به من الهوان والصغار أمام الإخوان بعد ما كنت عزيزاً محترماً . قاتل الله الشيطان ! لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا . فأرسلنا إلى ما أصبحنا فيه الآن ! فأمر الملك أن ينقل الدويش وزملائه إلى خيمة قريبة منه وأحاطها بالحرس ، وبعد ثلاثة أيام نقلوا إلى الرياض في سيارات حيث اعتقلوا فيها . وبصح أن تعتبر هذه الحركة من المعارك الفاصلة بين القوضى والنظام ، ونصراً للتقدم على الرجعية ؛ ولا نسل عن مرور أهل نجد والحجاز . فهؤلاء قد قاسوا الشيء الكثير من تعذيبهم وإساعتهم وغلوهم .

( ١ ) إجْلُوب : الفتن الإدارية على الحدود ، وهو قائد الجيش الأردني اليوم .

أما الملك عبد العزيز : فإن سروره قد عبر عنه بمثلين في خيمته بعد تسليم الدويش :  
« من اليوم سنحيا حياة جديدة »

نعم إن الملك ابن سعود قد حيى حياة جديدة ، فقد ربط بلاده بالتطورات  
اللاسلكية ، وربط مكة والرياض بالتلفون اللاسلكي . ولم يعد للإخوان ذلك السلطان  
القاهر ، وأصبح شأنهم شأن غيرهم من الرعية .

ولقد عانت حركة الإخوان الأخيرة تقدم المشروع الأصلي ، وهو تخضير البادية ، فإننا  
لم نسمع منذ سنة ١٩٣٠ م أن قبيلة من القبائل رغبت في سكنى جهة من الجهات ، على  
أن حركة وعظ البادية وإرشادهم إلى مبادئ الدين وكمال الأخلاق لا تزال سائرة في  
طريقها ، وبذلك يعمل الملك عبد العزيز لاستئصال شرور البادية بالسيف من جهة ،  
والعلم من جهة أخرى

وبالجملة فإن حركة الإصلاح الموجودة الآن في جزيرة العرب هي غرس يد هذا  
الرجل الفذ الذي كان — رحمه الله — يراها برعايته وعنايته حسب موارد بلاده المادية ،  
وحسب استعداد أمته وشعبه لقبول الإصلاح .

ولا نشك أن خلفه جلالة الملك سعود — يحذو حذو أبيه في خطته الإصلاحية . وأصل  
الظروف المواتية للملك سعود مساعدة له أكثر مما كانت في عهد والده رحمه الله . فقد مهد  
والده الطريق . وأزال كثيرا من العقبات والصعوبات التي كانت تعترض طريق  
الإصلاح . وسيجعل الله نجاح جلالة سعود بذلك أوفر ، وتقدم البلاد إلى الحياة المليحة  
الأمم أنشأه إن شاء الله .

## الدعوة الإصلاحية في نجد

نرى واجباً علينا أن نتحدث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدور الإصلاحى العظيم الذى قام به فى نجد ، ونعهد لذلك بذكر نبذة يسيرة عن حياة مصاح عظيم آخر : هو أحمد بن تيمية الذى قام فى القرن السابع الهجرى وأوائل القرن الثامن سنة ٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ ، لما بين الرجلين من التشابه العظيم فى الدعوة إلى الحق ، ولأن ابن تيمية كان المثل الأعلى للمصلح النجدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كان الإمام ابن تيمية آية من الآيات فى فهم الشريعة الإسلامية وأسرارها ، كما كان آية فى رفع علم الدعوة إلى الحق ، واحتمال كل أذى فى هذا السبيل .

كان ابن تيمية شجاعاً لا يخشى إلا الله ، ولا يخاف سطوة سلطان ، وعقيدته : من كان مع الله كان الله معه ؛ وله مواقف معروفة فى غزوات الأتراك هزمهم على الشام كانت الدعوة التى يذمها إليها ابن تيمية ترمى إلى ما يأتى .

(١) الرجوع إلى الكتاب والسنة فى كل شأن من شئون الحياة ، واتباع سبيل السلف الصالح فى فهم آيات وأحاديث الصفات ، وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين والصوفية ، حيث إنها لا تنفق مع الروح السلفية القديمة .

(٢) محاربة البدع والمفكرات . ولا سيما ما كانت وسيلة للشرك ، أو شركاً ، كالتمسح بالقبور والصلاة عندها ، وطلب الحاجة منها ، والاستعانة أو الاستغاثة بغير الله ، والتبرك بالأشجار والأحجار التى يعتقد فيها العامة الخبز أو دفع الشر .

(٣) ترك القلوفى الرسول صلى الله عليه وسلم وتمظيمه بالهدوء بهديه واتباع رسالته .

(٤) فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، وإعلان الحرب على التقليدين المتصبيين .

هذه هى الأسس التى قامت عليها دعوة ابن تيمية ، والتى وثق عليها حياته ، وهى نفس الأسس التى قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نجد .

أثارت دعوة ابن تيمية - فى الشام ومصر - ثائرة التقليدين وأرباب الطرق الصوفية عليه ،

كما أثارت أيضاً نائرة المتصبيين للتكلمين والفلاسفة ، وأكثرهم من النضاة وأهل المناصب في الدولة وذوى النفوذ فيها ، فأغروا صدور الأمراء عليه ، وصوروه خطراً على مستقبل الدولة ، وأن أمره قد يهزم كآبن تومرت في المغرب . فيصبح صاحب الخول والطول ، فيضمحل نفوذهم أمام نفوذه . وفي كل زمن لا يجد الخوصوم ذوو الضائر الميتة سبيلا إلى النكابة بمخصومهم إلا القوسل بوسائل الخوف على المملكة وسلامتها وأمن الدولة ، وغير ذلك من الوسائل التي تمس الناحية الحساسة في الأمراء ، ومن من الأمراء يسمع أن حياته ومملكته في خطر من شخص ويشمخ عينه عن هذا الشخص ؟ إن كثيراً منهم في سبيل الملك يقتلون الإخوة والأقارب ، ولا يردعهم رحم أو يؤنبهم ضمير ، فهل يسكتون عن رجل أجنبي ؟

تعتبر سنة ٧٠٥ هـ بدء عهد الاضطهاد لابن تيمية ، ففي هذه السنة اجتمع العلماء لمباحنة ابن تيمية في قصر نائب السلطنة ، غير أن هذه المجالس كانت في صف ابن تيمية ، لأن نائب السلطنة كان يؤيده ويأخذ بناصره .

وأخيراً لم يسع نائب السلطنة في الشام إلا أن يرسل الإمام ابن تيمية إلى مصر حسب أمر السلطان الجاشنكير ، فلأن دسائس الصوفية وخصوم ابن تيمية قد ملأت قلب السلطان حقداً وغضباً على الرجل .

وصل ابن تيمية مصر في رمضان سنة ٧٠٥ هـ . فأحضر أمام العلماء للناظرة وكلمهم من خصومه ، وهل تكون أمثال هذه الناظرات وسيلة من وسائل الإقناع أو الرجوع من الخطأ ؟ أدخل الشيخ ابن تيمية السجن لأنه امتنع عن الإجابة . لأن القاضي ابن مخلوف المالكي الذي كانت الدعوى أمامه كان من خصوم ابن تيمية .

وقد أعيدت الناظرات عدة مرات بدون طائل ، وبعد ثمانية عشر شهراً أخرج من السجن . فعاد إلى الدعوة الإصلاحية ، وأعاد الكرة على الصوفية وزعمائهم : ابن سبعين وابن عربي وأشباهم ، كاشن القارة على سائر البتدعة ، فاعتقل ثانية في شوال سنة ٧٠٧ هـ ، وفي السجن اشتغل بإصلاح الساجين ، وترك مام فيه من العبث وإضاعة الوقت . حتى اشتهر أمره ، وصار الناس يترددون على السجن لاستماع وعظه ودعوته ، فقتل إلى الإسكندرية وضيق عليه ، ومنع الناس من الاختلاط به والتردد عليه . خشية انتشار دعوته الإصلاحية .

وفي ٨ شوال سنة ٧٠٩ هـ أطلق مراح الشيخ ابن تيمية من برج الاسكندرية وأرسل إلى القاهرة ، إجابة لرغبة السلطان الملك الناصر الذي تطلب على خصومه نفيه إليه ، فأقام بالقاهرة داعياً إلى مقاومة البدع ووجوب الرجوع إلى الله في كل الملمات ، وترك البدع التي تقام على القبور لمخافتها للتوحيد الذي جاء به النبي الكريم .

وفي ذي القعدة سنة ٧١٢ هـ رجع الشيخ إلى دمشق بعد أن تنبأ عنها سبع سنوات ، فكان يوم رجوعه إلى دمشق يوماً مشهوداً . خرج فيه لاستقباله مريدوه والناصرين لدعوته في خلق كثير .

وفي دمشق استأنف الشيخ دعوته الإصلاحية بنشاط . وعكف على نشر دعوة التوحيد ومقاومة المبتدعة والرجوع إلى الكتاب والسنة . وقد كان يفتي بمائل مختلف من رأى الأئمة الأربعة ، ولكنها في نظره تنفق مع نصوص الكتاب والسنة ، ومع من الأئمة الآخرين ، وهو يعتقد أن هذا الرأي أقرب إلى السنة .

لقد كان طبيعياً أن يشور الرجعيون الجامدون والمتعصبون للقبور والتصوفة على الشيخ ، كما ناروا عليه بالأمس . وكان طبيعياً أن تعود المناظرات مع الشيخ مرة أخرى .

واقترح أراد الله أن تنقلب قوة خصوم الشيخ ابن تيمية ، وهم أهل الحل والعقد في الدولة ، وأخيراً حبس الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٠ هـ ثم أطلق مراحه بعد خمسة أشهر ونصف . فعاد إلى ما عاهد الله عليه من الدعوة إلى الله والرجوع إلى الكتاب والسنة فنألب عليه خصومه مرة أخرى ، ووجدوا الفرصة سانحة للبل من الشيخ واتهامه بعدم احترام الأنبياء والصالحين ، لأن الشيخ أفتى بتحريم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فلا تشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين .

لقد اجتمعت كلمة خصوم الشيخ على القضاء عليه وعلى الدعوة التي قام بها ، فطلبوا من السلطان قبله . فلم يوافقهم على طلبهم ، ولكنه اكتفى بحجبه انتفاء الفتنة ، وأما لهؤلاء الخصوم من قوة لا يستهان بها اعتقل الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٦ هـ بقلعة دمشق ، واضطهد تلاميذه والمتعصبين إليه حتى خفت صوت الدعوة إلا من قلوب المحضين ، وقد بقي الشيخ في معتقله حتى توفي سنة ٧٢٨ هـ فلم يصبح لهذه الدعوة القوة التي كانت لها



من ، ولئن قام تلاميذ الشيخ وأنصاره بالدعوة بعد الأخرى ، فلم يكن لهذه الدعوة القوة والنشاط الذين كانا لما في أيام الشيخ رحمه الله .

ولا يسع الإنسان بعد أن يلم بسيرة ابن تيمية ، وما لقيه من الاضطهاد في سبيل الدعوة إلى الحق إلا أن يجد تشابهاً عظيماً بين حياته وبين حياة لوثر المصلح البروتستانتي ، الذي جاء بعد عصر ابن تيمية بنحو قرنين ، فإن الأركان التي قامت عليها الدعوتان واحدة بالرغم من الاختلاف الديني ، والوسط الديني الخاص .

كان ابن تيمية يدعو إلى الاجتهاد ، ونبذ التقاليد المخالفة للكتاب والسنة ، والرجوع إليهما غير ملتفت إلى ما سواهما .

وكان لوثر يدعو الناس إلى تفهم الكتاب المقدس ، وقد عمل هو على ترجمته تقريباً لأفهام الناس . وكان ينكر على رجال الدين دعواهم أن حق التفسير والتفهم خاص بهم . كان ابن تيمية ينكر على الصوفية تعاليمهم التي لا تتفق مع الكتاب والسنة ، كما كان ينكر الفلوفى حب الأنبياء والأولياء : بالصلاة عند القبور والدعاء عندها والاستغاثة بالموتى وطلب الغفران منهم . وكان لوثر ينكر على القسيس بيع صكوك الغفران ، كما كان ينكر عليهم حق التدخل بين العبد والرب .

وليس من غرضنا في هذا الفصل البحث التفصيلي في وجوه الشبه بين الدعوتين ، ولا بين الرجلين لخروجه عن موضوع الكتاب .

غير أن الذي نريد أن نقرره : هو أن الدعوة الإسلامية والإصلاحية التي قام يدعو إليها ابن تيمية في آخر القرن السابع ، وأول القرن الثامن من الهجرة ( أى الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي ) قد انتهت بالفشل ، وأن الجهود التي بذلها ابن تيمية لم تشر الفكرة المطلوبة ، لأن رجال الدولة كانوا ضده ، ولأن الرجل كان ينقصه الدين الياسمى . أما مارتن لوثر — الذي جاء في القرن الخامس عشر — فقد نجح بفضل المؤازرة التي لقبها من الأمراء والحكام . ولقد أراد الله أن تحيا دعوة ابن تيمية وتنال نصيبها من القوة والانتشار والقبول على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، بمعاونة الأمير محمد بن سعود في القرن الثاني عشر الهجري ، أي بعد عصر ابن تيمية بأربعة قرون

تقريباً . والذي كان له الفضل الأعظم في نشر كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه ، وبعثها من جديد ، والنووية بفضلهم وعظيم أكرم هو :

## الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وُلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ الموافقة سنة ١٧٠٣ م في بلدة الميمنة الواقعة شمال الرياض عاصمة نجد الحاضرة . وقد تلقى على والده دروسه الأولية ، ثم سافر بعد ذلك إلى الأحساء والحجاز والبصرة<sup>(١)</sup> باحثاً وراء العلم بمصلاً له ، ولذلك صار حجة في الحديث والفقه واللغة العربية . وصار أيضاً ذا ندم ثابتة في كل ما له علاقة بدراسة الدين وقد وقف في رحلاته على الأمراض التي انتابت المسلمين ، وما أصاب الشريعة الإسلامية في كثير من الأمصار من لصوق كثير من العقائد الجاهلية والبدع والخرافات ، ومن انصراف العلماء إلى الدنيا ومتابعتهم لأهواء الحكام ، فرجع إلى نجد وقد أخذ على عاتقه التفرغ للدعوة الإصلاحية الدينية الصحيحة ، ومحاربة البدع والخرافات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فدرس دراسة وافية كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأتباعه ، وخاصة ابن القيم وابن كثير .

## نجد في أيامها الأولى

كانت نجد — من الوجهة الدينية — كسائر الأمصار الأخرى : مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تنافي مع أصول الدين الصحيحة . فقد كان فيها كثير من القبور التي تنسب إلى الصحابة يجمع الناس إليها . ويطلبون منها حاجاتهم ، ويتوسلون بالمقبورين إلى دفع كربهم . فكانوا في الجبيلة يؤمنون بقبر زيد بن الخطاب لخصين حالهم وإجابة ملتهم منهم ، كما كان أهل الدرعية — التي صارت فيما بعد مقعلاً للتوحيد ومقر حكم آل سعود — يضرعون إلى مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض . وأغرب من ذلك توسلهم بفحل النخل

(١) في كتابه « لمع النهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » أن الشيخ رحل إلى فارس أيضاً وتعلم بها المسكة الشرقية ، كما تعلم في رحلته أيضاً صنع البنادق وتحضير الذخيرة وغير ذلك من فنون الحرب .

في بلدة « منفوحة » واعتقادهم أن من يؤمنه من الموائس تزوج امامها . فكانت من تقصده تقول « ياخل الفحول ، أريد زوجاً قبل الفحول ! » .

وكان في الدرعية غار يقدسونه . ويزعمون أنه كان مابجاً لإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تمذيب بعض الطائفة . وانخذت في أحد الجبال الصخرية مأوى لها ، فانشق لها الكهف بمجزة لتأوى إليه . فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية الفاسدة . أما من حيث الأحكام : فلم يكن هناك قانون أو شريعة إلا ماقتضت به أهواء الأمراء وعالمهم . ومن حيث السياسة : فقد كانت بلاد العرب منقسمة إلى ولايات عديدة ، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجار له أية رابطة . ومن أشهر هؤلاء الأسراء بنو خالد في الأحساء ، وآل معمر في المينة ، والأشراف في الحجاز ؛ وآل سعود في الدرعية ، والسعدون فيما بين النهرين ، وعدا هؤلاء أسراء لاداعي لذكرهم هنا . وقد كان سكان بلاد العرب — وهم الحضرة — في حروب دائمة مع البدو سكان البادية ، وكذلك كان الأسراء على قدم الاستعداد عندما تسترح القرمس للتعدي على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد . وباختصار فهذه كانت حالة بلاد العرب عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه ، وقد استقر به النوى في المينة ، حيث جد به العزم أن ينقذ نجداً مما حلق بها من البلاء . فبدأ يدعو الناس أن يعودوا إلى دين الله الصحيح ويتركوا كل ما جد من البدع ، وغيرها مما يتنافى مع نصوص الكتاب والسنة . وفي الوقت نفسه طلب إلى الأسراء ذوي الشأن أن يطبقوا أحكام الشرع . وقد قام بدعوته مسلماً لا يدعوا إلى شدة أو عنف . وراسل علماء عصره في البلاد الإسلامية الأخرى . وأظهر أنه لما أصاب المسلمين . وحضهم على أن يكونوا من زمرة المصالحين الدينين . فكان ذلك سبباً طيباً لتفضي خصومه . أولئك الذين خافوا على سلطانهم من دعوته ، وأخيراً فقد اضطر أن يهاجر من المينة التي هددها بالفرز سليمان آل محمد رئيس بني خالد ، وأمير الأحساء والقطيف إذا لم تطرد محمد بن عبد الوهاب . ففي عام ١١٥٧ هـ — ١٧٤١ م تركها إلى الدرعية مقر آل سعود حيث قابل زعيمهم محمد بن سعود ، وهناك تحالفا على الدفاع عن الدين الصحيح والميل على الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وإنقاذ جزيرة العرب من البدع ، وتعميم الدعوة بالإسلام

بين القبدو والحضر ، وتوطيد النفس على ما يواجههم من الصعاب ، فإنهم متى نصروا الله نصرهم تحقيقاً لوعد الله « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » وهكذا كان ، فإن ما تمكن من قلوبهم من حب الحق جعلهم يتغلبون على خصومهم منفردين ومجتهدين .

لقد سكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب « الدرعية » وواصل ليله بنهاره في نشر الدعوة بالوعظ وكتابة الرسائل ، مكثياً بهذه الوسيلة السليمة ، ومحمد بن سعود يؤازره بما يملك من الوسائل ولكن خصوم الدعوة كانوا يعملون على تأليف القلوب لمحاربة الدعوة بكل الوسائل . فلم ير الشيخ محمد وابن سعود بدءاً من الاستعانة بالسيف بجانب الدعوة الدينية . ولقد استمرت هذه الحرب الدينية التي تشبه - في كثير من الوجوه - الحروب التي استمرت نيرانها بين الكاثوليك والبروتستانت في الغرب أكثر من ستين عاماً .

وفي عام ١١٧٠ هـ ( ١٧٦٥ م ) مات الأمير محمد بن سعود وخلفه ابنه « عبد الميز » الذي اتخفى أثر أبيه في مساعدة الشيخ ابن عبد الوهاب على نشر دعوته في سائر بلاد العرب وفي سنة ١٧٩١ م مات محمد بن الوهاب بعد أن قام بواجبه خير قيام ، ووضع من الكتب والرسائل ما أصبح أساساً يسير عليه خلفاؤه ، وقد سار أولاده على خطه أبيهم من التحالف مع آل سعود والتعاون معهم حتى أصبح الجميع كيت واحد .

وفي سنة ١٨٠٥ م كان جميع شبه جزيرة العرب ، بما في ذلك جزء كبير من اليمن وعمان يخضع لسلطان آل سعود ، تؤدي واجباتها الدينية حسب الدعوة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب . ولقد عز على الترك أن يروا دولة دينية تقوم في بلاد العرب - بلاد رسول الشريعة الإسلامية - كما عز عليهم أن يروا دولة حديثة مدنية يقم دعائها محمد علي في مصر ، فأشعلوا نار الحرب بين الاثنين ، فكانت محنة عظيمة على نجد عامة ، وعلى آل سعود خاصة ، ولكن القوة النشوم ، وإن نالت من سلطة الحكام ، فإنها ما كانت تحصل إلى قلوب أهل الإيمان .

### ما هي الدعوة الوهابية ؟

لم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نبياً كما ادعى نذير الدانركي ، ولكنه مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق ، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ، ولا آراء خاصة

وكل ما يطبق في نجد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وأما في المقائد فهم يتبعون السلف الصالح . ويخافون من عدام ، وتكاد تكون عقائدهم وعباداتهم مطابقة تمام للمطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم ، وإن كانوا يخالفونهم في مسائل معدودة من فروع الدين . وهم يرون فوق ذلك أن ما عليه أكثر المسلمين من المقائد والعبادات لا ينطبق على أساس الدين الإسلامى الصحيح . وإننا نلخص فيما يلي المسائل التي اشتهروا بها ، والتي تعد كأنها طابع خاص بالنجديين .

أولاً « التوحيد » يستقنون — استناداً إلى كلام الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السلف — أن معنى « لا إله إلا الله » البراءة من كل معبود غير الله ، وإخلاص التوجه إلى الله وحده ، وأن العبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك الغير إلهاً مع الله ، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك ، فالمشرك مشرك سواء سعى شركه شركاً أو توسلاً . وليس لديهم من شك في أن من قال : يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر ، أو غيرهم من الخلقين طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير من كل مالا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك يهدر دمه ؛ ويستباح ماله .

ثانياً « الشفاعة » لا ينكرون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حسبما ورد . وهم يثبتونها لآثر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد أيضاً ، ولكنها تسأل من الملائكة لها وهو الله ، وإذنه فيها لمن شاء من الواصلين ، فيقال : اللهم شفّع نبينا محمداً فينا يوم القيامة ، اللهم شفّع فينا عبادك الصالحين أو نحو ذلك . وأما ما يجري على ألسنة الناس من قولهم : يا رسول الله ، أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها ، كأدركنى أو أغنى أو نحو ذلك . فإنه من الشرك ، إذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح .

ثالثاً « القبور » الكلام على القبور يقتضون أولاً : البناء عليها وزيارتها ، ثانياً : ما يفعله الناس عندها من الدعاء والصلاة وغيرها ، ثالثاً : ما يقام عليها من القياض والمساجد . رابعاً : السفر إليها . أما زيارة القبور : فهي مندوبة للاعتبار والاتعاظ والدعاء لليت وتذكّر الآخرة . وبراى فيها الطريقة التي سنّها النبي صلى الله عليه وسلم في الزيارة : أما الدعاء للقبور والاستغاثّة به والسجود له ، فهي شرك . وأما تجصيص القبور والبناء والكتفابة عليها فكأنها من الأمور البدعة المنهى عنها .

وهم يستدلون على ذلك بأحاديث كثيرة . وردت ، وبأقوال السلف الصالح وعلمهم .  
ولذا فقد دموا في مكة والمدينة القبور المرتفعة وسورها بالأرض كما أزالوا القباب عند استقبالهم  
على الحرمين الشريفين في القرن الماضي ، كما أزالوها سرقة أخرى في الفتح الحاضر  
سنة ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ ( ١٩٢٥ و ١٩٢٦ م ) أما شد الرجال والسفر إلى القبور فبدعة .

رابعاً : إعلات الحرب على البذع الشائنة في الأمصار مثل الاجتماع في وقت  
مخصوص على من بقرا سيرة المولد الشريف اعتقاداً منه أنه قرينة ، ومثل الزيادات على  
الأذان الشروع .

وبالجملة : فإنهم يحرصون على العبادات الشرعية أن تكون على السنة التي وردت عن  
النبي صلى الله عليه وسلم بلا زيادة أو نقص .

ويلحق بهذا ما هو شائع في كثير من الأمصار من خروج النساء وراء الجنائز ، وخروجهن  
لزبارة القبور ، والاحتفالات السخوية المسماة بالموالد ، وإقامة الحفلات للأذكار البدعة ،  
وما يفعله بعض الدراويش من الرقص والزمار ؛ فإن ذلك كله محرم ، وقد منهوا ما كان  
موجوداً منه في الحجاز .

وبسبب ذلك كان الخلاف بين الحكومة العربية السعودية وبين الحكومة المصرية  
على الحمل وقبوله في الحجاز . والنجديون يحتجون بأنه بدعة لا يصح إقرارها في بلد  
الوحى والدين ، والمصريون يقولون : إنه عادة وشعار الحاج ليس إلا .

خامساً . الجهاد : مما لا جدال فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يستبرأ ما تصرف  
من العبادات لغير الله إسلاماً ، ولذا فإنه كان يبدأ الأمر بالدعوة إلى التوحيد وتنفيذ أوامر  
الله بلا هوادة . فمن أطاع فقد سلم ، ومن خالف أو عاند فقد حل دمه وماله ؛ وعلى هذا  
الأساس كانت غزواتهم في نجد وخارج نجد من اليمن والحجاز وضواحي سوريا والعراق .  
كل بلد يدخلونها حرباً فهي حلال لهم ، إن أمكنهم البقاء بها لحقوها بأملأكم ،  
وإن لم يتمكنهم البقاء اكتفوا بما يصل إلى أيديهم من الغنيمة . وهنا يجيء الخلاف بينهم  
وبين معارضهم . فإن غيرهم يقول : إن من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فقد عصم ماله  
ودمه ، أمامهم فيقولون : إن القول لا عبارة به ما لم يدعمه العمل ، فمن قال « لا إله إلا الله »

الله محمد رسول الله، وهو لا يزال يدعو الوقي ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج  
الكربات، فهو كافر مشرك، حلال الدم والمال. ولا عبرة بقوله. ولم على هذا أدلة  
كثيرة من الكتاب والسنة. ليس هنا موضع تفصيلها.

والجهاد — أو إعلان الحرب — من حقوق الإمام ينظر فيه إلى المصلحة أو دفع الضرر،  
فإن رأى المصلحة تمين عليه إعلان الجهاد. ووجب على سائر رعيته متابعته والدخول في  
سلك الجندية، وعلى هذا كانت الفزوات القديمة والحديثة معتبرة من الجهاد الشرعي.

سادساً، الاجتهاد: الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعض رسائل في الدعوة إلى  
الاجتهاد، والرد على أهل التقايد والمائدين، استند في أكثرها إلى ما كتبه ابن القيم في  
أعلام الموقعين.

ولكن الشيخ محمد، وإن كان له بعض مسائل اجتهدية — مثل جعل دية المسلم  
٨٠٠ ريال بدل مائة ناقة — فإنه في الحقيقة يخطو خطوات الإمام أحمد، ويعتمد على كتب  
الفروع المؤلفة على طريقته.

وبما لا شك فيه: أن علماء نجد في بدء النهضة الإصلاحية كانوا أكثر إحاطة بالسنة  
وعلماً بالشريعة، وأوسع مدارك. وأبعد نظراً في فهمهم للأحكام.

إن الحكومة العربية السعودية الحاضرة — وهي الحكومة القائمة على أساس دعوة  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب — اضطرت إلى اقتباس كثير من القوانين التجارية وسمتها نظاماً،  
لأن كتب الفقه لم تتناول كثيراً من المعاملات التجارية التي يتعامل بها أهل هذا الجيل،  
كما اضطرت إلى تشكيل محكمة تجارية سميتها «المجلس التجاري» للنظر في المنازعات التجارية؛  
ولا أعلم لماذا لا تلحق هذه النظم بأبواب الفقه كي يدرسها الطلاب أسوة بالمسائل الفقهية  
الأخرى التي أصبحت ملحقة بالتاريخ، مادام هنالك يقين بأن هذه النظم لا تتعارض  
مع أحكام الكتاب والسنة.

إن هنالك مجالا واسماً للإصلاح الديني، وإدخال كثير من التجديد على أبواب الفقه،  
ولكن يعوزنا همة وفهم العلماء ورغبة الأسراء.

والنجديون يحرمون أشد الحرص على تنفيذ أحكام الشريعة في تحريم لبس الحرير للرجال وتخليعهم بالذهب ، كما يحرمون التدخين ، ويجلدون المدخن أربعين جلدة . وما لا شك فيه : أن حكومتهم الأولى كانت أصرم في هذا من الحكومة الحالية .

ولقد كانت مسألة الدخان من المسائل التي دار البحث فيها بين الحكومة المصرية والحكومة السعودية سنة ١٩٢٦ م ، ومال مفتي مصر فيها إلى الكراهة ، كما أنه أورد رأى فريق من العلماء بمن يرى التحريم .

لقد روى كالأجريفي في رحلته إلى نجد سنة ١٨٦٢ م أنه سمع من بعض النجديين : أنهم يرون أن شرب الدخان أشد لديهم من الخمر والزنا ، وبعض الحرمات المنصوص عليها ، ولا شك أن هذه الرواية قد سمعها من جاهل . فقد سمعت شيئاً قريباً من هذا من بعض النجديين المقيمين بالكويت ، ولكنهم لم يكونوا من العلماء . ولا يعبرون عن رأى علماء نجد الذين يعدون مثل هذا القول جرأاً على الدين .

إن علماء نجد — وإن أجموا على تحريم الدخان — فلم أسمع أحداً منهم يقول مثل هذا القول ، كما أني لم أنف على شيء مثل هذا فيما كتبه متقدموم أو متأخروهم . وعطاء نجد يحرمون التصوير ويكرهون الموسيقى ، ولا يقبلون أى تأويل في ذلك .

### ما ينسب إلى النجديين وهم أبرياء منه

لا شك أن الحرب النجدية المصرية في القرن الماضي وما أعقب ذلك من خلافه بين آل سعود والأتراك قد حصبه كثير من الدعايات السيئة ضد النجديين . وكثير من الأشياء التي نسبت إليهم مكذوبة .

(١) لقد نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والآخذين بدعوته كراهية النبي صلى الله عليه وسلم ، والخط من شأنه وشأن سائر الأنبياء والأولياء الصالحين .

لقد نسب هذا إلى الإمام ابن تيمية وإلى تلاميذه ، كما لا يزال ينسب إلى كثير من العقلاء والمصلحين في الهند وغيرها حتى ممن ليست لهم أى صلة بنجد وأهلها .

إن منشأ هذه النسبة : هو أن النجديين استناداً إلى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى



ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » يرون أن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يصلها أحد من الصحابة أو التابعين . ولم يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق ابن تيمية وابن عبد الوهاب طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين بهذا الرأي .

( ٢ ) إن الفجديين يمتنعون استقبال قبر الرسول صلى الله عليه وسلم عند الدعاء ، كما يمتنعون السجود عند قبره وقبر غيره ، ويمتنعون التمسح والتفرغ عند القبر ، كما يمتنعون كل ما من شأنه الاستقانة أو الطلب مما شاع عمله عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الصالحين في مصر وبنقلا والمند وكثير من الأمصار .

( ٣ ) هدم القباب والأبنية القائمة على القبور وإبطالهم لآثار الأوقاف التي رصدت على القبور والأضرحة :

( ٤ ) إنكارهم على البوصيري قوله في البردة :

يا أكرم الخلق ما لي من أوثقه سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله : « ومن علومك علم اللوح والقلم »

وقوله :

إن لم تكن في معادى آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم فإن هذا القول مجازفة وغلو ، وفيه مخالفة صريحة لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة ؛ وهم — فوق هذا — يعتقدون أن من اعتقد هذا على ظاهره فهو مشرك كافر . فانهم خصومهم بكرهية النبي . ونسبوا إليهم أقوالاً هم أبرياء منها ، نسبوا إليهم القول بأن المصاحف من النبي ، إلى غير ذلك من التهم الباطلة . ولقد سمعت في نجد أن حكام نجد الشمالية أثناء خصومتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأتراك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها : لا إله إلا الله محمد رسول ( محذوف ميم محمد ) أي لا أحد رسول الله ، وهذا كله تنفير للأتراك من خصومهم ، وهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب .

ولقد حضر إلى مكة أثناء الحرب الحجازية النجدية في سنة ١٩٢٥ م بعض أناضل السفاليين وعطوان ، وكانوا أثناء حديثهم يبيكون أشدة تأثرهم ؛ لقد أخبرونا أنهم سمعوا

في الإسكندرية أشياء كثيرة تنسب إلى النجدين ، لم يجدوا لها أثراً في الحجاز ، لقد سمعوا من بعض الناس : أن الوهابيين هدموا الكعبة لأنها حجر ، وسمعوا أنهم في الأذنان يقولون « أشهد أن لا إله الله » فقط ولا يقولون « أشهد أن محمداً رسول الله » .

إن النجدين أحرض الناس على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم يكرهون الفلوس ، ويقاومون البدع مهما كان نوعها ، ومهما كان الدافع لها ، ويقولون : إن المحبة للرسول هي الاهتداء بهدى الرسول واتباعه ، أما الابتداع وتعطيل الشريعة وتقديم الأهواء فهو كراهة لا محبة . وفي القرآن الكريم « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني » .

ومما ينسب إلى أهل نجد : تكفيرهم من عدايم ، وهو بلا شك تزوير من خصومهم ، وإن وتمت بعض أشياء من بعض جفاة الأعراب والجهال . فليس من الإنصاف أن ينسب ذلك إلى أهل نجد .

أما الشيخ ابن عبد الوهاب وتلاميذه : فإنهم لا يكفرون من صحت ديانتهم ، واشتهر صلاحه ، وحسنت سيرته ، وإن أخطأ في بعض المسائل . ولكنهم يكفرون من باغته دعوة الحق ووضعت له الحجة وقامت عليه وأصر مستكبراً ، هذا في الأفراد . أما في البلاد ( ما يعتبر منها بلاد إسلام وبلاد كفر ) فإننا نقبس ما كتبه العلامة الشيخ محمد بن عتيق من رسائله التي وضعها عن مكة : هل هي بلاد كفر ، أم بلاد إسلام ؟ فقال : هنالك أصلان لا اعتبار البلدة مسلمة :

( ١ ) التوحيد : وهو أن يكون الله محبوب الخلاق لا سواه ، والتوحيد لا يصح مع وجود الشرك .

( ٢ ) طاعة النبي في أمره وتحكيمه في دقيق الأمور وجاهاها . وتمظيم شرعه ودينه والإذعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه .

فإذا تحقق وجود هذين الأصلين ، علماً وعملاً ودعوة ، وكان هذا دين أهل البلد ، أي بلد كان ، بأن عملوا به ودعوا إليه ، وكانوا أولياء لمن دان به ، ومعادين لمن خالفهم ، فهم موحدون .

أما إذا كان الشرك قاصياً ، مثل دعاء الكعبة والمقام ، ودعاء الأنبياء والصالحين ، ونشا

مع ذلك الربا والظلم ، ونبتذ السنن ، وفشت البدع والضلالات ، وصار المتحاكم إلى الظلمة وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة . فلا شك أن هذا البلد يعتبر بلد كافر . ولا عبرة بالصلاة والحج والصوم والصدقة .

إن التوحيد قد تقرر في مكة بدعوة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، واستمر أهل مكة عليه ردهاً من الزمن . ثم فشافيهم الشرك فصاروا مشركين وصارت بلادهم بلاد شرك ، مع أنهم قد كانوا على بعض أشياء من الدين ، فكانوا يحجون ويتصدقون على الحجاج وغير الحجاج .

## أثر التمسك بالشريعة الإسلامية في الحياة العامة

### وأثر الانصراف عنها

إن العقيدة الراسخة عند البعدين — أمرائهم وعلماهم — أن الله مكنهم في جزيرة العرب ، وأن سلطانهم في تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة ، وإظهار دين الله . وجعل سلطان التوحيد في الجزيرة هو السلطان الأول ، وإزالة كل أثر من آثار الشرك .

واقعد قال الإمام سعود في خطبته بعد دخول مكة سنة ١٢١٨ هـ « إنا كنا من أضف العرب ، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه ، وكل بهراً بنا ويقاقلنا »

وكان الملك عبد المزي رحمه الله في كل مناسبة يشير إلى هذا ، ذاكرًا فضل الله عليه وعلى أجداده من قبل ، وأن مارتق على آل سعود في أيامهم الأولى لم يكن إلا عقوبة لهم من الله لتهاونهم في أمر المحافظة على الدين والانصراف إلى أمور الدنيا . وكذلك جلالة الملك سعود مد الله في عمره .

ولذا فإن المشايخ — من وقت لآخر — ما زالوا يقدمون النصيحة لإمامهم وبوصونه المحافظة على الدين ، والأخذ على أيدي التهاونين به ، إذا رأوا شيئاً من التراخي والتهاون من ذوي النفوذ والسلطان .

في أيام الإمام فيصل كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وولده الشيخ عبد اللطيف لايتوانيان عن النصيحة ولقت نظر الامام إلى عماله ورعاياه ، وتذكيره بماقية التعريط ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

## المراجع العربية

أخبار مكة	للأزرق
تقويم البلدان	لأبي الفداء
معجم البلدان	لإقنون الحموي
رحلة ابن بطوطة	
رحلة ابن جبير	
القفاوس المحيط	للأفروزيابادي
تاريخ ابن غنم	( نسخة مطبوعة بالمكتبة الملكية البريطانية )
تاريخ ابن بصر	مطبوع بمكة
أم الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب	( نسخة خطية بالمكتبة الملكية البريطانية )
مقدمة ابن خلدون .	
تاريخ الجبرتي	
الفني والشرح الكبير	
فتح الباري شرح صحيح البخاري	لابن حجر العسقلاني
مجموعة المائل والرسائل النجدية	
تاريخ مكة	لأبي دحلان
الفقد الثمين	للقاسي
الإعلام بأعلام بلد الله الحرام	لأقرب الدين المكي
تاريخ العصامي	
مسالك الأبصار	لابن فضل الله العمري

## الكتب الإنجليزية

- Travels through Arabia, M. Niebuhr, 1792, Vol. 2.  
Notes on the Beduins and Wahabiays, J. S. Burckhardt, 1831, Vol. 1.  
Travel in Arabia, J. S. Burckhardt, 1829, Vol. 2.  
A. Brief History of Wahaby, Sir H. J. Brydges, 1834 (One Vol.)  
Historical Geography of Arabia, C. Fasteé, 1844 (Two Vol.)  
Central and Eastern Arabia, W.G. Palgrave, 1877.  
The Southern Arabia, J. T. Bent, 1900.  
The Penetration of Arabia, T. G. Hagarth, 1904.  
History of Arabia, Andrew Crichton, 1833 (Two Vol.)  
The Heart of Arabia                      {  
Arabia of the Wahhabis                {     H. slj B. Phiby.  
Arabia Deserta, Charlie Daughty.  
In unknown Arabia, R. E. Chessman, 1926 (One Vol.)  
The Persian Gulf, Sir A Welson, 1928 (One Vol.)  
Revolt in the Arabia, T. E. Lawrance, 1927.  
The independen Arab, Young, 1933.  
Northern Negd, A. Mucll, 1928.  
Hand book of Arabia, 1920.

( وهذا غير المجلات والصحف )

# ذيل

خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في مواضع من الكتاب

المعاهدة الإنجليزية مع عبد العزيز بن سعود

في ٢ كانون أول ( يناير ) سنة ١٩١٥ ميلادية

## النص

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الحكومة البريطانية من جهة ، وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود أمير نجد والأحساء والقطيف وجبيل وجميع المدن والرافى التابعة لهذه المقاطعات من جهة أخرى .

الحكومة البريطانية باسمها وعبد العزيز باسمه وباسم ورثته وأخلافه ورجال عشيرته ، عينت الحكومة البريطانية الكولونيل السير برسي كوكس مستمداها في سواحل خليج المعجم مفوضاً لأجل أن يعقد معاهدة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ضمن المقصد الآتى :

توطيد وتأكيد الصداقة الموجودة بين الطرفين منذ زمن طويل ، وتأييد منافعهما المتبادلة :  
إن الكولونيل السير برسي كوكس ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود —  
المعروف بابن السعود — اتفقا وتعاقدوا على المواد الآتية :

أولاً : إن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن نجداً والأحساء والقطيف وجبيل وملحقاتها ، التي تمين هنا ، والرافى التابعة على سواحل خليج المعجم — كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وأبائه من قبل ، وهي تعترف بابن سعود حاكماً

مستقلاً على هذه الأراضي ، ورئيساً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتترف لأولاده وأعقابهم الوراثين من بعده ، على أن يكون خليفته منتخباً من قبل الأمير الحاكم ، وأن لا يكون خاصاً لأبجلاً بوجه من الوجوه ، أى أنه يجب أن لا يكون ضد المبادئ التي قبلت في هذه المعاهدة .

ثانياً : إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي ابن سعود أو أعقابهم من بعده دون إعلام الحكومة البريطانية ، ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخاطبة مع ابن سعود لأجل تسوية الخلاف ، فالحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد هذه الحكومة ، وفي مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن سعود أن تتخذ تدابير شديدة لأجل محافظة وحماية مفاصله .

ثالثاً : يتعهد ابن سعود أن يمتنع عن كل مغامرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فإنه يتعهد بإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على الأراضي التي ذكرت آنفاً رابعاً : يتعهد ابن سعود — بصورة قطعية — أن لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الأراضي التي ذكرت آنفاً ، ولا يمنح امتيازاً في تلك الأراضي لدولة أجنبية أو لجمعية دولية أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية ، وأنه يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه .

خامساً : يتعهد ابن سعود بأن يبقى الطرق المزدية إلى الأماكن المقدسة مفتوحة ، وأن يحافظ على الحاجج أثناء ذهابهم إلى الأماكن المقدسة ورجوعهم منها .

سادساً : يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجارز وتداخل في أرض الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية أبجلاً والذين لهم معاهدات معها .

سابعاً : الحكومة البريطانية وابن سعود يتفقان فيما بعد بمعاملة على التفاصيل التي تتعلق بهذه المعاهدة .

## المعاهد الموقودة

### بين السيد الإدريسي وبريطانيا العظمى

في ٣٠ نيسان ( إبريل ) سنة ١٩١٥

( ١ ) إن هذه المعاهدة التي هي معاهدة صداقة وولاء قد وقع عليها الساجور جنرال شو Shaw الممثل في عدن باسم حكومة بريطانيا العظمى ، والسيد مصطفى بن السيد عبد الله باسم حضرة السيد محمد علي بن محمد بن أحمد بن إدريس — السيد الإدريسي أمير « صيبا » وأطرافها .

( ٢ ) المقصود من هذه المعاهدة : هو إعلان الحرب على الأتراك وتوطيد عرى الصداقة ما بين حكومة بريطانيا والسيد الإدريسي المذكور آنفاً وأعضاء قبيلته .

( ٣ ) الإدريسي يتعهد بقتال الترك ، وأنه سيجتهد لطردهم من مواقعهم في اليمن ، وأن يتمتعهم ، وله أن يوسع أراضيه على حساب الأتراك .

( ٤ ) عمل السيد الأمامي يتجه ضد الترك فقط . ويتنح عن كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى ما دام هذا لا يضع يده بيد الترك .

( ٥ ) تتعهد الحكومة البريطانية بالحفاظ على أراضى السيد الإدريسي من كل اعتداء يقع من قبل أى عدو كان على السواحل ، وبضمان استقلاله في أراضيه الخاصة ، وباستعمال كل الوسائط السياسية عند ختام الحرب في سبيل تأليف مطالب السيد الإدريسي مع الإمام يحيى أو أى خصم آخر .

( ٦ ) إن الحكومة البريطانية لا تقصد توسيع أراضها في غرب البلاد العربية . ولكنها تشئ بصورة صريحة أن ترى رؤساء العرب في حالة سلمية وأخوية ، كل منهم في منطقته . وكل موال للحكومة البريطانية .

( ٧ ) إنه — كدليل على تقدير الحكومة البريطانية للأعمال التي سيقوم بها السيد الإدريسي — فهي ستعاضده بالمال والمؤونة ، وتستمر على معاونته طول الحرب . وستكون



هذه المعاونة متناسبة مع ما يقوم به السيد الإدريسي من الأعمال .

(٨) تسمح الحكومة البريطانية للإدريسي — أثناء الحصار البحري المضروب على سواحل تركيا في البحر الأحمر — أن يتاجر مع عدن وسواحلها . وهي تضمن استمرار هذه الحالة ما دامت العلاقات الحسنة موجودة بين الطرفين .

(٩) تكون هذه للماهدة نافذة المفعول على إثر موافقة الحكومة الهندية عليها .

يوم الجمعة ٣٠ نيسان ( أبريل ) سنة ١٩١٥

الموافق ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٣

التوقيع

B. G. L. Shaw

مستهد بريطاني في عدن

التوقيع

السيد مصطفى بن السيد عبد العلي

توقيع

هاردينج

حاكم الهند العام

ملحق : تعطي جزيرة فرسان الإدريسي منعاً لمطالب إيطاليا .

## معاهدة سايكس - بيكو سنة ١٩١٦

### ترجمة عن الإنكليزية

قد تم التفاهم بين كل من الحكومتين الفرنسية والبريطانية .

(١) إن فرنسا وبريطانيا المعطى مستعدتان أن تعترفا بحكومة عربية مستقلة أو حكومات عربية متحدة أو مستقلة وتؤيدها في الأماكن المشار إليها بحرف ( A ) وحرف ( B ) على الخريطة الملحقة بهذا ، وأن تكون هذه الحكومة أو الحكومات تحت سيادة زعيم عربي ، وأن يكون لفرنسا في المكان المشار إليه بحرف ( A ) ولبريطانيا المعطى في المكان المشار إليه بحرف ( B ) أولية الحق في الشاريح والقروض المحلية ، وأن كلا من فرنسا في حرف ( A ) وبريطانيا في حرف ( B ) تقدم وحدها المستشارين والموظفين الأجانب الذين يطلبهم الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة .

(٢) يسمح لكل من فرنسا في المنطقة الزرقاء وبريطانيا في المنطقة الحمراء أن تنشى من الإدارة أو الحكومات مباشرة أو غير مباشرة ، ما تريد أو ما ترى تديره موافقاً مع الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة .

(٣) أن ينشأ في المنطقة الخضراء إدارة دواية مشتركة يقرر شكلها بعد استفتاء روسيا أولاً ، ثم استفتاء الحلفاء الآخرين واستفتاء مندوبي شريف مكة .

(٤) أن يعطى لبريطانيا المعطى ثمر حيفا وثمر عكا ، ويضمن لها التقدير الكافي من مياه دجلة والفرات في منطقة ( A ) لأرواء منطقة ( B ) وتعهد حكومة جلالة الملك أن لا تخاف في أى زمن كان دولة من الدول للتنازل لها عن جزيرة قبرص بلا موافقة حكومة فرنسا .

(٥) تكون الإسكندرونة ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة الإمبراطورية البريطانية ، وأن لا يكون فيها تمييز في تعيين ضرائب الميناء أو التسهيلات فيما يتعلق بالبضائع أو السفن البريطانية ، وأن يكون للبضائع البريطانية حرية المرور في الإسكندرونة وفي

سكك الحديد التي في المنطقة الزرقاء ، سواء كانت هذه البضائع صادرة عن المنطقة الحمراء أو المنطقة حرف ( B ) أو المنطقة حرف ( A ) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البضائع البريطانية على أية سكة حديد كانت أو ضد البضائع البريطانية والسفن البريطانية في أى ميناء من الموانئ المذكورة سابقاً لهذه المناطق ، وأن تكون حيفا ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة فرنسا وممتلكاتها ومحيطاتها ، وأن لا يكون فيها تمييز بتعيين ضرائب الميناء أو التسهيلات فيما يتعلق بالسفن الفرنسية والبضائع الفرنسية ، وأن يكون للبضائع الفرنسية حرية المرور في حيفا ، وفي السكك الحديد البريطانية التي في المنطقة الحمراء سواء كانت هذه البضائع صادرة عن المنطقة الزرقاء أو المنطقة حرف ( A ) أو المنطقة حرف ( B ) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البضائع الفرنسية على أية سكة حديد كانت ، أو ضد البضائع والسفن الفرنسية في أى ميناء من موانئ المناطق المذكورة آنفاً .

(٦) أن لا تمتد سكة حديد بغداد جنوباً في منطقة ( A ) إلى ما وراء الموصل ولا تمتد شمالاً في منطقة ( B ) إلى ما وراء سامرا إلى أن يتم إنشاء سكة حديد تصل ما بين بغداد وحلب في وادي الفرات وذلك بموافقة الحكومتين .

(٧) أن يكون لبريطانيا العظمى وحدها الحق بأن تنشي وتدير وتلك سكة حديد توصل حيفا بالمنطقة ( B ) ويكون لها الحق الدائم في نقل الجيوش عليها في أى وقت كان . والمفهوم بين الحكومتين أن هذه السكة هي لتسهيل المواصلات بين بغداد وحيفا . والمفهوم أيضاً أنه إذا حالت الصعوبات الهندسية والنفقات دون إنشاء هذا الخط في المنطقة الحمراء وحدها فإن الخطوط الآتية هي : بانياس - نيس - مصر - صاخذ - نذا . صدى رسمية تصل إلى المنطقة ( B ) .

(٨) تبقى الرسوم الجمركية معمولاً بها عشرين سنة في جميع أنحاء المنطقتين الزرقاء والحمراء كذلك في المنطقة ( A ) والمنطقة ( B ) ، ولا تزداد الرسوم إلا بعد اتفاق الحكومتين ولا تضرب رسوم داخلية تكون عائقاً بين المناطق المذكورة آنفاً . أما الرسوم على البضائع الواردة فتؤخذ في الميناء التي تصل إليها البضائع ، وتسلم إلى حكومة المنطقة الواردة إليها .

(٩) لا يجوز للحكومة الفرنسية في أي زمن من الأزمان أن تخبر دولة ثانية في أمر التنازل لها عن حقوقها ، ولا بحق لها التنازل عن هذه الحقوق لغير الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة إلا إذا وافقت الحكومة البريطانية على ذلك . وعلى الحكومة البريطانية مثل هذه المهود للحكومة الفرنسية فيما يتعلق بالمنطقة الحمر .

(١٠) تتعهد كل من حكومة فرنسا وحكومة بريطانيا المظلي أن لا تمتلك أرضاً في جزيرة العرب ، وأن لا توافق على امتلاك دولة ثالثة لأرض هناك سواء كان ذلك على السواحل الشرقية منها أو جزر البحر الأحمر . على أن هذا لا يمنع من تعديل حدود عدن بسبب اعتداء الترك .

(١١) إن المحادثات مع العرب لوضع حدود للحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة يستمر كما كان بالنيابة عن الحكومتين الفرنسية والبريطانية .

(١٢) قد وقع الاتفاق على أن الوسائل اللازمة للسيطرة على توريد السلاح إلى الأراضي العربية تستشار فيها الحكومتان .

## كتاب من أمير نجد إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جناب الأجل الأتم بهي الشيم أمير مكة المكرم سيدنا الشريف حسين باشا  
ابن السيد على دام مجده وعلاء آمين .

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف  
خاطركم الماطر ، لا زلت بكمال الصحة والسرور حائزين الأوصاف الحميدة . أحوالنا من كرم  
الله جميلة ، وتقدم لسمادتكم قبل هذا كتاب نرجو أنه وصل وأنتم مسرورون . ثم نعرض  
لدولتكم المزيـزة : أنه بموجب شفقتكم وعلو همتكم وأنظاركم العالية قدمنا أخانا عبد العزيز  
عبد الله السعود لموجب خدمتكم وأحبينا المصاوغه معه لموجب التبرك بأفدائكم ، وأرسلنا  
معه الصقلاوية والحداني وكيلان ، ولا والله قصدنا في إرسالنا لأنكم بحاجة ولا شك في

غايقتا نبي «نبي» تقرب منكم . فإننا هنا حاسبين أنفسنا من خواصكم ، ولله ثم لكم ، وإلا هديتنا لحضرتكم رؤسنا وما تحت أيدينا ، ولسكنها هي صوغه الأولاد والكرام ، وحررنا هذا الكتاب لموجب التعرض لخدمتكم وما يبدونه اللازم ، وإلا أمرك علينا تام على كل حال ، ومهما تفعلوه معنا وتحطوا أنظاركم علينا تجدره إن شاء الله مضاعفاً بالخدمات والسمع والطاعة . هذا ما لزم تعريفه . والولد يرسم الخدمة مع إبلان السلام حضرة الإخوان السادات الكرام على وفيصل وزيد ، ومن عندنا أولادنا محمد وسعود وكأنه السعود يلدون ودمت محروسين ؟ :

خادم الدولة والملة والوطن  
أمير نجد ورئيس عشائرها  
عبد العزيز السعود

١٨ من سنة ١٣٢٨

( ختم )

## من أمير نجد إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جناب الأجل الأجدد الأخفم بهي الشيم أمير مكة المكرمة سيدنا الشريف الحسين باشا بن السيد على دام مجده وعلاه آمين .

بعد إهداء مزيد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم الماطر لازتم بكمال الصحة ووافر السرور حائزين الأوصاف الحميدة ، أحوالنا من كرم الله جميلة . بأشرف وقت أخذنا مشرفكم المكرم . فسرنا ما تضمنه من صفة أسوالكم واعتدال أوقاتكم ، وما عرف جنابكم كان لدى ابنكم معلوماً خصوصاً ما عرف جنابكم من جهة عتيبة والقصيم وأنهم ياقون إليكم من الأكاذيب الذي ليس لها حقيقة ويظلمون عند حضرتكم . فنحن نقول عما قالوا سبحانه هذا بهتان عظيم ، فأما من جهة نظركم علينا وعليهم فهذا شأن مثلكم وهو مقامكم العزيز ، ونحن متيقنون أن حتماً بأنفسنا أقرب منهم ومن غيرهم لسمادتكم ، وأدنى جواب يصدر منكم إلينا بمنع السوء عنهم إذا

كان صادر من شيء ففحق نقتل به لموجب رضا الله ثم لخدمة سمانكم . مع أنى والله ما أعلم  
أن أحداً من أهل نجد يطلب منى مثقال حبة من خردل من ظلم ، إلا إن كان عدو ضيف  
جاني ولجانيه سبب ، وقول العدو ما يؤخذ في عدوه ، وإلا أدام الله وجودكم نجد يوم  
حيته مافيه من جميع مأموريته أحد . كلها مناصيب لابن رشيد ، وولانا الله عليه بهدية  
الله ثم هدايتكم ، وأمرنا كل في منصبه ، ففهم من أطاع واستقر وإلى الآن بمكانه ،  
ومنه من ظلم الرعية وبنا قدر وأعانا الله عليه وأحسننا فيه ، فالآن ابتدكم وخادمكم ومملوك  
فضلكم نأني نفسه سامع مطيع لله ثم لحضرتكم لأدنى واحد من أهل القصيم أو من عتية  
يدعى على بأدنى شيء منه ظلم . فسلكا تأسرون أفعل امثالاً لأمر الله ثم أسركم ، وجميع ما  
زوروه على حضرتكم دواء الكذب المقابل ، فإن كنت الجرم فانا تحت أسركم كما تأسرون  
أنعل ومصطبر لأدبكم . فإن كانوا هم الكاذبين وتحقق عند جنابكم ذلك ، ففحق قد دحنا  
لهم من الزلات أكثر . وحقنا على جنابكم أن تسكونوا على حذر من أقوال الغاشين للإسلام  
والمسلمين ، وأنا والله والله ونالله إن رضاكم وامتنال خدمتكم عندي أعز من رضا عبد الرحمن  
وخدمته ، ثم أنا مطيعكم عهد الله وأمان الله ، أنى ولد لك سامع مطيع ما أخالف شوفتك في  
جميع أمر ، وأنا تحت أسركم تريدون المقابلة بيني وبين المزدورين في أى وقت تبغونه  
أحضر ، فإن كان تبغونه من بعيد فالمرأجة بيننا ونحن تحت تدبير الله ثم تدبيركم ؛ وإنما  
لا يزورون على حضرتكم أنى مستغزى أهل نجد قصدى محاربكم أو مكاريتكم لا والله  
لا والله ، لا والله . إني ما استغزيتهم إلا لموجب بنى خينا وبعض الفساد إلى ما يخفى جنابكم .  
ولا يقطع عقلكم أن قدوى بها الحل قصدى محاربة أو أمر يفضب خواطركم ، إلا إنما هو  
تقرب لخدمتكم وعن البعد الذى يحصل به الاتحاد للأعداء ، ويزورون أعظم ما زوروا  
سابق ، واجبنا تمجيد الطارش لموجب رد جوابكم العزيز ، ونحن بانتظار تدبير الله ثم  
تدبيركم ، تحت الأمر . هذا ما لزم . والرجاء ابلاغ سلامنا الإخوان السادات الكرام ومن  
عندنا أولادكم محمد وسعود ، وكافة السعود يقبلون أياديكم ودمهم محروسين ؟

خادم الدولة والملة والوطن  
أمير نجد ورئيس معانها  
عبد العزيز السعود

( ختم )

## مشروع الوحدة العربية كما كان يفهمها الملك حسين

(صورة وثيقة)

الأساسات المتعلقة بنجد التي يتمكن معها سكّون البلاد وصيانتها من كل موانع الترقى والسعادة والفلاح المطلوبة لها حسب فكرى الخصوص ، فالأصل الأصل الذى يمكن قبله تقرر عمل هو تفريق سكان النطفة والإرطاوية والغرونى وغريثان ونحوم من المنازل التي يسكنها الزمرة الموسومة بالإخوان الحادثة من سنتين التي هي عبارة عن مسكرات ، وقبل هذا والتعهد به أى بتفريق سكّنة تلك المنازل ، وأن كل شخص يذهب إلى قبيلته المنسوب إليها لا ثمرة لأى عمل كان كما أشير برفقينا ١٢ الحجة سنة ١٣٣٦ هـ ، ومع ذلك فعلى سبيل المعلومات والتسهيل لا بأس من الإتيان بما سيذكر أدناه على وجه الاختصار

- (١) الأحكام بكتاب الله وسنة رسوله .
- (٢) أمراء نجد يكون تعيينهم على تعاملهم وقاعدتهم الجارية المعروفة .
- (٣) إلغاء الضريبة التي تؤخذ على جهال للتسعة بصورة كلية وهو المعروف بالياج
- (٤) أمير نجد له حق تعيين صفوف المأمورين في داخل إمارته .
- (٥) لا حق لأمير نجد أن يخاف أى دولة كانت في أى مسألة كانت بأى شكل وصورة ، وهذه أيضاً من حقوق المركز وعائد إليه ، وتكون برأيه وواسطته واستحقاقه .
- (٦) الحدود من الجنوب والجنوب الشرق والغربى الجبل المعروف بالعرض وما سامتة والشقرا ومسكة وترية ووادي الدواسر تكون جميعها تابعة للمركز ، والغرب والغرب الشمال حدود عتيقة والقصيم والشمال والشرق معلومة .
- (٧) القبائل السهول وسبيع الأسفلين تابعون للمركز .
- (٨) لا يمنع القبائل التابعة للمركز ولا سوام من أى أرض يحتلونها للرعى أو أن يمارروا من أى قرية من القرى التابعة لأمير نجد وإن وقع من القبائل المذكورة تمذى في الحال برفع خبره المركز لإجراء مقتضاه .

(٩) امثال أوامر المركز وتنفيذها في حق من يرد إلى داخل حدود الإمارة المذكورة  
عن لم يكونوا من أهلها .

(١٠) كل من يرد من أهالي نجد إلى المركز أو إلى أى بلاد في داخلية المملكة  
بما لون بمثل معاملة أهالي تلك البلاد في كل شئونهم .

(١١) المحافظة على كل حقوق وكافة معاملات من يكونون في الخارج من أهالي  
نجد أى في بلاد أجنبية فهي عائدة للمركز ومن حقوقه .

(١٢) المركز يتعهد بحفظ كيانه وصيانة أدنى حقوقه من كل تعدى .

(١٣) يجتنب بكل حذر واهتمام ما يوجب القتل والشغب في داخلية أو فيما  
جاوره من المملكة .

هذا يكون دستوراً لكافة الأمراء ومن يكونون أمثال أمير نجد ، على أن الإدرى  
حدوده قضاء صنية المعروفة في زمن الترك ، وكذا إمام صنعاء ما كان يتصرف فيه من  
الأراضي في زمنهم هذا ملخصه . ولكل من تأمل ملكي وخطي في ظروف هذه الأعوام  
نحو الإمارة المذكورة رغباً عن محرفاتها ، وخطي عند ما توجهت لأبها ، ونهج ابني فيصل  
على ذلك الأمر عند توجهه إلى تهائم غير لعين تلك الغاية التي توجهت إليها يدرك الأول  
وهلة سلامتنا من شوائب المقاصد بما تدور أعلاه . أما عنيزة والقصيم — أى بريدة  
وملحقاتها — فلهم الرأي يقتضون ابن سعود للاتحاق به أو ابن الرشيد أو يكونون مستقلين  
على أنفسهم . اختيار لم في ذلك ، ولزيادة الإقناع والسلامة من الشوائب فإنهم إذا اتخبا  
المركز فهو لا يقبلهم . وعلى أى حال فهم تحت ما ذكر من الشروط ، على أن مسألة تفريق  
سكان النقط والارطاوية القرى المذكورات أعلاه من أمهات المراد المتلفة بقبول البقاء  
في ريادة البلاد ؟



## صورة بلاغ من المعتمد البريطاني بحجة عما أشاعه الأتراك من تقسيم البلدان العربية

جلدة في ٨ فبراير سنة ١٩١٨ .

جلالة صاحب السيادة المعظمي ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم .

بعد بيان ما يجب بيانه من الاحترام والتوقير ، قد أسرفى جناب فخامة نائب جلالة  
الملك أن أبلغ جلالتهكم البرقية التي وصلت إلى فخامته من نظارة الخارجية البريطانية  
بلندن ، وقد عتوتها حكومة جلالة الملك ملك بريطانيا المعظمي باسم جلالتهكم ، وهذا  
نصها بالحرف الواحد :

إن الرغبة والصراحة التامة التي اتخذتموها جلالتهكم في إرسالكم التحريات التي  
أرسلها القائد التركي في سوريا إلى سمو الأمير فيصل وسمو الأمير عبد الله إلى جناب نائب  
جلالة الملك كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا المعظمي ، وإن  
الإجراءات التي اتخذتموها جلالتهكم في هذا الصدد لم تكن إلا جزأاً يسيراً من تلك الصداقة  
والصراحة التي كانت دائماً تشهد العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة  
ملك بريطانيا المعظمي . وبما لا يحتاج إلى دليل أن السياسة التي تتبجح عليها تركيا هي  
إيجاد الارتباب والشك بين دول الحلفاء والعرب ، الذين هم تحت قيادة وعظيم إرشادات  
جلالتهكم ، قد بذلوا الحمة الشياء ليظفروا بإعادة حريتهم القومية . إن السياسة التركية  
لا تنفياً تعرس ذلك الارتباب بأن تروس العرب أن دول الحلفاء يرغبون في الأراضي  
العربية ، وتلقى بأذهان دول الحلفاء أنه يمكن إرجاع العرب عن مقصدهم ، ولكن  
أقوال الدسائس إن تقوى على إيجاد الشقاق بين الذين اتجهت عقولهم إلى فكر واحد  
وغرض واحد .

إن حكومة جلالة ملك بريطانيا المعظمي وحلفاءها مازالت واقفة موقف الثابت لكل  
نهضة تؤدى إلى تحرير الأمم المظلومة . وهي مصصة أن تنفج بمجابهة الأمم العربية في جهادها ،

لأن تبقى عالمنا عربياً يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني ، ويتحد التنافس الصناعي الذي أحدثته الصفات الرسمية التركية .

إن حكومة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الأمم العربية ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك التحرير ، وتقصّد أن تستمر عليه بكل استقامة ونصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط في وهدة الدمار ، وتساعد الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم .

وفي الختام التمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحترامات والتعظيمات

نائب المتد البريطاني بمدة

الكولونيل باست

## صورة ما تحرر لفخامة نائب الملك بمصر

### من الملك حسين وشرح أغراضه من الثورة العربية

مارأيتك خصوصاً بهذا الأثناء عن اعتناء فخامتكم وتأكيدها في إزالة أسباب دواعي سوء التفاهم الذي لا أرتاب بأن المقصود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثير حريات غلصكم خاصة لذا ولما تكون المواد البسيطة أيضاً من ذلك المعنى رأيت أن أنبين من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع عظمتها في النهضة وما بنيت عليه من مواد الاتفاق المقدم عليه بيانها بأن ما طابت للبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طابته من المواد التي تمهدت عظمتها بها رغبة مني في تأسيس حكومة ، أو تشكيل دولة لأستأثر بها كيتها ، أو حرصاً على جاهها وأرياستها ، ولكن عند ما دعيت بريطانيا إلى ما دعيت إليه ، وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضاً تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة ، لم يسعني إلا الإجابة وطلبها أقل تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي :

أولاً — لحفاظة السكبان الإسلامي بالنظر لما حل وما سيحل بتركيا .

ثانياً — صيانة المنظمة البريطانية من الاستهداف مما سقري به عكس مقاصدها .

ثالثاً — سلامتي من الاتهام بالتواطؤ معها ضد الأساس المقصود بالنهاية .

نعم إنى لم أجد من جتاب الناضل الأديب المستر استورس عند اجتماعي بمحضرة في السنة الأولى بمدة ، ثم بعده بمحضرة الشهم المهام السير مارك سايكس ، ثم في السنة للاضية بالقمندان المهام هوغارت اللور ما يشير إلى ما يخالف أو يخل بتلك المقررات ، غير أن ما في طبيعة مشروعتنا وتبانه الحيائية من الرقة وما يتصادف من بعض حالات يستدعى سياقها زيادة تمين الأمر وتأكيد الحقيقة عن الحدود فقط ، وإلا باقى المواد فإننا نعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكراً يملأ الخافقين ، خصوصاً أمر الإعانة عما لو فهمت الغلط في مقرراتنا المذكورة أساساً ، أو حدث ما يوجب تعديلها ، الأمر الذى لا أقول إنه يس كيان العالم الإسلامى ، واسكن الظن أنم — وبعض الظن أنم — أنه لا يخلو من شيء من ذلك . هذا على فكرى الخصوصى . ففى أضفنا عليه تظاهر عجزى بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتعخم على الانسحاب من الأمر والتنازل عنه ، لاعتقاده الشخصى أن تعديل مقرراتنا المذكورة ، بصرف النظر عما في إخلاله بالغايات المقصودة ، وعرضنا لحذر موادنا الثلاثة آفة البيان وطمس صحيفة تاريخى ، فهو يزيل ويستقطنى من ثقة واعتماد بلادى وأقوامى الأفرين ، حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التى أعلنتها لهم ، وصرحت به شفاهاً ونحرياً في ظروف هذه الادة . وأسست عليه الأعمال ، وأكون خدعت نفسى وغششتكم يا أصدقائى بما وراء هذا من اضطراب البلاد بالفتن والثورات ونحوه ، مما لا يمكن لى منه حتى الاستفادة لذاتى وما يزيل كل ظن حكومة جلالة الملك لى ، وأكيد إخلاصى يجرى أن أقول من الآن إن مبادئ هذه الخطرية على وشك التحسب بها بالنسبة للطلبات المتكررة المختلفة عن أسهم بإعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أذفهم به إلا قولى إن استقلالى هو استقلال عموم أممنا البلاد ، ولكمهم يقيموا الحجة على دفتى هذا بأوجه أخر ، وعليه فإن كان ولا بد من التعديل فلا لى سوى الاعتزال والانسحاب ، ولا أشقبه فى مجد بريطانيا بالأا يتلقى هذا بنا إلا أنه أمر يتعلق بالحياة ، لا لقصد عرضى أو فكر عرضى ، وإنها لا ترتاب فى أنى وأولادى أصدقائى الذين لا يتغير ولاؤهم وإخلاصهم ، ثم تعينوا البلاد التى نتبحر إقامتنا فيها للسفر إليها فى أول فرصة وإن رأت ذلك ، ولكن مشاكل الحرب

الحاضرة تقضى بتأجيله إلى ختامها ؛ فعرونها وجميل مكارمها يفرض علينا الثبات أمام ما سيتضاعف علينا من المهمات ونحوه من العموم مما لا مقاومة لدينا أمامها إلا حسن النية فالأسر إليها . أما عطف الأمر وتعليقه بمؤتمر الصالح فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وإياه ، حتى ننظر منه سلباً أو إيجاباً ، ولو قرر المؤتمر المذكور أعضاؤه مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلناها فنكن من الملرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي . هذا الذي أنوسل إليه الآن أن يتولانا جميعاً بهنات رافته الأحدثية ، وقبول ما أقدمه لغضائكم في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايا شيمكم .

٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٦

٢٨ أغسطس سنة ١٩١٨

## الإعانة الانكليزية

جدة في ١٣ إبريل سنة ١٩١٩ — رجب سنة ١٣٣٧ .

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم صاحب الجلالة بعد بيان ما يجب بيانه لجلالتكم من التوقيع . أنشرف بإحاطة علم جلالتكم بأن حكومة جلالة الملك قد رخصت بدفع مبلغ ١٠٠٠ و ١٠٠ جنيه ( مائة ألف جنيه ) لإعانة شهر إبريل ؛ وهذا بتفويض ٢٠٠٠٠ جنيه ( عشرين ألف جنيه ) ، أما الثمانين ألف جنيه الشهرية فجاري ومنها طبعاً إلى دمشق علاوة على المائة ألف . ومن حيث هذا التفويض لا يخفى على جلالتكم أنه عند ما نشرفت بالبحث مع جلالتكم في مسألة الإعانة في شهر فبراير الماضي قد أخبرت جلالتكم أن حكومة جلالة الملك رغبت في عمل تخفيض عظيم في إعانة شهر مارس بناء على ما كنتم جلالتكم قد وافقتم عليه مع ذلك طلبتم جلالتكم أن إعانة شهر مارس يجب أن تبقى كما كانت بلا تغيير إلا أنكم وعدتم بتفويض كبير في إبريل فرضت رغائب جلالتكم على حكومة جلالة الملك فصارت موافقة خصوصية على صرف إعانة شهر مارس بتامها ، مع العلم بأنه كان مفهوماً أن تنقيصاً عظيماً قد عمل لشهر إبريل

بناء على وعد جلالكم ، وعقد ما كنت بحضر كانت حكومة جلالة الملك قد عينت هذا  
التخفيض إلى أربعين ألف جنيه ، إلا أن فخامة نائب جلالة الملك رأى أنه لمناسبة الأحوال  
الحاضرة بمحتمل أن جلالكم تفضلون أن ينحصر من إبريل عشرين ألف جنيه فقط ، وقد صارت  
المرافقة بذلك من قبل حكومة جلالة الملك على شرط أن جلالكم تعملون كل سعى  
لتخفيض مبلغ شهر مايو إلى ثمانين ألف جنيه وأن تعملوا الميزانية ببيان مطالب جلالكم  
المتنوعة ، وإنني قد أخبرت حكومة جلالة الملك منذ بضعة شهور أن جلالكم قد  
وعدتوني بالميزانية بعد سقوط المدينة مباشرة . وأقول أن جلالكم تتمكنون من إعطائي  
الضمايل عن الإيراد والمصاريف المنتظرة للحجاز عند ما أنشرف بمواجهة جلالكم  
قريبا . وعندئذ أستطيع أن أرفع طلبات جلالكم بصورة فعلية ، وإنني سوف أستطيع  
طبعاً البحث مع جلالكم في جميع التفاصيل ، إلا أن الميزانية المطلوبة من قبل حكومة  
جلالة الملك لا تشمل مثل تلك المفردات ، كتصليح الخط والاحتياجات الخصوصية ( خلاف  
الإدارية ) للمدينة وخلافها التي لا تدخل في ميزانية اعتيادية . ولكنها تكون في الواقع  
ونفس الأمر مختصة بقروض مخصوصة وما شاكل ذلك ، ولا تشمل أيضاً مصاريف  
الإدارة العربية بدمشق ، لأن تلك الإدارة تتناول اليوم مائة وخمسين ألف جنيه شهرياً ،  
وإنني لتطلع باشتياق لمشاهدة جلالكم ثانياً ، وأرجوا الله أن تكونوا جلالكم بصحة جيدة  
تفضلوا بقبول خالص تمنياتي الطيبة وعظيم احترامي ما

مخلصكم

ولسن باشا

جدة في ١٧ يونيه سنة ١٩١٩ موافق ١٨ رمضان سنة ١٣٣٧ .

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم صاحب الجلالة  
بعد بيان ما يجب بيانه من التوقيع قد اندهشت جداً عند تلقى تحرير جلالتهكم فمرة  
١٥٣٤ بتاريخ ١٦ يونيه ؛ وإنى لم أنهم السبب الذى جعل جلالتهكم تكلمون أنكم يلزمكم  
طلب الاستقالة والانحساب رداً على خطابى بخصوص الإعانة ، وإنى قد أبرقت لجلالتهكم  
عندما اطلمت على برقيتهكم لسمو الأمير زيد الذى تقولون فيها : أن لا إعانة تدفع بعد الشهر  
القادم ، وذلك اكد لى أن خطابى لم يكن كامل الموضوع أو غير ظاهر المبارات الأمر الذى  
أبدى مزيد أسفى عليه . وأن جلالتهكم تذكرون أن حكومة جلالة الملك رغبت فى تنقيص  
الإعانة وجعلها ثمانين ألف جنيه فى شهر أبريل الماضى ، وسألتكم عن تفصيلات لميزانية  
الحجاز ، وقد أعطيتونى جلالتهكم ذلك وقد أرسلت إلى اندرة ، وبعد ذلك قررت  
حكومة جلالة الملك عدم جعلها ثمانين ألف وصدقت على استمرارها مائة ألف جنيه إلى  
نهاية شهر يوليو ، وهذا ما صدقت إيداعه لجلالتهكم فى تحريرى ، وهذا لا يدل على أنه بعد  
شهر يوليو لم يكن فيه إعانة كما ذكرتم جلالتهكم فى برقيتهكم لسمو الأمير زيد ، وعليه التمس  
أمركم بأى أرفع العيارة الخاصة بالإعانة من البرقية ؛ وإننا اليوم فى وقت حرج . ولذا  
أرجو جلالتهكم رجاء صميا أن تطرحوا فكرة طلب الاستقالة فى هذا الوقت الذى فيه  
بلادكم ، وأمر الإسلام فى أشد الحاجة لكم . وأحب أن أطلب من جلالتهكم أن تستمروا  
على انتمائكم لحكومة جلالة الملك ولخدمة الجنرال اللبني وانفسى كما فاعتم على الدوام ،  
وقد طلبت نفس هذا الطلب فى خطابى بتاريخ أمس ، فرغاً من عظيم ارتياحى لاشتغالى  
لأجل النهضة العربية ، ثم وعظيم سرورى لاشتغالى فى هذه السنين كلها مع جلالتهكم ، كما  
ورغماً عن افتخارى بتمثيل بريطانيا العظمى مع جلالتهكم ، فأننى مشتاق للتمكن من  
القيام للإجازة والاستراحة قليلاً ، ولكن هو واجبى أن أبقي كل ما أمكن من الزمن ،  
وبذلك أوصل أن أكون مقدماً بذلك بعض الخدمات الصغيرة لجلالتهكم ، نعم إنه بعد  
عناء الثلاثة سنين الماضية الشديدة ، أنا أعلم أنه من المتعب جداً لجلالتهكم ملافاة هذا

الوقت الحرج الحالى ، ولكننى أطلب من جلالته طلباً صميماً أن تطرحوا ظهرياً كل فكرة خاصة بترككم مركزكم العظيم مهما صعبت القضية ، ولا شك حيث إن جلالته قائد النهضة العربية العظيم ، بل وحليف بريطانيا العظمى المخلص إذا تنازلت عن الأعمال فى الآونة الحاضرة كان فى ذلك البلية العظمى ، وقد عرفتمونى جلالته هذا الزمن الطويل ، وأنا على يقين أن جلالته تمتقدون فى صدق إخلاصى ، وأن هذا الخطاب لم يكتب إلا بكمال الإخلاص المحض ، ومالى إلا أن أرفع أكمف الرجاء إلى حضرة دى الجلال أن يمن على جلالته بالقوة والمقدرة على الاستمرار على العمل . وفى خاتمة خطابى التمس قبول خالص تمنياتى وعظيم احتشاماتى القلبية الخاصة ؟

مخلصكم

ولسن باشا

## مذكرة المستر لويدي جورج

### رئيس الوزارة البريطانية

عن الاحتلال المؤقت لسورية وفلسطين والعراق ديمًا يرم أمر الانتداب

(١) تتخذ التدابير اللازمة حالاً لانجلاء الجنود البريطانية عن سورية وكيليكية ومن جملتها نفق جبال السلسلة (طورس) .

(٢) لقد أعلن كل من الأمير فيصل والحكومة الافرنسية أن فى القدرة الشروع فى الانجلاء عن سورية وكيليكية فى أول نوفمبر سنة ١٩١٩ .

(٣) إن المسئولية فى وضع الحاميات فى المقاطعات التى يتم إخلاؤها يكون على مقتضى عهد وتصرجات الحكومة البريطانية والحكومة الافرنسية ليس فقط بينهما بل بين كل منهما وبين العرب .

(٤) لتبديل على مقتضى ذلك حاميات سورية فى غربي خط ( سايكس —

بيكو) وحاميات كيليكية بمنحود فرناوية ، وتستبدل حاميات دمشق وحمص وحماة وحلب بمنحود عربية .

( ٥ ) ٤١ بعد انجلاء الجنود البريطانية لا تبقى مسئولية ما على الحكومة البريطانية ولا على القائد البريطاني العام في المناطق التي أختلها الجنود .

( ٦ ) القاطعات التي تبقى فيها الجنود البريطانية هي فلسطين وتكون حدودها مطابقة للحدود القديمة المسماة (دان - إلى بحر السبع) والعراق ومن جهتها الموصل ، فيكون هذا الاحتلال مطابقاً للاتفاق المفقود في ديسمبر سنة ١٩١٨ بين اللوسيو كليمنصو والمقروليد جورج .

( ٧ ) إن الحكومة البريطانية مستعدة في أي وقت كان أن تبحث في أمر الحدود بين فلسطين وسورية ، وإذا وقع خلاف بشأن هذه الحدود فالحكومة البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم ( حكم ) يعينه الرئيس ولسون .

( ٨ ) إنه يقتضى مبادئ اتفاق ( سايكس - بيكو ) بحق للحكومة الفرنسية أن تمتد على منح الحكومة العربية للحكومة البريطانية الحق في إدارة وإنشاء وامتلاك خط حديدي يصل ما بين حيفا والعراق . وذلك في طريق تقرر بدل التخطيط في أي جهة كانت إلى موازاة ( دير الزور ) شمالاً ، وبحق كذلك للحكومة البريطانية أن تنشئ أنابيب للبترو ، كما يحق لها إنشاء سكة الحديد ، ويكون للحكومة البريطانية علاوة على ذلك حق دائم في جميع الأزمنة لقيام بتحسين التسهيلات للسكة المذكورة والأنابيب وأن تنقل الجيوش على السكة الحديدية ، وبممكنها أن تمتنع بهذه الحقوق حتى في زمن الحرب ، وذلك بدون خرق حياد الحكومة الفرنسية والحكومة العربية ؛ وإذا وقع خلاف في رسم الطريق لسكة الحديد وأنابيب الزيت ( البترول ) فالحكومة البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم ( حكم ) يعينه الرئيس ولسون .

( ٩ ) الحكومة البريطانية تملن الحكومة الافرنسية والأمير فيصل أن غايتها الإسراع في الرسم لتجد طريقاً إن أمكن للسكة الحديدية ولأنابيب البترول في الأراضي التي هي تحت الرصاية البريطانية حتى تجتلب بذلك النفع بالمفوق المذكورة آنفاً ( أي حتى لا تستعمل حقها في المرور في الأراضي العربية ) .



(١٠) — إنه إلى أن تقرر الحدود بين فلسطين والعراق — يكون للقائد العام البريطاني الحق في احتلال مخافر أمامية على الحدود التي تدعيها الحكومة البريطانية .  
(١١) لما كانت الحكومة الفرنسية قد اتخذت على عاتقها حماية الشعب الأرميني فالحكومة البريطانية توافق على إرسال جنود فرنساويين حالا عن طريق مرسين والاسكندرونة لهذا الغرض ؟

باريس ١٣ سبتمبر ١٩١٩

رد سمو الأمير فيصل بن الحسين

على مذكرة المستر لويد جورج الأولى

« النص »

لندن في ٢١ سبتمبر ١٩١٩

حضرة صاحب التخامة :

لي الشرف بأن أضع بين يدي فخامتكم خلاصة جوابي على المذكرة التي تفضلتم باعطائي صورة منها يوم الجمعة في ١٩ سبتمبر ١٩١٩ وذكركم أنكم رفعت المسيو كلنصور في ١٣ سبتمبر نسخة منها أيضاً ، وكذلك للمندوب الأميركي المستر فولك في ١٥ منه فأقول :  
( ١ ) إن هذا الاتفاق الأخير مجحف تماماً بحقوق العرب . ويخالف ما كانوا يتوقعونه من الحكومتين الجليليتين خاصة . ومن العالم المتشدن عامة ، بعد الذي قاموا به من مقاومة الخلافة وجعل البلاد المقدسة ميداناً للحرب ، انتصاراً لمبدأ جاهل به الحلفاء رسمياً وفي محافظهم وكتاباتهم المأثورة .

( ٢ ) إن العرب الذين جرى الاتفاق على بلادهم ، وبدون علم منهم البتة ، لا يمكنهم أن يمتدحوا بما وقع ، ولا أن يتحملوا نيمة الرضى بما يفضى إلى بوارهم على غير ما تم اجتراحه  
( ٣ ) إن معاهدة سنة ١٩١٦ التي جمعت دعامة هذا الاتفاق ليست معروفة رسمياً عند العرب ، ولا هي مما يسوغ أن يعول عليه بعد الذي وقع من إجماع الحلفاء والدول المشتركة على نحو الماهدات السرية وبعد الذي تلقاه العرب ... .. بشأنها من وزارة خارجية

خارجية جلالة الملك نفسها رداً على اعتراض والدى عليها ، عند ما وقعت إليه نسخة منها منشورة في جريدة ( المستقبل ) البارية نقلاً عن صف الشام التي أذاعها فيها جمال باشا التركي في يونيو سنة ١٩١٨ لإثارة الخواطر ، وهذا نص البرقية :

« إن البولشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بترغراد مصادرة مقودة ، بل محاورات ومحددات مؤقتة بين أنجنترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع الصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك . وذلك قبل النهضة العربية ؛ وإن جمال باشا — إما من الجهل أو الخبط — غير في مقصدها بالأساسي . وأهل شروطها القاضية بضرورة رضی الأهالي ، وحماية مصالحهم . وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر ، وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى » .

وقد زكى هذا القول المنوط برضى الشعب وشيئته ما فعلته الدوتان المعطتان ( إنجلترا ) و ( فرنسا ) من تأكيد ذلك بالنشور الذي أصدرته معاً في نوفمبر سنة ١٩١٨ فضلاً عن قانون جمعية الأمم ، الذي لم ينضب مداده بعد ، وآخرها بلاغ الكولونيل ماينس هارجن بحضور السيولافوكارد « إن الحكومة البريطانية لا ترغب أى شعب على قبول انتداب لاجريده » .

( ٤ ) إن القائد العام الذي يقود جيوش الحلفاء المشتركة قد بلغنا رسمياً في أوائل احتلال سورية وغيرها ، مرة عن طريق المندوبين السياسيين بالقول والكتابة : إنه المسئول الرسمي الوحيد عن إدارة البلاد جميعها باسم الحلفاء ، ولدى مؤتمر السلام بواسطة نظارة الحرية البريطانية . وقد أيد هذا القول الضابط السياسي الأعلى البريطاني الكولونيل ( ماينس ) أثناء الاجتماع الرسمي في الشام يوم الثلاثاء ٩ سبتمبر سنة ١٩١٩ بحضور المتمد الإفرنسي السيولافوكارد . وقد دام هذا الاحتلال سنة كاملة . ولا أرى من الأسباب الكافية ما بدعو إلى تغيير هذا النظام في هذه البرهة القصيرة الباقية لتقد الصالح — كما تقولون — مع تركيا .

( ٥ ) بأبي العرب أن يعترفوا بأمر لا علم لهم به ، واجتماع لم يشهده أحد منهم

وبقرار لم يشتركوا فيه في الوقت الذي تستوى فيه مسئولية الجميع لدى القائد العام للجيش الحلفاء .

(٦) إن العرف رسمياً أن التدابير الحاضرة المتخذة في سورية مؤقتة . وقد جاء في تلك ( المذكرة الملحقة ) أيضاً أن التدابير المقصودة مؤقتة . فامضى استبدال أمر مؤقت بمثلها ؟ وما الفرق بين التدبيرين حتى يقوم أحدهما مقام الآخر ، ويعمل بموجبه في وقت غير مناسب ، ومع سهولة إبقاء الحالة حتى القرار الأخير ؟ وإني أخذر أولى الشأن من قادة الأمم أن تنفيذ هذه الخطة الجديدة سيؤدي إلى ما لا تحمد عقباه في البلاد العربية . وتقع المسئولية على عاتق الذي أبرم ذلك القرار الظالم المقوت .

(٧) جاء في الفقرة الثالثة من المذكرة المحقة بأن هذا التدبير والتغيير في مواقع الحاميات العسكرية قد جرى على مقتضى عهود وتصريحات إنجلترا وفرنسا ، ليس فقط بينهما ؛ بل بين كل منهما وبين العرب . وبما أنني لا أملك نسخة من هذه العهود والتصريحات القضائية بتمزيق وحدة البلاد . ولا سيما بين العرب وفرنسا مباشرة ، فأرجوكم أن تنفضوا باعطائي نسخة منها مؤقتة . فإنه لا علم لي بنبر للمساعدة المقودة بين بريطانيا العظمى والعرب . وعلى خلاف ما يقضى به الاتفاق الأخير وبالتصريح الذي أصدرته الحكومتان معاً لإعطاء الشعب حرية الاختيار (١٩١٨) .

(٨) ومع أن المعاهدة تذكر أن التدبير مؤقت . فإني أحتج بشدة على ما ورد في المذكرة الملحقة بشأن التعموم وتجيدها . وإني أرى في ذكر الحدود واستعداد الحكومة البريطانية لقبول التحديد برهاناً قاطعاً على تجزئة البلاد ، ودخولاً لا مسوغ له في شأن مصيرها قبل أن يصدر أي قرار من مؤتمر السلام عنه .

(٩) إني أسأل بريطانيا العظمى التي صرحت أنها لا تقبل انتهاكاً في سورية مما جرى بمهداها السابق الذي بنت عليه معاهدتها مع العرب . فإنها أكدت لم ( أنها تعترف باستقلال العرب وتأخذ بناصره ) فهل ترضى بريطانيا العظمى أن تقول للعرب : لا شأن لي بمحكم بعد . فإن مصالح اليوم غير مصالحى بالأمس ، وهي التي قد طالما جاهرتم بإنصاف الشعوب المظلومة ، وقاومت دون الضيف المستهدف للطامع الغشبية الأشعبية ؟ ذلك

ما أترك الحكم فيه لوجدان فخامتكم وللرأى العام البريطاني الكريم .

(١٠) إذا كان لا بد من ( انسحاب ) الجيوش البريطانية في سورية ، فلماذا لا تنسحب أيضاً سائر الجيوش الأوربية ، وتترك المسئولية للحكومة العربية المستعدة لقبول تلك المسئولية لدى الحلفاء والدول المشتركة معهم لحماية الأمن العام في البلاد ريثما يبرم مؤتمر السلام قراره بشأن مصير سورية .

( ١١ ) هذه هي الملاحظات الابتدائية التي أردت بسطها لفخامتكم .

وفي الختام أطالب إلغاء ذلك التدبير المقترح بين فرنسا وإنجلترا بالكلية . لأنه يخالف المراد من قانون جمعية الأمم . ويتناقض الجهود المبذولة على أساس الشرف القوي ؛ وإنه فوق ذلك رجوع غير عادل إلى سياسة الاستعمار الأشمعي الذي ينبغي هدم بنيانه بعد هذه الحرب هدماً لا قيام بعده . وسيضطر العرب من أن يدافعوا عن وحدتهم ووجودهم بأقصى ما لديهم من قوة وحجة ، ثم إنهم لا يعدمون وسيلة ينشرون فيها للعالم المتشدن أجمع ما جرى من تمزيق المعاهدات وتبديل الخطة الموضوعة ، مهما قيل في شأنها إنها مؤقتة ، فإن الحالة النفسية لأهالي البلاد تحملهم على الاعتقاد بأن هذا الترتيب مقدمة إلى تقسيم واقع ، ولن يقبلوا في ذلك مضرة أو حجة . ولا أدري كيف رضى القائد — مع معرفته بتلك الحقائق — أن يعرض البلاد التي ساعد على تحريرها إلى قلاقل مؤكدة . ولا جرم أنه من الأنفع ترك الحالة على ما هي عليه ، أو انسحاب الجيوش الأوربية برمتها ريثما يبرم القرار الأخير .

هذا ما أردت بيانه لفخامتكم تخلصاً من كل مسئولية لديكم ولدى العالم أجمع وتفضلوا بقبول فائق احترامي وتعظيمي

التوقيع

.....

## نص الكتاب الإضافي

لندن في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٩

رئيس الوزارة البريطانية المعظم :

حضرة صاحب الفخامة :

لى الشرف أن أقدم لفضامتكم الملحوظة التالية — علاوة على المذكرة التى قدمتها  
لفضامتكم بالأمس والمؤرخة ٢١ سبتمبر ١٩١٩ .

استدعانى حضرة القائد العام للجيشو التحالف فى سورية ، وسألنى بالأمس أن أبحث  
معه بشأن ( انسحاب ) الجيوش البريطانية من البلاد . وقد أنبأت خاتمته بأنى أرفض  
البحث فى هذا الموضوع ، و بينت الأسباب لذلك الرفض .

وها إنى أذكر فضامتكم أيضاً بأن الجنرال البريطانى فى بيروت عند ما أجبر الجيوش  
العربية على الانسحاب من المنطقة الساحلية قد كتب لقائدها العربى الجنرال شكرى باشا  
بأن الموجب لهذا التضييق عسكرى محض ومؤقت إلى أن يصدر قرار مؤتمر السلام بشأن  
مستقبل البلاد . والقوات البريطانية هى التى تولت بنفسها إنزال الأعلام العربية المرفوعة  
على بنايات الحكومة وغيرها بواسطة الأهلىن .

ولهذه الأسباب أطلب أحد أمرين : إما إعادة السواحل إلى الجيوش العربية كما  
كانت عليه الحالة فى أوائل الاحتلال . وهى تتولى مسئولية الأمن وحماية البلاد إلى أن  
تبرم النهاية ، وإما بقاء الحالة على ما هى عليه الآن إلى الحين المذكور . وتفضلوا بقبول  
فائق الاحترام والاجلال

التوقيع

.....

## كتاب آخر من الأمير فيصل لرئيس الوزارة البريطانية

٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ .

رئيس الوزارة البريطانية المعظم :

حضرة صاحب الفخامة :

لقد تفضلتم فأنبأتمونا عند اجتماعنا في (جيلد هول) منذ يومين : أن الأزمة الأخيرة حالت بينكم وبين الرد على مذكري المؤرخة في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ وأنكم عازمون على إرسال الجواب في أقرب مدة . فأشكركم على ذلك اللطف الجزيل ، وإنما لما كانت الأزمة قريبة الوقوع تجاسرت على تقديم هذا الكتاب سلفاً . وإنى أضع فيه أمامكم المطالب الآتية .

لقد بسطت لكم سابقاً آرائي عن الوفاق الأخير في باريس ، ولا أقصد الآن إلا أن أؤكد لكم بأنني لم أزل على ذلك الرأي . ومهما يكن في ذلك الوفاق من حسن أو قبح ، فالواقع أنه سينظر إليه من جمهور السكان بسخط عظيم . والأرجح أن انسحاب الجيوش البريطانية من سورية يؤدي إلى كارثة عظيمة ، يكون فيها القضاء على العالم العربي وعلى المشروع العمومي الذي يذود عنه الحلفاء ، وإنني شديد الرغبة أن أتجنب كل ما يؤدي إلى إحراج المركز ، أو ما يؤول إلى اضطراب الحبل بين الحلفاء والعرب ، وما يمكن أن يفرض أيضاً إلى جعل التسوية على قاعدة مقبولة من المستحيل ، وأريد أن أبذل جهدي لأؤيد الوفاق المكتوب بالدم المراق من الجميع نصرة للحق والعدل . ورغبة في منع أي حادث يؤدي إلى زيادة الخطورة في المركز رأيت أن أعرض لخدماتكم ما يأتي :

( ١ ) إلغاء القرار الباريسي ، أو في الأقل إرجاء العمل به .

( ٢ ) أن تعرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل ، والنظر فيها من قبل المؤتمر بأجمعه ، أو من لجنة أخرى فرعية يمينها المؤتمر ، تؤلف من أعضاء بريطانيين وفرنساوين وعرب تحت رئاسة أحد الأمريكان للبحث في هذه المسألة الخطيرة وتقديم قرار عن ذلك إلى مؤتمر السلام .

إني أعتبر إلغاء ذلك القرار الباريسي من الأوليات الحيوية للوصول إلى حل مرضى .  
وإنه إن لم يعمل بذلك فالكارثة في سورية يعجل وقوعها . وربما تطرأ أمور تمنع  
المباحثات الودية . ولذلك فأنا أثق بأن مطالبى هذه التى هى جوهرية لصالح الجميع تقابل  
من فحاشكم بالاستحسان ، وإني معتمد على مساعدة الحكومة البريطانية لتأكيد هذا .  
وأرجو من فحاشكم أن تتكرموا على الجواب فى أسرع أوان ، وتفصلوا بقبول فائق الاحترام .  
التوقيع

.....

## صورة الكتاب الوارد من رئيس الوزارة البريطانية

١٠ دوتنج ستريت

( لندن ) ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٩

يا صاحب السمو :

وصلى كتابكم المؤرخ فى ٩ أكتوبر الذى ترثون فيه أن الاقتراحات عن احتلال  
سوريا بمد الانسحاب البريطانى يبنى أن تلقى ، أو على الأقل تؤجل ، وأن القضية كلها  
تعرض على مؤتمر الصلح ، أو على مؤتمر فرعى يمينه المؤتمر لأجل التسوية النهائية بدون تأخير .  
لأظن أنه يجب على أن أبحث مرة ثانية فى الدواعى التى حملت حكومة جلالتك  
على عرض الاقتراحات المذكورة فى المذكرة ، لأنها قد أوضحت كفاية فى الكتاب المرسى  
إليكم من قبل وزير الخارجية . وان تلك الأسباب المذكورة لا يظهر لى أن الاقتراح الذى  
تبدونه الآن يمكن العمل به . حكومة جلالتك قد أقرت عزمها على أنه يستحيل عليها  
أن تداوم على احتلال سورية بالجيش البريطانى . وقد أعلنت منذ ستة أشهر مضت  
لمؤتمر السلم ولذاتكم أيضاً أنها لا تقبل انتداباً فى سورية فى أية حال من الأحوال ،  
فاحتلالها للبلاد الذى كبدها نفقات طائلة قد طال أكثر مما كان فى انتظارها على أمل  
أن مؤتمر السلام يقدر على مباشرة البحث فى القضية التركية بعد بضعة شهور ، ومرض  
الرئيس ولسون المكدر الذى بدون مشاركته بالعمل معنا لا يمكن الوصول إلى بت نهائى

سيؤجل عوضاً عن أن يجعل البت في هذه القضية .  
وعليه فن المستجبل لحكومة جلالاته أن تسحب الاقتراحات التي أبدتها للعمل في  
القضية السورية أثناء التأجيل إلى أن يفصل فيها مؤتمر السلام .  
على أنها تسر جداً بأن تدبر سريعاً اجتماعاً بين ذاتكم ومفاوض فرنساوى وأمريكانيه  
وبريطانيا لتسوية القضايا المتناقصة بالانسحاب القوي وقوة لاجيوش البريطانية في أول  
نوفمبر على أحسن طريقة حبية مرضية للجميع .  
وكما أنبأتكم قبلاً أني أرغب في استماع مطالبات سموكم شخصياً في مواجهة ثانية عن  
هذه المسألة نهار الاثنين القادم الساعة الرابعة في ١٠ دونتج ستويت ، وإن لي الشرف أن  
أكون خادم سموكم المطيع .

لويد جورج

رئيس الوزارة البريطانية

## مذكرة من وزارة الخارجية الانكليزية للأمر فيصل

نظارة الخارجية البريطانية .

لندن في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ :

يا صاحب السمو :

لي الشرف أن أنبئكم بوصول الملاحظات الابتدائية التي تفضلتم بتعليقها على مذكرة  
رئيس الوزارة التي قدتها للويسو كليمينسو ولشخصكم عن الاحتلال العسكري في سورية  
وفلسطين والعراق ريثما يبرم مؤتمر السلام قراره بشأن الانتداب . ولقد أرسلنا نسخاً منها  
أيضاً إلى كل من المستر فولك مندوب الولايات المتحدة الأميركية وإلى السيور تيتونف  
مندوب الملكة الإيطالية :

وبناء على ما يلوح لنا من أن هنالك سوء تفاهم في مفزى المذكرة فاني أريد — قبل كل  
شيء — أن أبين أن تلك الوثيقة المذكورة لا تمثل بأي وجه من الوجوه اتفاقاً بين الحكومتين



الإفريقية والبريطانية ، بل تشمل على مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكري في الولايات التي كانت فيما سبق من الزمن تابعة لتركيا — إلى بقر مؤخر السلام مسألة مستقبلها نهائياً .

وهذه المقترحات التي تنمك بها الحكومة البريطانية لم تضعها إلا بعد أن قررت أنه يستحيل أن تستمر على احتلال سورية بالجيش البريطانية . وقد دعتكم الحكومة البريطانية إلى أوروبا . وأسرت في تدبير أمر سفركم قبل أن تبلغ هذا القرار للحكومة الفرنسية أو المؤتمر ، ووضعت تلك المقترحات في يدكم للنظر فيها على أن وصولكم . ويظهر أن سموكم تنظرون إلى هذا التدبير المقترح لا سبيل الجيش البريطانية بالفرنسية والمربية كأنه من بعض الوجوه متاير للجهود التي عقدتها حكومة جلالة الملك مع والدكم الجليل جلالة الشريف حسين ملك الحجاز .

ودفعاً لحصول أدنى سوء تفاه بشأن هذا الأمر فإني أبعث إليكم بالمراسلات التي دارت بين والدكم الجليل ملك الحجاز وبين نائب جلالة الملك بمصر وأدت بموجب الشروط التي تشمل عليها إلى دخول العرب في الحرب ضد تركيا . وهذه الأوراق تحتوي على جميع السكائيات المختصة بهذا الموضوع وهي في حيازة حكومة جلالة الملك . أما الوثيقة التي قدمتموها لسموكم لرئيس الوزارة في الاجتماع الذي انعقد مند بضعة أيام فهي فقط خلاصة الشروط التي طلبها الملك حسين في وقت سابق ، ولكنها لم تؤخذ بعين الاعتبار ولم تُقبل . ولذلك لا دخل لها في المسألة الموضوعة على بساط البحث .

وإنه لمن الواضح لسموكم من السكائيات المرسلة طيه أن حكومة جلالة الملك بيّنت من الأول : أنه في رأيها أن مقاطعات — مرسين واسكندرونه وبعض أقسام سورية الواقعة إلى غرب مقاطعات دمشق وحمص وحماة وحلب — لا يمكن أن يقال عنها : إنها عربية مألصة ، وإنه ينبغي إخراجها من الحدود المقترحة والتخوم التي كانت الحكومة البريطانية مستعدة أن تعترف باستقلال العرب فيها ، ولما ملء الحرية أن تتصرف فيها بما لا ينافي مصالح حليفتها فرنسا . وهذه الفقرات واردة في كتاب المرحوم مكاهون إلى جلالة الشريف بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥ . وقد أجاب جلالة الشريف حسين عن هذا الكتاب في ٥ نوفمبر بقوله .

« إنه يتنازل عن الحاجة بإدخال ولايتي مرسين وأطنة في المملكة العربية »  
ولكنه صرح بأن :

« ولاية حلب و بيروت وسواهما إنما هي ولايات عربية خالصة »

ورداً على هذا الكتاب قال نائب جلالة الملك بمصر في ١٤ ديسمبر ما يأتي :

« إنه يرحب بموافقة جلالة الشريف على استثناء ولاية مرسين وأطنة من حدود  
الأمصار العربية » .

وزاد على ذلك ما يأتي :

« أما فيما يخص بولاية حلب و بيروت : الحكومة البريطانية المظلى قد نظرت بعين  
الاعتبار إلى ملاحظتكم . ولكن بما أن مصالح حليفتنا داخلية في هذه المسألة فيقتضى  
لذلك اعتبارات مهمة ، ومراسلات أخرى عن الموضوع تقدم لكم في حينها » .

وأما الحاجة إلى مكانة جديدة فقد استغنى عنها ، لورود كتاب من جلالة الشريف  
حسين مؤرخ في أول يناير سنة ١٩١٦ يقول فيه :

« إنه بخصوص الأقسام الشمالية وسواها قد أوفضنا قبلاً في كتابنا السابق ما يمكننا  
القبول به من التغييرات ، وقد وجب ذلك لإتمام المطالب التي بلوغها منوط بمشئته  
سيحانه تعالى ، إن هذا الشعور ذاته . وهذه الرغبة التي نبشنا على تجنب كل ما يمكن أن  
يضر بالمعاهدة بين إنجلترا وفرنسا والاتفاق المقتود بينهما مدة الحرب ورزاياها ، على أننا  
نجد أن من واجبنا أن نؤكد لحضرة الوزير أنه عند سنوح أول فرصة بعد انتهاء الحرب  
نطالبكم بما نهض النظر عنه الآن لفرنسا في بيروت وسواها »

وقد شرح جلالة ذلك الرأي بقوله فيما بعد :

« من المؤكد أن الأهليين في بيروت لن يقبلوا هذه الاستثناءات وربما أجبرونا أن  
نتخذ أمورا جديدة قد تمود على بريطانيا المظلى بما لا يقل عن مشاكلنا الحاضرة ،  
لأننا نعتقد ونؤكد أن مصالحنا متبادلة . وهذا الأمر هو الذي جعلنا أن لا نطالب دولة  
غيركم ، ولذلك يستحيل علينا أن نسمح بأي تحويل فرنسي أي نفوذ أو أي شبر  
واحد من الأرض في تلك البقاع » .

وفي ٢٥ يناير أجاب نائب الملك بمصر بما يأتي :

« أما عن الأقسام الشمالية : فقد لاحظنا بمزيد الرضى أنكم ترغبون أن تتجهنوا كل ما يضر بالمعاهدة بين بريطانيا العظمى وفرنسا . لأن ذلك كما تعلمون عززنا الأكيد ، وأنه لا يمكن أن يطرأ أى شخص يخفف ولو فى أقل الدرجات تضامتنا على مداومة الحرب إلى نتيجة النصر . وعلاوة على ذلك فالصداقة بين بريطانيا العظمى وفرنسا متى تقرر النصر تزيد رسوخاً وثباتاً . لأنها تكون موثقة بدماء الإنجليز والفرنسيين الذين ماتوا جنباً لجنب ذائدين عن العدل والحرية »

تلك كانت آخر المسكّنات التى دارت عن هذا الموضوع قبل الحاجة المشرفة التى انتهت فى نوفمبر سنة ١٩١٨ بإندحار الجيوش التركية التام .

ويوضح من هذه المراسلات أمران :

الأول « أن الحكومة البريطانية مرتبطة بموثيقها مع الملك حسين أن تعترف بتأسيس مملكة عربية مستقلة ، تشمل حدودها على المدف الأربع ، وهي الشام وحماة وحمص وحلب »

الثانى : « أن الحكومة البريطانية قد أوضحت بلا إيهام لجلالة والدكم قبل دخول العرب فى الحرب أنهم يعتبرون أن لفرنسا حقوقاً خاصة فى البقاع الواقعة إلى غرب هذه المدن الأربع »

وحكومة جلالة تحب أن تزيد على هذا : أنه فى سنة ١٩١٦ حينما اقتضت المصلحة الحربية العمومية أن يجرم اتفاق مع فرنسا وروسيا على إحلال الولايات التركية - عند سقوط تركيا - ألحّت حكومة جلالة الملك على الاحتفاظ باستقلال العرب فى الولايات التى وعدت أن تحتفظ بها فى مراسلاتها مع الملك حسين . ولم تبلغ هذا الاتفاق لملك حسين . لأنه كان متابعاً لليهود التى دخلت معه بموجبها من قبل .

وقد كان موقف حكومة جلالة الملك فى كل هذه المحابر واضحة دائماً وغير متبدل ، وقد دخلت مع حليفها الفرنسيين والعرب بموجب شروط لا تتغير ، بل كل واحد منها متمم للآخر . وحكومة جلالة تلتقى اهتماماً عظيماً على صداقة حليفها واشترى كما فى الصلء ، وتنوى أن تقوم بتمهيداتها السكل واحد منهما .

وأما الآن : فاقول شيئاً عن سؤال سموكم عن السبب الموجب لنهاية الاحتلال العسكري البريطاني لسورية ، عوضاً عن تأجيله حتى يتقرر الصلح مع تركيا وحلفائها .

إن حكومة جلالة الملك يسرها أن تعترف اعترافاً تاماً بالمساعدة التي لم يكن غنى عنها والتي بذلها الملك حسين وشخصكم الكريم والجيش العربي الباسل تحت قيادةكم تأييداً لقضية الحلفاء . فإن حاسة ونشاط جيوش سموكم كانت عضداً مهماً في الحرب التي انتهت بفقر الاستبداد التركي . ولكن حكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تنسى أن الحصّة الكبرى في قهر تركيا قد كانت من نصيب للمملكة البريطانية . فإنها منذ البداية إلى النهاية قد أرسلت إلى ميدان الحرب الشرق ما ينيف على مائون وأربعمائة ألف جندي ، وأنفقت سبعمائة وخمسين مليوناً من الجنيهات . وقد كانت هذه الأثقال علاوة على الضحايا الكبرى التي اضطرت إليها في أوروبا لحلم قوة الألمان التي كانت تدعم الإمبراطورية النمائية . فشعوت الإمبراطورية البريطانية قد خسرت أكثر من تسعمائة وخمسين ألف نسمة في ذلك السبيل . وجرت على نفسها ديناً فادحاً يبلغ نسمة آلاف مائون جتية لتأييد حرية أم أوروبا والشعوب التي كانت من قبل تن تحت النير التركي . وقد تمكنت شعوب الإمبراطورية البريطانية بهذه النفقات من مساعدة الشعوب العربية والأمم الأوربية المستعبدة بها . وحطمت نير المستقبل ، لتسير في الطريق المؤدية إلى النجاة والاستقلال والنفوذ في العالم ؛ وعلاوة على هذا الجهد أثناء الحرب ، فالإمبراطورية البريطانية قد تركت حاميات في الولايات المحتلة مدة سنة منذ إمضاء الهدنة . واحتتمت الأثقال المظلمة والتمعية لتأييد النظام والسلام في البلاد التي تحررت من الحكم الأجنبي ، راجية أن مؤتمر الصلح يأتي بحل مرض عاجلاً لجميع المشاكل الصعبة للتعطلة بمستقبل الشرق الأوسط . ولكنه ليس من الإنصاف أن يسأل « المكلف » الإنجليزي بأن يتحمل أكثر مما تحمل من أثقال احتلال الولايات التي لاتنوي الإمبراطورية أن تقبل فيها مسئولية دائمة . وقد جازمت حكومة جلالاته في مارس الأخير مؤتمر السلام ولذا أنكم أيضاً : أنها لاتقبل انتداباً في سورية في أية حال كانت . والآن بناء على تأجيل الولايات المتحدة الأمر بركية قرارها باستمداها لقبول أورفض المشاركة في تأييد خير ونجاح شعوب الشرق الأوسط . فلا أمل في تقرير سلم نهائي مع تركيا قبل مضي بعض الوقت من السنة المقبلة .

وهي هذه الحالة قد قررت حكومة جلالة الملك : أنه يستحيل عليها إبقاء جيوشها بعد في سورية . وأعلنت المؤتمر بذلك . وهي تنوي سحبهم في أول نوفمبر القادم .

وقد ذكرتم سموكم في مذكرة أخرى مؤرخه في ٢٣ سبتمبر مسألة الشروط التي عليها أحلت القوات العربية مدن الساحل حين تقدم الجيش . فحكومة جلالة لا تريد أن تفكر بأن سموكم تعتبرون امتثال أوامر القائد العام الذي كنتم تحت أمره ( وهي أوامر كانت عنده قوة كافية لإفادها ) نتيجة مقالة . أما إن سموكم قد اعتقدتم أن الاحتلال البريطاني سيدوم إلى إضفاء السلام فأمرهم أفضل جيداً . لأن ذلك كان أيضاً في رأي حكومة جلالة في ذلك الوقت . وقد أطالت أجل الاحتلال البريطاني أكثر مما كانت تظن هي أو غيرها في الأرجح ، اسكن بالنظر إلى العبء الفادح الواقع عليها فمن حقها أن تلج أن احتلالها ينبغي أن ينتهي . وهي عندما أنبأت مؤتمر السلام بما سبق ذكره عن عرضها على سحب جيوشها حالاً عرضت حكومة جلالة مشروع الاحتلال المؤقت البقاع التي كانت سابقاً تركية ، كما هو منشور في المذكرة . وهي لا ترى أن هنالك اقتراحاً يمكن العمل به في خلال هذه المدة . ولا يوجد رجل ثقة يعتقد بقدرة الشعب السوري على القيام بشئون نفسه في الوقت الحاضر ، فتجربة هذا الحل الذي تشيرون به يكون مضرراً لفرق الشعب السوري سريعاً ، وبملاء الحرية . وبالنتيجة لاستقلال الشعوب السورية والعربية ، وعلاوة على ذلك فإنه ينبغي — ربما يتقرر الصالح مع تركيا — أن تحتل قوة أوربية من الدرجة الأولى البقاع الواقعة إلى الجنوب الشرق من الأناضول ، وبرضاها هذا الاقتراح ، كما هو مفصل في المذكرة ، قد نظرت حكومة جلالة الملك إلى التمهيدات التي نحتها نحو حفاظها العرب والفرنسيين . وهي تمهيدات — كما سبق إيضاحه — قد يُبنت الملك حسين قبل دخوله في الحرب . وهي لم تستطع إلا بعد صعوبة أن توطن لسموكم تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتغل على دمشق وحماة وحمص وحلب كما سبق الوعد للعرب مع الملك حسين .

أما فيما يتعلق باحتلال فرنسا لبقية سورية فهي تسأل سموكم : أن تذكروا أن العرب مدينون بنيل حريتهم بدرجة عظمى للضحايا العظمى التي تكبدتها الأمة الفرنسية

في هذه الحرب ، وحقيق أن المساعدة الفرنسية في سوريا عينا لم تكن عظيمة لاشتغال فرنسا بالعراك في جهات أخرى غيرها ، ولكنها في ميادين الحرب الحيوية في أوربا قد خسرت مليون وأربعمائة ألف جندي ، وتكبّدت دينا لا يقل عن الدين الذي تكبّده بريطانيا العظمى لنسحق القوة التي أبدت الاستبداد التركي ، والتي لولا موهبتها لم تستطع القوة الحربية التركية من أن تدوم أكثر من بضعة أسابيع .

ولذلك لحكومة جلالة الملك تؤمل من سموكم أن ترضوا بالانقراحات التي يبيّنها في مذكرتها عن احتلال سورية ريثما يتم الصلح مع تركيا . وأما الاعتبارات التي تذكرونها عن مستقبل الشعب السوري والعربي سنطلب بالخاص من مؤتمر السلام — الذي أنتم أحد أعضائه اللوقرين — والذي يكون له القوة النامة للبيت في المسألة العربية كلها ، والذي لا يقتصر في أعماله على رأي سموكم ورأي الشعب العربي فقط ؛ بل يناول سائر التمهيدات والمجاهرات الصادرة من الدول العظمى .

وإن حكومة جلالة الملك لا تشك أبداً في أن أحسن الطرق للشعب العربي : هو أن يقبل التدبير المؤقت المقترح ، وأن يدخل في تدابير حربية عملية لأجل إنفاذها مع حليفه بريطانيا العظمى وفرنسا ، وهي كما أشارت سابقاً تلج الآن بأن سموكم تبحثون حالا في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية ، وحكومة جلالتهم تعمل ما في وسعها بكل سرور لتسهيل اتفاق مرضي حيي بين حليفها فيما يتعلق بالاحتلال سحابة هذه المدة .

وتعتبر الحكومة البريطانية أنها مقصرة بواجبها نحو حلفائها العرب إذا لم توضح بحرص وبكل مودة أنها لا تقدر أن تتصور شيئاً أشد فشلاً لآمال العرب ونجاحهم في مؤتمر السلم وبعده من طريقة المقاومة العسكرية الملح إليها في كتاب سموكم ، وهي بصفتها صديقة العرب المحلصة والمريدة لم كل خير تدعوم إلى قبول التدبير المقترح .

وعلاوة على ذلك أرجو أن يكون هذا الكتاب مميناً على نجاح محادثاتنا في المستقبل مع سموكم ، والتي أنطلق إليها بكل سرور ، وإني أثق أنه يكون وسيلة لتقريب العلاقات بين هذه البلاد وحليفها الفرنسيين والعرب .

وإني أتمنى من سموكم أن تثقوا بأن للحكومة البريطانية الماطفة والإيجاب بالشعب العربي الذين حلاها على تأييد جلالة الملك حسين في ثورته ضد الترك ، والذين يمثلون

طرق الملاقة مع سموكم في الحرب المظيصة الظافرة التي اشركتم سموكم في الجهاد فيها زمناً طويلاً .

ولي الشرف أن أكون خادم سموكم الخاضع المطيع ؟

اللورد كرزون أوف مدلتون  
وكيل خارجية حكومة جلالة الملك .

## مذكرة

### إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في فرساي

استدعاني فخامة رئيس الوزارة البريطانية من دمشق في خلال شهر سبتمبر لمفاوضة الدول العظمى في المسألة السورية . ولسني فخامته في لوندرة مذكرة تحتوي على تهيئات معينة في الإدارة الحالية في سورية . وقال إن نسخاً منها سلمت لمندوبي فرنسا وأمريكا وإيطاليا . وقد فهمت من المكاتبات والمعاملات التي تبعت ذلك أن المذكرة المشار إليها لم تسكن مبنية على اتفاق بين بريطانيا العظمى وأية دولة أخرى . وإنما هي بيان اقرار اتخذته بريطانيا العظمى لأسباب اقتصادية فيما يتعلق بانسحاب جيوشها من بعض الولايات العربية ، ويقال إن المسألة كلها اتفاق عسكري مؤقت . وليس له صفة إدارية أو سياسة ، وإنما اتخذ لحفظ النظام إلى اقرار النهائي الذي سيصدره مؤتمر السلام عن حكومة البلاد المستقلة .

فأنصت النظر في هذه المكاتبات ، ولما كنت أراقب عن كثب الحالة العامة في البلاد العربية منذ عقدت الهدنة مع الترك . ولا يخفى على حضراتكم أي في موقف يؤهلني للحكم بأحوال بلادى . فقد وصلت إلى النتيجة الآتية :

إن تنفيذ هذا المشروع مخالف لحقوق الأمم ، ومجحف بحقوق شعبي وبلادي ، ويخل بالأمن العام في الشرق كله ، وإنى واثق أن الدول العظمى ذات المصالح في الشرق يصيبها من الضرر بقدر ما لها من المصالح هناك ، وأن الدولتين لا يمكن أن تكونا عاتيتين

بالمشاكل التي قد تقع من تغيير الحالة الحاضرة المؤسسة منذ الاحتلال ، لأن هذا الاتفاق يغير الإدارة المؤقتة منذ الاحتلال بلا اتخاذ تدبير مؤقت يقوم مقامه .

لما أخبرتني الحكومة البريطانية عن هذا المشروع الذي يسمونه ( مشروعا مقترحا ) مبني على معاهدة سايبكس — بيكو سنة ١٩١٦ احتججت ودونت الأسباب التي دعيتني إلى ذلك . فلما تحققت الحكومة البريطانية حرج الموقف قبات اقتراحي بتعيين لجنة أمريكية وبريطانية وفرنسية وعربية للنظر في المسائل المتأقفة بالجللاء الآتي ، وأتأسيس إدارة واحدة مؤقتة تقوم مقام الإدارة الحاضرة . فلما عرض هذا الاقتراح على الحكومة الفرنسية أخبرني اللورد كرزن وزير خارجية بريطانيا العظمى أن المسيو كلنصور لم يستحسن هذا الاقتراح ، وأعرب عن رغبته في أن يراني في باريس ، وعلاوة على ذلك فإن الحكومة الفرنسية رفضت الموافقة كما هي وأخبرتني نفسها على اقتراح بريطانيا إلا فيما يختص بجللاء الجيوش البريطانية في أول نوفمبر ، فالحكومتان نظرنا فقط إلى ما يختص بمصالحنا في المسألة ولم تقدر التقدير اللازم لما يكون لذلك من التأثير في الشعب السوري ، ولما كانت على مسؤولية سلامة ونجاح بلادى فقد أخبرت الحكومة الفرنسية كذلك عن الأسباب التي تمنعني عن الموافقة على هذا الاتفاق ، وأعدت عليها الاقتراح بتأليف اللجنة المختطة ، فريس الوزراء الفرنسية في رده على رفض قبول أى اقتراح من اقتراحاتي ، اعتقاداً منه أن المجلس الأعلى قد اتخذ قراراً في هذا الأمر . وقال إن : الجنود الفرنسية مستعدة لحفظ النظام في منطقتي ومساعدتي على ذلك في منطقتي حالما أطلب ذلك منها . وأظن أن المسيو كلنصور يعتقد أن الحركة التي نخشاهما يكون سببها المخوضون ، وليس انفعاراً ذاتياً لشعور وطني . وإن في ريب من أن المجلس الأعلى والرأى العام في العالم اللمدن أجمع يوافق على اتخاذ الوسائل لاتخاذ الحركات الوطنية المشروعة مما لا يكون من نتائجه إلسفك الدماء . وقد فهمت أن المجلس الأعلى لم يتخذ أى قرار في هذا الأمر . والذي أعلمه أن غاية مافعله : أنه دون هذا الاتفاق في ١٥ سبتمبر . ويظهر أن المجلس الأعلى فهم أن هذا المشروع المقترح لم تكن الغاية منه سوى استبدال الجيوش ، وأنه لم يشمل أى تغيير سياسى أو إدارى في بلاد العدو المحتلة التي تدار شؤونها الآن باسم الحلفاء . فن الواضح إذن أن المشروع المقترح لم يوافق عليه أولو الأمر للناط بهم ذلك ، ويجب



أن يعاد النظر والمناقشة فيه في المجلس الأعلى ، وإني أعرض فيما يأتي الأسباب الجوهرية التي قد تدفع الشعب إلى اليأس من مستقبله ، والتي أبني اعتراضى عليها على الاقتراح :

( ١ ) يصعب على أن أنهم أن المشروع عسكرى محض ، ويظهر لى أنه يحتوى على أمور اقتصادية وسياسية لا يمكن البت فيها إلا في مؤتمر السلم ، فإن مجرد زرع السلطة العليا في الإدارة من يد واحدة ، وقسمة البلاد إلى ثلاث مناطق مختلفة مرجع كل منها حكومة دون غيرها ، وكل منها تعمل على نظام مختلف — لمو بلا ريب تغيير ذو شأن . لا يمكن أن يقال إنه إجراء عسكرى . فإن بعض المسائل كالاتفاق على السكك الحديدية ومناطق النفوذ وغير ذلك لا تدخل في جملة الوسائل المتخذة لحفظ النظام حتى يصدر القرار النهائي في المسألة السورية من قبل مؤتمر السلم .

( ٢ ) إنه بموجب التدبير المقترح تقسم الولايات العربية إلى ثلاث مقاطعات : واحدة منها تحت الإدارة البريطانية ، والثانية تحت الإدارة الفرنسية ، والثالثة تحت الحكومة العربية . ومعنى ذلك : أن الأمة السورية التي طالما تآقت إلى وحدة الإدارة قد تقطعت أوصالها وجعل لكل جزء منها حكومة خاصة ؛ فالضرر الناشئ عن ذلك هو ضربة قاضية على البلاد ؛ فإن المذاجات بين سكان المقاطعات المختلفة التي قد تكون تحت راحة — أو جهل — الموظفين الذين قد ينشطوا منها ، أو زرداد المزاخمة بين الحكام المختلفين ؛ فيقف ذلك في سبيل الفوائد التي تنجم عن وضع البلاد تحت إدارة واحدة .

نعم إن الجزء الذي ترك للحكومة العربية يقال : إنه ولاية عربية مستقلة ، ومع ذلك فقد وضع تحت نفوذين مختلفين : أحدهما بريطاني . والآخر فرنسى ، وكل مساعدة لأحد هذين الجزأين يجب أن تطلب من الدولة التي لها النفوذ هناك . فهل سمع في تاريخ المالم أن أمة من الأمم أمكنها الرقي في أحوال معاكسة كهذه ؟ ولا شبهة أن هذا التدبير يشبط عزائم الأمة ، ويكون مدعاة لخفتها ، فتزول ثقتها بالحنفاء ، وتبدل جهدها في الدفاع عن وحدة البلاد . نعم إن الأمة ضعيفة ، ويعتذر عليها المقاومة الطويلة ، لكنها لا تنجم عن الموت في سبيل مطالبها العادلة ؛ فمن يكون مسؤولاً أمام العالم للمتمدن عن مسئولية كهذه ؟ ولا يستطيع أحد أن يفتن الأمة أنها على ضلال فيما قد وضعته نصب أعينها . وكل من

اختير الشعور الغالب على الأمة لا بد من أن يعتقد بأن الأمن العام ممكن 'توطيده' بدون إراقة الدماء .

(٣) قد اقترح سحب الحيوش البريطانية على أساس لا يعترف به العرب ولا حكومة الولايات المتحدة التي أعلنت عند دخولها الحرب أنها لا تعترف بأى اتفاق سرى ، وأنا أشير بهذا إلى اتفاق سايكس — بيكو المبرم سنة ١٩١٦ م الذي تصرف بالبلاد كأنها ضيمة من الضياع ، أو سلعة من السلع في زمن كان فيه فنيانها يهرعون من سورية إلى الصحراء ليزل نفوسهم في سبيل استقلالها . فإن كل عمل يكون أساسه غير معترف به في مؤتمر السلم لا يمكن تنفيذه بلا مناقشة خاصة في ذلك المؤتمر .

(٤) لا احتل الحلفاء سورية أسرى القائد العام أن استدعى عمالي من السواحل ، وصرح للشعب السوري : أنه يريد احتلال البلاد وتأسيس حكومة موحدة فيها باسم الحلفاء وأن تبقى إدارته المشكلة على هذا الخط مممولا بها إلى أن يحين الزمن الذي يعضى فيه مؤتمر السلم قراره النهائي ، وقد اعتبر السوريون هذا التصريح عهداً من الحلفاء ، وأن بلادهم تكون أمانة في ذمة القائد نيابة عن الحلفاء ، وأن ذلك يكون أساساً لحكومة واحدة ، وُعد على القيام بها كما ذكر آنفاً . وإنى أعتقد أنه لا يمكن تغيير القواعد الأساسية في هذا التدبير قبل حلول الأجل ، أو قبل إنشاء إدارة أخرى مبنية على المبادئ عينها . أما بريطانيا العظمى فإنها تعترف بهذا العهد ، ولكنها تقول : إنها لم تكن تحسب حساباً لطول الزمن إلى أن يعضى مؤتمر السلم قراره . فهل هذا التأخير واقع ذنبه على الأمة العربية السورية ، أو هل ظهر متأخراً إخلال بولاننا نستحق عليه هذا العقاب ، فقد كنا دائماً على تمام الولاء للحلفاء من اليوم الذي ترنا فيه على الترك ، وأقل ما نرجوه هو القيام بوعده القائد العام .

(٥) إن ثورة المواطنين الشاملة الآن للولايات العربية وجميع الولايات الإسلامية في تركية الآسيوية التي أعظم أسبابها المداخل الأجنبية بلا تروم تعد خافية على أحد ، وكل من له أدنى إلمام بما هو جار في المقاطعة السورية لهو في أشد الافتناع أنه لا بد من وقوع المشاكل وفي أماكن متعددة إذا تغيرت الحالة الراهنة في الإدارة الحاضرة .

فإنى لذلك أنوسل إليكم باسم الإنسانية ، وحفظاً للسلام ، وباسم الأمة العربية وباسم

المصالح المتعددة التي لفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا في الشرق : أن لا تفتح أبواب جديدة لمشاكل أخرى قد ترى أوائها ولا يمسلم أواخرها إلا الله ، وإن حوادث إزمير وغيرها لا تزال حديثة العهد ، وأنا أخشى أن يمتد الشر إلى جميع العالم الإسلامي ظناً من الناس أن هنالك غاية معلومة للتسكاية بالإسلام ، واسكنم تفكرون أن قيام العرب بزمامة والدي تلك كانت الضربة الأولى على سياسة التمصصب الذميمة . فالعرب حاربوا الترك المسلمين لأنهم كانوا ظالمين ، وانضوا إلى صفوف الحلفاء لاعتقادهم أنهم يحاربون دفاعاً عن الحق والمدل بلا نظر إلى الأديان ، وطالما حاربت التمصصب في كل زمان ومكان مدة الحرب ، فاجتمع العرب حولي من كل صوب ودين . وكان اتحادنا وطنياً لادينيًا ، وعدد كبير من العاملين معي الآن في سبيل الوطن ليسوا من ديني ، هذا كاف ليبرهن لكم مقدار أسقى إذا انحلت هذه الفكرة الوطنية ، وتحولت إلى نزاع ديني بسبب سوء التفاهم والتدبير . فينبغي إذن أن توافقوني على قولي : إن من مصلحة الجميع حفظ السكينة التامة في الزمن القصير الباق قبل القرار النهائي في المؤتمر لإثارة الفتنة لسبب غير معقول . وأرى أنه يجب أن تعلم الدول العظمى خطورة الموقف ليتخذ الحلفاء أصحاب المصالح وإخواننا في الحرب التدبير اللازم للنظر في مصلحة كل حكومة على مقتضى مبادئ المدل التي اشتركنا في الدفاع عنها . وأصر على طلبي : أن أعرض بنفسى بياناً وافياً عن قضيتى التي تهتم بلادى أكثر من سواها ، لأن نتائج كل عمل يقام به ، تقع على وعلى بلادى ، سواء كان ذلك شراً أو خيراً .

( التوقيع ) : ( فيصل )

## قرار

### إشغال كليسيا وسورية العسكرية

أقد قبل موسيو كنصو باسم الحكومة الفرنسية اقترحات موسيو لويد جورج بإحالة الجيش البريطاني عن سورية وكليسيا ، واستبدال هذه القوى بمجنود فرنسية في كليسيا ، وفي غرب خط سايكس — بيكوفى سورية . ومن المفهوم الصريح : أن الحكومة الفرنسية بقبولها هذه الاقتراحات لم تتعهد بقبول أى قسم آخر من الاتفاقات المقترحة في مذكرة لويد جورج

المؤرخة في ١٣ أيلول سنة ١٩١٩ والتمتعة باحتلال سورية وفلسطين والعراق لحينما يصدر القرار بقضية الانتداب .

فال مؤتمر دون هذا الاتفاق النوه عنه بهصفة اتفاق مؤقت لاغير ، اتسوية الاحتلال العسكري فقط . وهو لا يؤثر على حل قضايا الانتداب والحدود التي يجب رؤيتها بصفتها جزءاً من قضية الصلح العامة مع تركيا .

### صورة البرقية المرسلة إلى جلالة الملك حسين في مكة

٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

الحكومة الفرنسية رفضت اقتراحى باسم جلاتكم بشأن سورية ، مع أن إنجلترا قبلته . وهي مصرّة على إشغال أقدام مهمة من مقاطعات دمشق وحلب تمسكاً بمذكرة لويد جورج التي قدمها للمؤتمر في أيلول . وأخبرت جلاتكم عنها . ولما كان هذا مخالفاً للحقوق والهود بين بريطانيا وجلاتكم عزمتم على تبليغ الدول بأن جيشكم في سورية سيقاوم كل تجاوز يخل بحدود المناطق الحاضرة . وإني حررت لحكومة بريطانيا اليوم أوكد لها عظيم ثقتنا بإخلاصها ، وأذكرها بهودها لجلالتكم في ٢٤ أكتوبر . أننا لا نريد إلا أن نكون على وفاق تام مع حليفتنا الأولى بريطانيا ، التي هي سند نجاحنا ، ومع سائر الحلفاء ، وفرنسا أيضاً إذا رضيت باقتراحى الأخير الذى لاحياة بدونه الآن . وهو إبقاء الحدود الحاضرة كما هي ، وتأليف لجنة تحفظ وحدة الإدارة بين المناطق الثلاث ، حتى قرار المؤتمر النهائى ؟

\* \* \*

الموضوع : احتجاج على الاحتلال البقاع

من : سمو الأمير فيصل المعظم .

إلى : رئيس وزارة فرنسا المسمى كليمنصو

التاريخ : ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩

( النص )

لخاتمة الوزير :

أخبرني المسيو غورو اليوم شفويًا ، الساعة الثالثة بعد الظهر : أنه على إثر حادثة ضابط الارتباط الفرنسي ، وجرح جاويش ، بتاريخ ١٤ ديسمبر ، شنت الجنود الفرنسية في اليوم الثاني للحادثة نحو بعلبك ، بحجة تأمين النظام والأمن . وامررى إن هذا القرار الذي اتخذته الجنرال غورو دون أن يدع للحكومة دمشق فرصة لاتخاذ التدابير اللازمة بهذا الشأن مما يخالف الاتفاق المعقود بيننا ، والذي ينطوق صراحة بأن القوة الموجودة في تلك الجهات إذا كانت غير كافية يؤتى بالمدد من دمشق ، تأمينًا للنظام ، وإعادة الأمن الذي نسال عنه الحكومة العربية دون سواها . إني واثق بأن الحكومة الفرنسية لا يمكنها أن ترضى عن مثل هذا العمل الذي يناقض علنًا نص اتفاقها ، وإني لا أشك أبدًا أن الحكومة الفرنسية لابد أن تعمل بما يوحى إليها شرف تمهدها . وأن تصدر الأوامر اللازمة للجنرال غورو ليعسحب هذه الجنود من الأماكن المحتلة خلافًا لاتفاقنا السابق ، وحبًا بالحفاظ على مواده . ومع أنى أرجو أن تطمئنوني عن هذا الأمر ، فلي الشرف أن أقدم لافخاتمكم فائق تحياتي مـ

الخطي

فيصل

## صورة كتاب

من المسيو برتلو إلى سمو الأمير فيصل

باريس - بلا تاريخ

أخذ يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

مولاي .

أريد أولاً أن أبين لكم السرور الذي خامر رئيس مجلس الوزارة عند ما أخذ علماً

بالانفاق الذى أوصلتنا إليه روح التآكف ، المتبادل بشأن اللجنة العسكرية التى ينبغى أن تفصل فى العلاقات التى قد تحدث بين مناطق الاحتلال المختلفة ، وبشأن الوقت الموقت فى البقاع . أما من حيث هذه النقطة الأخيرة : فإنى أعتبر أن الصراحة العامة التى ينبغى أن تكون رائد محادثتنا تقتضى أن يكون معلوماً فيما بيننا : أنه مقابلة لرغبة شخصية أظهرتموها ، واحتراماً لمواطنكم الودية الخالصة التى أبدىتموها ، تنازلت الحكومة الفرنسية مؤقتاً عن حقها الذى صادق عليه المؤتمر بخصوص احتلال أراضي البقاع بمجنود فرنسية .

وإذا لم يؤكد هذا الاتفاق الموقت الذى وصلنا إليه باتفاق مرض وقاطع إلى ثلاثة أشهر . فليكن معلوماً أن الفريقين يستأنفان حرية العمل . ومع هذا فإنى لأشك فى أن روح الائتلاف التى بشر بها الفريقان لا تسمح لهذا الاتفاق القاطع إلا أن يبرم تغيير منافع الجميع قبل انتهاء هذه المدة .

وأرجو أن تثبتدوا باموالى بشعائر الاحترام العالى ، والعاطفة الحبية التى أدين بها لسموكم الملكى ؟

برنلو

## صورة كتاب

من سمو الأمير إلى السيو برنلو مدير الأمور السياسية العام

فى نظارة الخارجية الفرنسية — باريس ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٩

عزيرى حضرة المدير .

أنشرف بإبلاغكم طيه نص البرقية التى أرغب إرسالها إلى الأمير زيد ، وفقاً لمنطوق اتفاقنا .

وفى أشكركم على المساعى التى بذلتموها فى سبيل الوصول إلى ائتلاف حميم بين فرنسا وسوريا . وفى هذا الصدد لا يسعنى إلا أن أرجوكم بأن تفضلوا وتجربوا حضرة رئيس مجلس الوزارة باعترافى بجميله لقبوله اقتراحاتى بخصوص قضية الاستبدال .

وإنك يا عزيرى المدير لا تشك بأننى مسعيد لتمكنى بفضل معاونتكم الناجمة من

الوصول لهذا الائتلاف الأول ، الذي أوصل أن يتبعه في القريب العاجل ائتلاف أمم ، ونفع أعظم خير الجميع . وإن لم أزل منذ وصولي إلى باريس أصر - كما هو معلوم لديكم - على هذه النقطة . وهي أن تصدى كان الوصول إلى عقد ائتلاف مع الحكومة الفرنسية التي مع قبولي ما يضمن للشعب السوري سيادته الوطنية ستمنح للبلاد - بطلب مني - معونتها المالية ومستشارين بقصد التعاون الودي مع الحكومة الوطنية المؤسسة من قبل الأهاليين .  
وتقبل يا حضرة الرئيس بيان احترامي العالي

فيصل

## صورة البرقية

المرسلة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٩

إلى سمو الأمير زيد في دمشق

أخبركم بكل ارتياح وسرور أن الحكومة الفرنسية قبات بتأليف اللجنة التي طلبتها والتي ستكون مؤلفة من فرنسي وإنجليزي وعربي لأجل تسوية المشاكل التي قد تحدث بين المناطق ، وابتقاء لتطمين أهالي سورية بأن الاتفاق الأخير هو عسكري محض ومؤقت ، فالجنود الفرنسية لا تحتل البقاع ، ولا محلا آخر من منطقتنا الحاضرة ، والجنود العربية سوف تنسحب من البقاع دايلا على ثقتنا المتبادلة . ويبقى الدرك العربي هناك مكلنا بحفظ النظام والأمن تحت أوامر القاعقام . وعند اللزوم يؤتي بمفرزات دركية من دمشق ، هذا إذا كانت القوى الموجودة غير كافية .

وسيهده إلى هيئة مؤلفة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عرب معاً أن تلاحظ بالاتفاق حسن تنفيذ وظائف الشرطة والدرك في تلك الجهة ، وترفع تقريرها إلى القاعقام . المفاوضات جارية مع الحكومة الفرنسية بإخلاص وثقة متبادلة . فليطمئن الأهاليون وليهدأ بهم . وقد بلغت الحكومة الفرنسية هذا الاتفاق إلى الجنرال غورو

فيصل

## صورة كتاب

من سمو الأمير إلى المسيو برتلو مدير الأمور السياسية العام

في نظارة الخارجية الفرنسية

باريس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

حضرة المدير العام

نشرفت بإعترافي لسمك في كتابي الأخير بتاريخ ٢٦ الجاري عن امتقاني وشكري على الاتفاق الذي مكننا — بفضل وساطتكم السعيدة — من حل المشكلة التي نجمت عن انسحاب الجيش البريطاني . وقد بعثت إليكم بصورة البرقية المحتوية على التعليمات التي أرسلتها لأخي زيد واقترنت بموافقتكم .

وإني بهذه المناسبة أسمح لنفسي بتذكيركم بأن البرقيات التي أرسلت إلى سورية لم يرد فيها مسألة سحب المفزة المدفعية الفرنسية التي يجب أن تنسحب مع الجيوش البريطانية من دمشق في وقت واحد .

وعلى كل أكون شاكراً إذا بلغتم الجنرال غورو معتمد الجمهورية العالي كي يأمر بتنفيذ هذا الانسحاب .

إن هذا كله هو في الحقيقة نال خير ، يؤملني بأن الائتلاف الذي ألحتم إليه في برقيتكم المرسلة إلى الجنرال غورو ، وإن لم تعرض له حتى الآن ، فإنه لا يلبث أن ينجلي بفضل مذاكرات تؤدي بنا إلى اتفاق مبنى على منافعنا المشتركة .

وتفضلوا يا حضرة المدير بقبول فائق احترامي ؟

فيصل



## صورة كتاب

من سمو الأمير فيصل إلى السيو برتلو

باريس في ٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

حضرة المدير العام .

إلى الشرف أن أقدم لكم طي هذا الكتاب بريقة لأخى الأمير زيد . فأرجوكم أن تطلقوا بإرسالها إلى الشام . وأن نوصوا بإبلاغى جوابها سريعاً .  
وإني مع الانتظار أكون لكم شاكرًا إذا تفضلتم بإعطائى ما لديكم من المعلومات التى تهنى بشأن الحالة الحاضرة فى سورية .

وتفضلوا يا حضرة المدير العام بقبول فائق احترامى ؟

فيصل

## صورة البرقية

الأمير زيد — دمشق .

إن خبر إبعاد الجنرال الهاشمي استوجب عظيم استغرائى . انتظر بكل مرعة المعلومات المفصلة ؟

فيصل

## صورة كتاب

من سمو الأمير إلى السيو كلنصو

باريس في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

يا حضرة الرئيس :

لازال تحت حسن تأثير الاستقبال الجميل الذى تطلقتم به على ، وإنى أحسب من أعز واجباتى أن أشكركم على ذلك .

وقد وافقت — امتثالاً لرغبة حضرتكم — على تأخير سفرى إلى أن يعود المسيو برتلو ، وذلك أملاً أن نحل في هذه البرهة مسألة حدود لبنان . وإنى كنت سعيداً جداً لتسكنى من أن أقدم في هذه المناسبة دليلاً جديداً على رغبتي القوية في الوصول إلى اتفاق حقيقى .  
ولاشك أن المعطف والأهتام اللذين أظهرتموهما لى بعثالى جسارة على أن أعرض بكل إخلاص على سعادتكم ما يخامرنى من الاتفاق الذى لم تكن وضعية الجبال غورو في البقاع إلا لتزيده شدة ، ورغماً من محاذرتى في إضاعة وقتكم والنين فانى لا أرى مندوحة عن أن ألتص لحضرتكم الموقف الحاضر كما هو :

إنه من مقتضى الاتفاق الذى عقدناه في الخامس والعشرين من الشهر المنصرم أن « لا تدخل الجنود الفرنسية البقاع ، وأن تنسحب منه الجنود العربية . ولا يبقى محتلاً وخاصة في بعلبك وحاصبيا ورشيا ، إلا الدرك التابع لأوامر القائمتامين ، وستواف بهمة تفتيشية من ثلاثة ضباط عرب وثلاثة ضباط فرنسيين يرسلون معاً إلى تلك النواحي كي يلاحظوا بالاتفاق حسن تنفيذ وظائف الدرك والشرطة المسئولين عن الأمن . وإذا وجد ضباط العرب والفرنسيون قوة الدرك الموجودة هناك غير كافية فتمتدز بقطعات دركية أخرى يؤتى بها من دمشق »

فهل التجاوز الذى وقع على الضابط الفرنسى وجاوشه يبرر الإخلال بهذا الاتفاق ويجيز القرار الذى اتخذته الجبال غورو ؟ خصوصاً أن السلطة المحلية هى المسئولة وحدها عن إرجاع الأمن ، وأن جلب القوى من دمشق عند الضرورة منصوص عنه في الاتفاق ؟ لذلك فانى أرى من واجبى أن أصر على لزوم الاحتفاظ بهذا الاتفاق الذى هو أول اتفاق عقد بيننا ليكون له وقع حسن في نفوس الأهلىن ، ويسهل لى القيام بعملى ، ويزيد في الثقة المتبادلة بيننا ، اللازمة لتنمية متساواتنا المستقبيلة .

وقبل أن ننظر في فصل مسألة حدود لبنان التى نعمل الآن على حلها ، فإن حضرتكم إذا أعطيتم أسراً بسحب الجنود من الحالات التى احتلتها خلافاً لاتفاقنا تسكونون قد أظهرتم دليلاً جديداً على اهتمامكم العالى بنجاح مذكرتنا ، وفتقتم بذلك عنى عبئاً ثقيلاً .  
وأرجو بأن يجد طلبى هذا قبولاً حسناً لدى سعادتكم . فانى أرجوكم أن تهفوا بقبول فائق شامراً احتراماتى الخاصة ؟

## مشروع المعاهدة الهاشمية - الانكليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الناهض بأقوامه العرب مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكها ، حامى حتى بلد الله الأمين ، ومدينة جده سيد المرسلين ، وجلالة ملك البلاد المتحدة بريطانيا العظمى وإيرلند والأملاك البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند ، بالإصالة عن نفسيهما ، وبالنيابة عن وراثتهما وخلفائهما - مدفوعين بالرغبة الخاصة لتوطيد وثقوبة عرى الصداقة والولاء المؤسسة بين بلادهما أثناء الحرب التي اقتضاها معاً على الدول الجرمانية وتركيا ، ومحولين أيضاً برغبة تمكين مصالحهما وتأييد السلام الدائم والاتحاد بين الشعوب العربية .

ولما كان صاحب الجلالة الهاشمية قد سمي وعين صاحب السمو الملكي الأمير زيد وحضرة صاحب الإقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل خارجية جلالاته الهاشمية مفوضين من قبل جلالاته لعقد معاهدة مع صاحب الجلالة البريطانية للوصول إلى هذه الأغراض .

ولما كانت صاحب الجلالة البريطانية قد سمي وعين جناب الميجر و. ا. مرشال M.E.R.A.M.C. معتمد وتمصل جلالاته بمجدة مفوضاً من قبل جلالاته لعقد معاهدة للوصول إلى هذه الأغراض مع صاحب الجلالة الملك حسين .

قد اتفق صاحب السمو الملكي الأمير زيد والشيخ فؤاد الخطيب و جناب الميجر مارشال على المواد الآتية وتعاقدوا عليها :

المادة الأولى - سيكون السلام والوادة دائمين بين صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الجلالة البريطانية وورثائهما وخلفائهما . وقد اتفق كل من الفريقين المألفين المتعاقدين على استعمال جميع الوسائل التي تبيحها قوانينه لمنع استخدام بلاده كقاعدة لحركات موجبة ضد مصالح الآخر الحالية أو المستقبلية وقد وعدوا بذلك .

المادة الثانية - تتعهد الحكومة البريطانية المالية بأن تستعمل نفوذها في المساعدة على تسوية أي خلاف على الحدود يحدث بين صاحب الجلالة الملك حسين وأحد جيرانه

الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة ، وسيكون صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين حراً في كل الأوقات أن يطلب وساطة صاحب الجلالة البريطانية في حالة حدوث مثل هذا الخلاف .

المادة الثالثة — تتمتع الحكومة البريطانية المالية بأن تمنع بجميع الوسائل السلمية التيسرة لديها — وخصوصاً بإيقاف الإعانات من أي نوع كان — كل تمرد على بلاد صاحب الجلالة الهاشمية من المقاطعات المجاورة التي بينها وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة .

المادة الرابعة — قد بلغت جلالة الملك حسين للمعاهدات المعمول بها الآن بين الحكومة البريطانية المالية والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود . وكذا بين الحكومة البريطانية المالية ، والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود .

يعترف بهذا جلالة الملك حسين بالمعاهدات المذكورة الوجود الآن بين الحكومة البريطانية المالية والسيد محمد بن علي الإدريسي ، وكذا بين الحكومة البريطانية المالية والسيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود . ويتمتع جلالتهم بأن يتمتع عن الإنثان بأى محل يمرقل — أو يمكن أن يمرقل — تنفيذ هذه المعاهدات السكلى بواسطة الطرفين المتعاقدين .

المادة الخامسة — يتمتع جلالة الملك حسين بأن يحافظ بكل ما فى وسعه وقوته على السلام والصلات الودية مع جيران جلالتهم الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة ، وأن يتمتع عن التمدى بدون موجب فعلا أو شكلا على هذه البلدان المجاورة ، وأن يعارض ويمنع بقدر استطاعته أى مؤامرة أو دسيسة داخل بلاد جلالتهم الهاشمية تكون موجهة ضد هذه البلدان أو ضد مصالح حكائهم .

فى المسائل الهامة التى تحدث بين حكومة صاحب الجلالة الهاشمية والمقاطعات المجاورة يكون لصاحب الجلالة الملك حسين الخيار فى طلب وساطة صاحب الجلالة البريطانية كما ذكر فى المادة الثانية .

المادة السادسة — اتفق وتواعد كل من الفريقين المتعاقدين العالين على قبول معتد الآخر والاعتراف به ، فيجوز جلالة الملك حسين أن يعين معتدلاً للحكومة العربية الهاشمية

في لندن ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين معتدلاً بريطانياً يقيم في جدة ، أو أى مدينة أخرى على ساحل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية . ولا يعين صاحب الجلالة البريطانية معتدلاً بريطانياً بمكة للكرمة والمدينة المنورة احتراماً لصفتهما المأثورة .

وكذا سيكون لجلالة الملك حسين إذا أراد ذلك أن يعين وكيلًا قنصلياً في إنجلترا والقطر المصري والمند ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين وكيلًا قنصلياً في جدة وفي موانئ أخرى لصاحب الجلالة الهاشمية التي تراها الحكومة البريطانية من آن لآخر مناسبة ويستمتع هؤلاء المندون والوكلاء القنصليون بالامتيازات السياسية والقنصلية المعتادة .

المادة السابعة — يعترف بهذا جلالة الملك حسين بالاحتياطات المؤقتة للكتورتينا التي اتخذتها الحكومة البريطانية العالية في القمران ، كما تقتضيه شروط الاحتياطات الطبية المسنونة في العقد الدولي الصحي لعام ١٩١٢ أو أى عقد صحى آخر يكون مقيداً للحكومة المذكورة :

ومن جهة أخرى فإن بريطانيا توافق على الاعتراف بالاحتياطات التنكيلية التي يلزم اتخاذها في جدة ، وفي موانئ أخرى من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية ، تطبيقاً للنصوص الطبية الواردة في الاتفاقى أو الاتفاقيات المذكورة ، وذلك بمقتضى لوائح يصدرها جلالة الملك حسين .

المادة الثامنة — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن لا تتدخل بأي حال من الأحوال في الإجراءات التي يتخذها جلالة الملك حسين لراحة الحجاج والاعتناء بهم داخل بلاد جلالاته الهاشمية ، مع مراعاة ما جاء في المادة العاشرة .

وتتعهد جلالة الملك حسين من جهته بأن يساعد كل مجهود يبذله الرعايا البريطانيون المسلمون ، والأشخاص أو الجماعات المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية للاشتراك في سبيل رفاة الحجاج في الحجاز ، وصحتهم وتموينهم ، كما يفعل جلالاته فيما يخص بعين زبيدة .

المادة التاسعة — قد اتفق كل من الفريقين العاليين المتماقدين على أن يحدد مبلغ معين على كل حاج بصفة رسوم ، وأن يعين مقداره لغاية أول يوم من جمادى الأولى من

كل سنة ، وذلك للاحتياجات الصحية التي يتخذها كل منهما . وستكون هذه الرسوم شاملة لمروريات جميع الاحتياجات الصحية لحين يوم نزول الحجاج إلى البر . وتكون داخلية في ثمن تذكرة السفر التي تصرف من شركات الملاحة المختلفة .

ويستولى الملك حسين على الرسوم المفروضة للاحتياجات التي تتخذ في موانئ جلالاته الهاشمية ، وبالمثل تستولى الحكومة البريطانية المحلية على الرسوم المفروضة للاحتياجات التي تتخذ في القمران .

المادة العاشرة — وافقت الحكومة البريطانية العالبة على أن تعترف بالهبة الهاشمية لجميع رعايا جلالة الملك حسين الذين يوجدون في أي وقت كان داخل بلاد صاحب الجلالة البريطانية ، أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية ، أو الوثيقة تحت الانتداب البريطاني شرطاً أن يكون هؤلاء الرعايا الهاشميون حائزين على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين تثبت التابعية الهاشمية لحاملها .

ووافق جلالة الملك حسين من جهته على أن يعترف بالهبة البريطانية لجميع رعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يوجدون في أي وقت داخل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية . مادامت أسماء هؤلاء البريطانيين — أو الأشخاص المشمولين بحماية بريطانيا العظمى — مسجلة في قنصلية بريطانية في البلاد الهاشمية .

ومع ذلك فإن أحكام هذه المادة لا تسرى على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يمكن أن يمين صاحب الجلالة البريطانية وكيلها قنصلها فيها .

المادة الحادية عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تمتلك الرعايا البريطانيون أو الأشخاص الثمسين بحماية صاحب الجلالة البريطانية تسلم في حالة موتهم في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية إلى المثل البريطاني فيها ، أو إلى أي سلطة يعينها لهذا الغرض ليتصرف حسب القوانين التي تنطبق على الحالة . ويراعى ممثل بريطانيا في البلاد المذكورة أن الرسوم والضرائب الواجبة على تلك الممتلكات بمقتضى اقتراعات الهاشمية تسد في حينها

المادة الثانية عشرة — وافق بهذا صاحب الجلالة الملك حسين على أنه في جميع القضايا التي تنشأ في البلاد الهاشمية ، ويكون أحد الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية مدعياً فيها أو مدعى عليه يحضر ممثل قنصلى بريطاني في المحاكم الهاشمية أثناء سماع القضايا ، وفي الأحوال التي يظهر فيها الاعتماد البريطاني رغبته في إجراء تحقيقات سياسية مع صاحب الجلالة الهاشمية ، فلا تداع الأحكام . ولا تنفذ خلال مدة التحقيقات المذكورة ، ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين ، والأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية ، الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلاً قنصلياً فيها .

المادة الثالثة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يأمر بتسليم الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية للقبرض عليهم بأمر من الحكومة الهاشمية إلى السلطة القنصلية البريطانية في الأحوال التي تضمن فيها السلطة للذكورة استحضارهم متى طلبتهم منها الحكومة الهاشمية .

ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلاً قنصلياً فيها .

المادة الرابعة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تنظر السلطة القنصلية البريطانية في القضايا التي تقع بين الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية ، والتي لا تمس مصالح الرعايا الهاشميين .

ولا تسرى أحكام هذه المادة في الأحوال التي يرغب فيها الفريقان المتناضيان أن يرفعا القضية إلى المحاكم الهاشمية ، كالتصوص في المادة الثانية عشرة ، وكذا لا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في البلاد الهاشمية خارج جدة أو الموانئ التي يمكن أن يعين فيها صاحب الجلالة البريطانية وكيلاً قنصلياً .

المادة الخامسة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يشهر المعتمد البريطاني في جميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى نفي أحد الرعايا البريطانيين — أو شخص متمتع بحماية صاحب الجلالة البريطانية — من بلاد جلالته الهاشمية ، وأن المعتمد البريطاني يكون مسؤولاً عن نفي الشخص المعين في مدة معقولة .

المادة السادسة عشرة — وافق صاحب الجلالة البريطانية على أن يتنازل في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية عن جميع الامتيازات والاستثناءات التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون ، أو الأشخاص المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية بمقتضى الامتيازات الأجنبية بين بريطانيا العظمى والحكومة العثمانية إلا ما ذكر في هذه المعاهدة .

المادة السابعة عشرة — يعترف جلالة الملك حسين بموقف صاحب الجلالة البريطانية بخصوصي في العراق وفلسطين . ويعتهد أنه في المسائل الواقعة تحت نفوذ جلالته الهاشمية في تلك البلاد يفرغ استطاعته لمساعدة صاحب الجلالة البريطانية .

المادة الثامنة عشرة — تثبت بهذا الحكومة البريطانية الاعتراف بها بملك صاحب الجلالة الهاشمية ، شرطاً أن المراكب غير سراكب الحكومة الهاشمية التي ترفع العلم المذكور تكون مجهزة في جدة أو ينبع أو في أي ميناء محدد معلوم من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية وأن تكون حائزة على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين . وتنطبق بصفة عامة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطيها عادة الممالك البحرية الرئيسية لمراكبها .

وبأيت جلالة الملك حسين من جهته بهذا اعترافه بالأعلام التي ترفعها المراكب التجارية التابعة لأي قسم من أملاك صاحب الجلالة البريطانية ، أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية ، أو الواقعة تحت الانقداب البريطاني ، بشرط أن المراكب التي ترفع هذه الأعلام تكون حائزة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطيها عادة الدول البحرية الرئيسية إلى مراكبها .

المادة التاسعة عشرة — يصرح بهذا كل من الفريقين المتعاقدين العالين أنه أثناء مدة هذه المعاهدة لا يدخل في أية معاهدة أو تفاه أو اتفاق مع فريق ثالث يكون للفرص منه موجباً ضد مصالح الفريق الآخر المتعاهد العالين .



المادة العشرون — لا يتطلب أى شرط من الشروط الواردة فى هذه المعاهدة على أى قيود تكون قيدت بها ، أو ستقيد فى المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين العالين بأحكام عهد عصبة الأمم ، أو بأى عهد آخر يكون امصبة الأمم أن تتخذ ويدخل فيه أحد الفريقين .

المادة الحادية والعشرون — يعمل بهذه المعاهدة من تاريخ التوقيع عليها . وتبقى نافذة المفعول مدة سبع سنوات من ذلك التاريخ . وإذا لم يخبر أحد الفريقين العالين المتعاقدين الآخر قبل مضى السبع السنوات المذكورة بستة شهور بمزمه على فسخ المعاهدة فيستمر معمولاً بها لحين مضى ستة شهور من اليوم الذى يرسل فيه أحد الفريقين العالين المتعاقدين إعلاناً كهذا .

حررت هذه المعاهدة الحالية باللغتين العربية والإنجليزية ، وستحفظ صورة من كل منهما فى سجلات الحكومة الهاشمية . وأيضاً صورة من كل منهما فى سجلات حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وقد وقع عليها بمجدة المفوضون المذكورون بعاليه فى اليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة واحد وعشرين ميلادية الموافق اليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وأربعين من التاريخ الهجرى .

بسم الله الرحمن الرحيم

بمجد الله وتوفيقه :

نحن الحسين بن على الناهض بأقوامه العرب ، مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكها ، حامي حرم بيت الله الأمين ومدينة جده سيد المرسلين ، نمدى السلام على من يقرأ هذه الوثيقة . لما كان قد عقدت معاهدة بيننا وبين دولة بريطانيا العظمى تشمل على إحدى وعشرين مادة . ووقع عليها فى مدينة جدة فى اليوم التاسع عشر من شهر صفر عام ألف وثلاثمائة وأربعين هجرى الموافق لليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر عام ألف وتسعمائة وواحد وعشرين ميلادى حضرة صاحب السمو الملكى الأمير زيد وحضرة صاحب الإقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل الخارجية اللذان خولناهما الإذن بذلك .

فنحن بعد إيمان النظر فيها نؤكد التوقيع عليها بالأصالة عن أنفسنا وبالتأييد عن وراثتنا ، ونمدد أننا مسرعى بكل إخلاص وأمانة الأمور للدونة فى تلك المعاهدة ، وأنها

لا نتحمل أن ينقضها أحد أو يتعدى عليها بأي حال من الأحوال مادام ذلك في طاعتنا .  
وتركية لجميع ذلك وتأكيداً لقانونيته ، قد أسرنا بإمضاء هذه الوثيقة بختمننا ووقعنا عليها  
بيدنا الملوكية .

حرر في ديواننا الملوكي في جدة في اليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة  
وأربعين هجرية . الموافق اليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة واحد  
وعشرين ميلادية ؟

نمرة ١٥٢١ م — ١٥

الوكالة البريطانية .

سرى

جدة في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ م

إلى صاحب السعادة الشيخ فؤاد الخطيب وزير الخارجية بمكة .

سيدي :

أتشرف بأن أرسل لكم على هذا نسخة عربية من المعاهدة كما حضرناها نحن ، ونسخة  
إنجليزية من كتابكم إلى الكولونيل ت . ا . لورنس حسب طلبكم .  
ولي الشرف أن أكون ياسيدي خادمكم المطيع ؟

و . ا . مارشال

وكيل بريطانيا وقصلاها

من وزير الخارجية بمكة .

إلى الكولونيل ت . ا . لورنس .

أتشرف بأن أرسل لكم للاطلاع نسخة من محاضر المناقشات التي جرت بين الأمير

علي : نائباً عن الملك حسين وبينكم في ٧ سبتمبر سنة ١٩٢١ م

نجد :

أقام الأمير على البرهان على أن رائية وخربة وبيشة وما حولها تابعة لمقاطعة

الحجاز ، فنقبل الكولونيل لورنس هذه الحجج ، ووافق على عرضها على وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات لإرسالها لابن سعود لإبداء ملاحظاته ، وإذا سلم بصحة هذه الحجج لإعلانه أن هذه الأماكن كانت تابعة وتنبع الآن للحجاز ، وأنه إذا كان لا يزال له بمثلين هناك فسيحبهم ، وبعد ذلك فأى السكان أبى الطاعة للحكومة الهاشمية فيمامل كئاثراً ، وإذا رفض ابن سعود أن يقبل هذه الحجج فاللحكومة البريطانية تبلغ رده للملك حسين ليبدى ملاحظاته عما يرى أنماذه من الخطط .

### اليمن :

أبان الكولونيل لورنس الموقف الخالى فى اليمن وشاطئ البحر الأحمر بين عدن والحجاز ، والظروف التى احتل فيها السيد الإدريسي المدينة وأن احتلاله للمدينة مؤقت كوصى على حقوق الخلقاء ، إلى أن يتقرر مصيرها الأخير بماهدة الصالح مع تركيا ، وأن الحكومة البريطانية تكون سميدة أن ترى خدأ مشتركاً بين الحجاز واليمن بالطرق الدبلوماسية ، وقال الأمير على : إنه يعتقد أن هذه النتيجة تم متى احتلت الحكومة العربية الهاشمية ثانية : خرمه ورائية وبيشة .

وأوضح الكولونيل لورنس أن بريطانيا العظمى لم تعترف ولن تعترف الآن بأى سيادة فى عسير ، وابست مرتبطة بأى شىء يحدد حريتها فى هذا الصدد سوى مادة واحدة فى الماهدة مع السيد الإدريسي : نقره على كل أرض أخذها من الأتراك فى أثناء الحرب . وقال الأمير على : إن هذا التأخير سيعطى الحكومة العربية الهاشمية الفرصة لمد نفوذها جنوباً بالطرق السلية .

### بلاد العرب :

وقال الأمير على : إنه ليس هناك مسائل متعلقة بشاطئ بلاد العرب من عدن إلى أعلى الخليج الفارسى ، لأن معظم هذه الأماكن تشلها معاهدات عقدت مع حليفته بريطانيا العظمى تضمن لها استقلالها .

## فلسطين :

أثار الأمير على مسألة أهالي فلسطين العرب ، فأجابه الكولونيل لورنس بأن الوفد الإسلامي المسيحي يناقش في هذه اللحظة مع الحكومة البريطانية في مصرهم السياسي ، وأنه لا يمكن أن يعمل أى تصريح عن فلسطين إلى أن تظهر نتيجة هذه المناقشات . فإذا حصل الوفد على حل مرض لم فلا تبقى مسئولية على ذلك حين ، فوافق الأمير على ذلك ، وقال : وإذا أخفق الوفد فذلك حين يستأنف الدفاع عن مطالب العرب القومية في تلك البلاد . لأن أهالي فلسطين طلبوا منه المساعدة ، ومبدأه هو تأييد رغبات الأهالي بصرف النظر عن الأشخاص .

## ابن رشيد :

قال الأمير على : إن أمير جبل شمر الجديد — محمد بن رشيد — قد دخل في علاقات ودية مع الحكومة الهاشمية . فأشار عليه الكولونيل لورنس بأنه إذا كان قد حصل اعتراف أو اتفاق رسمى فيجب على الحكومة العربية الهاشمية أن تبلغه الدول مباشرة .

## الوحدة :

قال الكولونيل لورنس : إن الحكومة البريطانية ترحب بأى خطوات يتخذها العرب لتوحيد البلاد العربية ، ولكن يجب أن يكون القائم بهذه المسألة هم العرب أنفسهم . أكد الأمير على أهمية عقد معاهدة تسليم الجرمين بين الحكومة العربية الهاشمية وابن سعود بمجرد تقرير حدودها .

## العلاقات النجدية - الحجازية

نمرة ٣٣٤ م - ١/٧/١١

جدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٣

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم أيده الله

بعد أداء فائق التحية وعظيم التوقير ، فقد وصلني يامولاي خطاب جلالتهكم عمرة ٧٤ رقم ٨ رجب سنة ١٣٤١ الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٣ ، ووردت إلى أيضاً مكانية وكيل الخارجية وضمنها البرقية المرسلة إلى أعتابكم من قبل أمير جهينة . وها أنا ذا أبلغ غفوى الاثنين للجهات الاختصاصية . وإني أشكر جلالتهكم على تفضلكم بإفادتي عما وقع وعما نخشون أن يقع في المستقبل . وأما عن أولئك الذين كانوا يعتدون على بلي ، فالحمد لله على ما رجعوا مقهورين خاسرين ، ولكن اذكري يامولاي إن قلت : إن ذلك ليس بعداء بريطاني ، كما يصنفه وكيل الخارجية . إن بريطانيا المعطى لا ترجح من أي اعتداء في شبه الجزيرة ولكن بالعكس ، فإنه من صالح بريطانيا المعطى أن يسود السلام في جميع بقاعها ، وأن تلتئم تلك المراكز التي فرقها النزاع في الوقت الحاضر بفضل العلاقات الودية . وإنه لا يخفى على جلالتهكم مقدار شدة الاهتمام ورغبة حكومة جلالة الملك بأن ترى أن مسائل الخلاف فيما بين جلالتهكم ونجد قد انحلت ، وأن صحيفة جديدة في التاريخ العربي قد ابتدأت ، فهل تمنى ذلك شيء سخيف ، أو غير مرغوب فيه ، أو هل من المستحيل إنجازها ؟

إن هناك بعض أشخاص يفكرون أن مصالح شبه الجزيرة وسلامها وخيرها أهم بكثير جداً من هذا الشرط أو ذلك الشرط ، وإن أولئك الذين يفكرون ذلك لا يسهم إلا التأسف عند ما يرون أن الآمال من المفاوضات والمباحثات التي قد تنشأ منها فائدة عميمة نهائية تتحطم دائماً عند عقبة الشروط . وتذكرون جلالتهكم ما قيل وكتب حينما أعطى لحجاجهم امتياز زيارة مكة في العام الماضي . وإني لا أريد أن أدعي أن ليس لجلالتهكم الحرية في التمسك بالرأي بأن إنشاء الشروط التي تضمنوها أهم بكثير من أي شيء ينتج من المفاوضات بين الحجاز ونجد ، بل إن لجلالتهكم الحرية التامة في التمسك بهذا الرأي

أو استنكار التسليم بغيره ، إلا أن جلالتهكم تضعون ثقة في نتيجة البحث مع ابن سعود في مصالح شبه الجزيرة وحدود البلاد وخلافه ، وأن تضعوا ثقة في عدالة الحكم الذي إن احتاج الأمر إليه . فإن حكومة جلالة الملك يكون لها السرور والفخر بإيفاده ، وأن تكون هذه المباحثات أو هذا التحكيم العرفي بسيطة ومباشرة . وليست متوقفة على الإصرار بإجراء هذا الشيء . أو ذاك أولاً ، وبحيث أن يتقدم سلام وغير الجزيرة على كل اعتبار آخر . فهل في ذلك عدم لياقة بالكرامة أو جبن ؟ أو هل هو عرضة لتأويلات الأعداء ؟ أما عن الأولى والثانية فلا ، وأما عن الثالثة فتم . ولكن جميع الأعمال العظيمة عرضة لتأويلات ، وإني لأعتقد أن عملاً كهذا من جلالتهكم يكون له أعظم شأن وأجل وأبدع مكانة من أعظم الأعمال العربية في الحرب . ونفضلوا يا مولاي بقبول خالص احترامي وعظيم أشواقى ؟

نائب معتمد وقنصل بريطانيا

وكيل قنصل

جرفنى سميت

## العلاقات النجدية — الحجازية

مرة ٥٤٢ م — ٢/٢

(متعجل)

جدة في ٢ يونيو سنة ١٩٢٣ م

حضرة صاحب الائتال وكيل الخارجية بمكة المحترم .

سلاماً واحتراماً . وبعد ، أشرف بأن أخبركم بوصول نفراتكم مرة ٦٧ الذي وصلني ليلة أمس عن موضوع حجاج نجد . إن هذه المسألة المهمة كانت موضوع خطاب الميجر مارشال مرة ٨٤ بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ م الذي فيه قد تلبقم إقبالكم بأنه خارج عن الموضوع . إن حكومة جلالة الملك تفضت بأي كيفية على ابن سعود لتخفيض عدد الحجاج النجديين حتى إلى سنة أخرى . فكم سنة الآن منعت أهالي نجد من أداء هذه القرية المقدسة بناء على الطلب الشخصي من صاحب الجلالة الهاشمية . وإني لا أحتاج

أن أجل شرح المسمى والمباحث التي عملتها حكومة جلالة الملك للتشجيع على تسوية  
حبية في المسائل المطانة بين حكومتكم وحكومة ابن سمود ، وأن هذه الجهود التي كانت  
لترقية الصلات السلمية في شبه الجزيرة لم تحرم من ملاقة عقبة من جراء إصدار حكومتكم  
بأن المسائل التي تحت البحث يجب الحكم فيها مقدماً قبل أن تصدر موضع تحكيم ما ، وليس  
في ذلك مباينة بأن يقال : إن الإرجاء المستمر لأى سعى للمفاوضات الحبية مباشرة مع ابن سمود  
من أشد علامتهم تثبيط العزم بالأمور السياسية العربية الحاضرة . وإنى أذكر هذه النظرة  
السياسية في الموضوع . لأنها هي التي يظهر أنها تضيف على هذا البحث — بحث الحج  
النجدي — إحساسات واعتبارات خارجة عن صفته الدينية المستثناة . وإنى أرجوكم أن تمنقذوا  
بأنى لست أكتب هذه الأسطر بروح المعارضة الصرفة ، أو كنصيحة ووعظ . فإن الموضوع  
أكبر من أن يكون موضوع شجار . وأهم من أن يحمل في كلمات خفيفة الوزن . وهل هناك  
برهان على تموضع السكّال في الاتحاد العربي أعظم من أنه يفوق ويسمو كل إدراك ،  
وأنه يحصل في النظر بصفة تشل شبه الجزيرة ليست تقصر على أقاليم . وهل هناك حدود  
صارمة جداً بحيث تحول بين السلم ونادية فريضة الحج المقدسة ؟

نائب ممتد وتصل بريطانيا في جدة

وتقبلوا عظيم التوفير ؟

وكيل قنصل

جرافتي سميت

## الخاتمة

لكل أجل كتاب . ولكل بداية نهاية . وقيمة كل امرئ بما يحسن . في ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ ٩ نوفمبر ١٩٥٣ طارق هذا العالم إلى دار الخلود المرحوم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود فققدنا بفقد رجل عظيم مدد رواق مملكته المتراصة الأطراف وبني صرحها الشامخ لبنة فوق لبنة بمد كفاح صرير وحروب دامية ونضال سياسي . واتن مات عبد العزيز ، كما يموت كل بشر فان أعماله الخالدة ستبقى حية في صفحات التاريخ .

وإنما المرء حديث بمده فكن حديثا حسنا لمن وعى

أقد أدى عبد العزيز واجبه في الحياة على خير وجه يمكن أن يؤديه رجل عظيم مثله . وترك الأمانة لأكبر أبنائه الملك « سعود » وهو خير من يحملها . وإنه ليس بغير عن بلاده . فقد رافق والده في كثير من حروبه ، كما حل كثيرا من الأعباء والمسئوليات السياسية والإدارية بالنيابة عن والده .

ولقد أبدى في السنة الأولى من حكمه نشاطا عظيما . فزار شمال بلاده في الشتاء القارس وجنوبها في الصيف الشديد للوقوف على حاجة البلاد وأهلها ، غير عابئ بما يلاق من مشقة وتعب في سبيل خدمة بلاده ، ورفع مستوى شعبه ، وتوفير جميع أسباب الرفاهية والرقى للأمة العربية من جميع النواحي الصحية والاجتماعية والعلمية .

والعالم العربي والإسلامي ينتهل إلى الله أن يسد خطاه . ويجعل التوفيق حليفه . وأن يجعل عهده عهد سعادة ورخاء ، وسعادة وهناك . وأن يحقق في أيامه ما يصبو إليه العرب من اتحاد وعزة وتقدم . والله الموفق المبين ، نم المولى ونعم النصير .



قاموس الامكنة والبلدان

(1)

أسبیکا : ۱۰۹ ، ۱۷۵  
 أبلج : ۱۵ ، ۲۰  
 أبلجرا : ۱۳۹ ، ۱۴۶ ، ۱۶۶ ، ۱۶۷ ، ۱۸۹ ،  
 ۲۶۲ ، ۲۶۳ ، ۳۱۸  
 الأنداس : ۱۲۳  
 أنطاكية : ۱۷۱  
 إبران : ۲۲۲ ، ۲۳۸ ، ۲۶۸ ، ۲۷۰ ، ۲۷۲  
 إسطانا : ۱۹۷ ، ۳۲۱

( )

پابل: ۸۲، ۹  
باریس: ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۷، ۱۷۲  
۱۷۳، ۱۷۴، ۱۷۵، ۱۷۸، ۱۸۰

الاطن: ٧٦ ، ٧٩

774 : 24

الهرين : ٨٧ ، ٨٤ ، ١٣ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤  
٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٩ إلى  
٦٦ ، ٦٨ إلى ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٢ ،  
١١٧ ، ١١٩ إلى ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ،  
١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٩ إلى ١٤٣ ،  
١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢

• 3 : 2.11

البريد: ٩٨٩٦، ٩٤، ٩٠، ٧٤، ٥٣  
الرك: ٤٩، ٣٩، ٣٨، ٣٧

المرّة : ٢٢٤

٤٦ : ٧٢ : ٧٢ : ٩١ : ٩١ : ٩٢ :

FFA c TAT c FFY

١٠١٤٨٦٤٨٥٤٨٤٤٧٦ : رطانيا

١٣٦ : ١٥٨ إلى ١٦١ : ١٦٤ : ١٦٥

197 198 199 200 201

4 555 2 55 - 2 Y15 1 199 1 19A

८८१ ॥ ४४१ : ४४६

५५५ : ५५५

أبو عليان : ٢٣٩ ، ٢٣٢  
أبو عمر بن : ٣٩ ، ٤٠  
أبو الكباش : ٤٨  
أبها : ٣٩ ، ٤٢ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧  
أمنية : ٥٧

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006 1007 1008 1009 1010 1011 1012 1013 1014 1015 1016 1017 1018 1019 1020 1021 1022 1023 1024 1025 1026 1027 1028 1029 1030 1031 1032 1033 1034 1035 1036 1037 1038 1039 1040 1

1 Y7 , Y8 , Y9 , YY JJ 7A , 8A

4 1 1 9 4 1 1 A 4 1 7 4 1 7 4 8 4 A 1

• 147 • 148 • 149 • 150 • 151 • 152 • 153

1 719, 717, 710, Y-Y, 101

• YFO • YFI • YFF • YFI • YFA

6 7074 708 6 7174 7184 719

4 797 1 798 2 799 3 790 4 791

PIA, P-Y, T-Z, 494

الأحقاف : ١٥

أرضروم : ١٦٦

أربعين : ٢٢

آزمیر : ۸۳

الاستشارة (استيفول) : ١٨ : ٣١ : ٨٣ : ٨٦

17A, 107, 102, 101, 10-

۲۲۳ : ۲۲۴ : ۲۱۴

مكتوبة : ١٥٩ ، ١٧١

سكندرية: ١٣١، ٣٠٣، ٤٠٤، ٣١٤، ٣٧٢

صطبل عنتر : ۲۰

100

لافلان : ۱۰ ، ۵۴

الأمر : ٤٢

190 : 191 : 180 : 179 : 77 : 11

م الرضعة : ٢٩٧

مِ الْمَكَّةَ : ٧١ ، ٧٢

م. قصر : ٧٦ ، ٨٣

م تعلق : ۸۹ ، ۹۸

غير : ٥٩

تنومة : ٣٧

تهامة : ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩

١١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٢٨٨

تهامة لبنين : ١٥ ، ٣٦

النور : ٥٩ ، ٦٠

تيام : ٣٣ ، ٦٦ ، ١٨٦

( ث )

تادي : ١٩ ، ٥١

ترمدا : ٥٧ ، ٥٨

تسكنة جبرول : ١١

التنية : ٢٥

( ج )

الجافورة : ٦٨

جاوة : ٦٧

جبل أجا : ٣ ، ٣٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦

جبل أحد : ٢٨٢

الجبل الأخضر : ٢ ، ٤

جبل الدخان : ٩٤

جبل القروز : ٦٧

جبل رضوى : ٢٠

جبل السراة : ١٤

جبل سلسي : ٣ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

جبل سنام : ٧٦

جبل شمر : ٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٣

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٤ ، ٢٢٧

جبل الطيف : ٦٨

جبل طويق : ٢ ، ٣

جيبيل : ٧٤ ، ٣١٦

الجبيلة : ٤٩ ، ٥١ ، ٣٠٦

جد حفص : ٩٥

جدة : ٤ ، ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٦١ ، ٢٢

٣٨ ، ٤٠ ، ٨٨ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ، ١٥١

١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١١

٢٢١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩

بساتين : ٩٦

البصرة : ٣٠ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠

٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٠٢

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣٢

١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٨

١٧١ ، ١٩٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٣٠٦

بصة : ٢٩٣

بعلبك : ١٧٩

بغداد : ٣١ ، ٦٧ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٦٠

١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤

٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١

٣١٣ ، ٣٢٣

البلقان : ٢٤٤

بجاي : ٩٢

بورسودان : ٢٣ ، ١٦٧

بورى : ٩٤

بوشهر : ٨٤ ، ٢٣١

بيروت : ١٣١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٧١

بيت القدس : ١٦٨

بياض : ٧٢

بيشة : ٣٨ ، ٣٩ ، ٢١١ ، ٢٥٩

بيلان : ١٧١

( ث )

تاروت : ٧١ ، ٧٣

تبوك : ١٨ ، ١٩

تربة : ٣٩ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢٢٥ ، ٢٥٧

٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨٨ ، ٢٢٧

تركستان : ١٨٧

تركيا : ١٠٢ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤

١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤

٢٧٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

نطوان : ٣١٣

تعضر : ٣٨

تغاية : ٥٦

تغر ( واحدة ) : ٥٥

تغنية : ٣٧

٣١ إلى ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٨ إلى ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤١ إلى ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ إلى ٢٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ إلى ٢٦٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣١٤ ، ٣١٠ ، ٣٠٧

الحجر : ٢٦ ، ٢١٥

الحمد : ٤ ، ٩٠ ، ٩٨

حناء : ٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٢٨٩

الحديقة : ٤١ ، ٤٣ ، ٢٧٦

الحريفة : ٥٧

الحريق : ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣

حرملة : ٢٩ ، ٥١ ، ٢٣٧

الحصون : ٥٩

خضرموت : ٧ ، ٤٤ ، ٦

المفر : ٧٦ ، ٨٢ ، ٢٩٨

حلب : ٨٣ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٥ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣

٣٢٣

حلي : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠

الحجاد : ٩ ، ٤٥ ، ٥٧

حاة : ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٧٥

حا : ٥٥

حمس : ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٨٠

حمس : ٨٧ ، ٢١٥ ، ٢٥١

الحناكية : ١٥ ، ٢١

الحنقش : ٤١

حوران : ٤٥

الحوطة : ٥١ ، ٥٣ ، ٥٩

الحويطة : ١٥ ، ٢٥٩

حيفا : ٣٢٢ ، ٣٢٣

٢٧١ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠

٣٣١

جرايب : ٢٥٠

الجزيرة : ٢١٥ ، ٢٣٥

الجزيرة ( التي الصالح ) : ٩٧

جزيرة البحرين ( أوال ) : ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٦

١٠٤ ، ٩٨

جزيرة بويان : ٨٠

جزيرة بوعلی : ٧٤

جزيرة جنة : ٧١ ، ٧٤

جزيرة قبرس : ٣٢٢

جزيرة المحرق : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧

١٠٤ ، ١٢١ ، ١٢٤

جزيرة السلية : ٧١ ، ٧٤

الجش : ٧٥

الجدية : ٧١

الجيفة : ٦٦

جلابيل : ٥٩ ، ٦٠

الجهرة : ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٢٥١

٢٨٨ ، ٢٨٩

جو ( انظر العارض ) : ٤٨ ، ٩٣

الجوف : ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٧ ، ٦٧ ، ١٤٠ ، ١٤١

٢٣١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

الجوز : ٥٦

جيزان : ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٦٢

( ح )

الحائط : ١٥ ، ٢٥٩

حاة أبو ماهر : ٩٧

الحابر : ٢١٦

حابل : ٣ ، ٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦

٨٦ ، ١٤٠ ، ١٨٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٨

٢٩٧

الحبسة : ٣٢ ، ١٨٧

الحجاز : ١١ إلى ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣

(د)

(خ)

رأس الحية : ٢٣٢

وابغ : ١٥ ، ٢١ ، ٢١٣ ، ٢٧٠

الربع الخالي : ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٢٣١

الرس : ٦٢

المرغابة : ٢٨٩

رغبة : ٤٩

رفاع الفري : ٩٥

رفاع الفري : ٩٥

الرفعة : ٦٩ ، ٧٠

روسيا : ٨٤ ، ٣٢٢

الروضة : ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٦

الرياض : ٦١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤

٦١ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١١٨

١٢٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٩١

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠

٣٠٩ ، ٣٠٦

رياق : ١٨٣ ، ١٨٤

(ذ)

الزاهر (الشهداء) : ٢٨٩

الزيارة : ٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٢١٧

زبيد : ٢١٨

الزبير : ١١٣ ، ١٣٣

الزجاجة : ٧٩

الزلاق : ٩٦ ، ٩٨

الزواني : ١ ، ٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٢٩٥

زوزم : ٧٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤

الزور : ٧٩

(س)

ساصري : ٣٢٣

سان ديثو : ١٨٤ ، ١٩٨

خابري واضحة : ٢٩٨

الخبرا : ٦١ ، ٦٢

الخرج : ٢ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤

٢١٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣

الخرمة : ٢١٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣

الخطاية : ٥٩

خميس مشيط : ٣٩

خورستان : ٨٢

خير : ٤٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٧٠ ، ٢١ ، ٣٣

٢٥٩ ، ٢١١

(د)

الداخلية : ٥٩

دار الخرا : ١٨ ، ٥٧

داروش : ٧٥

دام : ٥٥ ، ٥٦

الداخنة : ٥٧

دبي : ١٥١

الدبيلة : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٢٠٣

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩

٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨

الدلم : ٥١ ، ٥٢ ، ٢٢٩

الدمام : ٧٥ ، ٩٤

دمشق : ٣١ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٧١

١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢

١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٣٠٤

٣٢٢

دعلا : ٥٤

الدعنة : ١ ، ٣ ، ٦٨

الدواسر : ٦ ، ٥٥ ، ٥٧

الدورة : ٢٣٨

دومة الجندل ( انظر الحوف ) : ٦٧ ، ٦٧

الدير : ٩٧

(ص)

صحة : ٥٤  
صبا : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٣٦٠ ، ٣٧٨  
المنية : ٨٢  
الصريف : ٨٦ ، ٢٣٩  
الصفا : ٢٥  
الصغراء : ١٥ ، ٢٢٣  
مغوة : ٢٥  
سندة : ٤١ ، ٤٢  
ملوخ : ٤٩  
الضبان : ٦٨  
شما : ٤ ، ٦ ، ٣٨ ، ٢١٤ ، ٢٧٥ ، ٣٢٨



كفاء : ٢٥

كريل : ٢١٧

الكعبة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

الكفرة : ٤٢

الكلابية : ٧١

كلبيكة : ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦

الكلوت : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٠

الكلوت : ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ٦٨ ، ٧٤

٧٦ إلى ٨٨ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢

١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦

١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥

١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٣٩

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤

٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠

٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧

٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٨٥

٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨

٢٩٩ ، ٣١٢ ، ٣١٩

(ل)

اللاذقية : ١٧١

لبن : ١٨

اللبنة : ٤٠ ، ٤٣

لندن : ٩٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩٢ ، ١٩٧

١٩٨ ، ٢٣٠ ، ٢٩١

لوزان : ١٨

اللبث : ٤٠ ، ٤٤ ، ٦٥ ، ٤٤

ليل : ٥٣

(م)

مانستر : ١٩٥

المبرز : ٦٩ ، ٧٠

المجعة : ٥٩ ، ٦٠

معايل : ٤٠ ، ٤١

المحرق : ٢

(ق)

قارة (واحة) : ٦٧ ، ٧٩

القاهرة : ٣١ ، ٨١ ، ١٢٣ ، ٢٠٢ ، ٢٥٢

٢٥٣ ، ٣٠٤

قباء : ١٧

قبة عتيقة : ٢٢

القرشية : ٤٨

قرعة : ٧٩

القرنية : ٣٨ ، ٤٩

قريات الملح : ٤٥

القص : ٥٧

قصر سليم : ٧١

قصبة : ٦٣

القصر : ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، ٤٦ ، ٤٧

٤٨ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣

٦٤ ، ١١٢ ، ١٤٠ ، ٢٠٤ ، ٢٢٦

٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢ ، ٢٩٥ ، ٣٢٥

٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨

قطر : ٨ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢

١٠٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤

١٤٦ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٣١٩

القطيف : ٤ ، ٣٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢

٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٨٦

٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٤٠ ، ١٤١

١٥٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧

٢٥٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠٧

٣١٨

قنار : ٦٤ ، ٦٥

القنوق : ٩٣

القوفاز : ١٦٣

قائمة ساحود : ٧٠

الفتنة : ١٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

(ك)

كبد : ٧٩

كبر (جزيرة) : ٧٩





وادی بیته : ٣٦ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٧  
 وادی الثالث : ٥١  
 وادی الجس : ١٩ ، ٢١  
 وادی حنیفة : ٢ ، ٤٨ إلى ٥٢  
 وادی الدواسر : ٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٧  
 ٥٤ ، ٥٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧  
 وادی رانیة : ٢٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨  
 وادی الرمة : ٢ ، ٣ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢  
 وادی زبدیة : ٢١  
 وادی السرحان : ٦٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠  
 وادی شهران : ٣٦ ، ٢٥٩  
 وادی المیق : ٣٦  
 وادی عین : ٢٠  
 وادی فاطمة ( من الظهران ) : ١٥  
 وادی قروق : ٦٨  
 الوجه : ١٥ ، ١٩ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١  
 الوشم : ٤٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٢٢٧  
 وشقیر : ٥٧ ، ٥٨  
 الوقف : ٥٧  
 ولامین : ٥٦  
 الولايات المتحدة ( انظر أمريكا ) : ١٧٤

### ( ی )

الیاح : ٧٩  
 الیابطة : ٤  
 الیامة : ١٢ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣  
 ٢٣١  
 الین : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥  
 ٢٢ ، ٣٤ إلى ٣٩ ، ٤١ ، ٥٤ ، ١١٨  
 ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٥٣ ، ١٦٨ ، ٢٠١  
 ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٧٦  
 ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٠  
 یلیع : ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ١٢٩ ، ١٨٦  
 ١٩٠ ، ٢٢٣  
 الیونان : ٢٧٦ ، ٢٤٢

( ٢٥ — جزيرة العرب )

١٥١ ، ١٥١ ، ١٨٧ ، ١٦٦ ، ٢٠٢  
 ٢٠٣ إلى ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ إلى ٢٣١  
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠  
 ٢٤٢ ، ٢٥٧ إلى ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧١  
 ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٢  
 ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩  
 ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧  
 ٣٠١ إلى ٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٣١٨  
 ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩

نجران : ٢١٥ ، ٢١٦

النمائل : ٦٩ ، ٧٠

نعیمة : ٥٥

النقود : ١ ، ٢ ، ٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٥٨ ، ٥٩  
 ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٦٠

النویج : ٥٥

### ( هـ )

هجر : ٦٨ ، ٧٢

هجرة الأخضر : ٢٨٥

هجرة الأوطاة : ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩  
 ٣٢٧

هجرة حنته : ٢٨٥

هجرة النطنط : ٢٦٣ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧

الهزم : ٧٩

الهفوف : ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٢٣

هولندا : ٢٦٨

الحند : ١ ، ٧ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥  
 ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩١  
 ٩٦ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٤٦ ، ١٤٣  
 ١٦٩ ، ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣  
 ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢١٣ -

### ( و )

واحة الوادی : ٥

# أعلام الرجال

(١)

١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،  
٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،  
٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،  
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،  
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،  
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ،  
٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،  
٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٨ ،  
٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨

ابن سعيد : ٣٠٢

ابن سويط : ٢٩٨

ابن سينا : ١١٨ ، ١٢١

ابن سبهان : ٢٣٦

ابن ساعد : ١٤٠

ابن صباح : ١٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٣٩

ابن طوالة : ٢٩٨

ابن عباس : ٣٣

ابن عبد الوهاب ( انظر محمد ) : ٣١٤

ابن عربي : ٣٠٢

ابن عمر : ٣٣

ابن غنام : ٢٠٢ ، ٢٠٣

ابن قرحون : ٢٥٢

ابن القيم : ( الإمام ) : ١٦٣ ، ٢٠٦ ، ٣١١

ابن كثير : ١٩٨

ابن مخلوف ( القاضي ) : ٣٠٣

ابن مساعد : ٣٩٧

ابن مينا : ٢٣٧

ابن هشام : ١٩

ابن وهب : ٢٦

ابو أمية : ٢٦

ابو بحر الجوسي : ٣٤

ابو بكر : ٢٨ ، ٣٠

ابو حنيفة : ٣٤

آدم : ٢٤ ، ٢٦

إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧

إبراهيم باشا : ٦٢ ، ٧٠ ، ١٠٢ ، ٢٧٥

٢٧٧

إبراهيم بن حليم : ١١١

إبراهيم هاشم بك : ٢٦٠

إبراهيم وجيه بك : ٢٧٢

ابن الأثير : ١٣٠

ابن بجاد : ٢٩٤ ، ٢٩٥

ابن بصر : ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣

ابن بطوطة : ٢٢ ، ٣٢ ، ٧٣

ابن تومرت : ٣٠٣

ابن تيمية ( الإمام ) : ١٦٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣

٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣

ابن تقيان :

ابن جبير ( الأندلسي ) : ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢

ابن جلاوي ( الأمير ) : ١٤٠ ، ٢٩٦

ابن حنبلين : ٢٩٤ ، ٢٩٥

ابن حجر : ٣٣

ابن حيد : ٢٩٤ ، ٢٩٥

ابن خلدون : ٢٢ ، ١٢٢ ، ١٢٣

ابن خليفة : ١٠٠ ، ١٣٠

ابن داود ( الشيخ ) : ١٠٦

ابن درع : ٢١٥

ابن الرشيد : ٥٨ ، ٨٦ ، ١٦٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩

٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣

٢٥٢ ، ٢٧٦ ، ٢٢٨

ابن رفاة : ٢٨٤

ابن الزبير : ٢٨

ابن السمود ( جلالة الملك ) ( انظر عبد العزيز ) :

٨٧ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٨٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤

( ت )

تركى بن عبد الله : ٢٢٧ ، ٢٢٨  
تيتوفى ( السنبور ) : ١٧٤

( ج )

جابر بن عبد الله ( الشيخ ) : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٣١  
جابر بن مبارك الصباح ( الشيخ ) : ١٣٨ ، ١٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ١٤٣  
جابر المتني : ٨٧  
الجلشكير ( السلطان ) : ٣٠٣  
الجبلى : ٢٢٢  
جراح بن صباح : ٨٥ ، ١٤٠ ، ٢٣٨  
جعفر بن محمد بن الحسن : ١٤٨  
جلال السلطنة : ٢٧٠  
جلبرت كلايتون ( السيد ) : ٢٥٣ ، ٢٩٣  
جلوب ( السر ) : ٣٠٠  
جلوى بن تركى : ٢٢٩  
جمال باشا : ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٧٢

( ح )

الحارث بن كلدة : ١٢٢  
الحارث بن مضاض : ٢٨ ، ٢٩  
الحجاج : ٢٦  
حمداد باشا ( الجنرال ) : ١٧٥  
حسن بن هبة الله ( السيد ) : ٢١٦  
حسن الإدريسي ( السيد ) : ١٣ ، ٤٤  
حسين بن علي ( الملك ) : ١٨ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦

أبو ماهر القرمطى : ٧٢  
أحمد بن جابر ( الشيخ ) : ٨٧  
أحمد بن حنبل ( الإمام ) : ١٢٩ ، ٣٠٩ ، ٣١١  
أحمد بن سعيد ( الشريف ) : ٢٠٢ ، ٢٠٣  
أحمد بن عتيق ( الشيخ ) : ٣١٤  
أحمد بن عيسى ( الشيخ ) : ١٠٠  
أحمد السدري : ٢٣٣  
أحمد المتوسى : ( السيد ) : ٢٨ ، ٤٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١٥٦ ، ٢٠٥ ، ٣٢٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٠  
أرثر مكماهون ( السيد ) : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤  
الأزرق : ٢٧ ، ٣٤ ، ٠  
استورس ( المتر ) : ٣٣١  
اسكويث ( متر ) : ١٩٥ ، ٠  
إسماعيل : ٢٨ ، ٣١٥  
أمين الحسيني ( السيد ) : ٢٧٤

( ب )

باصت ( السكولونيل ) : ٣٢٩  
البخارى : ٢٤ ، ٢٥  
برتلو ( مسيو ) : ١٧٩ ، ١٨٠  
برسي كوكس ( سير ) : ٧٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣١٨ ، ٣٥٧  
بركات بن السيد حسن الجعلان : ١٤٩  
بركهوت : ١٤٩ ، ٢٢٥  
بروس ( مستر ) : ١٠١ ، ١٠٣  
بلمبريف ( الرحالة ) : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢  
بافور ( الأورد ) : ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩  
بلى ( السكولونيل ) : ٨٤ ، ٢٣١  
بنيت ( الدكتور ) : ١٢٢  
بورام : ٩٩  
البوسيرى : ٣١٣  
بيسكو ( السكولونيل ) : ٢٩٨  
بيكهوت : ٢١٥ ، ٠

ريجنلد وينجت ( السير ) : ٢٥٢  
الرمحاني ( الأستاذ ) : ٢٦٧

## ( ز )

زامل السليم : ٢٣٤ ، ٢٣٧  
الزهرأوى ( السيد ) : ١٥٣ ، ١٥٤  
زيد بن حسين ( الأمير ) : ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٨  
١٩٠ ، ٢٥٩ ، ٣٢٥  
زيد بن الخطاب : ٣٠٥

## ( س )

سارة : ٢٤  
سالم بن مبارك ( الشيخ ) : ٨٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣  
٢٥١  
سالم هندأوى ( الدكتور ) : ١٢١ ، ١٢٢  
ستوكيه ( السير ) : ٨٣  
سرور ( الشريف ) : ١٤٩ ، ٢٠٣  
سعد بن عبد الرحمن : ٢٠٥ ، ٢٤٣  
سعود بن إبراهيم : ٢١٥  
سعود بن سعيد ( الشريف ) : ٢٠٣  
سعود ( الأمير ) : ١١١ ، ١٤٢ ، ٢٩١ ، ٣٢٥  
سعود بن عبد العزيز ( الإمام ) : ٢١٦ ، ٢١٨ ،  
٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤  
٣٢٤ ، ٣٢٥  
سعود بن فيصل : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،  
٢٣٥  
سعيد بن سحان ( الشيخ ) : ٢٨٤  
سكر لنيج ( الكولونيل ) : ١٧٥  
سكولوف : ١٩٧  
سلطان بن محمد : ٢٩١  
سلطان الدويش : ٢٣٤  
سليم ( السلطان ) : ١٤٨ ، ٢٢٣  
سليمان : ٦٦  
سليمان آل محمد : ٣٠٧  
سليمان أزهر ( الشيخ ) : ١٨٧  
سليمان بن أحمد ( الشيخ ) : ٨٢ ، ١٠٠  
سليمان الجزائري بك : ١٥٢

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،  
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ،  
٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٠

حقى المظلم بك : ١٥٣

حمد بن عيسى ( الشيخ ) : ١٠٤

حزة : ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٩٣

حود ( الشريف ) : ٣٩

حواء : ٢١ ، ٢٢

## ( خ )

خالد بن سعود : ٢٢٩

خالد بن إزى ( الشريف ) : ١٠٦ ، ١٠٧ ،

٢٦٥ ، ٢٩٠

خدجية : ٣٠

خزمل ( الشيخ ) : ٢٤٩ ، ٢٥١

خليفة بن محمد : ٨٢

خليل صادق باشا : ١٥٢

## ( د )

داود الأنطاكي : ١٢١

دحلان ( السيد ) : ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢ ،

٢٢٣

الدوق أف أرجيل : ١٦٨

الدويش : ٨٧ ، ٢٦٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،

٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

ديكسون ( الكولونيل ) : ٢٥٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩

ديم ( الدكتور ) : ١٢١

## ( ر )

راكان بن حنين : ٢٢٣

ربيعة بن مانع : ٢١٥

رجب النقيب ( السيد ) : ٨٦ ، ١٣٢ ، ٢٣٨

رحمة بن جابر : ١٠١

الرشيد : ٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢

رشيد رضا ( السيد ) : ١٥٣ ، ١٦٦

رفيق المظلم بك : ١٥٣

١٠٥، ٨٨، ٨٧، ٨٤، ٧٥، ٧٤، ٦٢  
١١٢، ١١٠، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦  
١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٦، ١١٤  
١٢٠، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٣، ١٢١  
١٣٠، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣١  
٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٦  
٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٨  
٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٥٠  
٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧  
٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧  
٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤  
٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣  
٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١

٣١٥، ٣١٨، ٣٢٥

عبد العزيز بن شعيب : ٢٤٢

عبد العزيز بن الصباح : ٢٣٤

عبد العزيز بن فيصل : ٢٣٤

عبد العزيز بن فيصل القويش : ٢٩٧

عبد العزيز بن مطير : ٢٣٠

عبد القليل بن عبد الرحمن ( الشيخ ) : ٢٣١

٣١٥

عبد القليل بن عبد الرحمن ( الشيخ ) : ١٤٣

عبد الكريم السعدون : ١٣٢

عبد الله بن أحمد ( الشيخ ) : ١٠١

عبد الله بن بليهد ( الشيخ ) : ٢٧٤

عبد الله بن ترك : ٢٣٤

عبد الله بن ثمان : ٢٢٩، ٢٣٠

عبد الله بن جلوي : ٧٥، ١٠٦، ٢٩٠

عبد الله بن حسن ( الشيخ ) : ١٢٩، ١٨١

عبد الله بن حسين ( الأمير ) : ١٨٦، ١٨٨

١٩٢، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٠٩

٢١٢، ٢٨٥، ٢٢٩

عبد الله الطنجي ( الدكتور ) : ٢٧٤، ٢٩٠

عبد الله بن الزبير : ٢٦

عبد الله بن سعود : ٢٢، ١٠٢، ٢١٨، ٢١٩

٢٢٤، ٢٢٧

عبد الله الصانع بك : ١٢٢

عبد الله بن صباح : ١٠٠

سبريل ولسون ( الكولونيل ) : ٢٥٣

سبيل ( القورد ) : ١٨٦

## ( ش )

العالمي ( الإمام ) : ٣٤

شكري الأيوبي ( الجنرال ) : ١٧١

شكري السبيل بك : ١٩٥

شو ( المأجور ) : ٣٢٠

شوكت علي ( مولانا ) : ٢٧٤

الشيخ : ٢٧

## ( ص )

صباح بن جابر ( الشيخ ) : ٨٤، ٨٥

صبيح لثأت بك : ٢٥٥

## ( ط )

طالب النقيب ( السيد ) : ١٥٤، ٢٦٧

الطبري : ١٣٠

طوسون : ٢٢٣، ٢٢٥

## ( ع )

عائشة ( أم المؤمنين ) : ١٧، ٢٦، ٣٣

عائش بن مرعي : ٤١، ٤٢

عيسى باشا الأول : ٢٣٠

عباس المالكي ( الشيخ ) : ١٨٧

عبد الإله ( الأمير ) : ١٥٠

عبد الحميد ( السلطان ) : ١٥٢، ٢٧٨

عبد الحميد الزمراوي ( السيد ) : ١٥٢، ١٥٤

عبد الرحمن بن حسن ( الشيخ ) : ٢٢٢، ٢١٥

عبد الرحمن بن فيصل ( الإمام ) : ١٢١، ٢٣٥

٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٦

عبد العزيز الحفني ( الشيخ ) : ٢٠٢، ٢٠٣

عبد العزيز الرشيد ( الأمير ) : ٦٥، ٢٧، ٢٠٤

٢٣٨

عبد العزيز بن سعود ( الملك ) : ٩، ١٣، ١٨

٢٨، ٢٣، ٤٣، ٤٤، ٤٤، ٤٤، ٥٢، ٦١

## (ف)

فؤاد الأول (مكى مصر) : ١٨ ، ٢٦٢

فؤاد الخطيب : ١٧٥ ، ١٩٢ ، ٢٦٨

فخرى باشا : ١٨

فلى (المستر) : ١٢٩ ، ٢٠٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧

٢٨٣

فهد بن جلوى : ٢٩٧

فهد المذال بك : ٢٥٥

فوك (المستر) : ١٧٤

فيصل (الإمام) : ٢٩ ، ٧٢ ، ١٠٣ ، ٢٠٤

٢٣٢ ، ٢٩١ ، ٣١٩

فيصل بن تركى : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

٢٣٣

فيصل بن حسين (الملك) : ١٥٧ ، ١٧٠

١٨١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ١٩٣

٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢

٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥

٢٢٧ ، ٢٢٩

فيصل الدين : ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٥٥

٢٥٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤

فيصل بن عبد العزيز : (الأمير) : ١٤٣ ، ٢٦٣

فيلب : ٢٥٤

## (ق)

قاسم أمين : ١١٣

قنادة : ١١٨

## (ك)

كامل باشا (الصدر الأعظم) : ١٥

كاشغر (الورد) : ١٥٦ ، ١٥٨

كرم خان : ١٠٢

كليمنسو : ١٧٢ ، ١٧٥

كلنف (البحر) : ٢٥٢

عبد الله بن طرب : ١٠٠

عبد الله العظم بك : ٢٢٣

عبد الله بن عيسى : ١٠٢

عبد الله بن فيصل : ٧٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

عبد المجيد الثاني (السلطان) : ١٧ ، ١٥٠

عبد المعين (الشريف) : ٢٢٠

عبد الملك بن مروان : ٢٦

عبد الوهاب طامت بك : ٢٦٨

عثمان : ١٧ ، ٢١ ، ٢٨

عثمان المصافي : ٢٢٣

عجلان : ٢٤٠ ، ٢١١

مرمر بن الخالدي : ٢١٦

عزيز على الصرى بك : ١٥٣

عساف أبو اثنين : ٢٣٤

الملاء بن عبد الله الجلوى : ٧٢

على باشا (الشريف) : ١٥٠ ، ٢٠٤

على الإدريسي (البيد) : ٤٣

على آل خليفة (الشيخ) : ١٠٠

على بن حسين (الملك) : ٤٢ ، ١٨٦ ، ١٨٨

١٩٢ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧

٣٢٥

على خلق بك : ٢٦٠

على العهد الخالد : ١٢٢

عمر بن الخطاب : ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٣

١٦٤

عون الرقيق (الشريف) : ١٥٠ ، ٢١٤

عيسى بن على (الشيخ) : ١٠٠ ، ١٠٣ ، ٢٢٠

٢٢٠ ، ٢٢٢

## (ع)

غالب (الشريف) : ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٦

٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

غورو (الغزال) : ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣

١٨٤

محمد علي باشا : ٢٢ ، ٣٩ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ،  
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩

محمد علي ( مولانا ) : ١٦٦

محمد علي زينل رضا : ١٢٤

محمد بن عون ( الشريف ) : ١٥٠ ، ٢٠٤

محمد بن فيصل بن تركي : ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧

محمد بن معاري : ٢٢٧

مدحت باشا : ٧٢ ، ٢٣٤

مدحت شكرى بك : ١٥

المرافى ( الشيخ ) : ٢٦٨

محمى الإدريسي ( السيد ) : ٤٤

مسعود ( الشريف ) : ٢٠٣ ، ٢١٠

مسلط بن ويهان : ٢٣٥

مسلم بن الحاج صاحب الصبيح : ٢٥

مشارى بن سمود : ٢٢٧

مشارى بن عبد الرحمن : ٢٢٨

مصطفى بن السيد عبد الله : ٣٢١

مصطفى بن عبد الرحمن ( السيد ) : ٣٢٠

مطير : ٨٧

مناوية بن أبي سفيان : ٢٧٨

المنصم باقة : ١٧

المنيرة بن مخزوم : ٢٦

مقرن بن إبراهيم : ٢١٥

مالكولم ( المشر ) : ١٩٧

النصور ( الخليفة العباسى ) : ٢٨

مور ( الجنرال ) : ١٦٧ ، ٢٥٥

المهدى : ١٧ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٤

موسى بن نافع : ٤١٥

## ( ن )

ناجي الأصيل ( الدكتور ) : ١٩٣ ، ١٩٤

الناصر ( الملك ) : ٣٠٤

ناصر السعدون باشا : ٢٣٤

ناصر مبارك ( الشيخ ) : ١٤٣

القيب : ٢٥٥

نوكس ( السكولونيل ) : ٢٥٨

نابهر الدغركى : ٣٠٨

كورنواليس ( السكولونيل ) : ١٧٥ ، ٢٥٥

كيزون ( القورد ) : ٨٧ ، ١٢٥

## ( ل )

لانسدون ( القورد ) : ١٦٩

القبي ( القورد ) : ١٨٧

لوثر : ٣٠٥

لورانس ( السكولونيل ) : ١٦٧ ، ٢٠٨

لويد جورج ( القورد ) : ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦

١٧٧ ، ١٩٥

## ( م )

ماجد بن حنيلة : ٢٩٥

مارك ساينكس ييكو : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٣٢٠

٣٢٤

مالك ( الإمام ) : ٢٦ ، ٣٤

مبارك الصباح ( الشيخ ) : ٧١ ، ٧٩ ، ٨٤

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٨

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٣٨

٢٤٠ ، ٢٤٣

معن الغرم : ٢٩٨

محمد الإدريسي ( السيد ) : ٢٠٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦

محمد بن خليفة ( الشيخ ) : ١٠٠ ، ١٠٣

محمد الرشيد : ٥٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

٢٣٧ ، ٢٧٨

محمد بن سمود ( الإمام ) : ١١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦

٢٢٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨

محمد الصباح : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٠ ، ٢٣٨

محمد بن طارق : ١٦٠

محمد بن عبد الرحمن : ٢٤٠

محمد بن عبد العزيز ( الأمير ) : ٣٢٥

محمد بن عبد الوهاب ( الشيخ ) : ٤٩ ، ١٢٦

٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢١

٢٣١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

٣٠٨ ، ٣١٠

( و )

و . ج . رن ( السيد ) : ١٠٣

ولسن : ١٧٠ ، ٢٠٨

الوليد بن عبد الملك : ١٧ ، ٢٨

وهيب بك : ١٥٦

ويژمن ( الدكتور الصبيوني ) : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧

( ي )

بالوت : ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٩

يجي ( إمام النين ) : ٤٣ ، ٢٠٢ ، ٢٧٦ ، ٣٢٠

يزيد بن معاوية : ٢٦

يوسف بن إبراهيم ( الشيخ ) : ٨٦ ، ٢٣٨

( ه )

هاردنج : ٣٢١

هارون الرشيد : ٢٦ ، ٢٨٤

هاشم بك الأناسي : ١٨١

هانلتون : ٢٥٢

هربرت سمويل : ١٩٨

هرتزل : ١٠١

هشام بن عبد الملك : ٩٩

هوجاريت ( الكوماندور ) : ٢٥٣ ، ٣٣١



## الأمم والقبائل والبطون والفرق

(١)

الإخوان : ٢٨ ، ٣٠ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،

٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨١ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،

٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،

٣٢٧ ، ٣٠١

الأمارسة : ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٢٧٦ ،

الأرطاوية : ٢٨٥

الأرمين : ١٩٦ ، ١٩٧

الأشراف : ١٤ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٨ ،

٤٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،

١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٧٣ ، ٢٠٢ ،

٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٤٠ ،

٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ،

٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،

٢٧٠

الألمان : ٧٦ ، ١٨٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،

١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٨٨ ، ٢٥٢

الأمريكان : ٨١ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٧٤

الإنجليز : ٤٣ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٨ ،

١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ،

١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ،

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،

٢٩٤

الأنصار : ٢٨٥

الأوس : ٢٨٥

الإيطاليون : ٤١ ، ٤٣

آل إبراهيم : ١٤١

آل خليفة : ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢١٢

آل سعود ( السعديون ) : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ٨٣ ،

١٤٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ،

٣١٣ ، ٣١٥

آل الشيخ : ٩٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

آل صباح : ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٢

آل عايش : ٤٤ ، ١٣٢

آل مثنان : ٢٧

آل مبارك : ٧١

آل مرة : ٤٦ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ،

٢٩٠

آل معمر : ٢١٥ ، ٣٠٧

الأتراك : ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ،

٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،

١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،

٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ ،

٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٣٤ ،

٣٢٦ ، ٣٢٨

(ب)

البجارنة : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧  
البرتاليون : ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨  
البروتستانت : ٣٠٨  
البريطانيون : ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٩١  
بكر : ٧٢  
بنو بركان : ١٤٩  
بنو نعيم : ٤٧ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦  
بنو حاد : ٢١٥  
بنو خالد : ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ،  
٨٣ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،  
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧  
بنو شهر : ٤١ ، ٢٥٩  
بنو عبد شمس : ٧٢  
بنو عتبة : ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ،  
١٠٢ ، ١٠٣  
بنو علي : ٩٧  
بنو معيط : ٤١  
بنو هاجر : ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧  
بنو ياس : ٩٧ ، ١٠١  
البر سعيد : ٢١٥  
بو عيين : ٧٤ ، ٩٤

(ت)

التفر : ٣٠٢  
تيم : ٧٢

(ث)

تيف : ٣٥

(ج)

الجاويون : ٢٧٣  
جرم : ٢٥  
الجلامة : ٨٢ ، ٩٨ ، ١٠٠  
جهينة : ٢٠  
الجوسم : ١٠١

(ح)

حرب : ٢٠ ، ٤٦ ، ٢٨٥  
الحديثون ( انظر الأنتراف ) : ١٤٨  
حنابلة : ٣٧ ، ٢٠٢  
حوالة : ٧٣ ، ٩٠ ، ٩٧  
المحورطات : ١٩

(خ)

الخزرج : ٢٨٥

(د)

الدواسر : ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٩٠ ،  
٩٤ ، ٩٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥

(ذ)

ذوو زيد : ١٤٩

(ر)

الرافضة : ٧٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣  
ربيعة : ٢١٥  
الرجبان : ٥٦  
الرشيدة ( آل رشيد ) : ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ،  
٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩  
الروس : ٨٤ ، ٨٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣  
الرولة : ٢١  
الروم : ٣٤

(ز)

الزبانية : ٩٧

(س)

السادة : ٩٠ ، ٩٧ ، ٢١٥  
الساميون : ٩  
سليم : ٧١ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٢٠٧ ، ٢٣٤ ، ٣٢٧  
السمدون : ٢٥٤ ، ٣٠٧

(ف)

القاطميون : ١٤٨  
الفرس : ٢٩ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٢  
الفرنج : ١  
الفرنسيون : ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،  
١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،  
١٨٤

(ق)

القيط : ٣٤  
قتادة : ١٤٨  
قبطان : ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٧١ ، ٢٩٥  
قريش : ٢٦

(ك)

الكانوليك : ٣٠٨  
الكنعانيون : ٩

(م)

المالبيخ (نفذ) : ٢١٥  
المصريون : ٥٠ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،  
١٥٠ ، ٢٠٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،  
٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٦٢  
مطير : ٤٦ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٦٠ ،  
٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،  
٢٩٨  
المناربة : ٢٢٢  
الماليك : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٢٣  
المنانة : ٩٧  
المنتفق : ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥  
الموالي : ٢١ ، ٦٦

(ن)

النصاري : ٣٣ ، ٣٤ ، ٩٣

النوسية : ٤١

الدهول : ٧١ ، ٣٢٧

(ش)

شمر : ٩ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٢٥٤ ،  
٢٨٥  
شهران : ٤١  
الشبة : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ٩٣

(ص)

الصلبة : ٧٧  
الصمونيون : ١٧١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،  
١٩٨  
الصوفية : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥

(ض)

الضفير : ٢٥٤ ، ٢٥٥

(ع)

عبد القيس : ٧٢  
العمريون : ٩  
عتبة : ٣٥ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٥ ،  
٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧  
العميان : ٤٦ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٢١٥ ،  
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،  
٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧  
العمائر : ٧٤  
عزرة : ٤٦ ، ٢١٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥  
عزيرة : ٩ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٧  
العوارم : ٧١ ، ٧٧ ، ٨٠

(غ)

غامد : ٤١

(ى)

اليهود : ٣١ ، ٣٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ،  
١٨١ ، ١٩٥  
اليونان : ١٣٥

(هـ)

الهكسوس : ٩  
الهنود : ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ،  
٢٣١ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣  
الهوامشم : ١٤٨

(و)

الوهايون. (انظر الإغوان) : ١٠٢ ، ٢٢٢ ،  
٢٥٤ ، ٣١٤

دار المصري للطباعة

ت: ٢٨٢٦٥١١ - الهرم